(صلاح احمد محمود) ١٨١٠

الجاليات الأجنبيه فى مصر فى القرن التاسع عشـــر

صفر ١٩٧٠

(١٨٠١ ـ ١٨٨٢)

الفصل الأول : بدء قدوم الأجانب الى مصر والعوامل التى أدت الى زيـــادة هجرتهم اليها .

الفصل الثانى : أهم الجاليات التى تكونت فى مصر خلال القرن التاسع عشـــر .
الأرمن ـ اليونانيون ـ الانجليز ـ الفرنسيون ـ الايطاليـون ـ الألمان ـ جاليات النمسا والمجر وجاليات اخرى .

الفصل الثالث : أهم الأعمال والمهن التى احترفها الأجانب فى مصـــر .

الفصل الرابـع : تغلغل الأجانب فى المجتمع المصرى وسيطرتهم على أهم الوظائف .

الفصل الخامس : الجمعيات التبشيريـة الأوروبيـــة . ١٢٨

الفصل السادس: التعليم الأوروبى فى مصـر وأثـره .

الفصل السابع : تكوين القنصليات ودور القناصل بالنسبه للجاليات الأجنبيــه .

الفصل الثامـن : الامتيـازات الأجنبيـــــه .

الفصل التاسع : شغـــب الأجانـــب .

الفصل العاشـر : المحاكم المختلطـــــه .

الفصل الحادى عشر: ازدياد النفوذ الأوروبى وسيطرة الأجانب على السياسة المصريـــه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

يعتبر موضوع الجاليات الأجنبيه فى مصر فى القرن التاسع عشر من الموضوعات الهامه فى تاريخ مصر الحديث خصوصا وأن الباحث قد تناول هذا الموضوع بالدراسه من الناحية الاجتماعية وهذا بلا شك منهج حديث فى دراسة التاريخ ويعتبر امتدادا لما بدأه فى رسالتى السابقه التى تقدمت بها لنيل درجة الماجستير وكان موضوعها الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر الخديوى اسماعيل • فقد اعتاد المؤرخون كتابة التاريخ من النواحى السياسية والاقتصادية ولم يتناولوا الناحية الاجتماعية بالدراسة والبحث تلك الناحية التى يجب أن تنال اهتماما كبيرا فى دراسة التاريخ لأنها تظهر لنا جوانب جديده كانت قبل ذلك مغمورة فى الناحيتين السياسية والاقتصادية •

وقد تناول الباحث موضوع الرسالة فى الفترة من ١٨٠١ الى ١٨٨٢ وهى من أهم الفترات فى تاريخ مصر الحديث لأنه فى هذه الفترة بالذات يظهر لنا كيف تغلغل الأجانب فى المجتمع المصرى بشتى الطرق والوسائل الى أن سيطروا فى النهاية على أهم الوظائف والمهن فى مصر بل والأكثر من ذلك سيطروا على سياسة مصر خصوصا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر •

واذا نظرنا الى مركز الأجانب فى مصر فى نهاية القرن الثامن عشر نجده يختلف عنه فى نهاية القرن التاسع عشر اختلافا كبيرا • ففى عصر المماليك كان عددهم قليلا جدا وكانت اقامتهم محددة بحى معين من أحياء القاهرة وكان محظورا عليهم مغادرة أو التجول فى باقى أنحاء المدينه والأكثر من ذلك أساء المماليك معاملة الأجانب بل وفرضوا عليهم الاتاوات الى غير ذلك من العوامل التى أدت الى قلة هجرة الاجانب الى مصر فى تلك الفترة •

وبعد ذلك جاءت الحملة الفرنسية الى مصر واصطحب نابليون بونابرت معـــــه

عددا كبيرا من العلماء الذين قاموا بدراسة مصر دراسة علمية لفتت أنظار العالـــم

الى مصر وجعلت انجلترا تبدأ فى منافسة فرنسا على النفوذ فى مصر .

أما محمد على فقد اعتمد اعتمادا كبيرا على الأجانب وخصوصا الفرنسيين الـــذى

اسند اليهم أهم الوظائف فى حكومته كما اعتمد عليهم فى تنفيذ معظم مشروعاته مما شجع

الأجانب على الهجرة الى مصر للانتفاع من فرص العمل بها أو الاشتغال بالتجارة .

وجاء عباس الأول الذى كان على النقيض من سلفه فطرد معظم الموظفين الأجانـــب

الذين كانوا يعملون بدواوين الحكومة بل والأكثر من ذلك أمر بطرد اليونانيين من مصـر

بناء على الأوامر التى صدرت اليه من السلطان فى تركيا .

أما محمد سعيد واسماعيل فنظرا لأن تربيتهما فرنسيه فقد عملا على تشجيع هجـــرة

الأجانب الى مصر وأتاحوا لهم فرص العمل لدرجة كبيرة حتى أنهم سيطروا على أهـــم

الوظائف والمهن فى مصر فى تلك الفترة حتى تمكنوا من السيطرة على السياسة المصريـه

بشكل واضح فى عهد محمد توفيق مما أدى الى الاستعمار الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٢ .

ولقد بلغ من اعتماد حكام مصر على الأجانب أن أسندوا اليهم أهم الوظائف حتى أنهم

استعانوا بهم كخبراء ومدربين فى الجيش المصرى والبحريه أيضا ، فمثلا نجد بعض الأسماء

الأجنبيه قد لمعت ونالت أعظم المناصب فى الجيش المصرى مثل " الكولونيل سيف " الذى

تلقب فيما بعد باسم سليمان باشا الفرنساوى وفى البحرية اعتمد محمد على أيضا على " سيريزي "

وقد كثر استخدام الأجانب فى الجيش المصرى فى عصر اسماعيل الذى اعتمد اعتمادا

كبيرا على الضباط الأمريكان الذين منحهم المرتبات الضخمه والرتب الرفيعه فى الجيش المصرى .

وعندما ازدادت اعداد الجاليات الأجنبيه فى مصر وازداد تغلغلهم فى المجتمع المصرى بدأوا ينشئون المدارس لتعليم أبناء تلك الجاليات وكانت كل جاليه تقوم بانشاء مدارس تابعه لها تدرس فيها لغتها الى جانب بعض العلوم الأخرى وكانت تلك المدارس مستقله عن الحكومة المصريه ولا تخضع لاشرافها .

كما قامت البعثات التبشيرية الاوروبيه بدور هام فى تعليم أبناء تلك الجاليات وقامت أيضا بانشاء المدارس الأجنبيه التى كانت تهتم بنشر الدين المسيحى على المذهبين البروتستنتى والكاثوليكى بوجه خاص .

كما تناول الباحث فى هذه الدراسه القنصليات الأجنبيه التى تكونت فى مصر فى تلك الفترة ودور القناصل بالنسبه للجاليات الأجنبيه وكيف ان هؤلاء القناصل قد تحيزوا بشكل واضح لرعايا تلك الدول سواء كانوا على حق أو على باطل كما اشتغل بعض هؤلاء القناصل بالتجارة فى عهد محمد على . والدور الذى لعبه هؤلاء القناصل فى منحهم الحماية لرعايا الدول الاخرى مما ساعد بعض الافراد على الاحتماء وراء تلك الحماية للهروب من العدالـــة .

- وقد استغل الأجانب معاهدات الامتيازات الأجنبيه استغلالا سيئا تلك المعاهدات التى أبرمت فى وقت يختلف اختلافا تاما عن ذلك الوقت الذى كانت تنفذ فيه فكانت غير ملائمة على الاطلاق لظروف المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر ، وبدلا من أن يقوم قناصل الدول بالحد من مساوئ تلك المعاهدات شجعوا أفراد الجاليات الأجنبيه المختلفه على التمادى فى استغلال تلك الامتيازات فطالبوا الحكومة المصريه بالتعويضات الباهظـــه

وارتكبوا أبشع الجرائم وكانوا يحتمون فى نصوص تلك المعاهدات ما يمنع من توقيع العقوبات عليهم ولهذا تعددت الحوادث التى ارتكبها الأجانب فى مصر فى تلك الفترة خصوصا فى عصر اسماعيل الذى تهاون معهم الى أقصى الحدود . وكان المتهم الأجنبى يسلم الى قنصله لمحاكمته وبذلك يضيع حق الوطنيين لأن القنصل غالبا ما تصدر أحكامه فى صالحة رعايا دولته وبذلك كانت فى مصر ستة عشرة محكمة أجنبيه بخلاف المحاكم الأهليه مما أدى الى انتشار الفوضى فى ذلك الوقت .

وتقدم نوبار باشا فى عصر اسماعيل بمشروع لانشاء المحاكم المختلطه التى تصدر أحكامها بناء على قانون موحد يخضع له المتقاضون من رعايا الدول الأجنبيه المختلفه ومما يؤخذ على قانون تلك المحاكم أنه أعطى لقضاتها حق محاكمة الخديوى نفسه مع الحكومة المصريه وبذلك زادت التعويضات بدلا من الحد منها وكثيرا ما اختلف اسماعيل مع قضاة تلك المحاكم وامتنع من تنفيذ بعض أحكامها خصوصا تلك التى تتصل بسداد التزاماته للدائنين الأجانب مما أدى الى تكتل الدول الأجنبيه ضده واتفقت على خلعه .

وقد تغلغل نفوذ الأجانب فى مصر فى عصر اسماعيل بدرجة كبيرة وشجعهم على ذلك التجاء اسماعيل الى الاستدانه نتيجة لاسرافه ورغبته فى تنفيذ بعض المشروعات التى لا تتحملها ميزانية الدولة وكانت حجته فى ذلك أنه يريد أن يجعل مصر قطعة من أوروبا .

وبعد خلع اسماعيل أتى ابنه محمد توفيق الى عرش مصر ونظرا لانه تولى حكم مصر بناء على رغبة الدول الكبرى خصوصا انجلترا وفرنسا فكان يلتزم دائما بالتعليمات التى تصدر اليه من قناصل تلك الدول ولو على حساب الاهالى ومصلحتهم فأدى ذلك - بدون شك - الى زيادة تغلغل الأجانب فى المجتمع المصرى وأصبح الأجنبى يتقاضى أضعاف أضعاف ما يتقاضاه المصرى والاكثر من ذلك أن العمل الذى يمكن أن يقوم به موظف واحد أصبح يسند الى اثنين أو ثلاثة ارضاء للدول التى كانت تتنافس فى الحصول على اكبر عدد من الوظائف لرعاياها فى مصر حتى يكون لها الغلبة على باقى الدول الاخرى . وعندما قامت الثورة العرابيه اتفق محمد توفيق مع الانجليز على اخمادها وصدر بيان من السلطان بعصيان عرابى وعزله والاكثر من ذلك أن محمد توفيق أقام احتفالا كبيرا عندما انتصر الانجليز على العرابيين فى موقعة التل الكبير . فهذا موقف يدعو للأسى والحزن وهذه التصرفات أدت بلا شك الى تسليم مصر لقمة سائغه للانجليز دون مجهود أو تعب وأصبح الحاكم البريطانى فى مصر هو الحاكم الحقيقى لمصر أما الخديوى توفيق فكان مجرد ألعوبة فى أيدى الانجليز قد يلجأون اليه أو ينفردون بالحكم فى معظم الأحيان . ويرجع ذلك الى السياسة التى اتبعها حكام مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

وقد اعتمدت فى بحثى هذا على الكثير من الوثائق العربيه والتركيه والافرنجية الخاصة بتلك الفترة والتى أهمها سجلات المعيه السنية وهى سجل حافل بجميع الأوامر الصادرة الى جميع الاقاليم والمديريات والدواوين وكذلك محافظ المعيه تركى (مترجمة) التى وجدت بها

الكثير من المعلومات الهامه المتعلقه بهذا البحث وبها أيضا الخطابات الصادرة من مديرى الأقاليم والمديريات والمحافظات والمصالح الحكومية الى المعية السنيـــه وتعتبر صورة صادقه للأحوال الاجتماعية والاقتصاديه والسياسية فى تلك الفترة ٠

أما من الوثائق الافرنجيه فأهمها أرشيف (F. O) ويتناول المراســـلات الصادره بين قناصل الدول فى مصر وسفراء تلك الدول فى القسطنطنية وكذلك المكاتبات التى يرسلها هؤلاء القناصل والسفراء الى وزراء الخارجيه ولكنها تهتم بوجه خاص بالناحية السياسية اكثر من اهتمامها بالناحية الاجتماعية ٠

وقد استفدت استفادة كبيرة من الأرشيف الأمريكى ويتناول جميع الخطابات التى كان يرسلها قناصل الولايات المتحده الأمريكية فى مصر الى حكوماتهم ورد حكومــة الولايات المتحده الامريكيه عليها وقد تناولت تلك الوثائق أهم المشاكل التى واجهت المجتمع المصرى فى ذلك الوقت ولذا فقد ساهمت تلك الوثائق بشكل واضح فـــى اتمام هذا البحـــث ٠

أما من المراجع فقد اعتمدت بوجه خاص على المراجع التى عاش كتابها فـــى الفترة موضع البحث مثل كتاب " مصر ومحمد على " Egypt, Moh. Aly الذى قام بتأليفه Madden والذى عاش فى مصر أيام محمد على وتحدث عـــن الجاليات الأجنبيه فى مصر ووصف حياتهم اليومية بالتفصيل ومدى علاقتهم بالمجتمع المصرى فى ذلك الوقت ٠ وغير ذلك من الكتاب الذين عاصروا تلك الفترة ٠

كما اعتمدت أيضا على تلك المراجع التى قام بتأليفها قضاة المحاكم المختلطه وقناصل الدول الذين كان أهمهم " البرت فارمان " Elbert فى كتابـــة Egypt and its bet وقد كان " فارمان " قنصلا عاما للولايات المتحـــده

وكذلك " ادون دى ليون " De Leon في كتابه The Khedive Egypt

وقد أقام بمصر مدة كبيرة وعاصر الأحداث التى تحدث عنها فى كتابه وكان يشغل وظيفة رسمية لذا كان يعرف حكام مصر معرفة شخصية وكان قنصلا للولايات المتحده في الاسكندرية فى الفترة من سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٦١ .

ومن هؤلاء الكتاب ايضا Jerrold, Zananiri, Mc.Coan وغيرهم .

أما من المراجع العربيه فقد اعتمد بصفة خاصة على المراجع التى قام بتأليفها أساتذة التاريخ الحديث فى الجامعات المصريه نذكر منهم الدكاتره محمد فؤاد شكرى ، شفيق غربال ، محمد مصطفى صفوت ، احمد الحته ، احمد عزت عبد الكريم ، محمد أنيس ، احمد عبد الرحيم مصطفى وغيرهم والذين قاموا بدراسة تاريخ مصر فى تلك الفترة دراسة مستفيضه مدعمة بالوثائق العديدة والتى كان لها أكبر الأثر فى اتمام ذلك البحث .

هذا الى جانب بعض المراجع العربية الأخرى والتى تعتبر من المصادر الأساسية فى كتابة تاريخ مصر الحديث مثل تقويم النيل لأمين سامى والعروة الوثقى لجمال الدين الافغانى ومحمد عبده وسلافة النديم فى منتخبات السيد عبد الله النديم والتى تقع فى خمسة أجزاء وقام بجمعها ابن منتصر وأخص بالذكر الخطط التوفيقيه لعلى باشا مبارك والتى تعتبر مرجعا أساسيا فى كتابة التاريخ الحديث وتقع فى عشرين جزء .

هذا الى جانب العديد من المراجع العربيه والافرنجيه التى تناولت بعض جوانب هذا البحث بالدراسة والتى أوردتها فى نهاية الرسالة وجدت الجزء الأكبر من المادة العلمية التى وردت بهذا البحث فى الوثائق العديده التى تناولتها بالبحث والدراسة سواء العربيه منها أو الافرنجيه .

والله ولى التوفيق ...

((الفصـــل الأول))

بدء قدوم الأجانب الى مصر والعوامل التى أدت

الى زيادة هجرتهم اليهـــا

الأجانب فى مصر قبل عصر محمد على :

كان بدء تردد الأجانب على القطر المصرى فى عهد ملوك الشراكسه الذين أباحوا لهم الأخذ والعطاء مع المسلمين ، وانتدب من يقوم مقامهم (القناصل) ، لينظر فى مصالحهم وشئونهم ، وكان معظم الوافدين منهم من أهالى البندقيه وبيزا Pisa ومن الافرنتيين وهم أهالى فلورنسا Florence [١]

وكان يجذبهم اليها ماض طويل ، وأرض مليئه بآثار القرون والحضارات الماضيه ، أو يدعوهم الى الاقامة فيها نشاط تجارى محدود . لهذا كان يأتى الى مصر من وقت لآخر كثير من هواة الرحلة والسفر وما كانوا يقيمون فيها الا ريثما يشبعون هوايتهم . وأقام بمصر طائفة من التجار الأجانب ، ولكن أثرهم كان محدودا ، فأكثرهم ليس لهم رؤوس أموال ثابته فى مصر ، وانما كانوا (عملاء) أو (وكلاء) لبيوت تجاريه فى بلادهم . فقدمهم فى البلاد ليست راسخه ، وأثرهم فى حياتها الاقتصادية قليل ، وكذلك الشأن فى حياتها الاجتماعية[٢].

ولقد زار كثير من الفرنسيين مصر ، بناء على أوامر الملك لويس الرابع عشر .

---

١ - عمر لطفى (بك) : الامتيازات الأجنبيه ص ٢٠

٢ - احمد عزت عبدالكريم: تاريخ التعليم فى مصر ج٢ ص ٨٢١ - ٨٢٢

../.

وذلك نظرا لنفوذ فرنسا العظيم داخل الامبراطوريه العثمانيه في ذلك الوقت (١) .

وكان التجار الفرنسيون في أواخر القرن الثامن عشر يكونون أهم جاليه أجنبيه في مصر ، وكانت أهم الواردات : المنسوجات الصوفيه والطرابيش والأدوات المعدنيه والورق والمشروبات والصيغه والخشب والعطور ، كما كانت الأسلحه والسلع المعدنيه تأتي من ألمانيا عن طريق مرسيليا .

وقد اهتمت فرنسا في القرن السابع عشر الميلادى بأحياء الطريق البرى بمصر كي تنجح في المنافسه التجاريه والسياسيه بينها وبين انجلترا وهولندا اللتان تتنازعان السيطره على الطريق البحرى حول افريقيه ، فسعت لدى السلطان العثماني ليوافق على فتح طريق مصر التجارى ، وتمكنت في أواخر القرن السابع عشر فيما بين سنتي ١٦٨٣ ، ١٦٨٦ من الحصول على أوامر من الباب العالي الى السلطات المصريه باحترام الامتيازات التي تتمتع بها الفرنسيون في الدوله العثمانيه منذ القرن السابق ، وبتخفيض الضريبه على البضائع المنقوله من السويس الى البحر المتوسط الى ٣٪ من قيمتها فتوثقت العلاقات بين الموانئ الفرنسيه على البحر المتوسط وبين مصر واستمر الفرنسيون متمسكين بمصالحهم التجاريه في مصر وخاصة منذ المعاهدة الانجليزية المصريه سنة ١٧٧٥ (والتي سيأتي الحديث عنها في الفصل الثامن) وفي سنة ١٧٧٧ نقل الفرنسيون مركز تجارتهم وقنصليتهم من القاهرة الى الاسكندرية رغبة في التخلص مما كان يفرضه البكوات المماليك من الاتاوات والمغارم على التجار الأجانب في القاهرة . وقد أدت الجهود التي بذلها الانجليز لتعطيل مصالح الفرنسيين التجارية في مصر الى تقوية رغبة الفرنسيين في الاهتمام بتجارتهم في مصر

I - Brehier (Louis): L'Egypte de 1798 à 1900.p.23.

وتدعيمها ، كما أدى الى ذلك أيضا خوف الفرنسيين على مصالحهم التجاريه في مصر من رغبة الامبراطورية النمساوية في السيطرة على تجارة الشرق وتحويلها الى طريق مصر البرى تحت اشرافها • ولذلك كله اهتمت فرنسا بمركزها التجارى في مصر • وبفضل وساطة شارل مجالون (Charles Magallan) — التاجر الفرنسى في مصر والمشرف على مصالح الفرنسيين في القاهرة منذ انتقال القنصليه الفرنسية الى الاسكندرية ووساطة زوجته وهى صديقة لزوجة مراد بك — تمكنت فرنسا من عقد ثلاث معاهدات مع مصر في يناير سنة ١٧٨٥ الأولى مع مراد بك وفيها تعهد مراد بك بصيانة التجارة الفرنسية عند مرورها في مصر وحدد الضريبة على متاجر الهند بمقدار ٢٪ للوالى على مصر ٤٪ للبك الحاكم أو ٣٪ فقط اذا كانت هذه المتاجر صدرة الى فرنسا •

وتعهد مراد بك أيضا بالسهر على استتباب الأمن في الطريق بين السويس والقاهرة ، وقد وقع على هذه المعاهدة بعد ذلك بقليل ابراهيم بك والمعاهده الثانية مع يوسف كساب ملتزم الجمارك العام ، وفيها تعهد يوسف بعدم زيادة الرسوم على المتاجر الفرنسيه وتحصيل ٨٪ فقط من قيمة المتاجر المفرغه في السويس ، المعاهدة الثالثه مع الحاج ناصر شديد — أحد شيوخ الأعراب — وفيها تعهد بنقل المتاجر الفرنسيه بأمان في طريق الصحراء بين السويس والقاهرة مقابل مبلغ معين عن كل جمل • غير أن هذه الاتفاقيات لم تمنع ابراهيم ومراد بك من المضى في المظالم وارهاق التجار الأجانب وابتزاز الأموال بكل الوسائل ، مما كان سببا في تعدد شكاوى التجار الفرنسيين في مصر (١) •

---

١ — احمد الحته (دكتور) : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ٢٦ — ص ٢٨

أما من التجار الانجليز ، فكانت تجارة مصر مع انجلترا ضئيلة فى أواخر القرن الثامن عشر ، وقد بذل الانجليز محاولات منذ أواخر القرن السابع عشر لاحياء طريق مصر التجارى ، ولكنهم فشلوا فى آخر الأمر . وقد اهتم الانجليز بهذا الطريق بعد نجاح الفرنسيين التجارى فى مصر ، فعينوا سنة ١٦٩٦ قنصلا لهم فى مصر وفى أوائل القرن الثامن عشر عزز الانجليز نشاطهم التجارى فى مصر ، ومع ذلك كانت تجارتهم ضئيلة وعدد الانجليز المقيمين فى مصر ثلاثة فقط نقصوا الى واحد سنة ١٧٥٦ وهو القنصل الانجليزى فى القاهرة ، الذى طلب اعفاءه من منصبه فأجيب الى ذلك واغلقت القنصليه الانجليزية منذ تلك السنة . غير أن الانجليز عادوا الى الاهتمام بطريق مصر البرى بعد اعلان على بك الكبير استقلاله فى سنة ١٧٦٩ واستيلائه على جده فى بلاد العرب فى السنة التاليه . فكتب أحد الانجليز المشتغلين بالتجارة من جدة الى على بك يطلب منه فتح الطريق للتجارة بين الهند والسويس وأيد وارن هستنجز (Warren Hastings) الحاكم البريطانى على البنغال بالهند ارسال السفن الى السويس ، كما تألفت شركة صغيرة فى كلكتا للتجارة مع مصر .

وفى فبراير سنة ١٧٧٣ تمكن الرحالة الانجليزى جيمس بروس (James Bruce) من الحصول على فرمان من محمد أبى الذهب الى شركة الهند الشرقيه التجارية ، وفيه أباح أبو الذهب للسفن التجاريه الانجليزية الحضور الى السويس وتعهد بعدم التعرض للتجار بالأذى ، وحدد الضريبة بمقدار ٨٪ فقط من المتاجر الآتيه الى السويس أو من قيمتها ، فضلا من خمسين ريالا أسبانيا عن كل سفينة رسوما للميناء ، كما سمح للتجار الانجليز باحضار متاجرهم الى القاهرة والتجارة فيها أو فى السويس (١).

---

١ - احمد الحتة : نفس المصدر السابق ص ٢٩ .

وفى مارس سنة ١٧٧٥ عقدت معاهدة للتجارة والملاحة بين محمد أبى الذهب ووارن هستنجز (Warren Hastings) الحاكم البريطانى على البنغال بالهند ، تنص على حق التجارة فى الهند وفى مصر لمواطنى الطرفين على السواء ، وتخفيض الضريبة فى السويس على السلع المجلوبه من البنغال ومدراس الى ٦٪ والمجلوبه من سورات وبمباى الى ٨٪ وكذلك حق الانجليز فى شراء وتصدير المنتجات المصريه من غير ضريبه ما ، وقد تعهد محمد أبو الذهب عن نفسه وعن خلفائه فى الحكومة بالمحافظه على المتاجر التى تنقل من الطور أو السويس الى القاهرة فى طريق تصديرها الى الخارج .

وقد خافت تركيا من أن يؤدى أحياء طريق مصر البرى الى زيادة ثروة البكوات المماليك ومن ثم الى خروجهم عن سيادتها . فعارضت فى مجئ السفن الانجليزيه الى السويس وطالبت بايقافها بحجة أن الاحترام الواجب للحرمين الشريفين لايجيز للسفن الانجليزيه الملاحه فى البحر الأحمر شمالى جده . كما توفى محمد أبو الذهب فلم يبق من يدعوا الى أحياء هذا الطريق الا جورج بلدوين (George Baldwin) التاجر الانجليزى والمشرف على صالح شركة الليفانت الانجليزيه وشركة الهند الشرقيه التجاريه فى الشرق الأدنى وفى مصر.

وأعادت انجلترا فتح قنصليتها فى مصر من جديد سنة ١٧٨٥ وكانت مغلقه منذ سنة ١٧٥٦ وعينت جورج بلدوين قنصلا لها . غير أن الفوضى فى مصر فى أثناء حكم ابراهيم ومراد أدت الى عدم استتباب التجارة ، مما جعل الحكومة الانجليزيه وشركة الليفانت تريان عدم الفائده من متابعة الجهود لتدعيم التجارة الانجليزيه فى مصر ، واغلقت انجلترا قنصليتها فى مصر فى فبراير سنة ١٧٩٣ (١).

---

١ - نفس المصدر السابق ص ٣٠ - ٣١ .

وكان يوجد بعض اليهود في مصر أثناء الحكم العثماني ، وكانوا يقومون بمساعدة قناصل الدول الأوروبيه في أعمالهم نظير أجر زهيد وتمتعوا بحمايـه تلك الـدول[(١)] .

وفي أثناء الحملة الفرنسية على مصر استخدم الفرنسيون اليهود فـي الأعمال الحكوميه وكانوا من أحط الطبقات في تلك الفترة عملوا على اهانة المسلمين وحاولوا التهرب من الضرائب التي فرضها نابليون ولكنه هددهم بهـدم معابدهم اذا هم امتنعوا من سداد الضرائب المفروضه عليهم[(٢)] .

والأكثر من ذلك أن المماليك كانوا يتمادون في تعذيبهم والتنكيل بهـم ، من ذلك أن أحد المماليك أجبر بعض اليهود على بيع أطفالهم حتى يحصـل هو على الأموال المطلوبه منهم .

ولقد كان المماليك يعاملون الأجانب عموما معاملة سيئة ، فقد قبـض "ماهوبك " ـ حاكم دمنهور ـ على أحد التجار وفرض عليه غرامة فادحه لـم تكف جميع ممتلكات رجاله لسدادها ، فأمر بحبسه في السجن وظل فيـه حتى مات ، وعندما طلب أفراد عائلته استلام جثته ، وافق على تسليمها بشـرط أن يسجن ابنه مكانه . وكان الأشخاص يضربون بطراوة حتى الموت .

وكان الأجانب ـ سواء الرجال منهم أو السيدات ـ لا يستطيعون السـير في الشوارع سالمين ، فقد أطلق أحد المماليك الرصاص على احدى بنات قنصـل السويد فماتت بينما كانت تسير في الطريق مع شقيقتها[(٣)] .

I - Fargeon (M): Les Juifs en Egypte.p.I66.

2 - Op.cit: p.I54

3 - Murray (Sir Charles Augustus): A short memoir of Moh. Ali.pp.22-23.

وكان الأجانب محصورين فى حارة مغلقه لا يمكنهم الخروج منهـــا
واذا فكر أحـدهم فى الخروج منها فانه يتعرض لاهانة بالغــه وأحيانـــا
للقتل . وكان عليهم أن يبيعوا بضائعهم لآجال طويلة ويأخـذون ثمنهـــا
بعد وقت طويل وأحيانا لا يحصلوا على هذا الثمن ، هذا خلاف الغرائـــب
الباهظه التى تفرض عليهم[1] .

وكان الزى الاوروبى - فى عهد المماليك - يعرض من يرتديـــه
لاضطهاد السلطات كما يعرضه فى الوقت نفسه لاخطار حقيقة ، من قبـــل
سكان ديدنهم التعصب ، يشاطرهم سادتهم ما يشعرون من حقد وكراهية[2] .

كما فرض البكوات المماليك - وخاصة فى عهد ابراهيم ومراد - الاتاوات
والغرامات القادحه على التجار الأجانب فى مصر ، كما تعرضت مخـــازن
هؤلاء التجـار الى النهب[3] .

وعندما وصلت الحملة الفرنسيه الى مصر سنة ١٧٩٨ واستمر الاحتـــلال
الفرنسى ما يقرب من ثلاث سنين ، كان هبوط الفرنسيين مصر أول غزوة عرفتهـا
البلاد فى تاريخها الحديث ، وكان الفرنسيون أول الأجانب الذيـــن
عرفهـم أهل البلاد ، لا الاجانب الذين عرفوهم تجارا يتـزيون بزيهـــم
ويتكلمون العربيه المشوهه باللكنه الاعجميه ، بل الأجانب المسلمين الذيـــن
اغتصبوا حكم البلاد ، وانبثوا فى طول مصر وعرضهـا يتكلمون لغـه أجنبيـــــه ،

I - Brénier (Louis): L'Egypte de 1798 à 1900.pp.20-21.
٢ - محمد فؤاد شكرى (دكتور) : بناء دولة مصر محمد على ص ٢١٥
٣ - أحمد الحتــه (دكتور) : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ٢٥

ويحلمون الى الناس أقوالا لاشك تدعوهم الى قدر كبير من التفكير . (١)

وكان من نتائج الحملة الفرنسية أن أخذ الفرنسيون يكتبون عن مصر الكتب الكثيرة . مما لفت اليها أنظار العالم الأوروبى ، وجعل لها شهرة كبيرة ، وجذب اليها كثيرا من السائحين والعلماء والباحثين . (٢)

فمثلا حضر الى مصر سنة ١٨١٩ ، فرنسى يدعى (لويس ميشيل) كان قد أتى مصر قبلا فى عهد الحملة الفرنسية ، وكان قد سمع فى ذلك الوقت أنه يوجد فحم حجرى فى الأماكن التى بعد حدود الجيزة ، فالتمس تعيينه مأمورا لهذه الخدمة ووافق محمد على . (٣)

وكان عدد اليهود فى مصر أيام الحملة الفرنسية لا يتعدى ٣٠٠٠ يهودى بعضهم كان يقيم فى مصر منذ زمن بعيد ، والبعض الآخر يعتبر من الأجانب ، وكانوا جميعا مكروهين ، وأهم الأعمال التى كان يحترفها اليهود : الأعمال الصرفية أو كتراجمة ، وكانوا يعملون أيضا فى الجمارك بالقاهرة والاسكندرية . (٤)

---

١ — أحمد عزت عبد الكريم (دكتور) : تاريخ التعليم فى مصر فى عصر محمد على ، ص ٢٠

٢ — نجيب توفيق : الثائر العظيم عبد الله النديم ، ص ١٠

٣ — دفتر رقم ٣ المعية تركى ، وثيقة ٤٠١ فى ٤ رمضان سنة ١٢٣٤

4 - Fargeon (M):Les Juifs en Egypte.p.153.

ولقد زاد اهتمام انجلترا بمصر بعد الحملة الفرنسية ،فانجلترا تعرف بدون شك ـ المنافع الجليلة التى يمكن أن تقدمها لها مصر ،والتى كان سببها الحملة الفرنسية على مصر ،وأصبحت تفكر فى ارسال قوات اليها لتقضى على نفوذ فرنسا فيها . (١)

وعلى العموم ،فان عدد الأجانب فى مصر فى مطلع القرن التاسع عشر كان قليلا جدا ،فلم يكن يوجد منهم الا نفر قليل يقيمون فى الثغور وعلى الخصوص فى الاسكندرية بقصد التجارة وبيع السلع التى يجلبونها من الثغور الأوروبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ،ويقال أنه فى أوائل القرن التاسع عشر ،لم يكن بمدينة الاسكندرية ـ للفرنسيين الا بيت واحد للتجارة ،وجميع النزلاء منهم كانوا قاطنين بمحل واحد يغلقه البوليس مساء ويفتحه فى الصباح ويسمى Fondique أى فندق ،وأقام الجنرال بونابرت فى هذا المكان عندما حضر الى مصر . (٢)

وبعد مغادرة الحملة الفرنسية لمصر سنة ١٨٠١ ،عادت مصر الى الحكم العثمانى ،وأساء حكامها معاملة الأجانب، من ذلك ماحدث بين قناصل الدول الأوروبية فى مصر وعلى باشا الجزايرلى عندما قرر القناصل

I - Charles Roux (F): L'Egypte de 1801 à 1882.p.3.

٢ ـ عمر لطفى بك : الامتيازات الأجنبية ،ص ص ١٩/٢٠

عدم قبول أية اهانة لهم ولرعايا دولهم ، واجتمعوا وقرروا مغادرة الاسكندرية وانتقل القناصل وبعض أفراد الجاليات الأجنبية الى الأسطول التركى الذى كان راسيا فى الميناء وأغلقت جميع المحلات التجارية التى يمتلكها الأجانب ، وتدخل خورشيد باشا فى الأمر ووضع تحت حمايته هؤلاء الاجانب الذين منعتهم مصالحهم من الانتقال الى الاسطول التركى وقد أحسن قبطان بك استقبال القناصل .

وفى الحال سعى على باشا الجزايرلى لمفاوضة القناصل الذين أبدوا أسفهم وتوسط خورشيد باشا فى الأمر وكذلك قبطان بك . وكان على باشا يهدف من ذلك عودة القناصل الى الاسكندرية ولكنهم رفضوا ذلك الاقتراح ، وبعد ذلك وافقوا بشرط أن يوافق على باشا الجزايرلى على مطالب القناصل كتابة ، تلك المطالب التى أكدت صيانة حقوق الأجانب مستقبلا[١] .

وعقدت اتفاقية بين على باشا الجزايرلى وقناصل الدول الاوروبية تنص على ضمان سلامة الأجانب المقيمين فى الاسكندرية وعدم تعرضهم لاهانات الجنود[٢] . (انظر الملحقات)

I - Mengin (V.Felix):Histoire de L' Eypte .pp.52-54

2 - Op.cit: op.412-414.

وبالرغم من تلك الاتفاقية فقد استمر على باشا الجزايرلى فى معاملته السيئه للأجانب والاعتداء على ممتلكاتهم ، وكان يشجع جنوده على اطلاق النار فى حى الافرنج الذى كان يقطنه هؤلاء الأجانب(١) .

مما سبق يتضح قلة عدد الأجانب المقيمين فى مصر قبل عصر محمد على وأن هجرتهم اليها كانت بقصد التجارة وممارسة هواياتهم من مشاهدة آثارها والتنزه فيها . كما تجدر الاشارة الى سوء معاملة حكام مصر فى ذلك الوقت من المماليك والاتراك وفرضهم الاتاوات عليهم ، والاعتداء على حرياتهم الشخصيه مما كان له أسوأ الأثر فى نفوس الأجانب . Here

محمد على : كان من نتائج جميع السلطه فى يد محمد على ، واشرافه الدقيق على شئون الادارة والحكومه أن استتب الأمن فى أنحاء القطر المصرى وأمن الفرد على حياته وعرضه وماله ، فانصرف الناس الى الانتاج واستطاعت البلاد أن تسير قدما فى طريق الرقى .

I - F.O : Vol.24/2.p.138.

وقد شجع استقرار السلام عددا كبيرا من الأجانب على الوفود الى مصر للتجارة وتوظيف رؤوس أموالهم فيها والتدريس بالمدارس والعمل بالمصانع والجيش والبحرية والزراعة والرى وغير ذلك ، وليس من شك فى أن مصر محمد على قد أفادت فائدة كبيرة من مجئ الأجانب واستخدامهم فى شتى الوظائف واسناد مختلف الأعمال اليهم ، وواضح أن هؤلاء الأجانب ما كانوا يستطيعون القدوم الى مصر بتلك الكثرة ، وما كانت تفتح أبواب البلاد لاستقبالهم على مصراعيها ، لو أن محمد على لم يكن من برنامجه انشاء الصلات الوثيقة مع الغرب للنهوض بالبلاد ومسايرة الأمم المتمدينة الحديثة . على أن استتباب الأمن لم يكن وحده كافيا فى ذلك العصر لتشجيع الأجانب على الاقامة بمصر ، بعد أن ذاق أكثرهم مرارة العيش على أيدى البكوات المماليك من حكامها السابقين ، وانما الذى أدخل الاطمئنان على نفوسهم التسامح الدينى الذى اشتهر به محمد على ، وآية ذلك الغاؤه كل ما لحق (المسيحيين) من اهانات فى حياتهم اليومية العادية ، اذ كانوا يمنعون من ركوب الخيل وارتداء الملابس ذات الألوان الخاصة (بالمسلمين) . وكذلك ابطال تلك المواكب التى كان يسيرها المماليك كل عام فى شوارع القاهرة تحمل الدروع والحراب وغير ذلك من الأسلحة التى استعملها المسلمون فى الحروب الصليبية فكانت تثير ثائرة القاهريين ضد الافرنج فى هذه المناسبات ، ويلقى عدد من الاجانب حتفه بسبب هذا الهياج ، على أن محمد على لم يشأ أن يقف فى تسامحه عند هذا الحد فأذن للرهبان بناء الأديرة ، كما أذن للكنائس بدق

النواقيس ، ولرؤساء الطوائف الدينيه المختلفه باقامة القداس علنا .
وفضلا من هذا كله فقد انتهز محمد على كل فرصه لاظهار ما يكنه من عطف على الأجانب أمام شعبه ، فأحترمهم وأحسن معاملتهم وأولاهم ثقته وتشجيعه ، وطلب الى رجال حكومته أن يقوموا من طيب خاطر كل ما يطلبه الزائرون والسائحون الأجانب من خدمات تمكنهم من الاقامة فى أمن واطمئنان ، وتخفف عنهم مشاق السفر والتجوال فى مصر(١) .

ومما شجع الأجانب أيضا على الوفود الى مصر ، اتباع سياسة الاكتفاء الذاتى فى عهد محمد على ، على أساس تصنيع البلاد حتى تستغنى بمنتجاتها من السلع المستورده من الخارج ، وثمة سبب آخر هو أن محمد على كان يستعين بالعملاء الأجانب لتصريف منتجاته فى الأسواق الأوروبيه(٢) .

وهكذا أبدأت مصر تفتح أبوابها للأجانب ، يفدون عليها يبغون العمل فى دوائر الحكومه أو يتطلعون الى تحقيق مشروعات اقتصاديه وماليه فى بلد كان اذ ذاك يخطو خطواته الأولى نحو الاتصال بالغرب والحضاره الغربيه واشتد نشاط الأجانب الاقتصادى والمالى وكثرت رؤس الأموال الاجنبيه(٣) .

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ص ٢٢ - ص ٢٣
٢ - دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٤٨ - ص ٤٩
٣ - دكتور احمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى مصر جـ٢ ص ٨٢١ - ص ٨٢٢

ولذلك كان محمد على يعمل على زيادة هجرة الأجانب الى مصر بصورة واضحه ، واستعان بكثير من الأوروبيين ودفع لهم المرتبات الباهظه ، لكى يعاونوه فى أعماله ولكى يقوموا بتدريب المصريين وترقيتهم الى أوج الحضارة والمدنية .

وقد بلغ عدد الأجانب والمقيمين فى مصر ٦١٥٠ نفسا فى سنة ١٨٤٣ منهم ٢٠٠٠ من اليونانيين ، ٢٠٠٠ من الايطاليين ، ١٠٠٠ مالطى ، ٨٠٠ فرنسى ، ١٠٠ انجليزى ، ١٠٠ نمساوى ، ٣٠ روسيا ، ٢٠ ألمانيا ، ١٠٠ من أجناس مختلفه(٢). وفى سنة ١٨٤٧ كان عدد الأجانب لا يزيد من ستة آلاف(٣).

سكن الأوروبيون مصر قبل عصر محمد على لأغراض محدوده وفى ظل تظلم معينه وكانت بيوتهم التجاريه قبل ذلك العصر مهمتها الأصليه الوكالة من الشركات والهيئات الاوروبيه المختلفه المرخص لها وحدها من جانب الدول الكبرى بالتصدير الى مصر والاستيراد منها . وقد خضعت اقامة هؤلاء الاوروبيين لمجموعتين من النظم(٥).

أما المجموعة الاولى : فتشتمل على اللوائح المختلفه التى أصدرتها الشركات

I - De Malortie (Baron): Egypt.p.63.

٢ — احمد الحته (دكتور) : الأجانب فى مصر والسودان ص١٨٥ نقلا من :

Les Archieves uropean du Régne d'Ismail.

٣ — نفس المصدر السابق نقلا من:

dwin de Leon : The Khedive's gypt

4- dwin de Veon : The Khedive's gypt.p.[?]

٥ — محمد شفيق غربال : محمد على الكبير ص

../ .

والهيئات المحتكره للتجارة الشرقيه - وتناول هذه اللوائح تنظيم شئون المعيشه والعمل لمن رخصت لهم من الأوروبيين بسكنى مصر وتشملها فيها تنظيما مفصلا . وعهد الى القناصل - وهم الصفوات عديده من حكم محمد على تجار تحت اشراف الشركات والهيئات المحتكرة - تنفيذ تلك اللوائح .

أما المجموعه الثانيه : فتتكون من منطوق العهود الصادره من السلطان ، المتخذه شكل معاهدات بين حكومته والدول الاوروبية الخاصة بالامتيازات التى منحها السلطان لرعايا تلك الدول عندما ينزلون أرضه ويتاجرون مع رعاياه وما طرأ عليها فعلا فى اتجاهى التعطيل الكلى أو الجزئى أو التنفيذ فى الأيام السابقة لعهد محمد على (وكان التعطيل هو الأغلب) . وكلا المجموعتين أصابهما تعديل جوهرى فى أيام محمد على .

فالمجموعه الأولى هدمتها الثورة الفرنسيه والانقلاب الاقتصادى الكبير ، فقد ترتب على الانقلابين الغاء الشركات والهيئات المحتكرة للتجارة الشرقيه ، وجعل تلك التجارة حرة للأفراد يشتغلون بها ويسكنون مصر وغيرها من أقطار الدولة العثمانية بلا قيود سوى ما تصدره الحكومات من جانبها أو بالاتفاق مع السلطات العثمانية لأغراض الأمن العام فى أوربا ومصر . وترتب على ذلك أن اكتسب قناصل الدول الكبرى على الأخص صفة الممثلين الرسميين لحكوماتهم

وحرم عليهم التجارة . وفتحت بذلك الأبواب للتشجيع على الهجرة لمصر ، والاستيطان بها وكسب الرزق واستثمار الأموال بها . وصار للجاليات الأجنبيه فى حياة مصر وأهلها شأن جديد تماما .

أما المجموعه الأخرى من التنظيم فأمرها غير أمر الاولى - لم تمتد يد لنصوصها بالحذف أو بالاضافه أو التعديل ، ولكنها أصبحت تطبق فى ظروف تختلف تماما عما وضعت له .

فقد وضعت فى ظروف لا تعرف فيها هجرة الألوف من الأجانب الى مصر ، ولا يعرف فيها الاستيطان الدائم وطلب الرزق من كل الوجوه . ولا يعرف فيها قدوم المهندس والطبيب والصحفى والمعلم للعمل الحر أو فى خدمة الحكومه المصريه ، ولا يعرف فيها " اللاجئ السياسى " أو صاحب الدعوة لمذهب سان سيمون وما اليه ، ولا يعرف صاحب الحانوت الصغير أو الكبير أو المصنع الصغير أو الكبير ولا المصاريف ولا (الأعمال) الكبرى . ولا يعرف فيها انتشار الأجانب فى ريف مصر وحواضرها ولا الأجنبى الذى يفلح الأرض أو يقتنى العزب أو العمارات ولا تعرف فيها المطبعه أو المدرسة أو الملجأ أو المستشفى الأجنبى .

بهذا كله أصبح للجاليات شأن فى حياة مصر لم تعرفه قبل محمد على وقد أدرك محمد على ما فى هذه المخالطه من نفع مخططه ، بل أدرك أيضا أنها ضروريه ، وأن سطوته الشخصيه كانت تغنى عن وضع اتفاقات دوليه

جديدة تنطبق على الظروف الجديده وتحمى أمنه وخلفـــاءه الأضرار البالغــه التى نجمت عن تطبيق معاهدات القــــرن السادس عشر فى ظروف القرن التاسع عشر . كما أن نظـــام الاحتكار الذى ســار عليه طول مدة حكمه تقريبا كان تهدا شديـــدا على النشاط الأجنبى فى مصر(١) .

وقـد شعــر محمد على ، بأنه لا يستطيع القيام بعمل مـــن الأعمال ، دون مساعدة الأفرنج ، وعرف فى الوقت نفسه ، أن أوربا التى ينشد رضاها ، سيكون حكمها له أو عليه . متوقفا الى حد كبــير على مسلكه تجاههم ، فلم يدخر وسعا فى أن يحبب اليهم القدوم الــى بلاده ، كما طلب الى شعبه أن يكون مسلكه بحيث يحقق وشعــوره الشخصى . فلم يسع هذا الشعب المطواع ، الا أن يصرع بما أمــره ، أما الاوربيون ، فانهم ما رأوا أنفسهم تحت حماية صاحب السلطـــان فى البلاد ، فضوا من أنفسهم على النور رداء الذله والخضوع ، وأخذوا يسيرون فى كل مكان ، كما لو كانوا سادة الأمه والقائمين على ترتيبهـــا وهم يشتغلون حالتهم الجديده بشتى الطرق ، مطمئنين الى أن السلطـــات المحليه تنحاز الى جانبهم على الدوام ضد أهل البلاد(٢) .

وبالرغم من أن محمـد على كان يعامل الناس دائمة بشـدة وصرامه واضحه ،

---

١ ـ شفيق غربال : نفس المصدر السابق ونفس الصفحات .

٢ ـ محمد فؤاد شكرى: بناء دولة مصر محمد على صـ ٢١٥

الا أنه كان يبدو فى بعض الأحيان مهذبا مع الأجانب . فكان يحسن معاملة مندوبى الدول الأجنبيه ويعمل دائما على الاختلاط بهم . وفى احدى المناسبات أثناء افتتاح أحد المشروعات الجديده - لم يجد بعض المدعوين من الأجانب المقاعد اللازمه لجلوسهم أثناء الاحتفال ، فرفض محمد على الجلوس حتى أمر باحضار الكراسى اللازمه لجلوس ضيوفه وكان اذ ذاك يبلغ من العمر ثمانين عاما (١) .

وكان محمد على يستثنى الأجانب بالنسبه لما حرم شربه واستعماله بالنصوص القاطعه على المسلمين من الخمر وخلافه (٢) . كما كان يعمل دائما على تسهيل حصول الأجانب على المأكولات والمشروبات اللازمه لهم (٣) .

ولقد شهد عصره البوادر الدالة على المستقبل من ناحية تغلغل النفوذ الأجنبى الا أنه قاومها بسطوته الشخصيه . مثلا عندما اعتدى قنصل سردينيا على أرسلان أغا أمين جمرك بولاق . كتب محمد على (٤) : " ان أرسلان أغا صبر وتحمل هذا الأحمق ضرب القنصل وعدم مقابلته بالمثل

I - Murray (G.H.A): A short memoir of Moh.Ali.p.55.

٢ - دفتر رقم (١) المعيين تركى ص ٣٥ فى ٢٧ رمضان سنة ١٢٢٤ (١٨٠٩)

٣ - دفتر رقم ١٨ " " ص فى ١٥ جمادأول سنة ١٢٣٩ (١٨٢٤)

٤ - شفيق غربال : محمد على الكبير ص ٧٧ - ص ٧٨

../.

فى محل الواقعه فأوجب ذلك اضطراب ضميرى . وحيث أنـى قد نبهت أكيدا على القنصل الجنرال بعزل المذكور وابعاده عن مصر فاذا استلم من الديوان عن أشغال تتعلق بالميرى قبل مخابـرة القنصل الجنرال فلا يلتفت الى ما يرد منه ، وأنه لا تعطى اليـه أية اجابة من الديوان . وأن ينبه على المعاون بالقبض علـى الباسا خجى (صاحب القنصل) خارج منزل القنصلات واحضـاره الى الديوان وضربه خمسمائة نبوت أدبا له على ما وقع منه فى ديوان جمرك بولاق . وافهامه أن الغرض من اعطاء الباسقجيه للقناصل هـو لصيانتها والمحافظه عليها وليس لمساعدتهم فى فعل أعمال مغايرة كهذه . وان أمكن ايجاد من يلحق لأمانة جمرك بولاق بدل أرسلان أغا فيرفع عـن جـزاء على عـدم محافظـة على شـرف وناموس الحكومه لقبوله الضـرب وعـدم مقابلة القنصل المذكور " .

وهكذا كان محمد على يعمل على الحد من سلطة الأجانب فـى مصـر ، وامتنع عنهم ذلك اللون المقوت من ألوان الاستبداد الذى يأبـى الا أن يصب حياة الأمة الروحية فى القالب الذى تشاؤه الدولة لها[1] .

---

١ - محمد شفيق غربال : نفس المصدر السابق ونفس الصفحات .

ويبدو أن محمد على كان يحاول استعمال الشدة مع الأجانب فى بداية عهدة بحكم مصر ففى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٠٥ أرسل القنصل الفرنسى فى الاسكندرية الى الوزارة الفرنسية يشكو من سوء معاملة الرعايا الفرنسيين (١) وكذلك أرسل القنصل الانجليزى فى الاسكندرية شكوى الى بلاده فى ٤ يوليه سنة ١٨١١ يشكو فيها من سوء معاملة محمد على للأوروبيين وعدم احترام الامتيازات الممنوحه لهم وكان لا يلتزم بأى قانون آخر غير القوانين التى تصدر عنه وذكر القنصل فى شكواه أن الالتجاء الى الباب العالى ضده سيكون مجرد الحد من تصرفاته ولكن لن يقضى عليها (٢) .

ولكنه بعد ذلك أصبح معتدلا فى تصرفاته مع الأجانب – كما سبق ذكره – ويتضح ذلك من تعليماته الى محافظه السويس سنة ١٨٤٧ باطلاق المدافع اكراما لأعيان الانجليز الذين يحدون فى بعض الأحيان بالوابورات الانجليزيه وذلك بناء على طلب وكيل قنصل الانجليز فى السويس (٣) .

وهكذا بدأت مصر تفتح أبوابها للأجانب فى عصر محمد على كما اشتد

I - Douin (G): Moh.Aly,Pacha du Caire.P.7 .

2 - F.O : Vol.1?2/I.pp.12?,12I.

٣ – أمين سامى : تقويم النيل (عصر محمد على) جـ٢ ص ٥٤٢

نشاطهم الاقتصادى والمالى وشجعهم على الاقامه فيها الرغبة فى العمل فى دوائر الحكومه أو تحقيق مشروعات اقتصاديه ومالية فى بلد كان اذ ذاك يخطو خطواته الأولى نحو الاتصال بالغرب وبالحضارة الغربيه .

عباس الأول والأجانب :

فقد الأجانب بتوليه عباس الأول التشجيع الذى كانوا يلقونه فى عهد محمد على . وزيادة على ذلك فقد عن عباس الى وقف نزوح هؤلاء الى مصر ، وكان مجئ الأجانب قد تزايد نتيجة لانتشار الانقلاب الصناعى فى أوربا واتجاه الدول الى البحث عن مواطن جديده للخامات أو اسواق لتصريف مصنوعاتها ، ثم الاعتقاد بأن مصر موطن الذهب ، والبلد الذى يستطيع الانسان فيه الثراء بسرعة(١) .

وكان عباس الأول عابس الوجه ، لا يثق بأحد ، شديد البطن(٢) ، وكان يكره ويخاف الأوربيين الذين استعان بهم محمد على ، وكان لا يفهم أو يتكلم بأى لغه أوربيه ، فشذ بذلك عن أفراد عائلة ، الذين كانوا جميعا يتقنون الفرنسيه على الأقل ، ولذلك كان دائما يكره قناصل الدول الأجنبيه ، الذين كان يراهم نادرا ، وان وجود مترجم دائما بجانبه

---

١ ــ محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر والسودان ص٤٩

2 - American Archieves: Vol.2.Desp.?.p.24.

ومنهم كان يحوق ايجاد التفاهم اللازم بينه وبينهم فى الآراء والمشاعر ، وان حديثه معهم كان دائما فى غاية الجمود .

وعلى العموم كان يكره الأجانب ، كانوا دائما فى سلام طالما في حماية قناصلهم[1].

وفى سنة ١٨٤٧ كان عدد الأجانب فى مصر لا يزيد عن ستة آلاف ، فلما تولى عباس الأول الحكم أراد أن يقلل من عددهم ويغلق أبواب مصر فى وجه الاوروبيين حتى لا يزداد نفوذهم فى البلاد ، لذلك عزل عباس عددا من الموظفين الفرنسيين من خدمة الحكومه المصريه ، كما انتهز فرصة قطع العلاقات السياسيه والتجاريه بين الباب العالى واليونان سنة ١٨٥٤ فأطلق اليونانيين فى مصر وعددهم اذ ذاك ٣٠٠٠ بمغادرة البلاد فى مدى خمسة عشر يوما[2] . وفعلا غادر اليونانيون مصر ، عدا ثلاثمائة تمكنوا من البقاء تحت حماية القنصل العام لكل من الولايات المتحده وفرنسا وبلجيكا والنمسا وبروسيا ، والسويد . وكانت سياسة عباس حجر عثرة فى سبيل هجرة الأوروبيين الى مصر ، كما كان تقييد حرية التجارة الداخليه فى عهده مانعا للأوروبيين ونحاة اليونانيين من النفوذ الى داخل البلاد ومن ترك القاهرة والاسكندرية للانتشار فى الريف والاتجار مع الفلاحين[3] .

I - De Leon(dwin):The Kh'dive's gypt .pp.8I,82.

٢ - مجموعة خطابات وأوامر عباس باشا الأول ص ٩٠ - ص ٩١ من مجموعة وطبقها الأمير محمد على

3 - Sabry(M): L'mpire gyptien sous Ismail.pp.I5,I7,28,30.

كما سبقت الاشارة فقد عزل عباس الأول كثيرا من الموظفين الفرنسيين فى مصر وعندما احتج قنصل فرنسا بنديتى Benedetti على ذلك أجاب عباس بلهجة قاسيه : " ألست أنا سيد تلك البلاد ؟ وهؤلاء الموظفين خدمى ؟ فأنا اذن القانون ؟ وفى عهده تعرض الأجانب للتعصب الواضح تحت أعين وحراسة البوليس المصرى (١) .

وفى مقدمة الموظفين الأوروبيين الذى طردهم عباس الأول من خدمة كلوت بك الذى جاهد جهادا كبيرا فى سبيل تقدم الصحة فى مصر وخدم محمد على مدة طويلة باخلاص زائد . وعلى العموم فان تدخل القنصل الفرنسى واحتجاجه الشديد لدى الوالى على طرد الموظفين الأوروبيين قد حد من هذا التصرف الى حد ما ، فقد أبان القنصل لعباس مقدار ما فى هذا القرار المفاجىء من الاجحاف بمصالح عدد كبير من الضباط الممتازين الذين ماجاءوا الى مصر الا بناء على طلب صريح من الحكومه المصريه بغية القيام بمهمات خاصه فيها .

والحق أن اخراج الموظفين الأوروبيين من خدمه الحكومه المصريه لو روعى

I - Brehier (Louis): L'Egypte de 1798 à 1900.p.151.

فيه بعض الحدود وتم بطريقه عقوله لكان فيه مصلحة البلاد اذ أن بعض هؤلاء الموظفين كان لا يبغى خدمة مصر بقدر ما كان يرمى الى ابتزاز أموالها والتمتع بخيراتها ولو أدى ذلك الى الاضرار بالبلاد .

وقد شاء بعض المؤرخين أن يتبع هذا التصرف وأن يضفى على سياسة عباس بوجه عام صبغة الدافع الوطنى ، وزعم أن النزعة التى كانت تحرك عباس انما هى نزعة اصلاح تمليها عليه مصلحة بلاده فحسب ، ولكن هذه المحاولة لا يمكن قبولها . فدراسة الاوراق الرسمية باممان والنظر بهدوء فى الحوادث التى وقعت لا يسمحان فقط بالاعتقاد أن سياسة هذا الوالى كانت من وحى الوطنيه الصرفه أو من قبيل الحرص على رفاهية الشعب المصرى .

فاندفاع عباس فى سياسة الرجعيه المعاديه للأجانب لم يكن الا وليد رغبته الطائشه فى اعادة كل شئ الى الأوضاع البالية العتيقه[1] .

ويعزو البعض طرد عباس الأول للموظفين الفرنسيين بأنه كان يخشى لو حدث حادث يعكر العلاقات الودية بين مصر وفرنسا أن يشجع ذلك فرنسا على أن

---

١ - محفظه ١٣٠ أبحاث (حكم عباس الأول ص٤ - ص٥) وثائق عابدين

تحتل مصر بمساعدة رجالها الأثرياء الذين يسيطرون على مراكز ممتازه فى مصر(١) .

وقد عقدت الحكومه المصريه فى عهد عباس الأول بالاتفاق مع رؤساء البعثات الأجنبيه لائحه ، نشرها ديوان الخارجيه فى ٢ مايو سنة ١٨٤٩ ، تنص على أن الأجانب الذين يريدون الاقامة فى مصر أو السياحه فيها يجب عليهم أن يحصلوا من قنصلياتهم على تأشيرة على جوازات سفرهم وكذلك رخصة بالاقامة مصدقا عليها من الضبطيه المصريه ، كما يجب أن تبين فى جوازات السفر الجهة التى يريدون الذهاب اليها(٢) .

غير أن بعض الأجانب لم ينفذوا ما نصت عليه اللائحة فيما يختص بجوازات السفر ورخص الاقامة تنفيذا تاما ، مما أدى الى خلق صعوبات فى سبيلهم ، اذ كانت السلطات المصريه فى الأقاليم تمنعهم من الاقامة أو المرور فى تلك الحالة .

وقد رفض محافظ العريش السماح لخمسة من السياح بالذهاب الى الشام لأن جوازات سفرهم كانت غير مستوفاه . ورغبته فى تنفيذ نصوص اللائحة وعدم

---

١ - الأمير محمد على : مجموعة خطابات وأوامر عباس الأول ص ٢
٢ - احمد الحته : الأجانب فى مصر والسودان ص ١٨٧ نقلا من :

A.A.Richard James.Alex. I-6-I853.

وافادة المعية الكتخداوية الى ديوان الخارجيه فى ١٨ ربيع أول ١٢٦٧ (دفتر مجموع أوامر ادارة ص ٢٦٥)

../.

حدوث مشقة للأجانب ، أرسل ديوان الخارجيه المصريه منشورا الى القناصل فى ١٥ فبراير سنة ١٨٥١ بوجوب استيفاء شروط جوازات السفر ورخص الاقامه والتنبيه على الأجانب التابعين لهم ، كل فيما يخصه ، بضرورة تنفيذ نصوص اللائحه .

وكذلك قررت الحكومة أن الأجانب المارين بالسويس فى طريقهم من الهند الى الشام يجب أن يصدق ديوان محافظة السويس على جوازات سفرهم ، وأيضا فرضت الحكومه عقابا على كل جمّال يحمل أحد الأجانب دون أن يكون جواز سفره مصدقا عليه من ديوان الضبطيه أو ديوان محافظه السويس(١) .

وعلى الرغم من تلك الاجراءات فان محافظ العريش قرر أن بعض السياح حضروا بعد ذلك الى العريش ولم تكن جوازات سفرهم مصدقا عليها من الضبطيه ، ولذلك قررت الحكومة فى ١٨٥٣ التنبيه على الضبطيه بالدقه فى تنفيذ قانون جوازات السفر ، وكذلك مخابرة القناصل العامين للتنبيه على القناصل فى القاهرة والاسكندريه والجهات الأخرى بأن الأجانب الذين يتوجهون الى جهة ما من طريق البر لا ان تكون بأيديهم جوازات سفر من قنصلياتهم مؤشرا عليها من الضبطيه . فان كانت

---

١ - افادة من المعيه الكتخداويه الى ديوان الخارجيه فى ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٦٧ (نفس الدفتر ص ٢٦٥) ١

A.A:Richard James,Alex. I-6-I853,3-7-I853.

جوازات السفر ليست بها اشارة الضبطيه يعاد أصحابها الى مكانهم الأول .

أما الأجانب المارون والعابرون من طريق البر من الاسكندريه الى القاهرة ، ومن القاهرة الى الوجه القبلى والوجه البحرى ، فلابد أن يكون بأيديهم جوازات سفر مؤشرا عليها من مأمور ضبطيه الجهة التى يقيمون فيها . كما أن رؤساء المراكب لا ينزلوهم فى مراكبهم بدون تلك الجوازات . فان كانت جوازات سفرهم ليست عليها اشارة من الضبطيه يعادون الى مكانهم الأصلى ، ولا ينزلون فى المراكب ، وقد أمرت الحكومة باعلان ذلك عموما والقناصل العامين ومشايخ الأعراب[1] .

وفى فبراير سنة ١٨٥٤ أصدرت الحكومة المصريه منشورا سهلت فيه نظام جوازات السفر ، فجعلت تأشيرة القنصليه ورخصة الاقامه وترخيص حمل السلاح فى تصريح واحد يقوم الى الضبطية بالاسكندرية للتصديق عليها . وعند وصول السائح الى القاهرة لابد له من الحصول على تصريح آخر للوجه القبلى تصدق عليه الضبطية[2] .

---

١ ـ احمد الحته (دكتور) : الاجانب فى مصر والسودان نقلا عن منشور من الديوان الكتخداوى فى ٢٧ رجب سنة ١٢٦٨ ، افادة كتخداوية فى ٢٧ رجب سنة ٦٨ (دفتر مجموع ادارة ص ٢٠٠ ، ٢١٨)

٢ ـ نفس المصدر السابق ص ١٨٩ نقلا من :

A.A: Edwin de Leon, Cairo 1854.

.. / ..

وقد حدثت منازعات بين بعض السياح والأهالي، ففي ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٥١ تشاجر ستة من السياح الأمريكيين مع بعض سكان امابه واستخدمت في المعركة الأسلحة النارية والعصي فأصيب بعض الأشخاص من الفريقين بجروح واصابات مختلفة ولكنها لم تكن خطرة، ونظر رئيس البوليس النزاع بحضور ماكولي القنصل العام الأمريكي، لأن المشاجرة بين الأجانب والمصريين من اختصاص البوليس المصري، وقد أطلق سراح السواح لمتابعة رحلتهم في النيل. ثم تقرر فقط بعد تقديم ترضيه كافيه لهم واعطاؤهم تعويضا[١].

وكذلك حدث في تلك السنة نزاع في الأقصر أطلق فيه بعض السياح الرصاص مما أدى الى قتل النفس[٢].

ورغبة في منع المنازعات المماثلة لذلك، قررت الحكومة في مارس سنة ١٨٥٢ تنظيم مهنة التراجم ومهنة رؤساء المراكب التي يستأجرها السياح، اذ اتضح أن تلك المنازعات ناشئة من سببين:

أولا : ترجمة وتفهيم التراجم المجهولي الأصل للسياح بخلاف الواقع.

---

١ - احمد الحته (دكتور): نفس المصدر السابق ص ١٩٢ نقلا من:

A.A: Mo.Cauley.Alex. I5-I-I852, 7-2-I852.

٢ - نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا من:
قرار من الجمعية العموميه ومجلس الأحكام في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٦٨
(دفتر مجموع أمور ادارة واجراءات ص ٢١)

ثانيا : اعتقاد روساء المراكب المؤجره للسياح أنهم أصبحـــوا في زمـرة هؤلاء الأجانب وأنهم خرجوا بذلك من تبعيه الحكومـــة المصريـــــة .

وقد نص ذلك التنظيم على حصر أسماء جميع التراجم من رعايـــا الحكومة ، ثم تحقيق أطوارهم وحركاتهم بمعرفة مأمور الضبطيه بالقاهــرة ومأمور الضبطيه بالاسكندريه .

فاذا اتضح أنهم معتمدون تؤخذ عليهم ضمانات ، ثم تقيد أسماؤهـم في دفتر مخصوص . وتعطى لكل منهم تذكرة مدموغه من الضبطيـــــه

أما التراجم الأجانب فتؤخذ منهم شهادات صدقا عليها من قناصلهـم ، ثم تقيد أسماؤهم في الدفتر المذكور ، وتعطى لكل منهم تذكرة مدموغة مـــن الضبطيه . وبعد ذلك ينبه مأمور الضبطيه على التراجم الوطنيه وينبـــه القناصل على التراجم الأجانب بحسن السلوك وعدم التدخل فيما لا يعنيهم. وتجنب التسبب في وقوع المفاسد والمنازعات ، وعدم تفهيم السياح والتراجمة لهم بخلاف الواقع ، فان خالفوا ذلك عوقبوا بموجب القانون . وكذلك يجـب على كل منهم أن يقدم الى الضبطيه شهادة من السائح الذى يرافقه تتضمن تأدية خدمة كما يجب ، وسرور السائح منه ورضاه عنه . وبناء على ما في تلك الشهادة يؤشر تحت اسم الترجمان في الدفتر الموجود بالضبطيه . أما اذا اتضـح أن الترجمان قد حدثت منه أشياء مخالفة لذلك ، فانه يوقع عليه العقاب بموجب القانون على حسب خفة الجنحه أو جسامتها .

../ .

هذا من التراجم . أما روساء المراكب ، فيجب على كل منهم أن يحصل من صاحب المركب على شهادة تثبت أنه من ذوى الأخلاق الحميدة . وبعد ذلك يذهب بالشهادة الى الترسانه ، فان اتضح أن سمعته حسنه وأخلاقه حميدة تحفظ الترسانة الشهادة بهـا ، وتعطيه تذكرة بدلا منها . وان كانت الترسانه تعلم أنه قد اقترف من قبل أعمالا مغايرة ، فانها ترده بالشهادة الى صاحب المركب ، مع اخبار الأخير بذلك وعند اعطاء التذكرة المدموغة لرئيس المركب ، ينبه عليه بالابتعاد من المنازعة والمشاجرة وبأنه اذا حصلت منه أو من الرجال الذين يعملون تحت امرته أعمال مغايرة فانهم سيجازون بأشد الجزاء بموجب القانون . وفى حالة حدوث مخالفة أو عمل غير لائق من رئيس المركب أو من يعملون تحت امرته فى أحد مراكب السياح فى أثناء مرورهم ، يخبر مدير الجهة التى تحدث بها الواقعه السائح بما حدث ، ويطلب منه الرئيس أو من معه ، وبحضوره يجرى التحقيق معهم . فان كانت جنحتهم خفيفه يرسل تقرير عنهم الى الترسانه ، وان كانت جنحتهم كبيرة فانهم يحجزون بالمديرية ويرتب بدلا عنهم آخرون من المعتمدين ثم يجازون بموجب القانون على حسب الجنحه وإذا رفض السائح اعطاء رئيس المركب أو من تحت امرته ، فان مدير الجهة يفيد الديوان الكتخداوى عن الكيفية ، مع ايضاح اسم السائح واسم رئيس المركب أو من تحت امرته ، والديوان المذكور ينظر المسألة .

٠٠/٠

وقد أطلقت الخارجية المصرية والقناصل بتلك الاجراءات وطلبت منهم التنبيه على السياح باستخدام رؤساء المراكب الذين معهم رخص من الترسانة ، والتراجم الذين بأيديهم تذاكر من الضبطية ، وبعدم التدخل في المنازعات وبعدم الممانعة في اعطاء رئيس المركب أو من يعملون تحت امرته اذا طلبهم الحكام لحدوث جنحة منهم(١) .

مما سبق يتضح كره عباس الأول للأجانب وسوء معاملته لهم بل والأكثر من ذلك طرده الموظفين الأوروبيين الذين كانوا في خدمة الحكومة المصرية في عهد محمد علي وقد قدر القنصل الأمريكي Mc.Cauley عدد الموظفين الأوروبيين الذين طردهم عباس بحوالي ستمائة كانوا - كما قال القنصل - موالين لسلفه ابراهيم باشا ومن محبيه كثيرا(٢) . كما بث العراقيل في سبيل التجارة للحد من تكاثر الأجانب في البلاد وخاصة في المدن مما أدى الى انتشارهم في القرى حيث كانوا يزاولون من أنواع التجارة اكثرها ضررا بالفلاحين .

---

١ - احمد الحته : نفس المصدر السابق ص ١٩١ - ص ١٩٢ نقلا من قرار الجمعية العمومية ومجلس الأحكام في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٦٨ صدر عليه أن الاجراء الى الديوان الخديوى في ١٢ جمادى الأول سنة ١٢٦٨ ونشر في ٢٥ جمادى الأولى (دفتر مجموع أمور ادارة واجراءات ص ٢١٩)

٢ - محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٤٨

ازدياد هجرة الأجانب الى مصر فى عهد سعيد باشا واسماعيل :

اشتهر محمد سعيد (١٨٥٤ — ١٨٦٣) حبه للأجانب وتساهله معهم ، وانتظر هؤلاء كل خير على يديه ، فعظم نزوحهم الى مصر فى عهده ، ولم يكونوا كلهم من خيار القوم ، بل كانوا اخلاطا من المغامرين الذين أرادوا استغلال البلاد . واستنزاف دمائها طلب للثراء السريع ، واستدعى تدفقهم على البلاد ونشاطهم غير المشروع انتباه القنصل الفرنسى (ساباتيه) الذى كتب فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٥٤ بعد مضى حوالى ثلاثة أشهر فحسب من بداية الحكم الجديد :

" لقد تدفق على البلاد من جميع أنحاء أوربا ، بمجرد ذيوع الخبر من وفاة عباس باشا جمهور كبير ، انقض على مصر كما لو كانت هذه (كاليفورنيا) جديدة " .

وقال (ساباتيه): ان هؤلاء كانوا من المغامرين الذين جاءوا للبحث من الذهب وقد جعلوا دأبهم تقديم المشروعات الخياليه والخطط الجنونية الى سعيد باشا الذى لا يزال يضيع وقتا ثمينا فى فحصها لطيبته ولرغبته فى الاصلاح " .

ولم تكن هذه المشروعات الاصلاحيه المزعومة الا وسيلة للتحايل على الحكومة ومطالبتها بتعويضات مالية طائلة ، بدعوى أن الحكومة بعد قبول هذه المشروعات قد تعمدت تعطيلها أو أخطأت فى تنفيذها ، الى غير ذلك من الدعاوى التى كان يساعد عليها تناصل دولهم (١) .

---

١ — محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر والسودان ص ٥١

وقد زاد عدد الأجانب فى مصر زيادة كبيرة فى عهد محمد سعيد حتى بلغ عددهم فيما بعد ٧٩,٦٦٦ نفسا سنة ١٨٧١ منهم ٣٤٠٠٠ يونانى ، ١٧٠٠٠ فرنسى ، ١٣٩٠٦ ايطاليون ، ٦٠٠٠ انجليزى ، ٦٣٠٠ نمساوى ، ١١٠٠ ألمانى ، ٥٠٠ فارس ، ١٥٠ أسبانيا ، ١٢٧ روسيا ، ٥٣٣ هولنديا ، ٤٠ بلجيكيا ، ٤٠ سويديا ودنماركيا وبرتغاليا وأمريكيا وغيرهم[1] .

وكان عدد الأجانب المقيمين بالاسكندريه سنة ١٨٥٤ لم يتجاوز ٢٠,٠٠٠ نفسا ، ولم يكن يوجد أكثر من ألفين أوروبى فى القاهرة ، وقلة آخرين منتشرين فى باقى أقاليم القطر المصرى ، كمندوبين للشركات التجاريه الأوروبيه فى الاسكندريه .

وقد أحاط سعيد نفسه بمجموعة من الموظفين الأوروبيين وفى الادارات المختلفه ودعى المهندسين الأوروبيين المشهورين ، وألغى القيود التى كانت مفروضه على التجارة فى عهد عباس ، وقد أعطى سعيد باشا دفعة قوية فى تطور الحياة التجاريه والزراعيه فى مصر ، ويرجع ذلك الى حبه للأجانب وتشجيعهم ، وكان مفرط بمجالستهم بل وتقليدهم وساعده على ذلك دراسته الفرنسيه ومعرفته للغة الانجليزية[2] .

---

١ ـ احمد الحته (دكتور) : الأجانب فى مصر والسودان ص١٨٧ نقلا عن :

Les Archieves uropeans du Régne d'Ismail No.2I/I. A.A:Report by Beardesly .Cairo,I5-9-I873.

De Leon: op.cit.p.378.

2 - De Leon: The Khedive's gypt.pp.9I,92.

ويحدثنا الرحالة اليهودى ابن سفير عن اليهود فى مصر فـــى عهد سعيد فيقول أن تعدادهم كان يبلغ حوالى ٦٠٠٠ يهــودى منهم ٢٠٠٠ فى الاسكندريه ، ٢٠ فى طنطا ، ٤٠ عائلة يهوديـــة فى المنصورة ، ٢٠ عائلة أخرى فى المحلة ، ٥ عائلات فى زفتى ، ١٠ أشخاص فى بنها وواحد فقط فى الفيوم كما يوجد فـــى القاهرة ٦٠٠ عائلة يهوديه متمصره ، ٦٠ عائلة يهوديـــة من الأجانب(١) .

هكذا زاد عدد الأجانب المقيمين فى مصر فى عهد سعيـــد . أما السياح الذين يزورون مصر يمكثون فيها عادة بعض الوقـــت، فلم يدخلوا فى تعداد الأجانب الذى سبق ذكره .

وقد بلغ عدد السياح الأمريكيين فى سنة ١٨٤٩ نحـــو ٤٠ مكثوا فى مصر مدة تتراوح بين شهر وثلاثة أشهر(٢) .

وبعد ذلك زاد عددهم حتى أن القنصل الأمريكى قرر سنة ١٨٥٩ أن ٤٠٠ أو ٥٠٠ من السياح الأمريكيين يمرون أحيانا بالقاهرة فـــى فصل واحد وهم فى طريقهم الى سوريا أو مصر العليا(٣) .

I - Fargeon (M): Les Juifs en Egypte.p.325.

٢ - احمد الحته (دكتور) : الأجانب فى مصر والسودان ١٨٧ نقلا من :

A.A: Mc.Cauley.Alex. II-6-I850.

٣ - احمد الحته (دكتور) : نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا من :

A.A: De Leon.Alex. 5-7-I859.

. . / .

غير أن قيام الحرب الأهليه الأمريكيه فى ابريل سنة ١٨٦١ أدى الى نقص عدد السياح الأمريكيين فى مصر ، حتى لم يزد عددهم فى فصل السياحه المعتد من أواخر تلك السنة الى يناير سنة ١٨٦٢ من ١٥ أو ٢٠ ، بعد أن كان عدد سياح الولايات المتحدة فى المعتاد نحو ثلاثة أرباع عدد السياح فى مصر(١) .

وكان القناصل العامون بالاسكندريه والقناصل أو نواب القناصل بالقاهرة وبعض المدن الأخرى والمندوبون القنصليون فى بقية المدن التى يرتادها السياح يقومون بخدمات جليله لهم ٠ فمثلا كان المندوبون القنصليون للولايات المتحده فى مصر ، يساعدون السياح الأمريكيين ، ويسدون النصح لهم ، ويستلمون بريد السائح ويرسلونه ، كما يصلحون قاربه اذا حدث له تلف ، ويحلون المشكلات بينه وبين النوتى ، ويتدخلون لصلحة فى جميع الحالات التى تسبب له متاعب ، ويسهمون بطرق كثيرة فى طمأنينته ورفاهية وراحة(٢) .

وقد عاد اليونانيون الى مصر فى عهد محمد سعيد وزاد عددهم عما كان عليه من قبل ، وانتشروا فى القرى يقرضون الفلاحين بربا فاحش(٣) .

---

١ — احمد الحته : نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا من :

A.A: From William Thayer, Alex. 18-I-1862.

٢ — نفس المصدر السابق ص ١٩٠

٣ — نفس المصدر السابق ص ١٨٥ نقلا من :

Sabry(M): L'Empire Egyptian sous Ismail.pp.30,37,38,47.

ونظـرا لازدياد عدد الأجانب فى مصر فى عهد سعيد اضطرت الحكومة الى اصدار لائحة فى سنة ١٨٥٧ رغبة فى تقييد حركة هجـرة الأوروبيين الى مصر وتنظيمها . وعلى الرغم من تلك اللائحة ، فقـــد استمرت هجرة الأوروبيين الى مصر ونجاحة التجار والأفاقين طــــول عهــد محمد سعيد ، نظرا لسخاء ذلك الوالى وثروة البـــلاد وحرياتها الداخليـة(١) .

وجاء فى تلك اللائحة أن على المعاون الأول فى قلم جوازات السفر بالاسكندريه أو أحد المعاونين الآخرين فى حالة غيابه ، أن يبادر بالتوجه الى أية سفينة تصل الى الميناء ، ويطلب من قائدها قائمة بأسماء السيـــاح وكذلك جوازات السفر ، ويسلمها فى الحال الى قلم جوازات السفر . وفــى مدى ٢٤ ساعة من تسلمها يقيدها القلم المذكور ويوزعها على قنصليــات أصحابها ، مع أخذ ايصال بها من القنصليات . وعندئذ يحرر المعاون الأول الى مأمور الضبطيه نسخة من قائمة أسماء السياح التى أخذها من قائد السفينه . ويجب على القنصليات فى مدى ثمانية أيام من ارسال جوازات السفر اليها ، أن تحرر الى مأمور الضبطيه قائمة بأسماء الأشخاص الذين أعطيت لهم جــوازات سفرهم والذين تحررت لهم تذاكر اقامة .

ويجب على السياح الذين يريدون السياحه فى أية جهة من الوجه البحرى أو الوجه القبلى

---

١ - احمد الحتة : نفس المصدر السابق ص ١٨٦ نقلا من : لائحة عمومية بترتيب وضبط الأجانب فى غاية ربيع الأول سنة ١٢٧٤ (نوفمبر ١٨٥٧) ودفتر مجموع أمور ادارة واجراءات ص ٢٠٣ .

أن يحصلوا من قنصلياتهم على جوازات سفر داخليه ، مصدقـــا عليها من الضبطيه و مبينا بها الجهة المرغوب السياحه فيها واسم السائح ولقبه وأوصافه وعمره وجنسيته وعدد أتباعه سواء أكانوا من الأجانب أم من الأهالى وأفراد عائلة المرافقون له . وينطبق ذلك أيضا على السياح الذين يتوجهون الى الشام عن طريق العريش ، والسياح الذين يتوجهون بعد اقامتهم بالقطر المصرى الى جهات أخرى عن طريق رشيد أو دمياط أو السويس أو القصير ، وجوازات السفر الداخليه تؤخذ اما من الاسكندريه واما من القاهرة (١) .

وكان تنفيذ مشروع قناة السويس خاصة فى عهد سعيد ثم اتمامه فى عهد اسماعيل عاملا قويا فى ازدياد هجرة الأجانب الى مصر حتى أصبحت لهم فى مصر جاليات كبيرة العدد تختلف قلة أو كثرة بعوامل مختلفه : كقرب أوطانها أو بعدها من مصر وصلاتها الثقافيه والماليه والتجاريه - والسياحية أخيرا - بهذه البلاد . وهكذا نشأ بمصر ما يسمونه (المصالح الأجنبيه) وقد أصبحت عنصرا قويا وهاما فى الاقتصاد الأهلى والحياة الاجتماعية وألقى على الدولة المصرية عبء حماية هذه المصالح الأجنبيه (٢) .

---

١ - احمد الحته (دكتور) : نفس المصدر السابق ص ١٩٠ نقلا عن احمد الحته : التمثيل القنصلى والدبلوماسى للولايات المتحده فى مصر فى القرن ١٩ (طبعه الاقتصاد والسياسه يوليه وديسمبر سنة ١٩٥٧ ص ١٧ - ٢٠ - ٢٥ .

٢ - احمد عزت عبدالكريم (دكتور) : تاريخ التعليم فى مصر جـ ٢ ص ٨٢٢ - ص ٨٢٣

وهكذا كثر عدد النزلاء من الأجانب بعد فتح قناة السويس وفى عصر الخديوى اسماعيل الذى عهد لهم سهل الاقامه بتنظيم المدن الكبرى من القطر على الشكل الأوروبى على استخدام العدد العظيم من الفرنسيين فى الحكومه(١) . فان قناة السويس كانت فكرتها فرنسيه وتصميمها فرنسى ، ونفذت بواسطه الخبراء الفرنسيين ، كما أن النظام التعليمى فى مصر كان على النمط الفرنسى ، وانتشرت اللغه الفرنسيه فى مصر كلها حتى أصبحت اكثر اللغات الأجنبيه انتشارا ، وكان عظماء مصر يتكلمون الفرنسيه . وكثيرا ما ورد فى تقارير الموظفين الانجليز من مصر الدهشه فى تغلغل الفرنسيين فى القطر المصرى(٢).

وفى عصر اسماعيل كان بمصر اكثر من مائة ألف أوروبى لا يؤدون للخزينه المصريه قرشا واحدا ، بل كانوا فى ظل الامتيازات يهربون البضائع تهريبا أضر بادارة الجمارك ضررا بليغا ، وقد كثر عدد الموظفين الأوروبيين الذين أخذ سيلهم يتدفق على الاداره المصريه منذ نهاية عام ١٨٧٦ . لقد كان عدد هؤلاء الموظفين فى أول الأمر قليلا ، فلم يدخل الحكومه المصريه فيما بين عامى ١٨٦٤ ، ١٨٧٠ غير ١٦٠ موظف أوروبيا ، ولكن فيما بين عامى ١٨٧١ ، ١٨٧٥

---

١ - عمر لطفى (بك) : الامتيازات الأجنبيه ص ٢٢

2 - A.Z: The Emancipation of Egypt.pp.5,6.

دخل الحكومه المصريه ٢٠١ أوروبى ، ودخلها عام ١٨٧٦ وحدة مالا يقل من ١١٩ أوروبيا وفى عام ١٨٧٧ استجلب للحكومــــة ٧٦ أوروبيا وفى سنة ١٨٧٨ كان المستجلب ١٣١ أوروبيـــا .

وعلى كل حال فان كثرة الموظفين الأجانب كادت تكون فـــى الوقت الذى نتكلم عنه أمرا فاضحا فقد كتب مراسل التيمـــس فى القاهرة يقول :

" ان أكثر كبار الموظفين من الأجانب . ويظهر أن المرتبات الفخمه لا بد منها لاقلال حنينهم الى أوطانهم ، وتخفيف ما يقاســون من ألم الغربه ، ولقد أدى التنافس بين الدول الى أن صار العمــل الذى يمكن أن يقوم به موظف واحد يسند الى اثنين أو ثلاثه وأحيانــا الى أربعة موظفين(١) " .

وان أول احصاء رسمى أصدرته الحكومه المصريه فى عهد محمد توفيق سنة ١٢٩٩هـ (٣ مايو سنة ١٨٨٢) يدلنا على أن عدد السكان فى مصر فى ذلك الوقت ٦,٨٠٦,٣٨١ نسمه بينهم ٩٠,٨٨٦ من الأجانب(٢).

ولقــد نزح اكثر المغامرين فى أوروبا الى مصر ليقينهم أن اسماعيل باشا

---

١ ـ المسألة المصريه : يتودور روتستين تعريب عبدالحميد العبادى ص ٦١ ـ ٦٢ نقلا عن " التيمس" ٢٣ يناير سنة ١٨٧٩

2 - Fargeon: Les Juifs en gypte.p.305.

فى ضائقة مالية ، وأنهم يستطيعون أن يكونوا ثروات كبيرة من وراء ذلك . وبين هؤلاء المغامرين المخترعين الذين يبحثون فقط من عروض سريعة للحصول على ثروات وهمية نتيجة اختراعاتهم عبيد المال ، الذين يستعدون لاقراض المال بأى مبلغ ليستردونه أضعافا مضاعفة ، والمغامرون المخترفون ، وكل الذين لا مأوى لهم فى جميع أنحاء العالم والذين بدا لهم - بعزيمتهم - أن يجعلوا مصر مكانا للقائهم ولقد وجد كل هؤلاء ترحيبا لا مثيل له من اسماعيل ورجاله (١) .

- فهؤلاء الأجانب الذين لا يتصلون بصاحب الملك فى جنس ولا دين تقوم رابطة مقام الجنس ، فمثلهم فى المملكة مثل الأجير فى بناء بيت لا يهمه الا استيفاء أجرة ثم لا يبالى أسلم البيت أو جرفه السيل أو دكه الزلازل ، هذا اذا صدقوا فى أعمالهم يؤدون منها بمقدار ما يأخذون من الأجر ، بأن الواحد منهم لا يشرف بشرف الأمة الذى هو خادم فيها ولا يمسه شئ مما يمسها من الضعة لأنه منفصل عنها ، اذا فقد العيش فارقها وارتد الى منبته الذى ينتسب اليه ، بل هو فى حال عمله وخدمته لغير جنسه لا حق بمنبته فى جميع شؤونه ما عدا الأجر

I - Dicey : The story of The Khedivate.pp.97,98.

الذى يأخذه ، وهذا معلوم ببراهة العقل ، فلا يجد فى طبيعته ولا فى خواطر قلبه ما يبعثه على الحذر الشديد مما يفسد الملك أو الحرص الزائد على ما يعلى شأنه ، بل لا يجد باعثا يبعثه على الفكر فيما يقوم مصلحة من أى جهة ، هذه حالهم هى لهم بمقتضى الطبيعة لو فرضنا صدقهم وبراءتهم من أى غرض آخر ، فى ظنك بالأجانب لو كانوا نازحين من بلادهم فرارا من الفقر والفاقة وضربوا فيرهم طلبا للعيش من أى طريق وسواء عليهم فى تحصيله صدقوا أو كذبوا وسواء وفوا أو قصروا ، وسواء راعوا الفرصه أو خانوا أو لو كانوا مع هذا كله يخدمون مقاصد لأمم يمهدون لها طرق الولاية والسيادة على الأقطار التى يتولون الوظائف فيها (١) .

مما سبق يتضح أزدياد عدد الأجانب فى مصر فى عصر اسماعيل وسعيد وتغلغلهم فى المجتمع المصرى الى درجة كبيرة وشجعهم على ذلك رغبة هؤلاء الولاة فى ادخال المدنيه الغربيه الى مصر ولم يتوانوا عن بذل الأموال لهؤلاء الأجانب بشتى الطرق حتى تمكنوا فى النهاية من السيطره على أهم الوظائف فى البلاد .

---

١ - العروة الوثقى : جمال الدين الافغانى والامام محمد عبده ص ١٦٦ - ص ١٦٧

وعلى هذا يمكن القول أن هجرة الأجانب الى مصر بدأت تزداد فى عهد محمد على بعد أن استتب الأمن فى القطر المصرى فشجع ذلك عددا كبيرا من الاجانب على الوفود الى مصر للتجارة وتوظيف رؤوس أموالهم فيها والتدريس بالمدارس والعمل بالمصانع والجيش والبحريه والزراعة والرى وغير ذلك •

وذلك على عكس ما حدث فى عهد عباس الأول الذى كان يكره الاجانب بطبعه فعمل على طرد الموظفين الاجانب من البلاد وضيق عليهم سبل العيش فأدى ذلك الى الاقلال منهم •

أما سعيد باشا واسماعيل فقد عملا على زيادة هجرة الاجانب الى مصر زيادة كبيرة لرغبتهما فى ادخال المدينه الغربيه الى البلاد وخاصة بعد شق قناة السويس التى فتحت أبواب هجرة الأجانب الى مصر على مصراعيها وأدى ذلك الى تغلغل الأجانب بوجه عام والاوروبيين بوجه خاص فى المجتمع المصرى وسيطرتهم على أهم الوظائف فكونوا بذلك الثروات الطائله وخاصه فى أواخر عصر اسماعيل •

(الفصل الثاني)

اهم الجاليات الاجنبية التي تكونت في مصر خلال القرن التاسع عشر

تعداد الاجانب ومدى انتشارهم فى مدن القطر المصرى :

كان اول من أتى مصر من التجار الاوربيين فى العصور الحديثة البنادقة وتلاهم الفرنسيون ثم الانجليز . فكان للبنادقة فى القاهرة وكالات يستقدمون اليها الصوف والانسجة الحريرية وأصناف الخردوات وغيرها . واشتغل التجار الفرنسيون فى مصر باستيراد الاجواخ . وكانوا يبيعون منها كل سنة ، كما يقول الرحالة (فولنى) - " ستمائة ألف بالة " - وتقدر ارباحهم بخمسة وثلاثين او اربعين فى المائة ، ولكن مايسترجعون من البضاعة لعدم أقبال المصريين على شراء الجوخ - يلحق بهم خسارة تجعل صافى ربحهم خمسة عشر فى المائة . وكان التجار الفرنسيون أيضا يستوردون الحديد والرصاص والمنسوجات وبعض أصناف الخردوات .

أما عن اليونانيين والمالطيين والافرنج الذين كانوا يعيشون فى كبريات المدن المصرية ، وبخاصة فى القاهرة والاسكندرية فلم يكن هناك مايميزهم عن بقية زملائهم من طبقات الاجانب المقيمين فى مختلف مراكز التجارة فى حوض البحر المتوسط ، اذ تزدحم ثغور الليفانت بأصحاب الحوانيت والصناع وخدم المنازل وابناء السبيل (١)

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكرى
حضارة مصر الحديثة (محاضرات سنة ٥٩) ص ٤٣

٠ / ٠٠

من يقـومون بأعمـال وضيعـه قليلـة الجـدوى[١] .

وكانت معيشـه الاوروبيين فى الاسـكندريه محدده بأماكن وشـوارع معينـه ومحدوده ويعد ظهر كل يوم أحد تراهم خارج حدود المدينـه فى أزهى الثيـاب وارق العادات ويصحبهم فى تلـك النزهـه زوجاتهـم وبناتهم ، يستنشقون الهـواء النقـى على ترعة المحموديه ، يشـربـون ويغنـون بصـوت عال فى المقاهى الموجوده فى ذلك المكـان ، كمـا تراهم ايضـا فى الحـدائق المتناثره هنـا وهنـاك[٢] .

وقد ذكـر Fargeon فى حديثه عن الاجانب فى مصـر فـى بدايـة عـصـر محمد على سنة ١٨٠٥ أنه كان يوجد بمصـر ٥٠٠٠ره مـن الألمان ، ٧٠٠ يهودى ، ٣٠٠٠ سورى ، ٢٠٠٠ من الارمـن ٢٠٠٠ من اليونـانيين .[٣]

ويقول عبد الله النديـم أن عدد الاجانب فى مصر سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) : ٥٠٠٠ روس ، ٢٠٠٠ طليانى ، ٧٠٠ فرنسى ، ١٠٠ مالطى ، ١٠٠ نمساوى ٢٠ موسكونى ، ٢٠ أسبانى ، ١٠٠ انجليزى ، ٣٠٠ شامى مسيحى ، ٢٠٠٠ أرمنى ، وفى ذلـك المستخدمون فى الحكومـه[٤] .

١ـ دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص٢٩٢ ـ ص٢٩٣ نقـلا عن تقرير بورنج الانجليزى عن احوال مصر سنة ١٨٣٧

2 - Adams (F): The New Egypt.pp.21,22.

3 - Fargeon (M): Les Juifs en Egypte.p.157.

٤ـ عبد الله النديم : مقالات النديـم (جمع ابن منتصـر)

هذا وقد حدد الدكتور محمد فؤاد شكرى عدد الاوروبيين فى مصر فى سنة ١٨٢٣ بحوالى ٤٨٨٦ ، وكان هؤلاء الاوروبيين من الانجليز (النازحين من جزيرة مالطه وجزر الايونيان) ، ومن الفرنسيين واليونانيين وأهل الليفانت ورومانيا وسويسرا واسبانيا وألمانيا وتوسكانيا والنمسا وسردينيا ونابلى وجزر البليار وأن عددهم بلغ خمسة آلاف سنة ١٨٢١ .

أما كلوت بك فيقدر عدد اليهود فى عصر محمد على على بسبعة آلاف يهودى ، أما " لين " Lane فيقدرهم بحوالى خمسة آلاف أما السوريين فبلغ عددهم سته الاف ، وقدرهم كلوت بك بخمسة آلاف وكذلك " لين " . وعد أحصى كلوت بك عدد اليونانيين فى مصر فى ذلك الوقت بحوالى تسعة آلاف ، وهذا عدد مغالى فيه ايضا ، ولم يزد عدد الارمن فى ذلك الوقت عن الفين ، أما الاسبانيين فبلغ عددهم الفين والفرنسيين ألف والطليين ١٢٠٠ شخص ، والانجليز مائه ، والنمسويين ٨٠ ، الروس ٢٥ والاسبان والبروسيين والهولنديين ١٠٠ ، أما عدد الغربيين عموما فبلغ ٠٠٥ر٧ .(٢)

---

١ — دكتور محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ص ٢٤

2 - Madden R.R: Egypt and Moh.ALI.pp.83,84.

أما القنصل الفرنسي " دى بوالكمت " فيذكر فى تقريره الى حكومته انه كان يوجد فى مصر من الاجانب : ١٠ر٠٠٠ من اليونانيين ٢٠٠٠ من الارمن ، ٤٠٠٠ يهودى ، ٥ر٠٠٠ أوروبى .

كما ذكر ايضا أن عدد سكان الاسكندرية فى عصر محمد على كان يقدر بحوالى أربعين ألفا منهم :

أنجليز ومالطيون وأيونيون		٣ر٠٠٠
فرنسيون	٣٠٠	
يونانيون	٤٠٠	
ليفانتيون	٢٠	٨١٠
جزائريون وروما نيون وسويسريون	٥٠	
لاجئون من الاسبان والطليان والالمان	٤٠	
تسكانيون معظمهم من يهود ليغورنه		٥٠٠
نمساويون اغلبهم من الطليان		٢٩٦
سردينيون		٧٠
نابوليتان (أهل مملكة نابولى)		١٥٠
اسبان أغلبهم من جزر البليار		٦٠

---

١ ـ دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٢٤٧

٢ ـ نفس المصدر السابق ص ٢٤٦

٠ / ٠٠

وعلى العمــوم فانه من الصــعب ، ان لم يكــن مســتحيلا ، تحــديــد عدد الاجانب المقيمين فى مصــر فى ذلك الوقت تحديــدا دقيــــقا فســجلات القناصــل لم تكــن بالدقـــه التى توضح تلك الاعــداد توضيحــا تاما ، لأنـــه يوجد عدد لا بأس بـه مــن الاجانــب ممن كانـــوا يــهملــون قيــد اســماء هم واســماء عائلاتهم ، وكذلك كان يوجد عددا كبيرا مــن الاجانب الذين لا يســتقرون فى بلـــد واحد ، ومندوبى البيوت التجاريـــه والذين كانـــوا مبعثرين فى القـــرى ، مما يجعل تقدير اعدادهم مـــن الصعوبـــه بمكان .

وكما ســبقت الاشاره فى الفصــل الاول ، زاد عدد الاجانب فــى عصر اسماعيل زيـاده كبيره وقـــد قدرهم الخـــديوى اسماعيل نفســـــه بحوالى ١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) بقســمهم De Leon علـــــى الوجه التالــــــى .

اليونانيـــــــون	٣٤,٠٠٠
الايطاليــــــون	١٥,٠٠٠
الفرنســـيون	١٢,٠٠٠
الانجليز والمالطيون	٦,٠٠٠
النمســـــاويون	٦,٥٠٠
الالمـــــــــان	١,١٠٠
جنسـيـات أخـرى	١,٣٩٠

هذا بالاضـــافه الى عـــدد قليل من الامريكيين ، اعضاء البعثـــه التبشيريـــه

I - De Leon (Edwin): The Khedive's Egypt.pp.426,427.

.. / .

الامريكيه حوالي اثني عشر شخصا ، ٢٠ ضابط امريكي ، ٣٥ قضـــــاه في المحاكم المختلطه ، وعدد قليل من الامريكيين الذين استقروا في مصر ، ولكن عدد السياح الامريكيين الذين كانوا يزورون مصر كان كبيرا جدا ، اكثر من عدد أي جاليه آخرى ماعدا الجاليه الانجليزيه .(١)

وفي عصر اسماعيل ايضا كان يقيم في الاسكندريه حوالي ٥٠ر٠٠٠ من الاجانب ، اما القاهره فكان يوجد بها ٢٥ر٠٠٠ فقط والباقي كانوا مقسمين بين مدن القناه والمدن الرئيسيه في الوجهين القبلي والبحري وان معظمهم قد استقروا في القرى منذ عهد محمد علي باشا .(٢)

اما عدد الاجانب المقيمين في القاهره وحدها فيبلغ حسب التعداد الذي صار في ١٥ جمادي الثانيه سنة ١٢٩٩ هـ (٣ مايو سنة ١٨٨٢) ٢٢٤٢٢ شخصا هـــم :
٧٠٠٠ اروام ، ٥٠٠٠ فرنسي ، ١٠٠٠ من الانجليز ، ١٨٠٠ نمسوي ، ٤٠٥ ألمان ٤٠٠ أعجام ، ٣٣١١ أيطالي ، ٢٢٠٠ أوربي ، من اجناس اخرى فيكون المجموع ١٩٢٤٧ يضاف اليهم ٣١٧٥ من المغاربه وغير ذلك فيصبح المجموع ٢٢٤٢٢ شخصا.(٣)

وقد اخذت اعداد الاجانب المقيمين في مصر بعد ذلك في الازدياد حتى بلغ عددهم حوالي ١١٣٠٠٠ اوربي وذلك طبقا للاحصاء الذي اجري سنة ١٨٩٧ وهم(٤) :
٣٨٠٠٠ يوناني ، ٢٤٠٠٠ ايطالي ، ١٤٠٠٠ فرنسي ، ٧٠٠٠ نمسوي ٢٠٠٠٠ من الانجليز والمالطيين بما في ذلك الجنود ، ١٠ر٠٠٠ من الجنسيات الاخرى . وأن تقسيم الاجانب الى تلك القوميات المختلفه بالرغم من اهميته فهو غير دقيق تماما . فعندما تقول انه كان يوجد في مصر في ذلك الوقت ٢٤٠٠٠ ايطالي ،

I - De Leon: op.cit.p.427.

2 - Mc.Coan: Egypt as it is .pp.35,36.

4 - Cromer : Modern Egypt.Vol.2.op.245,24 6.

٣ـ علي مبارك (باشا) : الخطط التوفيقيه جـ ١ ص ٩٨

٠٠٠ر١٤ فرنسي ٥٠٠٠ر٧ نمسوى ٠٠٠٠ وهكذا فان ... ذ ا

لايعنى انة يوجد فى مصر ... تلك الاعداد من الايطالين والفرنسيين

والنمسويين الذين يتصفون بالصفات التى يتصف بها المواطنين فى كل من

ايطاليا والنمسا وفرنسا ، اضف الى ذلك ان هناك بعض الشرقيين ممن —

تجنسوا بتلك الجنسيات ، كما يجب ان نلاحظ ان الفرنسى الذى

يجىء .. مصر يعتبر فرنسيا لانه فقط اتى من فرنسا ، والايطالى

فى مصر يمكن ان نعتبره يشبه الايطالى فى عاداته وصفاته ، والنمسوى

مجرد احد رعايا الامبراطور والنمسوى يتبعبته للقنصل لا أكثر ولا أقل

وهم مع ذلك يمكن ان نسميهم الليفانتيون ولا نعتبرهم قوميات مختلفة

ومع ذلك يختلفون ببعض الصفات التى يتصف بها نصر الاشخاص

فى البلاد التى اتوا منها . (١)

وفى ... الامتيازات الاجنبيه اصبحت تلك الجاليات الاجنبيه

مستقله تماما عن السلطات المحليه ، ويحكم كل جاليه منها تماما القنصل

الذى تتبعه . (٢) واصبحت معظم التجاره الخارجيه واعمال البنوك

فى ايدى تلك الفئة من الاجانب والتى اثرت ثراءا عظيما نتيجة لاشتغالهم

بالتجاره والصناعه . (٣)

I - Cromer : op.cit.p;246.

2 - Mc.Coan: Egypt as it is .p.35.

3 - Jerrold: Egypt under Ismail Pasha.p..8.



وكما سبقت الاشارة فان من أهم الجاليات الاجنبية التي استقرت في مصر .

١ - الجالية الفرنسية :

وكان اول من اتى مصر من انصار الاوربيين في العصور الحديثة الفرنسيون . وسبقهم في ذلك البنادقة وكثر وفود الفرنسيين الى مصر عقب انهيار امبراطورية نابليون الاول أي منذ سنة ١٨١٥ (١) وكان للجالية الفرنسية مكانة خاصة في مصر ويمكن تقسيمهم الى فئتين الفرنسيين الغربيين والفئة الثانية هؤلاء الفرنسيين الذين اقاموا في الشرق مدة طويلة واكتسبوا صفات الاجانب الشرقيين (الليفانت) بالنسبة للفئة الاخيرة فالسؤال الذي يتردد دائما هو : هل يمكن تحويل الفرنسيين الى اجانب غربيين ؟

او أن عملية التغيير غير ممكنة او انه يمكن تحويل الاجانب الشرقيين . الى اجانب غربيين ؟ والحقيقة ان كلا الحالتين كان يمكن حدوثها في ذلك الوقت (٢).

وقد استعان محمد علي بالفرنسيين في معظم اعماله وكانت لهم لديه مكانة خاصة . وكان دائما يقول : " أنني مدين بجهودي للفرنسيين " وعدد

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي ص ٢٤

2 - Cromer : op.cit.p.248.

آخر من الفرنسيين ، " وبحريتي لمسيو " سيريزي " بل أنني مدين للفرنسيين بأكثر ما عملته في مصر ، كما اني مدين بشطر كبير من وجودي السياسي لعطف الحكومة الفرنسية .

وهذا الاطراد الذي ورد على لسان محمد على يستند الى الخدمات الجليلة التي كان يقوم بها مسيو " سيريزي " مدير الترسانة وكل من " بسون " Besson وهو " سار " Hussard من قواد السفن الحربية والكولونيل " سيف " او سليمان بك رئيس اركان حرب ابراهيم والقومندان " فاران " Varin ناظر مدرسة الفرسان والدكتور كلوت مدير الخدمة الطبية وناظر مدرسة الطب . وقد رقى الى رتبة البكوية والسيد " هامون " Hamont ناظر مدرسة الطب البيطرى والسيد " آيم " Ayme ناظر مدرسة الكيمياء والسادة " لينان " Linant ، " وماري " و " فرزنل " Fresnel ، " روجيه " Roger ، " وديجون " Digeon وغيرهم ممن كانوا يديرون منشآت محمد على العلمية ، او مختلف فروع الادارة او الزراعة (١) وبمرور الزمن توطدت علاقة الجالية الفرنسية بسائر الجاليات الاجنبية الاخرى في مصر وخاصة الجالية الامريكية في عصر اسماعيل . (٢)

---

١ . الدكتور محمد فؤاد شكري : بناء دولة محمد على ص ٢٤٥ ـ ص ٢٤٦ نقلا عن : تقرير دي بوالكنت الفرنسي الى حكومته

2 - A.A/Vol.3.Desp.7.p.61.

٢- الجاليه الانجليزيه :

ويعتبر الانجليز من اوائل الاوروبيين الذين اتوا الى مصر في العصور الحديثه . وكانوا في بدايه الامر يشتغلون بالتجاره (١)

وقد عمل حوالي سته او خمسه من الانجليز في خدمة محمد على (٢)

وكان عدد الانجليز في مصر يعتبر قله بالنسبه لباقي الجاليات الاجنبيه في مصر (٣)

وبالرغم من اقامة الانجليز في الشرق مده طويله فأنه من الصعب ان نعول انهم اصبحوا لهم صفات الاجانب الشرقيين ولانهم كانت لهم صفات مميزه فأنهم ظلوا يحتفظون بتلك الصفات كامله وهم كطبقه لا يختلفون كثيرا عن زملائهم في انجلترا (٤)

٣ - الجاليه الايطاليه :

لقد عمل الكثير من الايطاليين في خدمة محمد على وبعد ذلك زادت اعداد المقيمين منهم في مصر . وكان معظمهم من العمال المهره في مصر صانعي الطوب . وبنائين ونجارين وعلى العموم فأنهم يميلون دائما الى الصناعه . وقد افاد وجودهم مصر كثيرا .

١- دكتور محمد فؤاد شكرى : حضارة مصر الحديثه (محاضرات سنة ٩ص٤٣)

٢- دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٢٤٦

3 - A.A./ Vol.?.Desp.7.p.6I.

4 - Cromer : op.cit.p.?48. / .

وتعلم منهم المصريون صناعات كثيره خاصه تلك الصناعات التى تحتاج الى مهاره فائقه وعلى العموم فأن الايطاليين الذين كانوا يقيمون فى مصر لم يختلفوا عن زملائهم فى ايطاليا ومن ناحيه اخرى كان يوجد بمصر بعض الايطاليين من الطبقه المتوسطه الذين كونوا لهم عائلات فى مصر • واقاموا بها مده طويله وتلك الفئه تعتبر من الاجانب الشرقيين (اللفانت) وهم بذلك يختلفون كثيرا عن الانجليز المقيمين فى مصر [1]

وكانت حياتهم اليوميه تتصف دائما بالصخب وخاصه عندما كانوا يجتمعون فى المقاهى الخاصه بالاجانب والتى كانت توجد بكثره فى الاسكندريه • [2]

٤ - الجاليه اليونانيه •

بكر اليونانيون بوجه خاص فى المجئ الى مصر سنة ١٨١١ وانخرط عدد منهم فى جيش محمد على بعد ان قضى على المماليك فى مذبحة القلعه واشتغل اليونانيون عامه بالشئون التجاريه [3]

وكما سبق الاشاره فانه عندما انقطعت العلاقات السياسيه والدبلوماسيه

I - Cromer : op.cit.p.248.
2 - A.A : Vol.3.Desp.7.p.60.

٣ - دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٢٤

والمعاملات التجارية بين الباب العالي ودولة اليونان تقرر ترحيل اليونانيين المقيمين في مصر وذلك في عصر عباس الاول (١) .

وقد توسطت فرنسا لحماية الرعايا والاشخاص اليونانيين وبذلك تقرر السماح لابناء المستخدمين لمساعدة الذين يرغبون بقبول التبعية المحلية . "وان تعطى لهم تذاكر لترحيلهم تدون فيها اعمالهم واسماؤهم" (٢) .

وينقسم اليونانيون المقيمون في مصر الى فئتين / الفئة الاولى وهم سلالة اليونانيين الذين اقاموا في مصر منذ الفتح العربي ، وهم يتكلمون اللغة العربية . ويتشبهون بالعرب في سلوكهم وعاداتهم ، ويشتغلون بالتجارة في المدن والاقاليم .

اما هؤلاء الذين أتوا من المورة والبانيا والجزر الاخرى ، فيكونون فئة اخرى تختلف عن الفئة الاولى ، وكانوا يعملون ايضا بالتجارة ويكونون بحرفهم نتيجة لذلك ثروات كبيرة ويقيم معظمهم في الاسكندرية ، وقد بلغ عدد اليونانيين الشرقيين في عصر محمد علي حوالي ثلاثة الاف ، اما اليونانيون الغربيون فبلغ عددهم الفين وينتمون الى الكنيسة اليونانية (٣) .

١- امين سامي تقويم النيل وعصر عباس الاول وسعيد صـ ١٧ نقلا عن :
دفتر ٥ إرادة الكتخدا ص٢٤٢ في ١٨ رجب سنة ١٢٧٠

٢- امين سامي : نفس المصدر السابق نقلا عن :
دفتر ٥ إرادة الكتخدا ص ٢٦١ في ١٦ رمضان سنة ١٢٧٠

3 - Madden R.R : Egypt and Moh.Ali.pp.36;37.

.. / .

ومن الناحية الدينية ينقسم اليونانيون الى مذهبين اساسيين :

الاول : وينتمي اليه الاغلبية منهم حيث ينتمون الى المذهب الارثوذكسي في القسطنطينية ويتبعون البطريرك هناك . أما المذهب الثاني فهو يشبه مذهب الارمن الكاثوليك في تركيا ويتبعون البابا (1) .

والسؤال الذي يعتبر جديرا بالمناقشة هو : الى أي مدى يمكن اعتبار اليونانيين الذين ولدوا وتربوا خارج اليونان والذين عاشوا في تلك البلاد صادقة ، من ابناء اليونان ؟ وعلى العموم يمكن أن نقول انه بالرغم من معارضة الحكومة المصرية ، فأن معظم اليونانيين الذين كانوا يتحدثون باللغة اليونانية ، كانوا يسعون دائما ليحصلوا على الامتيازات الممنوحة للرعية اليونانية في مصر . (2)

ونظرا لطول المدة التي اقامها اليونانيون في مصر فاصبح اليوناني يتحدث اللغة العربية ويتقنها أكثر من اتقانه للغة اليونانية نفسها . ويتصف اليوناني عموما بقلة الشكوى لقنصله ولذلك كان يلجأ دائما للمحاكم الاهلية في مصر ، والبعض يفعل ذلك بارتياح والبعض الآخر يلجأ للقنصل اليوناني (3)

I - Wc.Coan : Egypt as it is .pp.33,34.

2 - Cromer : Modern Egypt.Vol.2.p.250.

3 - Adams(F): The New Egypt.pp.6 5166.

.. / .

ولقد احتكر اليونانيون عموما تجارة التجزئة في مصر السفلى وانتشر تجارهم في معظم شوارعها . وبسبب علاقاتهم الوثيقة بالمؤسسات المختلفة في السلطنة وبمعرفتهم العميقة بالعادات واللغات المحلية فانهم استثمروا – دون خوف – رؤوس اموالهم في وقت كان يخشى فيه اي شخص أن يخاطر بأمواله .(١)

ولقد اصبح عدد اليونانيين في مصر سنة ١٨٧٢ حوالى ٢٤٠٠٠ شخص ولكن عددهم اصبح ٣٠٠٠٠ فقط سنة ١٨٧٩ ويشمل ذلك العدد ايضا هؤلاء الذين كانوا يطلبون الحماية اليونانية وهم ليسوا اقلية . ولان قنصل اليونان في مصر يمنح دائما تلك الحماية بسهولة . وان قلة عددهم بعد سنة ١٨٧٢ ترجع الى اضطراب الامور في مصر في تلك الفترة وان عددا كبيرا من اليونانيين الاثرياء . وخاصة في الاسكندرية قد انضموا ضمن جموع المصريين . وساهموا في اقتصاديات مصر وقد مارس اليونانيون – بنجاح – اعمال الربا والاعمال الاخرى ونظرا لان اليونانيين كانوا يفكرون دائما في جمع الاموال بأية وسيلة فقد مارسوا اعمالا مختلفة . فكانوا يعملون في المقاهي والمطاعم وحوانيت البقالة وكذلك تهريب البضائع . والاعمال المصرفية .(٢)

I - A. Sacré, et, L. Outrebon: L'Egypte et Ismail Pacha. p. 214.

2 - Bemmelen(V): L'Egypte et L'Europe, par un ancien juge mixte, p. 31.

../.

٥ - الجاليـــه الارمنيـــه :

لقد استخدم الارمن بوظائف الاداره اسوه بالاقباط ، تلك الوظائف التـــي يبـــدو انهـــا كانت مفتوحـــه للجميع ، وقد ارتفع شـــأن الارمن في مصـــر الى حد كبيـــر ، بفضـــل ماتمتع به بوغوص بك في كنـــف محمد علـــي من نفـــوذ واســـع وجاه عريض (١)

وكما سبقت الاشاره فقد بلغ عـــدد الارمـــن - فـــي عهـــد محمـــد علي - حوالى ٢٠٠٠ أرمني وكانوا يعملون بالتجاره ، وكانـــوا على علاقـــه حســـنه بالاتراك ، وتمتلىء متاجرهم بالبضائع الراقيه ، مثـــل الفـــراء والمجوهرات والحرير الثمينه والتحف وخلافـــه .

كما أن معظمهم كان يعمل في دواوين الحكـــومه وكانوا يتصفـــون بالنظـــام والامانه وكانوا - من الناحيه الدينيه - ينقسمون الى مذهبين : الجـــزء الاكبر منهم لا يعترفون بسلطان البابا ويتبعون البطريرك الارمـــني والاقليـــه منهم كانوا يتبعون الديانه الكاثوليكيه الرومانيه والخلاف بسيط جـــدا بين الديانتين ، ولكن الكراهيه بينهـــم كانت شديده . (٢)

وكانوا يختلفون قليلا عن الارمن في تركيا في العادات والتقاليد والســـلوك (٣) وكان تعلمهم في اللغـــات يؤهلهم بنوع خاص لوظائف السكرتيرين والتراجمه ،

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكرى /: بناء دولة مصر محمد على ـــ نقلا عـــن تقرير بوالكمت الفرنسي الى حكومتـــه

2 - Madden R.R: op.cit.pp.95,96.

3 - Mc.Coan : op.cit.p.34.

.. / ..

وهى وظائف لها أهميتهـا ، كما اشتغل كثير منهم فى صناعـة الذهب والفضة ، واشتغل البعض الاخر بالصناعات اليدويه المختلفـه وهم فى جملتهم على شـىء من التعليـم .[1]

ومما شجع الارمن على الاقامه فى مصر والترقى لأعلى الوظائـف التسامح الدينى الذى اشتهر به محمد على وفى ذلك يقول " بورنج " لا يمكن ان ينشـأ أى خلاف حول التسامح الدينى الذى اشتهر بـه محمـد على . لقد جعل محمـد على المسيحيين متساويين مع المسلمين بل انه فى بعض الاحيان اعطى المسيحيين الوظائف العليـا والمسلمين الوظائف الثانويـه . (٢)

ومن اشهر الشخصيات الارمنيه فى مصر فى ذلك الوقت نوبار باشـا وكذلك بوغوص ، الذى كان يتمتع بكفاءه ملموسه ،وكذلك يعقوب ارتين باشـا الذى قام بدور هام فى تطوير التعليم فى مصـر (٣)

وقد عرف عن الارمـن نشاطهم الـذى كلل بالنجاح فى القوقاز وروسـيا الجنوبيه ونظـرا لذكائهم واتصافهم بالذوق السليم ،فقد فاقوا اليهود واليونانيون

١ـ محمد فؤاد شكرى : بناء دولة محمد على صـ ٣٩٢ ـ نقلا عن تقرير بورنج الانجليزى عن احوال مصر سنة ١٨٣٧

2 - Charles Roux (F): L'Egypte de 1801 à 1882.p.57.
3 - Cromer : op.cit.p.221.

فى الامور العاليه . وفى مصر ايضا كان الطرسق ممهدا أمامهم لتحقيق غرض النجاح . وأصبح الارمن يمثلون غالبيه لا بأس بها فى المجتمع الشرقى بوجه عام .

وهناك شىء جدير بالملاحظه بالنسبه لعادات الارمن المقيمين فى مصر ، فعندما يدخل احدهم على احد الباشوات الاتراك ، يقوم بحركات بيديه كثيره يعبر بها عن احترامه لذلك الباشا ، ويشير اليه بالجلوس باستعاض .

ولكن الارمنى لا يجلس فى الحال ، بل يضع يده فوق صدره وعينيه على الارض ، ويتحرك ببطء ، ثم يجلس على حافة احد المقاعد واقدامه متشابكه ويديه مازالت على صدره ، ويظل فى هذا الوضع حتى يتكرم الباشا بتوجيه بعض الكلمات متحدثا اليه . وهذه التصرفات لا تصدر عن الارمنى المهذب الذى بلغ قدرا ممتازا من التعليم . لقد كان الارمنى يتذكر دائما انه يعتبر احد المسيحيين الشرقيين وان الاتراك هم حكامه المستبدين . (٢)

ويتحدث الارمنى فى مصر لغتين الارمنيه والتركيه بدرجه لا بأس بها حتى هؤلاء الذين مكثوا اعواما عديده فى مصر يتقنون اللغه التركيه (٣)

---

1 - Van Bemelen : op.cit.p.31.

2 - Cromer : op.cit.pp.219,220.

3 - Harris : Egypt under The Egyptians.P.175.

.. / .

٦ـ اليهود في مصر :

يقدر " لين " Lane عدد اليهود في مصر أيام محمد علي بحوالي ٥٠٠٠ ره أما كلوت بك فيقدرهم بحوالي ٧٠٠٠ر والرقم الاخير اقرب الى الصواب • وكان لهم معبدين في الاسكندريه وثمانيه في القاهره • وكانوا يدفعون الضرائب المقرره مثلهم في ذلك مثل المسيحيين • ويقولون دائما ان القانون يحميهم من الاهانه • وكانوا مكروهين من المسلمين • فقد حدث ان أساء شاب مسلم معاملة احد اليهود • وكان مسنا واعمى وفقيرا • ولجأ بعض زملائه من اليهود الى حوانيتهم وهم مذعورين عندما صاح الشاب المسلم قائلا : سوف اجعلك تدفع الثمن غاليا لتحدثك ضد الدين الاسلامي • وكان السبب الاساسي لتلك المشاجره ان الشاب المسلم كان يطالب اليهودي العجوز بمبلغ مائة وخمسين قرشا قال انها دين عليه • ولما اعتذر اليهودي عن عدم الدفع لفقره اهانه الشاب المسلم تلك الاهانه البالغه (١)

وعلى العموم فقد تحرر اليهود للمهانه واصابوا من الغنائم ما قدر عليهم ان يلقوه في كل بقاع العالم (٢)

I - Madden R.R: op.cit.P.88.

٢ـ دكتور محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي ـ نقلا عن : تقرير دي بوالكمت الفرنسي الى حكومته •

ويتحدث كلسوت بك عن اليهود قائلا :

" يقطن يهود مصر خاصة في القاهرة ، وذلك في الحي الخاص بهم ، وتنتشر شوارعه بأنها ضيقة ، مظلمة ، قذرة ، تفوح منها رائحة العفن ، وتكاد تكون قاصرة عليهم وهم معزولين تقريبا عن باقي سكان مصر ، ومنازلهم تقترب من بعضها البعض وسيئة التهوية ومظهرها بائس ، ومن الناحية الجسمانية يختلف اليهود عن باقي سكان مصر ، وكذلك يختلفون عن يهود اوروبا ، وبصفة عامة ملابسهم قذرة وممزقة وسيئة المظهر ، ووجوههم هزيلة شاحبة ، ويرجع ذلك لاستهلاكهم الزائد لزيت السمسم ، ويتصفون غالبا بالجهل متعصبين لدينهم مما اغضب باقي سكان مصر منهم ، ويتدخلون في شتى الاعمال والحرف ولا يستهينون بأحد الاعمال مادامت تدر عليهم الربح مهما كان بسيطا ، أما من ناحيتهم يشعرون بالقسوة والعداء (١)

ويعاملهم الجميع باحتقار بالغ ولكن في عهد محمد على كانوا يعاملون بشيء من التسامح مما على تحسين احوالهم وكانت الحكومة المصرية تحرص على حمايتهم اكثر من اية دولة اخرى في الشرق

I - Fargeon (M): Les Juifs en Egypte.p.I58.

.. / .

وقد تمكن بعضهم من تحقيق بعض النجاح في الاعمال المصرفية وتجارة الجملة ، ولكن الغالبية العظمى منهم كانوا يشتغلون في وظائف صغيرة كوسطاء في السمسرة او صغار الموظفين في الحكومة والمحلات التجارية ، او كصناع في بعض الصناعات اليدوية البسيطة (١)

وتتصف مدارسهم بالقذارة ، وبالرغم من انهم يتصفون دائما بالجهل ، والتعصب فانهم متحابين فيما بينهم خصوصا اذا احتاج احدهم للآخر يجد منه المساعدة المادية (٢) .

وقد بلغ عددهم في عهد سعيد في مدينة الاسكندرية وحدها حوالي ٢٠٠٠ يهودي (٣)

واستمر اسماعيل في معاملتهم واتاح لهم فرص التقدم في التجارة والصناعة واعمال الربا (٤) ويوجد بينهم عدد كبير من اليهود الفقراء الذين يعيشون على الصدقات التي يمنحها لهم الاغنياء منهم (٥)

اما الناحية الجنسية ، فنظرا لعدم اختلاطهم بأية عناصر اخرى في مصر بالزواج او غيره ، فقد احتفظوا بالملامح الخاصة التي اشتهر بها اليهود في الشرق .

I - Mc.Coan : op.cit.pp.34,35.

2 - Madden : op.cit.pp. [illegible].

3 - Fargeon : op.cit.p.157.

4 - Ibid : p.159.

5 - Ibid : p.158.

ويتصف ذلك في صفرة الوجه والعيون الزرقاء او الرمادية

اللون ، واللحية البنية والعيون والتي تشوبها الحمرة والتي تختلف

كثيرا عن ملامح الارمن مثلا والاديان الاخرى في غرب اوروبا

ولانهم يتبعون نظاما رديئا في الطعام واستخدام الزيت في

طهي الكثير من الاطعمة التي يتناولونها فأنهم يبدون دائما في

صحة سيئة واجسامهم ضعيفة مما يجعلهم مميزين عن المسيحيين .

والمصريين على السواء بتلك الملامح (١)

٢- الجالية السورية .

كان السوريون - في عصر محمدعلي - يوجدون بكثرة

في مصر ، خصوصا دمياط ، ويبلغ عددهم خمسة آلاف شخص

وينتسب معظمهم للكنيسة الكاثوليكية المارونية ويعتبرون من اغنى الاجانب

الشرقيين في مصر . ويعيشون في عزلة وكانت نساؤهم يتصفون بالجهل

وكانوا يستمدون اهميتهم من المركز الممتاز الذي يشغلونه

في مصر وخاصة في عصر اسماعيل ، وان اعدادا لا بأس بها منهم كانوا

يشغلون مناصب كبيرة في الحكومة .

I - Mc.Coan : op.cit.p.35.

2 - Madden : op.cit.p.87. / .

وفي كل قريـــه تقريبـــا تجـــد احد المرابين الذى ان لـــم يكـــن يونانيـــا فهو بالطبع ســـورى . وبالرغم من كثرة عدد اليهود فـــى مصـــر فـــأنه من الصـــواب ان تقـــرر ان الســـوريين قد شـــغلوا الوظائف التى يشغلها اليهود في معظـــم دول غرب أوروبـــــا وكانت فئـــات الشـــعب المختلفه تنظر اليهم بعين الاحتقـــار . تلك النظـــره التى ينظر بها دائما المدين الى الدائن المرابى . ولقـــد اكتســـب المرابى الســـورى شهره واسعه بأنه شـــاذ شحيح يتصف بالقسوه وعندما اشتد الطلب في البدايه على الموظفين كان عـــــدد المصريين الذين اتوا من اوروبـــا غير كافيـــا وفي الوقت نفســـه فـــأن المصـــرى الذى تعلم في اوروبـــا كان أقـــل خبره من زميله السورى الذى يفوقـــه سياسيا واجتماعيـــا . ولقد واتت الفرصه السوريين واستفادوا منهـــا الى حد كبير . وذلك لان الســـورى يتصف بكل الصفات المطلوبه . فهـــو يتكلم العربيه ويتقنها . كما انه غالبـــا يعرف اللغه الفرنسيه لانه يتعلم فـــى المدارس الفرنسيه في ســـوريـــا . ويتقن الاعمال التى تعهد اليه ويمتـــاز بالتطور والطموح . وأن تنقص مقدرتـــه وكفاءتـــه لاحد لها فهو يمتلك المواهب انه لويه في كل المجتمعات العالميه . على ذلك لم تقف الصعوبات في سبيل حصوله على السلطه ويتقدم في عمله لمعرفته بالروابط المتينه بينه وبين المصريين .[1]

I - Cromer : op.cit.pp.2I4,2I5.

../.

جاليات أخرى :

من الجاليات الاجنبية التي قامت في مصر في القرن التاسع عشر الجالية الاسبانية : وكان يعمل في خدمة محمد علي خمسة او ستة من الاسبان (١).

ومن احصائية اصدرتها الحكومة المصرية سنة ١٨٧٩ ان عدد الاسبان اصبح ١٠٠٣ شخص ، وأن الانسان ليعتقد من النظرة الاولى ، أن العدد مبالغ فيه ويمكن ان يكون ١٠٣ بدلا من ١٠٠٣ خصوصا وان عدد الاسبان سنة ١٨٧٢ كان ١٨٥ فقط ولابد ان يخضع للتقلب بعد تلك السنة مثله في ذلك مثل الجاليات الاجنبية الاخرى التي تلك اعدادها في الفترة مابين سنة ١٨٧٢ وسنة ١٨٧٩ وعلى العموم . فان زيادة عدد الاسبان في مصر في تلك الفترة من ١٨٥ الى ١٠٠٣ غير موثوق به مالم تكن القنصلية الاسبانية قد قامت في سبيل الحصول على عدد اكبر من الرعايا الاسبان بمنح الحماية لمن يتقدم بسهولة ويسر (٢)

ومن الجاليات الاجنبية ايضا الجالية الالمانية وكانت قليلة العدد

واحتفظ الالمان في مصر بصفاتهم الاصلية وكانوا يختلفون كثيرا عن زملائهم في المانيا (٣)

وأخيرا الجالية النمساوية من النمساويين الذين لم يأتوا من النمسا نفسها ولكن من مدن مجاورة لتريستا ومعظمهم من اليهود ، وأن لغتهم غالبا ليست الالمانية بل الايطالية . (٤) Here

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي

2 - Van Bemmelen : op.cit.p.3[illegible].

3 - Cromer : op.cit.p.2[illegible].   4- Ibid:p.2[illegible].

((الفصـــل الثالـــث))

أهم الأعمال والمهن التي احترفهـــا

الأجانب في مصـــر

Scanned by CamScanner

أولا : التجارة

كان النشاط الاوربي في مصر في العصر العثماني وخاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر وهو نشاط تجاري صرف ، كان يتولون تمثيل المصالح الدول الاوربية او على وجه الخصوص انجلترا وفرنسا ، وكانت هذه المصالح تتنافس في الاستئثار باستخدام طريق السويس البحري للاغراض التجارية ، بالاضافة الى صيانة مصالحهم (الانجليز والفرنسيين) في البيوت التجارية الهامة التي انشأوها في مصر وتأمين تجارتهم في القاهرة والاسكندرية والسويس بوجه خاص ، ومنع اعتداءات العربان وغيرهم على القوافل التي تحمل تجارتهم التي كانوا يجلبونها من اوربا عبر برزخ السويس في طريقها الى الاسواق الشرقية او التي كانوا يجلبونها من الهند والشرق عامة الى الاسواق الاوربية (١)

وكان بمصر في اول القرن التاسع عشر عدد قليل من كبار التجار الاجانب المعروفين بأسم التجار بالجملة ، ولكن عددهم أخذ يتزايد حتى وصل حوالي ٤٠ سنة ١٨٤٠ ويقيمون غالبا في الاسكندرية وكذلك زاد عدد محلات التجارة الاوربية في مصر فبلغ ٤٤ محلا في الاسكندرية حوالي سنة ١٨٤٠ بعد ان كان لا يتجاوز ١٦ محلا في سنة ١٨٢٢ ومن تلك المحال ١٣ محلا فرنسيا ٢٥ محال انجليزية ، ٩ نمساوية ، ٨ تسكانية ، واثنان من سردينيا ، وواحد دنمركي وواحد هولندي .

١- دكتور محمد فؤاد شكري : حضارة مصر الحديثة (محاضرات سنة ٥٩) ص ٦٣

وواحد بروسى ، وواحد يونانى وفضلا عن تلك المحال الاوربية ، كانت بالاسكندرية ٦ محال لتجارة المسلمين ، ٤ محال لتجار بلاد الشرق وهم يونانيون جميعا وفضلا عن ذلك كان بالاسكندرية حوالى ١٨٤٠م نحو مائة حانوت للتجار الأوربيين بالتجزئة (١) اما التجار الاجانب المشتغلون لحساب انفسهم بالقاهرة . فكان عددهم قليلا ، ومع ذلك كان بها وكلاء من البيوت التجارية بالاسكندرية . وكان بالقاهرة حوالى سنة ١٨٤٠ محل انجليزى ، ٩ محال نمساوية ، ٤ محال تسكانية ، واثنان سردينيان ، واثنان يونانيان ، وغيره لرعايا العثمانيين من بلاد الشرق ، ٦٣ لتجار صغار من الاتراك والمغاربة والمصريين ، وقد زاد عدد التجار الاجانب في مصر ، وعدد محلات التجارة الاوربية تبعا لنمو تجارة مصر الخارجية اثناء القرن التاسع عشر وبخاصة في الاسكندرية بعد سنة ١٨٧٢ .

وقد تقدمت أنجلترا على فرنسا في علاقات مصر التجارية حوالى سنة ١٨٣٢م بعد ان كانت تجارتها مع مصر ضئيلة في اواخر القرن الثامن عشر حينما كانت لفرنسا تجارة رائجة مع مصر وبخاصة تجارة المنسوجات ، وكان التجار الفرنسيون اهم جالية اجنبية في مصر ...

١- دكتور احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص٣٠٤-ص٣٠٥

ويرجع تفوق انجلترا على فرنسا فى ذلك الميدان الى تقدم صناعة المنسوجات القطنيه فى انجلترا مما أدى الى انخفاض ثمنها عن المنسوجات الفرنسيه واكتسابها السوق المصريه تبعا لذلك ، وايضا الى مقدرة انجلترا أكثر من أية دولة أخرى على شراء معظم القطن المصرى لاستهلاكه فى مصانعها ، وقد أصبح القطن اذ ذاك أهم الصادرات المصريه وكذلك الى اهتمام الانجليز بتنمية مصالحهم التجاريه فى مصر بينما كان القنصل الفرنسى يسعى جهده لتوظيف الفرنسيين فى الحكومة المصريه (١) .

وكان اشهر التجار المعروفين فى الاسكندرية فى عصر محمد على من الانجليز والفرنسيين والايطاليين واليونانيين والأرمن (٢) . (انظر الملحقات) واعطيت لهم التسهيلات اللازمة (٣) . وبالرغم من أن عدد أفراد الجالية الانجليزيه المقيمة فى مصر كان قليلا الا أنها كانت تتكون بصفة رئيسية من التجار الذين يقيمون فى الاسكندرية والذين كانوا يستخدمون بعض الرعايا الانجليز كمندوبين لهم فى أقاليم مصر كما أن معظم التجارة الخارجيه كانت فى أيدى المؤسسات الانجليزية (٤) .

أما صغار التجار وتجار التجزئة فكان معظمهم من اليونانيين وهؤلاء لهم

---

١ — احمد الحته (دكتور) : نفس المصدر السابق ص ٣٠٦

2 - James Augustus(St.John):Egypt and Moh.AliVol.2.p.44I.

٣ — دفتر رقم ٣ المعيه تركى أمر كريم رقم ١١٠ فى ٨ ذى الحجة سنة ١٢٣٣ (١٨١٨)

4 - Cromer : Modern Egypt.Vol.2.pp.252,253.

خبرة لا بأس بها في تجارة التجزئة ، فاليوناني كان يخاطر بحياته في سبيل الربح البسيط بل انه كان يوجد في كل قرية بقال يوناني ، بل لقد امتد نشاطهم إلى أقصى حدود السودان والحبشة (١) .

فكان البقال اليوناني يبدأ في فتح حانوته بأبسط الوسائل فيبدأ مثلا ببيع الخبز ، والبصل والجبن ، وليس اكثر من ذلك ، وهو ينام ليلا تحت احدى المناضد في حانوته الصغير وعادة يرتدي ملابس غير نظيفة ، وكان يشتري بربحه القليل بضائع جديدة ، لانه ليس ملتزما بمصروفات باهظة (٢)

والوثائق المتعلقة بالفترة موضع البحث عامرة بأمثلة عديدة من الاجانب المقيمين في مصر والمشتغلين بالتجارة والتي لم تقتصر على اصناف معينة (٣) ، منهم من يقوم بتوريد مهمات للجيش (٤) ومنهم متعهد توريد الاسلحة (٥) والبعض الآخر يقوم بعمل الملتزم (٦) وغير ذلك من الاعمال التجارية .

ولم يقتصر الامر على اشتغال الاجانب بالتجارة ، بل أن ناظر التجارة في عصر محمد على وهو بوغوص كان اجنبيا من الارمن (٧)

I - Cromer : op.cit.pp.250,251.

2 - Harris : Egypt and The Egyptians.p.173.

٣) محفظة ٣٢ معيه تركي وثيقة ١١٢ في ١٤ ربيع اول سنة ١٢٧٢

٤) " ٣٨ " " " ٤٢ في ٦ ربيع ثان سنة ١٢٧٢

٥) " ٤٨ " " " ٨١ في ١٦ ذو القعدة ١٢٧٣

٦) " ٤٢ " " " ١٨٧ في ٢١ شعبان ١٢٧٢

٧) دفتر ٣ المعيه ص ٥٠٠ في ٢١ ذو القعدة ١٢٤٢

وفي سنة ١٨١١ كون محمد علي مجلساً "أو ديوان" من سبعة أعضاء كي يبحثوا في العلاقة بين الخزانة والتجار الأوربيين.(١)

وفي سنة ١٨٢٦ أنشئت في القاهرة محكمة تجارية مختلطة [illegible] في جميع المنازعات التجارية بين التجار الذميين أنفسهم (المسيحيين واليهود) وبينهم وبين الأوربيين إذا كان المدعون منهم. وتبحث المحكمة جميع مسائل الحسابات المتنازع عليها حتى حسابات المدينين للحكومة. أما أعضاء المحكمة فيختارون من بين أفراد الشعوب المختلفة التي استقر بها المقام في مصر. فيها تاجران من الأتراك وثلاثة من المصريين، واثنان من المغاربة، واثنان من الكاثوليك اليونانيين واثنان من اليونانيين الذين لا يتبعون الكنيسة اليونانية واثنان من الأرمن، واثنان من اليهود ويرأس الجميع تاجر تركي. وتعقد المحكمة جلساتها ثلاث مرات في الأسبوع لانجاز أعمالها ولرئيسها الحق في أن يقبض على المدين المماطل ويلقي به في غيابة السجن. ويظهر من هذا أن الحكم كثيراً ما يؤثر فيه تدخل الموسرين وذوي النفوذ، كما أن مطالب الفقراء لا تلقى ما تستحقه من العناية لأن الرشوة لابد أن تكون لها آثار سيئة. وفي الاسكندرية محكمة شبيهة بهذه المحكمة.(٢)

---

1 - Dodwell (H): The founder of Modern Egypt.p.205.

٢- محمد فؤاد شكري (دكتور) بناء دولة مصر محمد علي ـــ نقلاً عن تقرير بورنج الانجليزي عن أحوال مصر سنة ١٨٣٧

وبعد ذلك صار تطوير تلك المحكمة التجاريه واصبحت تسمى مجلس التجار الذى كان يتكون من خمسة من التجار الوطنين وخمسة من التجار الاوروبين ومن الشخصيات التى تولت رئاسة هذا المجلس أرتين بك (١) .

وان انخفاض قيمة النقود وغلاء الاسعار وخاصة أسعار البضائع الوارده من اوربا فى عصر محمد على كانت من اهم اسباب ركود التجاره فى مصر بوجه عام (٢)

اما عباس الاول فقد قيد حركة التجاره الداخليه فمنع بذلك الاوروبيين وخاصة اليونانيين من مغادرة الاسكندريه والقاهرة للانتشار فى الريف والاتجار مع الفلاحين غير ان التجار الاجانب زاد عددهم زياده كبيره فى عهد محمد سعيد لضعف ذلك الوالى وثروة البلاد وحريتها الداخليه وخاصة حرية التجارة (٣)

وقد اشتكى التجار الاوروبيين فى السودان من معاملتهم هناك فاصدرت الحكومه المصريه لائحة يناير سنة ١٨٥٢ بكيفية معاملتهم رغبة منها فى منع اسباب شكاياتهم (٤) (انظر الملحقات) وعلى العموم كان الاجانب يماطلون فى دفع الضرائب المستحقه عليهم وكان على الحكومه ان تطالبهم بها مرات عديدة حتى يقوموا بسدادها (٥) .

---

١) محفظة ٢٨ معيه تركى وثيقه ٦٥ فى ٨ صفر سنة ١٢٢١ (سنة ١٨٥٤)

2- Driault(dward):Moh.Aly et Napoleon.pp.244,245.

٣) احمد الحته (دكتور) الاجانب فى مصر والسودان ص ١١٢ نقلا عن

A.A:From dwin De Leon,Alex.185 8;Sabry:L'Empire gyptien pp.17,32,77,47.

٤) نفس المصدر السابق ص ١١٤ نقلا عن لائحة مجلس العموم فى ٥ ربيع اول سنة ١٢٦٨ (دفتر مجموعة ادارة ص ٣٦ _ ٤٣٢

٥) دفتر ٤٢ المعيه تركى وثيقه ١٠٣ فى ١ ربيع اول سنة ١٢٤٦ (سنة ١٨٣٠)

وكانت الجمارك في عهد محمد على معطاة بالالتزام لتجار من الاتراك والارمن مقابل دفع مبلغ من المال للحكومه وكانت مصر انذاك تنفذ السياسة الجمركية المقرره في الدولة العثمانيه على حسب الامتيازات الاجنبيه وتبعا لتلك السياسه كان الاجانب المتمتعون بتلك الامتيازات يدفعون ضريبه على الواردات مقدارها ٣٪ بينما يدفع المسلمون ٤٪ والذميون ٥٪ فضلا عن اتاوات جبريه وفوائد مرور لا يدفعها الاجانب ٠ اما الصادرات فكان هؤلاء الاجانب يدفعون عنها ٣٪ ايضا وفضلا عن ذلك الامتياز كانت سفن الاجانب لا تُفتش على حمولتها ولا تعرض عليها عوائد مبناء اللهم إلا نصف دولار أو دولار واحد مقابل اذن التخلص من الجمرك وقد حاولت محمد على زيادة الرسوم الجمركيه على الواردات الاجنبيه رغبة في حماية الصناعات الوطنيه ولكن السلطان العثماني اصدر اليه فرمانا في سنة ١٨٢٠ بضرورة تنفيذ الامتيازات الاجنبيه التي تنص على حق الاجانب المتمتعين بها في ادخال بضائعهم في جميع انحاء الدوله العثمانيه مقابل دفع ٣٪ من قيمتها رسوم واردات ٠ وبذلك نفذ محمد على السياسه الجمركيه المبنيه على الامتيازات الاجنبيه (١)

---

(١) احمد الحته (دكتور) : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر ٣١٢ - ٣١٩

وفي سنة ١٨٣٨ عقدت انجلترا معاهده تجاريه مع تركيا وفيها حددت الرسوم الجمركيه على الصـــادرات بواقع ١٢٪ من قيمتها منها ٩٪ عند وصولها الى ميناء التصدير ٣٪ عند تصديرها ، اما الواردات فقد حددت الرسوم الجمركيه بواقع ٥٪ من قيمتها وعندما نفذ محمد على هذه المعاهده بعد تسوية النزاع بينه وبين السلطان العثماني سنة ١٨٤٨ اخذ في تنفيذ السياسه الجمركيه التي نصت عليها تلك المعاهده ...

وقـــد استمرت مصـــر في تنفيـــذ تلك السياسة حتى عقدت فرنسا مع تركيا معاهده في ابريل سنة ١٨٦١ وفيها حددت الرسوم الجمركيه على الصادرات بواقع ٨٪ من قيمتها على ان يخفض هذا الرســم ١٪ كل سنه حتى يصل ١٪ وعندئذ تصبح الرسوم الجمركيه على الصادرات بواقع ١٪ من قيمتها اما الواردات فقد حددت الرسوم الجمركيه بواقـــع ٨٪ من قيمتها ، وفي حالة الاختلاف في تقدير القيمه يؤخذ الرسم على الواردات عينـــا(1) وقد نفذت مصر السياسة الجمركيه التي نصت عليها تلك المعاهده واستمرت تتبعهـــا حتى سنة ١٨٨٤ . وقد فرضت الحكومه المصريه سنة ١٨٧٣ رسما جمركيا على الواردات . من الدخـــان والتنبـــاك بواقـــع عشرين قرشا على الاقه وذلك بناء على ما ورد فـــي معاهـــدة ســـنة ١٨٦١ من ان :

---

١ — احمد الحته (دكتور) : نفس المصدر السابق ٣١٤ — ٣١٥

تجارة الاسلحه وملح البارود والدخـان والملح لهـا شروط خاصه تحدد بشروط معينـه . وقـد خفض ذلك الرسـم الى خمسة قروش على الاقـه سـنة ١٨٧١ . ماعدا الانـواع الفاخـره فكان رسمهـا اكثر من ذلك .

وكذلك فرضت الحكومـه المصريه منذ سنة ١٨٧٠ عوائد المنائر على السـفن الاجنبيـه والوطنيـه التى تدخل الموانى المصريه لصيانة تلك المنائر وقد زاد مقـدار تلك العوائـد بأزدياد عدد المنائر على سواحل مصـر .

وايضـا فرضت الحكومـه المصريه سنة ١٨٧٤ على كل سفينه تجاريه تدخـل ميناء الاسكندريـه او تخرج منها ضريبـه بواقع ٤ بنسـات على كل طن تركـى ويسـاوى ٢٩٢ أقـه ان كانت محمله بالبضـائع او بواقع بنسين اثنين أن كانت فارغـه .

وكـذلك فرضـت الحكومه فى سنة ١٨٧٥ على جميع السفن الداخله فى ميناء الاسكندريـه ضريبـه مقابل ارشـادها بواقـع ٣ فرنكـات على كل قدم من الماء (١) .

---

١) احمد الحته (دكتور) / : نفس المصدر السابق ونفس الصفحات .

ثانيـــا : استخدام الاجانب فى الجيش والبحريه .

ومن اهم الاعمال التى تولاهـــا الاجانب فى مصر فى القرن التاسع عشر استخدامهم كخـــبراء لتدريب جنـــود وضبـــاط الجيش المصرى وكذلك فى البحريـــــه

من ذلك ان محمـــد على عهد الى المسيو (تورنو Tourneau) احد تجار الاسكندريه بمهمة البحث فى فرنســا عن مدربين لجيشـــه من بين ضباط الجيش الامبراطورى الســـابق على ان يفضـــل عند الاختيـــار أولئك الذين خدموا فى مصر أبان الحمله الفرنسيـــه بحيث تتألف البعثـــه المطلوبه من ضابط واحد برتبـــة (جنرال) اما سائر افرادها فيكفى ان يكونوا من الضبـــاط العاديين ، وبناء على هذا التكليف رحل (تورنو) الـــى الى فرنســا فى صيف عام ١٨٢٤ واتصل فى باريس بالجماعه التى ظلت تعرف فـــى فرنســا بأســـم (المصريين Egyptiens) لسابق خدمة افرادها فى مصر تحـــت امرة نابليـــون وكان من بينهم (بليـــار Belliard) الذى وقع معاهدة تسليم القاهـــره سنة ١٨٠١ ، (أدم فرنسوا جومار Edme François Jomard) عضو مجمع القاهرة القديم ، وقد لقى (تورنو) من اولئك المصريين ترحيبا وتشجيعا واخذ (بليار) على عاتقه مهمة تأليـف البعثه المطلوبه وفق رغبات محمد على ، فاختار لرياستها الجنرال البارون (بواييه Boyer) ، (بيير فرنسوا اكسافيه Piérre François Xavier) ولعضويتها (جودان Gaudin) (١)

---

١) دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ١٥٥ - ١٥٦

وادولف دى تارليه Adolphe de Tarlé وشقيقه بولان دى تارليه Paulin De Tarlé و (بوجول Pugol) ولوديو Lodieu) و (شنفيل Cheneville) وكذلك الجراح (دىفينو Duvignault) وقد انضم الى هذه البعثه ضابط اخر برتبة جنرال هو المركيز (دى ليفرون Livron) وجميع هؤلاء ممن كانوا بمصر ايام الحمله الفرنسيه ولبعضهم مواقف مشهوده وبخاصه فى عهد الجنرال مينو Menou

اما رئيس البعثه (بوايه) (١٧٧٢ — ١٨٥١) فقد تطوع فى خدمة الجيش سنة ١٧٩٢ وحارب فى جيوش الراين والسامبر والموز والبرانس ، الغرقيه) وشهد الحمله الايطاليه ثم تبع بونابرت الى مصر واصيب بجرح عند الهجوم على الاسكندريه وعين بعد ذلك حاكما عسكريا للفيوم وصحب بونابرت فى حملته على الشام ولكنه بقى فى مصر واخذ يكيد لمينو بالاتفاق مع رينيه Reynier و (داماس) Damas و (دور Daure) فاعاده (مينو) الى فرنسا مقبوضا عليه ولكنه لم يلبث ان عين رئيسا لهيئة اركانحرب الجيش فى (سان دومنجو) فوقع فى الاسر عند تسليم هذه الجزيره ولم يعد الى فرنسا الا بعد ثلاث سنوات فى يوليو سنة ١٨٠٦ ثم التحق بجيوش فرنسا فى المانيا واسبانيا والراين وشهد معركة فرنسا عام ١٨١٤ وانضم الى نابليون(١)

---

١) نفس المصدر السابق ونفس الصفحات

في حكم (المائة يوم) حتى اذا عزل الامبراطور عن عرشه نهائيا سرح (بوايه) من الخدمه العامله في عهد الملكيه الراجعية منذ سنة ١٨١٦ دون ان يتقاضى مرتبا ٥ واعتبر محالا على الاستيداع ابتداء من اول ابريل عام ١٨٢٠ وهكذا كان (بوايه) في عزلة عندما سعى الجنرال (بليار) ليحصل له على تصريح يمكنه من الخدمه في مصر مدة عشر سنوات

واما (بيير جاستون هنري مركيز دي ليفرون Piérre Gaston - Henry Marquis de Livron) (١٧٧٠ - ١٨٣١) فكان من ضباط العهد القديم في فرنسا تدرج في المناصب العسكريه ولكنه ترك الجيش في سبتمبر ١٧٩٢ وغادر فرنسا مع (المهاجرين) Emigrés ابان اشتداد الثوره ٥ وبينما كانت الحمله الفرنسيه محاصرة في مصر بعد تحطيم اسطولها في معركة ابي قير البحريه ٥ دخلت الاسكندريه في ٥ فبراير ١٧٩٩ سفينه من نوع الابريق قادمه من (راجوزه) على ساحل دلماشيا في بحر الادرياتك وكان على ظهر تلك السفينه اثنان من المواطنين الفرنسيين احدهما (هاملان) Hamelin والاخر (ليفرون) وكانا يملكان ما تحمله السفينه من منسوجات ونبيذ وما الى ذلك من المؤن المرسله الى الحمله وقد اجل بونابرت خروجه الى الشام مدة يومين حتى يتمكن من مقابلة الرجلين ومعرفة ما لديهما من اخبار وفي يونيو سنة ١٧٩٩ طلبا ان يعهد اليهما باحضار ستمائة الف اردب من القمح من الصعيد(١)

---

(١) دكتور محمد فؤاد شكري نفس المصدر السابق ص ١٥٦ - ١٥٧

الى بولاق ، ووافق بونابرت على ذلك ، وذكر (دور) Daure المشرف على تموين الحملة وقتذاك ، انه (ليفرون) اشترك في حملات سنة ١٧٩٩ ، ١٨٠٠ في مصر ، وكان على راس فرقة المماليك والاروام (اليونانيين) المكلفين حماية الغلال المجلوبة من الصعيد الى القاهرة ، في سنة ١٧٩٩ عهد اليه كليبر مهمة سرية في تركيا ، وفيما بين عامي ١٨٠٦ ، ١٨١٥ عين ليفرون في هيئة اركان حرب في نابولي ، ووثق به ملكها (ميرا) Murat احد قواد نابليون — ووكل اليه امر تنظيم سلاح الفرسان والاشراف على تموين الجيش بالاغذية والملابس ، مما اكسبه خبرة عظيمة في هذه المسائل ، ولم يغب على محمد على ما كان يتمتع به (ليفرون) من مزايا ، ولكنه لم يكن يريد على راس البعثة العسكرية سوى ضابط واحد برتبة جنرال ، لذلك راى ان ينتفع بمواهب (ليفرون) في نواح اخرى فصار يعهد اليه بشراء المهمات والادوات اللازمة لمصانعه من اوروبا ، كما بعث به الى فرنسا ليحصل على تصريح بصنع فرقاطتين وسفينة من نوع الابريق ، على نحو ما سبق ذكره .(١)

وقد ادرك محمد على منذ البداية ، انه من الضرورى ان يعامل اعضاء البعثة معاملة تميز بينهم وبين المدربين والمعلمين السابقين ، فخص رئيس البعثة بمرتب ضخم يبلغ في السنة خمسين الفا من الفرنكات ، اما مرتبات سائر الاعضاء فكانت تتراوح بين

---

١ — نفس المصدر السابق ونفس الصفحات

خمسة عشر الفاوثمانية الاف ، ويضاف الى ذلك بدل الغذاء وعلف الخيل ونفقات السفر واثمان الملابس ، ومع انه اشترط في عقود استخدامهم ، ان يخلعوا على انفسهم اسماء اسلامية ، دون حاجة الى تغيير دينهم ، فان اعضاء البعثة لم ينفذوا هـــذا الشرط ورغم ذلك لقي (بوايية) واخوانه من الباشا كل لطف وتشجيع ٠

وقد بعث بليار برسالة الى رئيس البعثة تحوى عـــدة ارشادات ونصائح منها ان يخلص في خدمة الباشا ، والا يتفرقوا رجال الحاشية ، (فان بوغوص يوسف والمســـتر (صولت) Salt وجميع ممثلى الدول الاجنبية ، سوف يرمقون بعين الحسد والغيرة وسوف يغض عليهم مضاجعهم اتصاله بالباشا عــن كثب لذلك كان من الواجب عليه ، بثا للطمأنينة في نفوسهم ان يظهر بمظهر الرجل العسكرى المنزه عن الغرض البعيد عن المسائل السياسية كل البعد ، بمعنى ان يكون رجـــل حرب فحسب ، استدعى بصفة مؤقتة لتنظيم الجيش ووسائل الدفاع عن البـــلاد وليس له امتياز على اى ضابط اخر له مثل مواهبه وخبرته سواء ا كان هـــذا الضـــابط انجليزيا ام نمساويا ام روسيا كما يجب عليه ان يكون هو وسائر اعضاء البعثـــــه ٠ ذوى حرص وبصيرة وفطنه ورزانة في جميع الظروف ، (لان الترك قوم يساورهم الشك ومن صفاتهم الغيره والحسد حتى انهم ليستطيعون ان يقرءوا في وجوه (بوايية) (١)

---

١ ـــ دكتور محمد فؤاد شكرى : نفس المصدر السابق ص ١٥٧

وصحبه ما يجول بخواطرهم ، وفى ٨ نوفمبر سنة ١٨٢٤ كتب "ڤليل" (Villele)

وزير الخارجيه الفرنسى الى (دروفتى) _ فيما يتصل (بوايه) و (ليفرون)

وزملائهما الى مصر ذاكراً له أن الحكومة الفرنسيه لم تشأ تزويدهم بأيــة

تعليمات شفويه أو مكتوبه بصدد مهمتهم ومع هذا فان على (دروفتى) أن يعنى

بكل ما يتصل بنشاط البعثه فى مصر حتى اذا ما لجأ اليه بوايه أو (ليفرون)

فى أمر من الأمور امتنع من اتخاذ أى اجراء قد يتعارض وسياسة الحكومـــة

ومع أنه كان فى وسع (دروفتى) بمقتضى التعليمات الصادره اليه أن يتصــل

بضباط البعثه ويصحبهم فى غدوهم ورواحهم ويقبل منهم ما يبدون الادلاء به من

المعلومات كتابة أو شفاهية ويقدم اليهم ما يشاء من نصائح بشأن مصالحهم

الخاصة أو الشئون الوطنيه العامه ويرشدهم الى ما ينبغى أن يكون عليــه

سلوكهم رغم هذا كلـه كانت تلك التعليمات نفسها توجب عليه ألا تتخذ العلاقات

بينه وبين أعضاء البعثه أيه صفة رسمية كما كان عليـه أن ينفى جميع ما قــد

يذيعه (بوايه) أو ليفرون) أو غيرهما من تشجيع حكومة الملك شارل العاشر

وتأييدها للبعثه لأن الباشا نفسه لن يسوءه بهذا التكذيب اذ أن اجازة الحكومة

الفرنسيه لهؤلاء الرعايا أن يلتحقوا بخدمته ، تحصل بين أطوائهـــا

دلائل الـــود الذى تكنه تلك الحكومـــة لجنابه العالى (1) واخــــيرا

---

١ _ نفس المصدر السابق ص ١٥٧ _ ١٥٨



نصح (دُلوبل) القنصل الفرنسى ان يصطنع الحذر والليباقة فى علاقاته مع اعضاء البعثه اذ اشاعوا قبل سفرهم فى غير حرص او احتياط انهم انما يذهبون الى مصـــــــر لمساعدة الباشا فى اعلان استقلاله عن الباب العالى .

وفى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٢٤ وصل (بوايه) الى الاسكندريه وزار الباشا فى ســـرايه بالثغر . وفى اليوم التالى تقدم اليه اعضاء البعثه وابلغ الباشا ان (ليفرون) بين رجالها . فاحسن محمد على استقبالهم . واعدا اياهم بالعطف والتشجيع وفى اول ديسمبر غادر (بوايه) وبعثتها الاسكندريه الى القاهره واخذ يعنى بتشكيل الآلايات الجديده وتنظيم القيادة العليا وسلاح المدفعيه وسلاح المهندسين العسكريين غير انه لم يلبث طويلا حتى بدأ ذرعــه يضيق بما كان يقوم فى طريقه من عوائــق بين وقت واخــــر وفى ٢٠ مايو سنة ١٨٢٥ كشف عن طرف من اسباب ضجرة فى كتاب بعثه به الى (جومار) حيث قال : "ليس من شك فى انك صدقت . كما صدق كل ما قاله المسيو (تورنو) من ان الجنرال الفرنسى سوف يكون فى هذه البلاد مسموع الكلمه مطاع الامر منظورا اليه بعين الاعتبار ولكنى لا احب ان تخدع نفسك فان عملى هنا مقصور على اصدار الاوامر طبقا للانظمه واللوائح ولا شئ غير ذلك اما الباقى فتتولاه السلطات التركيه وليس على ظهر الارض من يفوق هؤلاء فى إسائة الظن والجهل"(١)

---

١ - نفس المصدر السابق ونفس الصفحات .

والمجرفة والشراسة وتثبيط الهمم ،ولئن إذ أنكر ذلك لا أدخل في عداد هذه الجماعة ،أبناء العرب ،فهم يبعدون عن مناصب الحكم في هذه الديار ،بل انهم انفسهم مغلوبون على امرهم ،وهو ما يؤسف له حقا ، لانهم شعب يتمتع بمواهب نادرة وفي استطاعته ان يأتي بالجليل من الاعمال اذا احسن توجيهه ،وقد وجدت ادارة جميع الاعمال في مصر بأيدي الايطاليين ،كما وجدت اللغة الفرنسية منبوذة كما لو كانت مبعث خطر فلا يعلم في المدرسة الحربية غير اللغة الايطالية ،ولا يترجم سوى الكتب الاولية ،التي الفها الايطاليون ، وجميع الاساتذة الذي يقومون بتدريس الرياضيات ،واللغات والعلوم والاداب والفنون وما اليها من الطليان" .

على ان (بوايه) لم يضيق ذرعا بالترك والايطاليين وحدهم فقد بدأ الانقسام يدب بين اعضاء البعثة انفسهم ،منذ وضع على رأسها لمشاء احد اولئك الاعضاء وهو الكولونيل (جودان) Gaudin ،تاركا له حرية التصرف واظهر (جودان) من اللين والمرونة ما حببه الى المصريين(١) وجعلهم يؤثرون الاتصال به فيما يجدون من الشئون فكان يفصل فيها دون استشارة رئيسه ،ثم عظم نفوذه حتى بات يعتقد انه الرئيس الحقيقي للبعثة ولم يكن غريبا والحالة هذه ان يتعكر صفو العلاقات بين الرجلين . وبالبعث هوة الخلاف بينهما ان زادت عمقا واتساعا عندما استقدم (بوايه) من فرنسا بعد موافقة محمد على سبعة(٢)

---

١ - دفتر ٢٠ المعية تركي وثيقة ٤١٥ في اول محرم سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦)

٢ - دكتور محمد فؤاد شكرى : نفس المصدر السابق ص ١٥٨ - ١٥٩

ضباط آخرين هم (هاراجلى) ،(دى مارون) ، (ماليه دى لا شيفاليرى)

Pées (بيس) و Pecaud (بيكو) وDe La Chévallerie

(وسوى) Soyeو (كانترال) Cantrelleإذ اشتد النزاع بين جماعة بواييه

وجماعة جودان التى انضم اليها الضباط الجدد فيران صراحة (بواييه) وخلقه العسكرى وتأثره بارشادات (بليار) كل ذلك ساعد على زيادة النفور منه مما أتاح الفرصه لجودان أن يثبت أقدامه فى مركزه ويصبح مقربا الى الباشا نفسه وذلك على خلاف ما حدث لرئيسه بواييه اذ فقد ثقة الباشا ، وعطفه عليه ،لأسباب ذكر (دروفتى) طرفا منها فى رسالته الى حكومته فى ٧ أغسطس سنة ١٨٢٦ فقد نعى على اعضاء البعثة وخاصة (بواييه) ، (ليفرون) مسلكهم منذ هبطوا مصركما عاب على (بواييه) انصرافه الى انماء ثروته الخاصة بدلا من مراعاة صالح بلاده ،مما جعله يترك تصريف الشئون بيد الكولونيل (جودان) فاستطاع الكولونيل أن ينال ثقة محمد على ووزير الحربيه وكبار ضباط الجيش والجمهرة العظمى من المدربين والمعلمين ويقول (دروفتى) أن (بواييه) ظل راضيا عن هذه الحالة ثمانية أشهر ثم هب فجأة يحاول استعادة نفوذه وسلطانه اتباعا لمشورة (ليفرون) فأدى هذا (النشاط) الجديد الى ايجاد هوة سحيقة وفجوة عميقه بينه وبين (جودان) حتى استدعى الامر تدخل القنصل الفرنسى بناء على طلب محمد على نفسه فى مارس سنة ١٨٢٦ (١) رغم هذا التدخل فقد ظل

---

١ — نفس المصدر السابق : ص ١٦٠

العداء قائما بين الرجلين ، ثم حدث بعد ذلك أن رفض القومندان (بيكو) الخضوع لأوامر (بوابيه) فأصر بوابيه على محاكمته ، فأمر الباشا بطرده من الخدمة ، غير أن رئيس البعثة عاد يصر من جديد على أن يطرد (جودان) كذلك ، فلما رفض الباشا أن يوافق على هذا الرأي قدم بوابيه استقالته فلم يتردد محمد على في قبولها .

ويعتقد (دروفتي) أن محمد على اتخذ غير موقفه ازاء البعثة ورئيسها لأن جودان كان قد أطلع الباشا على الغرض السري الذي تهدف اليه رغبته في الانتقام من بوابيه اذ أن (بوابيه) كان قد أفضى الى بعض اصدقائه وأصفيائه بأخبار وردت اليه من باريس خلاصتها أن الدول اجمعت على تأييد اليونانيين ضد العثمانيين ثم أضاف الى ذلك قوله : " في ظرف ثلاث شهور فحسب لن يكون في بلاد المورة تركي واحد فأخذ الشك يساور محمد على من ناحية فرنسا ونواياها وبدأ يظهر نفوره من (بوابيه) ، فغادر مصر في ٣ أغسطس ١٨٢٦ ، قبل انقضاء المدة التي نص عليها في عقد استخدامه ، ثم تبعه سائر أعضاء بعثته ولم يبق منهم في خدمة الباشا غير جودان[(١)] .

ومن الضباط الفرنسيين الذين استخدمهم محمد على في تدريب جيشه الكولونيل (سيف) الذي أصبح يدعى فيما بعد باسم (سليمان باشا الفرنساوي[(٢)]) وأرسل محمد على سيف وفرقته الى أسوان ليكون بعيدا عن العاصمة وعن دسائس

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكري : نفس المصدر السابق ص ١٦٠

2 - A.H.Amy, B.A.Oxon: History of Modern Egypt.p.30.

المعارضين للنظام الجديد ، وعن غواية المغامرين وفساد المفسدين ، واشتغل بتعليمهم هناك الحركات العسكرية على النمط الاوروبى وما يلزمها ويجمعها من ركوب الخيل والضرب بالسيوف الى غير ذلك وكان دائما يلقى فى نفوسهم حب هذه المهنة الشريفة ويذكرهم ما حدث لنابليون وكيف ارتقى الى ان صار امبراطورا على فرنسا واستولى على اغلب عواصم اوروبا وكيف ان سائر القواد الذين ساعدوه على ذلك كانوا من اولاد الفقراء وتقدموا بجدهم واجتهادهم وحصلوا على هذه الرتب العالية لينشطوا ويبث فى قلوبهم الحمية العسكرية والنخوة الحربية ليكونوا امثلا للجند الذين سيكونون تحت امرتهم فى المستقبل ، ولقد اثر كلامه هذا فى بعضهم ولم يؤثر فى البعض الاخر الذين كانوا يفضلون المعيشة ضمن الخدم على الالقاب والتعيينات العسكرية ، غير ناظرين لما ينالون فى المستقبل فبغضوه وتأمروا عليه ، وهموا بقتله ليتخلصوا منه ولكنه لحسن حظه سلم من ذلك لما اخبره احد محبيه منهم بذلك ، وحاولوا قتله مرة اخرى اثناء التدريب على التصويب بالبنادق فاطلق الجميع بنادقهم قاصدين قتله ، لكن لطول اجله لم يصب بواحدة منها فغضب لذلك غضبا شديدا وهجم عليهم بجواده ولم يرهبهم بل اخذ يضربهم (بكرباج) كان بيده على رؤسهم ووجوههم موبخا لهم على عدم اتقان التصويب بعد ان فرقهم فى كل جهة دون ان يجسر احد على معارضة أمره ، بالانتظام ومنعا من ان يكون باقيا فى قلب جنوده من الضغائن السيئة من اختلاف الدين وموافقتهم (١)

---

١ - محمد فريد / البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية ص ٦٠ - ٦٢

على افكارهم وعوائدهم واعتنق الدين الاسلامى ومن يومئذ سمى بسليمان اغا . كذلك استخدم محمد على الفرنسيين فى البحريه ، وقد ادى ضباط البحر الفرنسيون للبحريه المصريه خدمات على اعظم جانب من الاهميه ، ونخص بالذكر منهم (سيريزى) بك Cerisy الذى تولى الاشراف على دار الصناعه بالاسكندريه سنوات طويله و (بيسون) بك Besson الذى كان يشغل المركز الثانى فى قيادة الاسطول (١) .

ولم يقتصر الامر على الاستعانه بالاجانب فى تدريب جنود وضباط الجيش المصرى بل استخدامهم كأطباء وصيادله ايضا فى نفس الجيش (٢) .

وقد استخدم حكام مصر ايضا الذين خلفوا محمد على - ايضا الاجانب كمدربين فى الجيش ومنهم البروسيين كمعلمين للمدفعيه (٣) وغيرها من اسلحة الجيش .

ولكى يعمل محمد على على كسب ثقة الضباط الفرنسيين ، الذين استخدمهم فى جيشه ، كان ينعم عليهم دائما بالمكافآت الماليه علاوه على مرتباتهم ، ومن ذلك ما انعم به على الكولونيل (سيـــو) احد الضباط الفرنسيين الذين حضروا الى مصر حيث انعم عليه بمبلغ ٢٥٠٠ قرش (٤) .

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكرى وآخرون : بناء دولة مصر محمد على ص ٨١ نقلا عن تقرير بورنج الانجليزى عن احوال مصر سنة ١٨٣٧ .

٢ - محفظه ٢٢ (ب) معيه تركى وثيقه ٥٣ فى ٤ صفر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣)
" " ٢٨ " " " " ١٢٥ فى ٤ اصفر سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)

٣ - " " ٣٠ " " " " ٩٥ فى ربيع ثان سنة ١٢٧١ (١٨٥٥)

٣ - محفظه ٤٥ وثيقه ٢٩٠ فى ١١ رجب سنة ١٢٧٣ (١٨٥٧)

٤ - دفتر رقم ٦ المعيه تركيه امر كريم رقم ٨٢ فى ٢٩ صفر سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠)

وكما استخدم محمد على الضباط الفرنسيين في جيشه ، استخدم الخديوي اسماعيل الضباط الامريكيين ايضا في جيشه ، من الذين اشتهروا في الحرب الاهليه ووقع اختياره في الاول على ضابط يقال له (موط) Mott (١) كان قد حضر الى مصر لاشغال خاصه به فاستخدمه اسماعيل فيه وظنه كفئا للمهمة فكلفه بأخطار ضباط بمعرفته ليقوموا معه بها ولكنه مالبث ان تحقق قلة جدارته فعزله واحضر الجنرال ستون (Stone) (٢) فجاء هذا بالجنرال لورنج والكولونيل (داي) والميجور (لنج) والكولونيل (جريفو) والضباط (كلستن) و (ريد) و (براوت) والكولونيل (بردي) و (ميسن) والميجور (دنيس) وغيرهم ومنهم الميكانيكيون والمهندسون الحربيون ، والجيولوجيون (كنتشل) والجغرافيون (كلوكت) و (فيلد) وغيرهما وانكب الجميع على عملهم بهمه واخلاص ، وكان نظام الجيش وتدريبه وتعليمه - كما سبقت الاشاره على الطريقه الفرنسيه في بادئ الامر ، ولكن بعد انكسار فرنسا سنة ١٨٧٠ وظهور تفوق التعليم الالماني أحل هذا محل ذاك واخذ الاعتناء بالمدفعيه يزيد على الاعتناء بغيرها فأصبح ضباطها اكفاء من المشاه والخياله (٣) .

---

١) محفظة ٩ جهاديه وثيقه ٢٣٤ في ربيع ثان سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠)

٢) الباسل الايوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل ج٢ ص ٢٩ نقلا عن :
Mc.Coan: Egypt under Ismail.
ومحفظة ١٠ جهاديه وثيقه ٢٣٦ في ٢٩ رجب سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣)

٣) الباسل الايوبي : نفس المصدر السابق ونفس الصفحه .

ومن الضباط الامريكين الذين استخدمهم اسماعيل الجنرال (تاريوى) وكان برتبة فريق والجنرال (هنرى) برتبة لواء والجنرال (ولبم لوريمت) برتبة لواء (١) والجنرال (كارول توبس) برتبة لواء وناظرا للمدارس الحربية (٢)

كما استخدم اسماعيل الامريكين في النواحى المدنيه فى الجيش من ذلك تعيين الدكتور (ادوارد) الامريكى والانعام عليه برتبة (اميرا لاى) (٣)

وكان يوجد ثمانية واربعين ضابطاً امريكيا فى خدمة الخديو اسماعيل (٤)

مما سبق يتضح استخدام الاجانب كخبراء ومستشارين فى الجيش المصرى وقد بدأ ذلك فى عصر محمد على الذى كان يميل الى استخدام الضباط الفرنسيين فى جيشه بل وفى البحرية ايضا ٥كما استخدم الاجانب فى الجيش المصرى بعد عصر محمد على ولم يقتصر الامر على استخدام الفرنسيين بل تعدى ذلك الى استخدام (البروسيين) الالمان فى الجيش المصرى كمعلمين للمدفعية خصوصا بعد انهزام فرنسا فى حرب السبعين سنة ١٨٧٠ ٥ ولما جاء الخديو اسماعيل استخدم الضباط الامريكين فى جيشه وعهد اليهم بتدريب جنوده وانعم عليهم بالرتب العاليه والمرتبات الضخمه التى لا تتناسب مع خدماتهم ٠

---

١ - محفظه ٩ جهاديه وثيقه رقم ٢٠٥ فى ١٥ ذوالقعده سنة ١٢٨١ (١٨٦٥)
٢ - " ١٠ " " " ١٨٢ فى ١٠ محرم سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣)
٣ - " ١٠ " " " ٢٠٥ فى ١١ شوال سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣)

4 - Dye: Moslem Egypt and Christian Abbasinian. P.3.

ثالثا : الاستعانه بالاجانب فى الوظائف العامه .

١) التعليم .

قبل التحدث عن دور الاجانب بالنسبه للنهضه التعليميه فى مصر يجب الا ننسى دور الفرنسيين الكبير فى بعث التفكير فى بحث مصر بحثا علميا مستفيضا وهو الدور الذى قام به العلماء الفرنسيون الذين رافقوا حملة بونابرت على مصر : اولئك الذين وقفوا انفسهم على خدمة العلم فى بلد لم يكن فيه من وسائل الدراسه العلميه شئ . وفى ظروف حربيه كثيرا ما عرضتهم لاخطارها . اولئك الذين سموا بالعلم فوق حزازات البشر واحقادهم . واثبتوا ان العلم لا وطن ولا دين له . فبينما جنود الفرنسيين وقوادهم يخمدون الفتن ويجوبون البلاد للارهاب والقمع اذ فيهؤلاء العلماء يفحصون الاثار فيقيسون اطوال المعابد القديمه وعروضها وينقلون ما حفر عليها من نقوش ويرسمون لها صورا مكبرة او ينكبون على تربة البلاد يفحصونها او ماء النيل يحللونه او حيوانات البلاد وطيورها يتتبعون حياتها وهجراتها . او ينكبون على دراسة تاريخ مصر فى مختلف عصورها او يصورون الصحف ويترجمون النشرات ومحاضر الديوان او ينشئون مكتبه جامعة يختلفون اليها فى اوقات فراغهم وتختلف اليها معهم محبو الاطلاع والبحث او يؤسسون مطبعه تقوم بطبع قرارات رئاستهم العامه وبعض الكتب الاوليه فى اللغات العربيه والفرنسيه او ينظمون اقسام للمجمع العلمى او بعباره اخرى يبدءون عملا كان من سوء حظ العلم ان يوقف وان لم تحرم منه فى (كتاب وصف مصر[1])

١- احمد عزت عبد الكريم (دكتور) : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٢

عقبات كأداء بسبب اختلاف طرق التفكير والمشاعر بين المسلمين والمسيحيين . فتم ذلك التباين فى القرآن المتلى ، والاسلوب اللغوى ، وتلك الحيرة التى تصيب العلماء الاوروبيين كلما همو بالبحث فى اللغتين العربيه والتركيه من ألفاظ وأراء تعبر عما فى أذهانهم . وثم التقاليد المنزليه والاجتماعية والدينيه التى رسخت فى الأذهان ولكن يجب أن نضيف الى ذلك أن عددا قليلا جدا من الاوروبيين انفسهم هم الذين حصلوا فى بلادهم على قدر كاف من التعليم يؤهلهم لان يكونوا معلمين ومشرفين على التعليم فى الخارج (1) .

ومن أشهر الأجانب الذين بذلوا جهودا عظيمه فى التعليم فى عصر محمد على هو (كلوت بك) الذى قام بتأسيس مدرسة الطب ولكنه خدما تعدى حدود اختصاصه وأخذ على عاتقه المسئوليات الاداريه والسياسيه لم يستفد منه محمد على ولا شعبه (2) كما أن معظم ديوان المدارس الذى أسس سنة ١٨٣٦ (عهد محمد على) كان معظمه من الأجانب واشترك فيه أيضا كلوت بك ، أرتين بك ، فارين بك Varin ولمبير ، وهامنت Hamnat ومسيو دوزل Dozel

أما فى عصر اسماعيل فلم يكن بين الثلثمائة والواحد والعشرين مدرسا ومدرسه القائمين بأمر التدريس بمدارس الحكومة من العناصر الاجنبيه غير واحد ايطالى هو فرانسس بك (فرانسس باشا) مدرس الرسم ودروس العمارة بمدرسه المهندسخانة وثمانية من الفرنسيين وهم مسيو " فيدال " ناظر ومدرس القوانين بمدرسه الحقوق والمسيو " جيجون بك " ناظر ومدرس الطبيات (4) وكل من

---

١ ـ دكتور فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٦٦١ نقلا من تقرير بوبنج الانجليزى من احوال مصر سنة ١٨٣٧

2 - Madden: Egypt and Moh.Ali.pp.78,7 9.

٣ ـ امين سامى : تقويم النيل وعصر محمد على جـ ١ ص ٤٨٦

٤ ـ أمين سامى : تقويم النيل عصر اسماعيل المجلد الثالث جـ ٢ ص ١٢٤٨

المسيو " بواتوزي " رئيس الورشه والمسيو " هرمان " معلم الميكانيكا ، والمسيو "لوجره " معلم الرسم بالتجهيزيه بمصر وكان من مشهورة المدرسين ، " جاستونل " بك مدرس الكيميا بمدرسة الطب والمسيو " اكليكي " معلم الرسم بمدرسة الاسكندريه وا لمسيو "سيتيا لوي" مدرس اللغه الفرنسيه بمكتب محرم بك سيد احمد الذى كان تحت اشراف نظارة المعارف ، والمسيو هاجنتاخر " النمساوي معلم اللغه النمساويه بمدارس التجهيزيه والمبتديان والشيخ صالح ، اما الايطاليون فكانوا ثلاثه وهم : المسيو "يوسف اسبيرون" مدرس الرسم بمدرسة التجهيزيه والمسيو " العانزي " مدرس اللغه الايطاليه بالحقوق ومعلم الخط الافرنجي بمدرسة المبتديان وا لمسيو " اروجتي " مدرس اللغه الفرنسيه بمدرسة بني سويف وغير ذلك اربع معلمات فرنسيات بمدرسة السيوفيه للبنات وهم مدام " روستي " ومدام " لويزا " ومدموازيل "بدان " ومدام " ارنولا " و" دوريك " مفتش عموم المدارس والمكاتب " فالبرج " من رجال التفتيش ، الاول سويسري والثاني نمساوي وكان مكلفا بالتفتيش على اللغه الفرنسيه والانجليزيه والنمساويه . ويضاف على هؤلاء رؤساء المدارس الحربيه من العناصر الفرنسيه منهم " لاريص باشا "(١)

كما ان ناظرة مدرسة السيوفيه ايضا للبنات كانت فرنسيه(٢)

هـــــذا وسيأتي الحديث عن التعليم الاوروبي في مصر في القرن التاسع عشر بالتفصيل في الفصل السادس

---

١ — امين سامي : نفسيا لمصدر السابق ونفس الصفحات .

٢ — محفظه ٩٠ معيه تركي وثيقه ٣٤٢ في ٦ شعبان سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧)

٢ ـ البريد :

كان البريد الخاص في عهد محمد على له مكاتب غير حكوميه تقوم بتوزيع الرسائل وكان القائم بتلك العمليه في الاسكندريه شخص ايطالي اسمه Carlo Merati (ميراتى) وقد انشأ هذا الأخير مكتبا في الاسكندريه وكان يأخذ الرسائل من السفن التي تصل الميناء ، ويوزعها او يرسلها الى المرسل اليهم ، وعندما قررت الحكومه الانجليزيه سنة ١٨٣٥ ارسال البريد من انجلترا الى الاسكندريه مرة كل شهر في طريقه الى الهند فكان " كارلو ميراتى " ينقله الى السويس حيث يسلمه لسفن شركة الهند الشرقيه ، فتحمله الى الجهات المرسل اليها وفضلا عن ذلك قام "كارلو" منذ سنة ١٨٤٣ بجمع وتوزيع البريد بين القاهره والاسكندريه ، وبعد ذلك امتد عمله الى المدن الرئيسيه بالدلتا ولما توفى "كارلو" خلفه في مؤسسته هذه التي عرفت باسم "البريد الاوروبي" ابناء اخته ولقبهم " شينى " Chini (١)

وفي عهد سعيد صدرت لائحة شروط البريد الاجنبيه التي وضعها تنصل ايطاليا العام (٢) وخلف " شينى " " موتسى " الايطالي وكان حتى عام ١٨٦٥ قائما لحسابه الخاص بأعمال بريديه عامه في العاصمتين ، ثم اشترى اسماعيل مصلحة البريد من ذلك الايطالي بمبلغ ستة وارب عين الف جنيه وانعم عليه بلقب بك وابقاه مديرا لها ، وأبقى " موتسى " بك مستخدميه القدماء فيها وكان معظمهم من الايطاليين (٣)

---

١ ـ دكتور احمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر صـ ٢٦١

٢ ـ امين سامي : تقويم النيل وعهد عباس الاول وسعيد صـ ٣٩٨

٣ ـ الياس الايوبي : تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل جـ ١ صـ ١٠٥

والباقي خليط من السوريين والفرنسيين واليونانيين والنمساويين والروس . وفي سنة ١٨٧٦ طلب "فوتسي" اقالته منها فمنحه اسماعيل مكافأة سخيه وعين له خلفا انجليزيا يقال له "كليار" . ولما انعقد مؤتمر بريد سنة ١٨٧٤ تقرر فيه جعل البلاد المصريه ضمن اتحاد البريد العام واخذ اسماعيل يسعى في اغلاق مكاتب البريد الاجنبيه التي بمصر(١) وكان يوجد بالاسكندريه مكاتب بريد انجليزيه ، فرنسيه ، ايطاليه ، روسيه ، يونانيه ، نمساويه ويقوم كل منها بمهمة المراسلات البريديه بين مصر والبلد التابع لها في اوربا(٢).

٣ ـ الشرطه :::

لم يكن استخدام الاجانب كرجال للشرطه في عهد سعيد يتخذ الشكل الرسمي وانما كان ذلك كمساعدة للقواصة الاتراك ، من ذلك الامر العالي لمحافظة الاسكندريه سنة ١٨٥٦ بترتيب شخصين من الافرنج كل منهما بمرتب شهري قدره ٧٥٠ قرشا لأجل ملاحظـة اللصوص والاشخاص المفسدين الموجودين بالثغر السكندري(٣)

اما اسماعيل فقد الغى طائفة القواصه من عموم الضبطيات والاقاليم سنة ١٨٦٣ واختار لتنظيم الشرطه ضابطين ايطاليين هما السنيور كارلسيمو والمركيز نيجري وعهد اليهما

(Warquis Negri)(Carlesimo)

---

١ ـ اسماعيل سرهنك / حقائق الاخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٧٩

2- A.A: Vol.9.Desp.272.pp.225,226.

٣ ـ امين سامي : تقويم النيل وعصر عباس الاول وسعيد ص ١٧٤ ـ ١٧٥

تنظيم ادارتها ايضا واستخدام (١) نحو مائة اوروبى ، نصفهم فى القاهره والآخرين [حد النصف]
الاسكندريه ، واغلبهم سويسريون (٢)

٤ - استخدام الاجانب كصيارفه :

فقد عين "كبورى بك" (٣) صرافا للجانب المالى فى عهد محمد على وكذلك المسيو "مارتار" الذى اختاره كبورى وكيلا له لادارة المخازن التى يمتلكها فى مينا البصل وسائر هونه (٤)

٥ - استخدام الاجانب كأطباء :

لقد استخدم محمد على الكثير من الاجانب كأطباء ، من ذلك ماطلبه كلوت بك والمسيو "زومار" تعيين الطبيب "وروديك" الذى حضر من فرنسا مفتشا على اطباء الاقاليم (٥) كما تعين "الازيا" طبيبا لمديرية الجيزة (٦) وكذلك "فوجيني" رئيسا للاطباء فى الجيش برتبة قائمقام (٧) وذلك فى عهد سعيد ، وايضا "اغلطس" الذى عين وكيلا لرئيس اطباء السفن المصريه فى عهد سعيد ايضا (٨) كما عين "ساسونتونى" مفتشا للصحه البحريه وكبيرا لاطباء مستشفى الاسكندريه (٩) وعين ايضا مسيو "دبياجى" للكشف على المجندين (١٠)

---

١ - اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار جـ ٢ صـ ٢٩٤
٢ - جاك تاجر وجورج جندى : اسماعيل كما تصوره الوثائق صـ ٦٠
٣ - محفظه ٢١ ح معيىٰ تركى وثيقه ٣٩ فى ٨ رمضان سنة ١٢٦٣ (١٨٤٧)
٤ - محفظه ٤٢ معيىٰ تركى وثيقه ١٥٤ فى ٢٥ شعبان سنة ١٢٧٢ (١٨٥٦)
٥ - امين سامى تقويم النيل وعصر محمد على ج ٢ صـ ٤٢٨
٦ - محفظه ٣٢٢ معيىٰ تركى وثيقه ٧/٩٩ - محفظه ٢٢ معيىٰ تركى وثيقه ٣٩ محرم سنة ١٢٧١
٨ - محفظه ٢٦ معيىٰ تركى وثيقه ٤٩ [illegible] سنة ١٢٧٠
٩ - محفظه ٢٨ وثيقه ٢٢ فى ٢٨ صفر سنة ١٢٧١
١٠ - مجموعة خطابات واوامر عباس باشا الاول صـ ٣٨

٦ - استخدام الاجانب في السكك الحديدية :

كذلك استخدم سعيد عددا كبيرا من الاجانب في السكك الحديدية ومن ذلك تعيين المسيو " هارد كاستل " المهندس الانجليزي مأمورا لادارة السكك الحديدية والنظارة عليها (١) وكذلك المسيو " ستوتستون " الذي عين مهندسا في السكة الحديد في عهد عباس (٢) كما وافق الجانب العالي على احضار مهندس من انجلترا ليكون مهندسا لعربيات السكة الحديد وناظر الورش لدراسة الاعمال فيها وذلك في عهد سعيد (٣) . وكذلك استخدم المهندس " موماسي " الهولندي في عهد سعيد ايضا (٤) .

ولم يقتصر استخدام المهندسين الاجانب على السكك الحديدية بل امتد ذلك الى شتى المجالات الاخرى فمثلا عين المسيو " بوني " لكشف ومعاينة الجسور والترع في الاقاليم (٥) " ولينان " بك الذي كان يعمل كبيرا لمهندسي الاقاليم الوسطى والقبلية (٦) وذلك في عهد محمد علي . كما تم تعيين المهندس " مونيه " لاستلام الالات المطلوب تركيبها في بيروط في عهد سعيد (٧) .

وهكذا كان للمهندسين الاجانب شأن كبير في شتى المجالات في القرن التاسع عشر .

---

١ - محفظه ٣٢ معيه تركي وثيقه ٢٨٤ في جماد ثان سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)
٢ - مجموعة خطابات و اوامر عباس باشا الاول ص ٨٩
٣ - محفظه ٤٩ معيه تركي وثيقه ١٢٠ في نهاية محرم سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)
٤ - محفظة ٤٥ معيه تركي وثيقه ٩٠ في ١٣ رجب سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦)
٥ - دفتر ٢٥ معيه تركي وثيقه ٥٤٥ في ٢٣ جمادى الثاني سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦)
٦ - دفتر ٤٢ معيه تركي وثيقه ٥٩١ في ١٩ ذو الحجه سنة ١٢٤٦ (١٨٣١)
٧ - محفظه ٢٦ معيه تركي وثيقه ٨٢ في ٧ ذو الحجه سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤)

ولم يقتصر الأمر على استخدام الأجانب في الوظائف العامه سالفه الذكر وانما شمل ذلك وظائف أخرى منها تعيين المسيو " فرديناند دلسبس" مأمورا لبعض الأشغال الماليه والترتيبات الاحصائيه (١) والذى أصبح له أهمية خاصة عندما استطاع أن يكتسب ثقة سعيد باشا ويحصل على امتياز حفر قناة السويس .

ومن تلك الوظائف أيضا تعيين الخواجه " جاكى بتراكى " الكيماوى بمصنع الشمع بعد استبعاد المسيو " مارتينى " الخبير فى صنع الورق (٢) .

وكذلك شغل أحد الاجانب ويدعى " هومه " وظيفة معاون القلم الافرنجى فى محافظة مصر (٣) .

كما طلب على ذو الفقار ناظر الأمور الخارجيه فى عهد اسماعيل تعيين ضابطين فرنسيين فى الطالى (٤) . وعلى العموم فقد تقلد الأجانب الوظائف المختلفه فى مصر منذ عهد محمد على وخلفائه فكان منهم الاطباء والمهندسين وخلافه (٥) .

وهكذا كان للأجانب دور كبير فى شتى المجالات فى مصر فمدارس الطب مثلا مدينة أكبيرا لدين لكلوت بك Clot . كما أن المسيو لينان وكثيرين غيرة من الفرنسيين .

---

١ — محفظه ١٥ معيه تركى وثيقة ١٩١ فى رجب سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦)

٢ — مجموعة خطابات وأوامر عباس باشا الاول ص ٥٣

٣ — محفظه ٦١ معيه تركى وثيقة ٧٥ فى ربيع الأول سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩)

٤ — محفظة ٢٣ معيه تركى وثيقة ٣٧٧ فى ٢٩ محرم سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣)

5 - Wadden: op.cit.p.28.

بثوا — كل في ناحيته — روح التقصي وحب التعلم ، وتعهدوا هذه الروح بنصائحهم الثمينة ومن يستحقون الذكر الانجليزي " جالوي " بك Galloway فقد قام بخدمات جليلة الشأن ، كما اضاف الاسبان والبولند يون والألمان جديدا في العلم ، وعلى الرغم من اندساس الكثير من الجهلاء بين من هاجروا من اوروبا ، فلا ريب ان النتيجة العامة التي تمخض عنها وجود الاوروبيين والمتزاجهم بالموظفين الشرقيين كانت جزئية الفائدة (١) .

وقد تدرج الاجانب في الوظائف حتى حصلوا على مرتبات باهظة في عصر اسماعيل ، فقد عين المسيو " كيلر " من رعايا دولة النمسا و المجر بوظيفة عضو في لجنة الدعاوى بمرتب قدره اربعين الف فرنك سنوى (٢) ولم يقتصر الامر على منحهم المرتبات الضخمة بل كان يعمل على ترقيتهم من وقت لآخـــر (٣) .

وكما سبقت الاشارة كان بعض هؤلاء الاجانب من غير الاكفاء ، ومن ذلك ما ذكره مامور ضبطية مصر عن الاوروبيين الاربعة الذين عينوا في وظيفة معاون و ملاحظ بالقسم الافرنجي وانهم لم يقوموا بالاعمال التي اسندها اليهم على الوجه الاكمل (٤) .

مما سبق يتضح استخدام الاجانب في كثير من الوظائف العامة في مصـــر في القرن التاسع عشـــر .

---

١ — محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي صـ ٦٦١ نقلا عن تقرير بورنج الانجليزي عن احـــوال مصـــر سنة ١٨٣٧

٢ — امين سامي : تقويم النيل وعصر اسماعيل المجلد الثالث ج ٣ صـ ١٢٢٤

٣ — محفظة ١١ جهاديه وثيقة ٤٤ في ٧ شعبان ١٢٩٢ (١٨٧٥)

٤ — محفظة ٥٧ معيه تركي وثيقة ٥٥ في ٢٤ ربيع اول سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨)
محفظة ٦٩ معيه تركي وثيقة ٧٨ في ١٣ ذو القعده سنة ١٢٧٨ (١٨٦١)

- ٠ -

رابعا : الاستعانه بالأجانب فى الصناعات المختلفة :

كان لاستعانه حكام مصر فى القرن التاسع عشر بالأجانب فى تعليم المصريين الصناعات المختلفه أكبر الأثر فى الاستفاده بخبرة هؤلاء الاجانب وفى ذلك يقول بورنج :

" صحيح أنه كان من النتائج التى أسفر عنها انتشار العلم والخبرة بالآلات بين المصريين أن أخذوا يعتقدون أنهم أصبحوا فى غير حاجة الى معونة الفرنجه وأن ماتعلموه منهم كاف ليمكنهم من السير وحدهم ، وأن شيئا قط لا يمكن أن يعوق تقدمهم المطرد . ولكن ليس هناك ما هو أوهى أساسا من هذه الفكره . ذلك بأنه على الرغم من نشوء طبقة من العمال تستطيع أن تدير المصانع العامه تحت اشراف الأوربيين ، فان كل ما تم سوف يسرع اليه الخراب والدمار اذا تركوا وشأنهم .

وقد اجريت هذه التجربه فى كثير من مصانع الباشا (محمد على) واقترنت بعواقب وخيمة وذلك بأن ابناء العرب لن يستطيعوا قبل أجيال احراز ما تتطلبه الاداره من كفايه واستعداد . ففيهم ذكاء ولديهم استعداد للعمل تحت اشراف من يفوقهم علما ومعرفه ، ولكنهم يفتقرون افتقارا شديدا الى ذلك التفوق العلمى الذى تستلزمه ادارة المشروعات الكبرى ادارة رشيدة" (١) .

وقد مارس الأجانب مختلف الصناعات فى مصر وفى مقدمتها صناعة النسيج ففى سنة (١٨١٩) صدر أمر محمد على بتأسيس " فابريقتى الخرنفش وبولاق " بمعرفة الخواجات " جوميل ونجمنى " وتعيين بعض أشخاص .

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٤٣٥ نقلا من تقرير بورنج الانجليزى من أحوال مصر سنة ١٨٣٧ .

معهم ممن لهم العلم بتشغيل انواع المنسوجات والدوباره (١) كذلك قام احد الفرنسيون بتشغيل مصنع الشمع سنة (١٨٤٥) كما قام احد الانجليز بتشغيل مصنع الكتان فى نفس السنه (٢).

كما صدر امر محمد على ايضا الى الخواجه " والماس" سنة ١٨٣٥ بانشاء مصبغة بالبخار وساعده فى تاسيسها احد الفرنسيين (٣).

وفى عهد سعيد قام الخواجه " سوكى " بتأسيس معملا لاستخراج زيت بذرة القطن (٤) كما اخترع المدعو " نيكولا مركوريج " طاحونه بخاريه واستعملها فى مصر وحصل من الحكومه على تصريح بعدم تقليدها لمدة ٥ سنوات (٥).

كذلك حصل الميكانيكى " تارديو " الفرنسى على امتياز صناعى مؤقت بانشاء مضخه للمياه قام باختراعها وعرضها على الناس ليشترونها بشرط الا يقوموا بصنع مثلها مدى اربع سنوات (٦).

ومن ضمن اختراعات الاجانب تلك الكراكه التى ابتكرها المهندس " تورسيني " لتطهير الترع (٧) ولم يدع الاجانب شيئا الا ومارسوه فحتى السباكين حضروا من اوروبا ليعملوا فى ورشة العمليات فى عهد سعيد (٨).

---

١ – امين سامى : تقويم النيل (عصر محمد على) ج ٢ ص ٢٢٦
٢ – امين سامى : نفس المصدر السابق ص ٥٣٥ – ٥٣٣
٣ – امين سامى : نفس المصدر السابق ص ٤٥٣
٤ – محفظه ٢٤ معيه تركى وثيقه ١١٩ فى ٦ شعبان سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤)
٥ – امين سامى نفس المصدر السابق ص ٣٤٧
٦ – دفتر ٣٣ معيه تركى وثيقه ٣ فى ٣ محرم سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧)
٧ – نفس الدفتر وثيقه ١٢٣ فى ربيع سنة ١٢٤٣
٨ – محفظه ٦٣ معيه تركى وثيقه ٧٥ فى ٢٨ ربيع اول سنة ١٢٧٦ (١٨٦٠)

كما استخدم الخواجه " والماس " والاسطى " جوبة " السماك بدفتر خانة بولاق مدة سنتين بماهية وبدل مأكولات وسكن شهرى بمرتب الف وثلثمائة وخمسون قرش (١) .

كذلك عمل " ويلوام توريز " البناء بورش المهمات مدة سنتين بماهية وبدل مأكولات وسكن شهرى بمرتب الف واربعمائة قرش ويقوم بتعليم أربعة انفار من اولاد العرب (٢) واشتغل الاجانب ايضا في مصر بدباغة الجلود حيث عين الخواجه " دوسي " اسطى بمدبغة رشيد (٣) .

كما حضر الى مصر في عهد سعيد اثنين من الاوروبيين بمعرفة المسيو " نوروبه " لتعليم التلاميذ مهنة الحداده وتدريبهم عليها . (٤)

كما رشح المسيو " لبغورى " لوظيفة رئيس عمال التبخير في المياه وذلك سنة ه (٥) .

كما تم تعيين " مليتا افرينو " ايضا في نفس المهنة . (٦)

كما اشتغل الاجانب ايضا في مصر بصناعة الالات البحريه وبرعوا فيها (٧) . كذلك حضر الى ادكو القبودان الاوروبي " ليكوس " لتعليم الاهالى مهنة تجفيف السمك (٨) . وحتى معمل الالبان استحضر له احد الاوروبيين للاشراف على سير العمل فيه (٩) .

---

١ — دفتر ٧ المعيه السنية عربي ص ٢٨ رقم ٦٠ في ٢٦ رمضان سنة ١٢٥٠ (١٨٣٥)
٢ — نفس الدفتر والصفحه رقم ٦١ في نفس التاريخ .
٣ — دفتر ٤٤ المعيه تركي وثيقه ٢١٦ في ربيع اول سنة ١٢٤٨ (١٨٣٣)
٤ — امين سامي : تقويم النيل وعصر عباس الاول وسعيد ص ١٣١
٥ — محفظه ٣٣ معيه تركي وثيقة ٦٥ في ٧ ذوالقعدة سنة ١٢٧١
٦ — محفظه ٢٧ معيه تركي وثيقه ١١٩ في ١٦ محرم ١٢٧١
٧ — نفس المصدر السابق وثيقه ١٩٨ في ١٣ محرم سنة ١٢٧١
٨ — امين سامي تقويم النيل وعصر محمد على ص ٣٨٢
٩ — نفس المصدر السابق — ص ٥٤٠

: الطباعه والصحافه الاجنبيه في مصر

لقد كان من اهم آثار الحمله الفرنسيه في مصر ادخال الطباعه الى هذه البلاد وظهور الصحف بها لاول مرة في تاريخها . فقد احضر نابليون معه الى مصر ضمن الحمله مطبعتين احدهما " رسميه " والاخرى " خصوصيه " فالمطبعة الرسميه كانت تتألف من ثلاث مطابع فرنسيه واثنين عربيتين ، وواحدة يونانيه ، وتنقسم الى قسمين ، المطبعة الشرقيه والمطبعه الفرنسيه - وتعرف جميعها باسم " المطبعة الشرقيه والفرنسيه " وعهد نابليون الى المستشرق "مارسيل" بالاشراف على هذه الم ابع جميعا ، اما المطبعه الخصوصيه فكان صاحبها " مارك اوريل " الذى حضر مع الحمله بوصفه " طابعا حرا " ودون ان تكون له صفة رسميه ولم يكن لدى مطبعة " اوريل " اية حروف عربيه(١)

وقد لاقت الصحافه الفرنسيه قبولا لدى محمد على ، وكذلك الصحافه الانجليزيه اما الصحافه الفرنسيه فقد صدرت صحيفة اسبوعيه في الاسكندريه سنة ١٨٣٣ تسمى " المونتيير اجيسيان " واختفت باختفاء النفوذ الفرنسي سنة ١٨٣٤ (٢) وكانت الحكومه المصريه تمدها بالمعونه على الرغم من انها لم تكن واسعة الانتشار ، وقد ذكر القنصل الفرنسي Mimaut

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكرى / حضارة مصر الحديثه (محاضرات سنة ٥٩) ص ١٧

2 - Madden : op.cit.pp.80,8I.

" ميمو " Mimaut بعض المعلومات من هذه الصحيفه فقال فى رسالة بعث بها من الاسكندرية الى الدوق " دى بروجلى " Broglis فى ١٧ أغسطس سنة ١٨٣٣ ان أول اعداد جريدة المونيتير ظهر فى ذلك اليوم ، وكان يوم سبت ، كما أرسل الـــى حكومته نسخة من هذا العدد . ويؤخذ مما ذكره " ميمو " أن رئيس تحرير الصحيفـــة كان فرنسيا يدعى " كاميل تورل " Camille Turles جئ به خصيصا من باريس ، غير أنه كان شابا لم يسبق له المران على العمل الصحفى ولا يعرف شيئا عن الحـــــوادث التى وقعت فى مصر قبل حضوره ، ويجهل كل شئ عن البلاد التى جاء اليها ولا تربطــــه بالشخصيات الكبيرة فى حكومة محمد على صلات وثيقه ، هذا الى أن طريقته فى الكتابه لـــم تكن تستهوى القراء من أجل ذلك كان العدد الاول ـ بصفة خاصة ـ يعوزه الابتـــكار وطـــلاوة الاسلـــوب .

وقد ذكر ميمو أن هذه الصحيفه نشرت فى عددها الاول مقالا عنوانه " المقدمـــه " يوضح خطه الجريده ، وقد وصف "ميمو" هذا المقال بانه كان ترجمه حرفيه دقيقـــه لما املته الحكومة المصريه رئيس التحرير نفسه من بيانات وتصريحات .

ويؤخذ مما قاله " ميمو " و " بورنج " أن حكومة محمد على كانت تحتضن هـــذه الصحيفه رغبه منها فى أن يكون لديها جريدة تكتب بلغه اجنبيه ، على غرار الصحيفــــة الشبيهة بالرسميه التى كانت تصدر وتتخذ فى الاستانه باسم " المونيتير اتومان " Le Moniteur Ottoman وهى صحيفه كان هدفها مهاجمه محمد على فـــى كل مناسبة ، حتى لقد ذكر " دوهاميل " فى احـــدى رسائله الى " روكمان " Ruckman رئيس البعثه الامبراطوريه الروسيه فى القسطنطينيه فى ٢٦ فبراير ســـنـــة ١٨٣٤ .

ان الغرض من حملات تلك الجريدة ، انما هو " جرح كبرياء محمد على " ولهذا كانت مهمة " المونتيور احبسيان " الدفاع عن محمد على وتفنيد الاتهامات التى كانت تكيلها له صحيفة القسطنطينية بيد ان حكومة محمد على ،لم تكن شديدة الحرص على استمرار هذه الصحيفة التى اظهر الفرنسيون اهتماما بالغا بأمرها خدمة لمصالحهم قبل كل شئ ، فكان رئيس تحريرها يتقاضى مرتبة من بيت تجارى فرنسى فى مصر هو " بيت باستريه" لامن خزانة الباشا ، وقد حدث فى مارس سنة (١٨٣٤ ان امتنع " باستريه " عن دفع المرتب الذى يتقاضاه " كاميل تورل " فسافر " تورل " الى القاهرة وحاول ان يحصل من حكومة الباشا على (الاخبار والبلاغات بانتظام) حتى يتمكن من المضى فى اصدار صحيفته ولكنه لم يظفر بغير الوعود الجميلة والاحاديث المعسولة وفى ٩ مايو سنة (١٨٣٤) كتب القنصل الروسى " دوهاميل " الى حكومته ان "تورل" عاد الى الاسكندرية ولكن الصحيفة لم تستأنف ظهورها لان " بوغوص يوسف لم يهتم بتشجيعها . وقد تنبأ " دوهاميل " بان الصحيفة سوف تحتجب نهائيا لهذا السبب . ولما كان اخر عدد منها قد صدر فى يوم السبت ٢٢ مارس سنة (١٨٣٤) وكان العدد الاول قد ظهر فى ١٧ اغسطس سنة (١٨٣٣) كما ظهر العدد (٢٣) فى ٢٥ يناير سنة (١٨٣٤) فان الاعداد التى ظهرت من هذه الجريدة فى ثمانية شهور تبلغ (٣١) عددا ، ثم انطوت صحيفة المونتيور الى غير بعث او نشور(١)

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ١٢٣ - ١٢٥

سادسا : المهن والاعمال الاخرى التي احترفها الاجانب في مصر .

من الاعمال الاخرى التي احترفها الاجانب في مصر الاشتغال بالزراعه فقد ادى اهتمام محمد علي بالانتاج الزراعي الى احضار عددا من الخبراء الزراعيين الاجانب لتعليم الفلاحين المصريين الاساليب الزراعيه الصحيحه (١) اما سعيد باشا فقد سمح للاجانب بشراء مايريدون من الاطيان الخراجيه التي تركها اصحابها ، وفي عهد اسماعيل منح السلطان العثماني الاجانب حق اقتناء الاملاك الثابته في انحاء الدوله العثمانيه ماعدا الحجاز ، وتقرران يعاملوا في اداء الضريبه عليها مثل الاهالي (٢). ونظرا لامتناع بعض الاوروبيين الذين لهم اطيان عن دفع ماعليهم من ضرائب ، فقد صدرت لائحة في عهد اسماعيل تتضمن الوسائل الكفيله بجمع تلك الضريبه من الاوروبيين (٣).

كما امتلك الاجانب الفنادق الفخمه في مصر ففي عهد محمد علي كان يوجد في الاسكندريه فندقان ، يمتلكهما اثنان من الايطاليين ، ويقوم بهما الاوروبيين وكانا متساويين في الفخامه ولكن فندق Aquilla d'Oro كان يمتاز على الاخر بسبب موقعه الممتاز على الميناء (٤) كذلك امتلك الاجانب المقاهي ومحلات الطعام والشراب يديرونها لحسابهم الخاص وقد تقرر في يناير ١٨٥٤ عدم تأجير مقاهي الانتكهانه للاجانب (٥).

---

١ - احمد الحته (دكتور) : العلاقات الاقتصاديه بين مصر والولايات المتحده الامريكيه في القرن ١٩ ص ٦٠ .

٢ - احمد الحته دكتور : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر ص ١١٩

٣ - امين سامي : تقويم النيل وعصر اسماعيل المجلد الثالث ج ٣ ص ١٤٨٠

4 - James Augustus: Egypt and Moh.Ali.VolI.p.4.

٥ - احمد الحته (دكتور) : الاجانب في مصر والسودان ص ١٩٦ نقلا عن : الافادة من المعيه الكتخداويه الى ضبطية القاهره في ٢٥ ربيع اول سنة (١٢٧٠) (دفتر مجموع امور ادارة واجراءات ص ٢٢٠)

وفى نوفمبر سنة ١٨٥٧ صدرت لائحة ترتيب وضبط الاجانب ـ والتى سبق الاشارة اليها فى الفصل الاول ـ وجاء فيها أن الأجنبى لا يسمح له بفتح أو ادارة فندق أو منازل مهيأه ومنابر مفروشه أو مقهى أو محلات للطعام أو محلات للخمر أو بيع الشراب الا اذا كان معه قبل ذلك ترخيص من القنصل التابع له مبينا فيه اسمه وجنسيته والغرض من المحل المراد فتحه ومكانه ومصدقا عليه من مأمور الضبطيه بعد تحقق المأمور من أن وجود المحل لا يحدث أدنى ضرر بالجهة المراد فتحه بها ، وبعد حصول الاجنبى على ذلك التصريح يؤخذ عليه تعهد بامضائه بأن يكون منقادا الى التنظيمات وسالكا طرق الامن المتعلقه بضبط وربط المحلات المذكورة وان لا يأبى التوجه الى قلم الضبطيه متى طلب اليه[1] .

ومن الأعمال الاخرى التى مارسها الأجانب فى مصر خاصة اليونانيون اقراض المال بالربا الفاحش وكان الفلاحون يقترضون المال من المرابين بفائده تتراوح بين ٣ ، ٥٪ وقد تصل الى ٧٪ فى الشهر[2] ومرور الوقت كان المرابى اليونانى ينتزع من الفلاح أرضه ضمانا لسداد ماله من ديون لديه[3] . كذلك حصل الفرنسى " برورا " سنة (١٨٦٠) على ترخيص فى تأسيس محلين بالقاهرة والاسكندريه لاقراض النقود فى مقابل رهون[4] .

وقد حضر بعض الموسيقيين الاجانب الى مصر فى عهد سعيد مثل المسيو " ستيرى "[5] الذى كان يعزف فى قصر سعيد نفسه وفرقة الموسيقى الافرنجيه التى كانت تعزف كل يوم فى موسم

---

١ ـ دكتور احمد الحته : نفس المصدر السابق نقلا من لائحة عمومية بترتيب وضبط الاجانب نهاية ربيع الاول سنة (١٢٧٤)

٢ ـ نفس المصدر السابق نقلا عن A.A:Alex. 5-3-18 63.

3 - Cromer : op.cit.p.251.

٤ ـ محفظه ٧٢ معيه تركى وثيقة ٩٦ فى ١٠ شوال سنة (١٢٧٩)

٥ ـ محفظه ٥١ معيه تركى وثيقة ٢٠٥ فى ١٠ ربيع اول سنة ١٢٧٤

الصيف ، بالقرب من القنصلية الفرنسية[١] كما كانت الحكومة تصرف اعانة سنوية "للتياترو الافرنجية" الذى كان موجوداً فى الاسكندرية[٢]. اما اسماعيل فأنشأ الكوميدا سنة ١٨٦٨ وكذلك دار الاوبرا التى تكلفت ١٦٠ الف جنيه ، واحتفل بافتتاحها بحضور الامبراطورة " اوجينى " لنظم " فردى " رواية الشهيرة (عايده) وقامت مدام "بوطسونى " بدور البطولة فيها وعين " درانيت باشا " الذى عرف فيما بعد باسم "بوالينو" مديرا لهذين المسرحين كما استحضر لهما الممثلين والموسيقيين من اوروبـــــا .[٣]

وفى عهد اسماعيل ايضا جهز القاهرة فرنسى يدعى " كوريه " بنظام محكم للمياه[٤] كما جهز فرنسى اخر يدعى "ليون" القاهرة والاسكندرية بنور الجاز[٥].

كما اشترك الاخوان " مزراحى " ـ وهما من اليهود فى تأسيس المستشفى الاسرائيلى فى عهد اسماعيل ايضا .[٦]

كذلك اشتغل الاجانب فى مصر باعمال السمسرة ونذكر على سبيل المثال الخواجه "هولتن" السمسار الذى كان يعمل وكيلا لاحدى الشركات الاجنبية فى عهد سعيد ، وكذلك الخواجه " بتراكى " الذى ارتفعت العمولة التى كان يتقاضاها حتى وصلت الى ٧٪ .[٧]

---

١ ـ محفظة ٥٣ المعية تركى وثيقة ١٨٣ فى ٢٩ رجب سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨م)

٢ ـ محفظة ١١ح معية تركى وثيقة ٣٥

٣ ـ الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل ج ١ صـ ٢٩٤

٤ ـ روجيه لاميلاتى (ترجمة ميخائيل بشاره) فى سبيل الاستقلال صـ ٢٢ محفظة ٨٣ معية تركـــــــى وثيقة ٣٣٦ .

5 - Watkins : Popular History of Egypt.p.73.

6 - Fargeon : op.cit.p.I70.

٧ ـ محفظة ٢٧ معية تركى وثيقة ١٢٥ ، محفظة ٢٩ فى ٣ ربيع اول سنة ١٢٧١ (١٨٥٦)

مما سبق يتضح ان الاجانب فى مصر فى القرن التاسع عشر قد مارسوا اعمالا شتى كان اهمها اشتغالهم بالتجاره وبرعوا فيها وخاصة الانجليز واليونانيون والفرنسيون والذين كونوا ثروات طائله من جراء الاشتغال بالتجاره •

كذلك تم استخدام الاجانب فى الجيش والبحريه وبدأ ذلك فى عصر محمد علـــى الذى اعتمد بوجه خاص على الفرنسيين •كذلك اعتمد خلفاء محمد على على الفرنسيين ايضا كعسكريين وخبراء فى الجيش المصرى حتى الحرب السبعينيه سنة ١٨٧٠ فارتفعت اسهم البروسيين (الالمان) واستخدموا بشكل خاص فى البوليس ثم الضباط الامريكيين الذين استعان بهم اسماعيل بكثره فى جيشه •

كما رأينا ايضا الاستعانه بالاجانب فى الوظائف العامه وقد شمل ذلك التعليم والبريد والسكك الحديديه والشرطه وغير ذلك من الوظائف التى شغلها الاجانب الذين زاد عددهم كثيرا فى عهد اسماعيل •

كما خاض الاجانب ايضا مجال الصناعات المختلفه •مثل صناعة المنسوجات كالقطن والكتان والحريره وغيرها •والصياغه •ودباغة الجلود •وخراطة الالات • • •

البخاريه وصنع الآلات البحريه وغير ذلك من الصناعات كما قاموا بتدريب المصريين فى شتى المجالات .

ولا ننسى الدور الذى قام به الفرنسيون حين أدخلوا الطباعة لأول مرة فى مصر أثناء الحملة الفرنسيه وصدور احدى الصحف الأجنبيه فى مصر محمد على وهى صحيفه " المونيتير اجبسيان " والتى لم يقدر لها الاستمرار طويلا لانها كانت تعمل لمصلحة الفرنسيين انفسهم أولا وقبل كل شئ .

كذلك يتضح أن الاجانب مارسوا الزراعه وامتلكوا الاطيان بصفة مبدئيه فى عهد سعيد ثم بصفه رسميه فى عهد اسماعيل ولو انهم لم يؤدوا ما عليهم من التزامات نحوها ، كما امتلكوا الفنادق والمقاهى ومحلات الطعام والشراب كما كان للأجانب دور كبير فى انشاء دار الاوبرا والكوميديا وكذلك لا ننسى دورهم بالنسبه لتزويد القاهرة والاسكندريه بالمياه والغاز لاول مرة فى عهد اسماعيل .

وهكذا مارس الأجانب فى مصر فى القرن التاسع عشر مختلف المهن والصناعات وزادت اعدادهم حتى أصبحوا يسيطرون على معظم مرافق البلاد الحيويه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

" الفصل الرابع "

تغلغل الاجانب فى المجتمع المصرى وسيطرتهم على اهم الوظائف

اولا : أثر الحملة الفرنسيه فى المجتمع المصرى :

بالرغم من قصر المده التى قضاها الفرنسيون فى مصر ، وهى لاتزيد عن ثلاث سنوات ، فقد اثر هؤلاء فى حياة المجتمع المصرى تأثيرا كبيرا . فقد عزم الفرنسيون العزم منذ أن دانت لهم القاهره فى يوليه سنة ١٧٩٨ على ان يقيموا بها نمطا من الحياه يجعل من هذه العاصمه الشرقيه بلدا اوروبيا يضارع عاصمتهم باريس ببهائها وكثرة ملاهيها وانديتها وملاعبها وذلك من اجل توفير الاسباب والمسرات لرجالهم المقيمين بالقاهره وغيرها من المدن الكبرى . واتاحة الفرصه لجنودهم العائدين من مختلف المعارك من صنوف اللهو واسباب المرح ما يخفف ماكانوا فيه من تعب واعباء . وقد نجم عن شدة اشتياق الفرنسيين الى خلق هذه العاصمه المرحة او "باريس الصغيره" على حد قولهم انه لم يمض زمن طويل على وجودهم بالقاهره حتى كانت المقاهى والمطاعم (ذات الموائد والكراسى على الطراز الفرنسى) بدلا من الجلوس على المصاطب او المقاعد الحجريه ثم مشارب البيره (او البارات) قد انشئت ايضا فى احياء القاهره وفتحت ابوابها لتستقبل الفرنسيين ومن سار سيرتهم من افراد الطوائف التى رحبت بهذا النوع من الحياه . واباح الحاكم الفرنسى لحى المشهد الحسينى لاحد اتباعه وكان يهوديا افتتاح مقهى فى هذا الحى فسار أهل الحسينى [الحى] ينتقلون اليها للجلوس والسهر حصه من الليل ، ويجلو صباحهم وصخبهم وابيح لاهل هذا الحى ان يتخذوا من هذا المقهى ما شاءوا من الوان التسالى والخزعبلات التى افتتنوا بها افتتانا كبيرا ، ووافقت هوى العامه لان أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعه (١)

---

١) الدكتور محمد فؤاد شكرى : حضارة مصر الحديثه (محاضرات ٥٦) ص٨٣ / ص٨٤

وتلك هي طبيعة الفرنسيين وقد كان الحاكم الفرنسي لحي المشهد الحسيني يأتي كثيرا الى هذا المقهى ومعه زوجته المصريه ، التى وصفها الشيخ الجبرتي بأنها "كانت من اولاد البلد المخلوعين" وقد أنشأ تابع الحاكم الفرنسي قهوه او مقهى اخرى في حي الخليفـــه •

وكان من اهم مافعله الفرنسيون لانعاش الحياه الاجتماعيه في باريسهم الصغيره انهم انشأوا بالقاهره في نوفمبر ١٧٩٨ ملهى كبيرا يشبه ملهى "تيفولى" (Tivoli) الباريسى وسموه بنفس الاسم واختاروا لهذا الملهى دار قريبه من ميدان الازبكيه كانت تحيط به حديقه واسعه تظلل طرقها اشجار البرتقال والليمون وتنساب الجداول في كل انحائها وكان مبنى التيفولى يضم حجرات عديده يمضى فيها الفرنسيون رجالا ونساء اوقاتهم في الحديث او القراءه والاستماع الى البحوث العلميه تاره واللعب بالبليارد وغيره من الالعاب واقامة حفلات الرقص والاستماع للموسيقى تاره اخرى ، وكان "الحواة" والمهرجون من اولاد البلد يقصدون ملهى التيفولى لتسلية رواده • كما كان يقصده ايضا عدد من المغنيات والراقصات لادخال السرور والبهجه على قلوب اصحابه ، وكانت موسيقى الجيش تصدح بأنغامها الشجيه والحماسيه في حديقة هذا الملهى التى اهتم الفرنسيون كثيرا بتزيينها وتعليق القناديل على اشجارها في الاعياد والمواسم بوجه خاص (١)

وكان المولد النبوى من اهم الاعياد الدينيه التى عنى بونابرت عنايه خاصه بها كدعامه من دعامات سياسته الاسلاميه ، ووسيله للتقرب من المصريين وكسب صداقتهم وضمان تعاون علمائهم ومشايخهم مع حكومته • ولاعجب فقد كان نابليون يدرك تأثير الدين في حياة الناس ولذلك وضع خطته في حكم الناس ،

---

١ - نفس المصدر السابق ص٨٤ - ٨٥

فى مصر على اساس عدم المساس بمعتقداتهم بل انه صار يحدثهم عن صداقته للمسلمين واحترامه لدينهم ونبيهم وقرآنهم . وعلى ذلك فالآن حان موعد اقامة هذا المولد بعد دخول الفرنسيين الى القاهره بأسابيع قليلة حتى أمر بونابرت الشيخ البكرى بأقامة هذا الاحتفال ، واعطاه ثلثمائة ريال فرنسيا معاونة وأمر بأقامة الزينات واجتمع الفرنسيين يوم المولد وضربوا طبولهم وارسل "الطبلخانه" الكبيره الى بيت الشيخ البكرى واستمروا يضربونها طول النهار والليل بالبركة تحت داره وهى عباره عن طبلات كبار مثل طبلات النوبه التركيه وعدة الات ومزامير مختلفه الاصوات وعملوا فى الليل صواريخ تصعد فى الهواء (١)

وكان انحطاط مستوى الاخلاق وانتشار المفاسد بين العامه ونسائهم ابان فترة الاحتلال الفرنسى من اشهر آثار الفرنسيين على المجتمع المصرى . فقد تسبب الفرنسيون . بما كانوا يظهرونه من انواع المجون والخلاعه فى " مهرجانات " أعيادهم وفى مراقصهم فى افساد أخلاق بعض الاهليين وتشجيع العامه على وجه الخصوص على اتيان المخازى والمعاصى ومشاركتهم فى ارتكاب الاثام فصارت الراقصات والمحظيات من السفله المخصوصه تتجول فى الطرقات والشوارع تعرض مفاتنهن المرذوله دون حياء او خجل ، وقد وجدن فى ذلك الانحلال الخلقى الذى صحب مجىء الفرنسيون الى مصر فرصة مواتية لنبذ التقاليد والخروج على مبادىء الاخلاق الكريمه وعاشر القواد وكبار رجال الاداره الفرنسيه الجوارى والزنجيات وتردد جنود " جيش الشرق " على حانات الخمر التى كثرت فى ذلك الوقت وخصوصا فى القاهره ، كما قصدوا بيوت الدعاره واتخذوا ركوب الحمير ملهاة لهم فى الشوارع .

---

١) نفس المصدر السابق ص ٨٧ — ٨٨

ولا جدال في ان حياة الفرنسيين المرحه الخليعه ، وطباعهم وعاداتهم الماجنه قد اثرت ابان فترة احتلالهم البلاد في المرأه المصريه عامه تأثيرا كبيرا فقد عرفت المرأه المصريه لاول مره الاختلاط بين الرجل والمرأه ، ورأت نساء القاهره زوجات الفرنسيين وصديقاتهم يخرجن الى الطرقات غير محجبات ، ويشير الجبرتي الى هذه الحقيقه بقولــــــه

" حضر الفرنسيون الى مصر ومع البعض منهم نساءهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحريريه الملونه ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري المزركشات المصبوغه ويركبن الخيول ويسوقونها سوقا عنيفا مع الضحـــك والقهقهه ومداعبة المكاريه معهم وحرافيش العامه ، فمالت اليهم النفوس أهل الاهوا ، من النساء والاسافل والفواحش" (١)

ولكن بالرغم من هذا الاثر السيء على حياة افراد الطبقات الدنيا من المجتمع المصري في اواخر القرن الثامن عشر فقد كان للاجراءات التي اتخذها الفرنسيون للعنايه بالامور الصحيه وكذلك النظافه ومحاربة التسول والشعوذه ، اثر طيب على المجتمع المصري حينئذ فقد شاهد المصريون ابان الاحتلال الفرنسي حيطة وعناية بأمور الصحه العامه كان لهـا اثر ا في تقليل مصـــائب الاوبئه التي كانت تحل بالبلاد فقد كان اول ما عني به بونابرت بعد انتصاره على المماليك في موقعة امبابه (الاهرام) انشاء المستشفيات العسكريه فـــي الجيزه وبولاق ومصر العتيقه والقاهره كما انشأ كثير في الاسكندريه ودمياط ورشيد ومناطق عدة مــن المستشفيات كذلك ، وبجانب ذلك قام اطباء الحمله بدراسة مختلف الامراض والاوبئه المنتشره في مصر و جدير بالملاحظه ان المصريين لم ينفروا من المستشفيات التي انشأها الفرنسيون ،

---

١) نفس المصدر السابق ص ٩٠ ــ ٩١

ولم يجدوا غضاضة فى عرض انفسهم على أطبائها وتناول ما يعطى لهم من دواء بل أن النساء فى الصعيد لم يحجمن عن عرض انفسهن على الطبيب الفرنسى " سيبول " اثناء الرحلة التى قام بها من القاهرة الى أسيوط وذلك بالرغم مما عرف من شدة تمسك أهل الصعيد بعاداتهم وتقاليدهم الصارمة .

ومما يذكر للفرنسيين أنهم أمروا الأهالى بعدم دفن الموتى داخل القاهرة بل خصصوا لذلك جبانات خارجها " فنبهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبه من المساكن كتربة الازبكيه والرويعى ولا يدفنون الموتى الا فى القرافات البعيدة والذى ليس له تربه بالقرافه يدفن ميته فى ترب المماليك واذا دفنوا يبالغون فى تسهيل الحفر " كما أمروا الأهالى بأن يبلغوا عن المرض عند وجود وباء وعدم الانتقال من مكان موبوء وفرضوا عقوبة الاعدام لمن يخالف ذلك كما فرض الفرنسيون نظام الحجر الصحى ، فقد أنشأ بونابرت غداة وصوله الى الاسكندريه معزلا صحيا لمراقبة الوافدين على البلاد وعندما دخل القاهرة أمر بتأليف " لجنة صحيه " عهد اليها بتطبيق قواعد الحجر الصحى السارية فى معازل البحر الابيض المتوسط . كما أنشأ مكتبا للصحه والنظافه للقاهرة ومصر العتيقه وبولاق وارغم الفرنسيون الاهالى على نشر متاعهم وملابسهم على أسطحة المنازل حتى تقتل الشمس جراثيم الامراض ولا سيما الطاعون الذى كان الفرنسيون يخشونه كثيرا . وكانت اجراءات الفرنسيين الصارمه فى مكافحة الطاعون على وجه الخصوص مبعث شكوى الأهلين الذين أخذوا على الفرنسيين تجاهل شعورهم واستخفافهم بعاداتهم وتقاليدهم بحرق بيوتهم وتحطيم وتمزيق ملابسهم . كل ذلك فى سبيل اجراءاتهم الصحيه . ويذكر الشيخ الجبرتى شيئا

كثيرا مما نال القاهريين من عنت وارهاق بسبب هذه الاجراءات التي اراد الفرنسيون من اتخاذها مكافحة وباء الطاعون فيقول : " ونادى الفرنسيون بنشر الثياب والامتعه والفرش بالاسطحه لعدة ايام وتبخير البيوت بالابخره المذهبه للعفونه كل ذلك خوفا من حصول الطاعون وعدواه . ويقولون ان العفونه تنحبس بأغوار الارض فاذا دخل الشتاء وبردت الاغوار بسريان النيل والامطار والرطوبات خرج ما كان منحبسا بالارض من الابخره الفاسده فيتعفن الهواء فيحصل الوباء " الطاعون " ويقول الشيخ الجبرتي في موضع آخر: " ونودى في الاسواق بنشر الثياب والامتعه خمسة عشر يوما وشددوا على مشايخ الاخطاط والحارات القلقات (حكام الاخطاط) بالحصر والتفتيش فعينوا لكل حاره امرأه ورجلين يدخلون البيوت عند ذلك فتصعد المرأه الى اعلى الدار تخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ثم يذهبون بعد التأكد على اهل المنزل والتحذير من ترك الفعل وكل ذلك لذهاب العفونه الموجبه للطاعون وكتبوا بذلك اوراقا الصقوها بحيطان الاسواق على عادتهم في ذلك " ... وامر الفرنسيون الاهالي بكنس الشوارع والحارات ورشها وتنظيف المنازل مرتين كل يوم واناءة الشوارع والحارات والاسواق والازقه بالقناديل ووضعوا العقوبات على المقصرين في ذلك ويشير الجبرتي الى ذلك بقوله " نادوا (الفرنسيون) بوقود قناديل سهارى بالطرق والاسواق وطلبوا ان يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة قناديل " ثم مالبثوا ان نادوا بأبطال القناديل التي توقد في الليل على البيوت والدكاكين وان يوقدوا عوضا عنها في وسط الطرق مجامع في كل مجمع اربع قناديل بين كل مجمع واخر ثلاثون ذراعا ويقوم بذلك الاغنياء دون الفقراء ولا علاقة للقلقات في ذلك .

ففرح بذلك فقراء الناس وانفرجت عنهم هذه الكربه ولا شك أن ارغام الاهالى على اضاءة هـــذه القناديل كان " كربه " حقيقيه ذلك ان الحراس الفرنسيين كانوا يجولون اثناء الليل ملاحظين القناديل المعلقه على البيوت • فأذا وجدوا ان الريح قد عبث بها او فرغ الوقود قرعـــوا ابواب بيوت اصحابهـــا فى اى وقت من الليل واخرجوهم من فراشهم لاضائتها من جديـــد وقد كان ذلك ولا شك بسبب ازعاج شـــديد للاهالى • وقد كان الغرض من ارغام القاهريين على اضـــاءة شـــوارع مدينتهم • حرص الفرنسيين على سلامة جنودهم الذين قد يتأخر احدهم فلا يأمن على نفسه من الاعتداء فى شـــوارع القاهره المظلمه عند عودته الى معسكره(١).

ولقد عرفه المصريون ابان فترة الاحتلال الفرنسى شهادة الميلاد وتسجيل الممتلكات • فقـــد أمروا بقيد مواليدهم وتسجيل ممتلكاتهم وهو اجراء لم يعتادوا عليه من قبل • وقد كـــان من أعمال الفرنســـيين الطيبـــه ايضـــا محاربتهم التسول والشعوذه • فقد خصصوا داراجمعوا فيهـــا المتسولين وفرضـــوا لهم مالا ينفق عليهم من اموال الاوقـــاف وكان بعض البلهاء ومدعى الولايه يســـيرون فى شـــوارع القاهره عرايا يصيحون ويصرخون (مع انهم لا يصومون ولا يصلـــون) فسأل " منـــو " العلماء عن ذلك (وهل هو من الدين • فأنكروا فأمر بالقبض عليهـــم جميعا • وادخل المريض منهم المستشفى واخرج السليم من القاهره) •

وامر الفرنســـيون كل صاحب فنـــدق (وخماره) بأن يكتب اسم من ينزل فى محله ويبلغ ذلك لحاكم البـــلد ،

---

١) محمد فـؤاد شكرى (دكتور) نفس المصدر السابق صـــ ٩٢ ـــ ٩٥

قبل مرور اربعه وعشرين ساعه مع بيان الجهه التى قدم منها النازل او الزائر وسبب قدومه ومدة سفره والعمل الذى يزاوله . ويقول الجبرتى فى ذلك ((ان الفرنسيين كتبوا اوراقا والصقوها فى الاسواق بسبب الضيوف والاغراب وذكروا فيها انه يتحتم ويلزم لكل صاحب خماره او وكاله او بيت الذى يدخل فى محله ضيفا او مسافر او قادم من بلده او أقليم ان يعرف عنه حالا حاكم البلد ولا يتأخر عن الاخبار الا مدة اربعه وعشرين ساعه يعرفه عن مكانه الذى قدم منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن اى طائفه . وضيفا او تاجرا او زائرا او غريبا . لابد لصاحب المكان من ايضاح البيان الحذر ثم الحذر من التلبس والخيانه واذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر فى شأن القادم بعد الاربع وعشرين ساعه بأظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان معتديا (مذنبا وخائنا ومواليا) مع المماليك[1]))

ويلاحظ ان هذا الاجراء الذى اتخذته السلطات الفرنسيه قد علم المصريين لاول مره شيئا جديدا من التنظيم الحكومى الخاص بأمن الدوله وسلامتها . ولم يكونوا قد عرفوه او سمعوا به من قبل ومع ذلك فان اهل البلاد ماكان فى استطاعتهم — هذا قله ضئيله منهم — ان يدركوا اغراض الفرنسيين من اتخاذ هذا الاجراء وامثاله وفرض العقوبات القاسيه على مخالفى تعليماتهم وارشاداتهم . بل عد القاهريون هذه الاجراءات بوجه عام وسيله لارهاقهم والحد من حريتهم وتدخل من جانب (الاداره) وسلطات الاحتلال فى اخص شئونهم .

---

١) نفس المصدر السابق ص

على انه مما يجدر الالتفات اليه ٠ ان الاثر الثقافى للحملة الفرنسية على المصريين انفسهم لم يكن اثرا ضعيفا او ضئيلا ٠ فقد تأثر فريق غير قليل من العلماء المصريين بمعارف الفرنسيين وعلومهم ومن هؤلاء الشيخ الجبرتى الذى كان يتردد على سراى المجمع العلمى ولجنة العلوم والفنون ٠ وكان الجبرتى عندما يزور العلماء الفرنسيين فى المجمع العلمى يشاهد نقوشهم وصنائعهم وغرائبهم ٠ وقد وصف الجبرتى ما شهده من ضروب النشاط خلال تردده الكثير على سراى المجمع العلمى و لجنة العلوم والفنون فقال : (ومن جملة ما رأيته كتاب كبير يشتمل على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ٠ ومصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم وهو قائم على قدميه ناظرا الى السماء وبيده اليمنى السيف وفى اليسرى الكتاب وحوله الصحابه رضى الله عنهم بأيديهم السيوف وفى صفحة اخرى صور الخلفاء الراشدين وفى الاخرى صورة المعراج والبراق وهو - صلى الله عليه وسلم - راكب عليه من صخرة بيت المقدس والحرم المكى والمدنى وكذلك صور الائمة المجتهدين وبقية الخلفاء والسلاطين ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن ٠ ولهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق ويدأبون فى ذلك الليل والنهار)(١)

---

١) دكتور محمد فؤاد شكرى : حضارة مصر الحديثة (محاضرات ٥٩) صـ ١١٢



ثانيـــا : محمد على وبداية تغلغل الاجانب فى المجتمع المصرى :

شعر محمد على بالحاجه الماسه الى الاتجاه نحو الامم الغربيه التى سبقت مصر فى ميادين الحرب والاقتصاد والتى لها من خبرتهـــا فى الشئون الحربيه والاقتصاديه ما تقد بعين الدولـــ المبتدئـــه ويمهد بها سبيلها الى الحضاره الحديثه فاتجه اولا الى ايطاليـــا ثم الى فرنســـا واستدعى منهما من تحتاج اليه الحكومه فى القيام على منشـــآتها الجديده كالجيش والاســـطول والمستشفيات والمدارس كما سبقت الاشاره الى ذلك فى الفصل السابـــق

وكانت هذه المؤسســـات الحربيه والاقتصاديه تحتاج الى اداره حازمه مستنيره ، والى موظفين متعلمين ملمين الماما قويـــا بأغراض الحكومه وبما تتطلبه البلاد فى نهضتهـــا الحديثه من جهه ، وبما بلغه الاجانب من رقى فى تلك النظم من جهه اخرى وادرك محمد على ان الاكثار من الاجانب فى خدمة الحكومه ليس من الصواب فى شـــئ ، فكثيراً منهـــم على كفايتهم فى النظم الحربيه والاقتصاديه كما عرفتها بلادهم فى ذلك الوقت يجهلون اغراض الحكومه ، وقد يعرقلون اعمالها عن قصد او عن غير قصد وقد يجهلون ايضا ماتحتاجه بـــلاد ناشـــئه كمصر من تلك النظم الحربيه والاقتصاديه وقد يرجع هذا الى جهلهم بلغـــة البـــلاد وعادات اهلها وطباعهم (١) لذلك اصدر اوامره سنة ١٨٣٥ الى الاطباء الاجانـــب بالســـعى والاجتهاد فى تعلم اللغه العربيـــه (٢) .

---

١) دكتور احمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليـــم فى عصر محمد على صـــ ٢١/٤٥٥

٢) امين ســـامى : تقويم النيل (عصر محمد على) ج٢ صـــ

وبالرغم من ذلك فقد أحاط محمد على نفسه بعدد كبير من الاوروبين الذين كانوا يعرفون دائما كيف يستفيدون منه استفادة كبيرة (١) وكان محمد على لا يثق فى كثير منهم ويرى انهم دائما يعملون لمصلحتهم الذاتيه قبل أن يعملوا لمصلحة الدولة التى تنفق عليهم .

واعتمد محمد على بوجه خاص على الفرنسيين فى تنفيذ مشروعاته نذكر منهم " جومل " Jumel الذى كان خبيرا للزراعه فاستخدمه محمد على فى انشاء مدرسة الزراعه وكذلك فى انشاء مزرعه كبيرة لاجراء التجارب لاستخراج انواع جديده من القطن .

ومن هؤلاء الفرنسيين الذين استخدمهم محمد على الماريشال " مارمو " Marmont الذى قاد الجيش المصرى فى عدة معارك حربيه ، وأشرف على تدريب الجيش مدة طويله ومن الفرنسيين الذين استعان بهم محمد على "ليفرون " الذى سبقت الاشارة اليه فى الفصل الثالث وكذلك سيريزى الذى أشرف على البحريه المصريه ، وأتى بعده " هنرى " الذى خلف سيريزى فى الاشراف على ترسانة الاسكندريه ثم " برسون " Berson وهوسارت Houssart ولا ننسى " لينان دى لينلفون " Linant De Belfonds الذى تلقب بلقب باشا وعمل مديرا للأشغال العامه فى مصر " ولامير " الذى اشتغل بتدريس الرياضيات " وموجل " بك الذى

I - Murray (Sir Charles Augustus): A short Memoir of Moh. Ali.p.50.

بقى تناظر الدلتاه واخـريهن هم " فرسينل" Fresnel ثم كوستى Coste

و" روجر " Roger" ودبجيون" Digeon الذين كانوا فى مقدمة الفرنسيون

سواء فى التعليم الفنى او فى خدمة الحكومه او فى الزراعه و " لوبير" Lubbert

الذى كان يعمل مستشارا للتربيه والتعليم (١) . وان تجديد الجيش واعادة بناؤه

يدين للكولونيل " سيف" بالفضل والذى اشتهر فيما بعد باسم سليمان باشا

الفرنساوى وهالذى سبقت الاشاره اليه ايضا فى الفصل الثالث . وكان يسلك مسلك

المسلم الحقيقى واقتنى الحريم فى منزله متشبها بغيره من المسلمين . وكان يشبه

الاتراك فى مظهره وعاداته وسلوكه . ولكنه عندما يغضب تتغلب عليه الصفه الفرنسيه

على الصفات الشرقيه (٢) .

ومن الاجانب الذين سيطروا على اهم الوظائف فى مصر فى عهد محمد على

" بوغوص بك " الارمنى الذى كسب ثقة محمد على (٣) . والخواجه" جبارة" الذى

كان يعمل وكيلا لناظر التجاره (٤) وقد اتاح محمد على للتجار الاجانب مجال الكسب

فان نظام الاحتكار الذى اتبعه محمد على ساعد اليونانيون والأرمن وغيرهم من الاجانب

على الاستفادة من ذلك النظام استفادة كبيره (٥) . وقد حاول القنصل الانجليزى فى مصر

سنة ١٨٤١ اقناع محمد على

I - Charles Roux (F): L'Egypte de I80I à I882.pp.87,88.

2 - De Leon (Edwin) : The Khedive's Egypt .pp.I07,I09.

3 - Dodwell (H) : The founder of Modern Egypt .p.203.

٤ – دفتر رقم (٢) المعيه السنيه عربى رقم ٦١٥ ص ١١٩ فى ٢٧ ذوالقعدة سنة ١٢٤٧ (١٨٣٢)

5 - Murray : op.cit.p.4//

بالغاء الاحتكار بالنسبه لوسائل النقل ، الذى يفرضه فى نهر النيل وسائر البحيرات والذى يضر بالتجار الانجليز خاصة ضررا كبيرا (١) .

وتبدل حال الأجانب بمصر فى عصر محمد على تبدلا عظيما فتركوا العزلة فى الأحياء المخصصه لهم وخرجوا ليختلطوا بالاهليين ويجولوا فى أنحاء البلاد لا يساورهم القلق ولا يتطرق اليهم الخوف على أرواحهم أو اعراضهم وأموالهم ، فقد راض الأهلون أنفسهم على أن يعيشوا معهم فى سلام اذ رأوهم ينعمون بعطف محمد على وتربط أواصر الصداقه بينه وبين بعضهم من أمثال " توسيجه Tossizza" "زيزينيا" Zizinia كما اتخذ منهم محمد على أطباءه الخصوصيين وفى طليعتهم " جيطانى بك " Gaétani و "كلوت بك " Clot وغيرهم (٢) .

ولكن كان بين هؤلاء الأجانب بعض الجهلة والافاقيين ، ويقول مسيو " هامون " Hamount ناظر مدرسة الطب البيطرى عن الاطباء الاجانب الذين استخدموا فى الاداره الصحيه أول انشائها : (أن منهم من كان مورضا وعامل تلغراف وصانع أحذيه فى موطنها أو كان يعمل فى احدى المقاهى بالقاهرة ، وان ثلثى أولئك الأطباء لا يحملون دبلومات ، ومن مائة صيدلى عشرة فقط حائزون على دبلومات واذا ما هبط أوروبى مصر وليس له حرفه يحترفها سرعان ما يعين صيدليا أو طبيبا) (٣)

I - F.O : Vol.97/408 .pp.I,2;

٢ - دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٢٣ - ٢٤

٣ - دكتور احمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٣ نقلا عن :

Hammont : L'Egypte sous Moh.Ali.vol.II.pp.I08,I09.

وعلى العموم قد لا يخلو هذا القول من غلو ، ولكنه على اى حال يدل على ان كثيرا من الاجانب الذين عهدت اليهم حكومة محمد على بمهمة النهوض بالمرافق الحيويه فى البلاد لم يكونوا اهلا لاداء هذه الرسالة وان كان هذا لا ينطبق على بعض منهم امثال سليمان باشا الفرنساوى وكلوت بك ولينان دى بلفون ، ممن تدين لهم البلاد بالفضل الكبير .

وكان محمد على يستخدم الموظفين الاجانب مضطرا اليهم وبما يتقاضون من نفقات لهذا وضع نصب عينيه الا يطول اعتماد البلاد على الاجانب . حتى اذا ان ان يستبدل بهم اهل البلاد فلا يجب التوانى فى ذلك . ففى صرفهم عن المنشآت الجديدة واحلال المصريين محلهم (صيانة لاموال الحكومة وتوفير لها) (١)

وهكذا اخذ محمد على عن اوروبا علومها ونظمها التعليميه والاقتصاديه وفنونها الحربيه والبحريه واستدعى منها المدرسين والنظار لمدارسه والضباط المدربين لجيشه واسطوله والصناع والمهندسين لمصانعه ، وشهد بذلك المجتمع المصرى امورا جديدة لم يألفها من قبل وكان لتلك الحركه الجديده اكبر الاثر فى احداث بعض التغييرات الجوهريه فى مختلف المرافق الحيوية فى البلاد .

---

١ — دكتور احمد عزت عبد الكريم / نفس المصدر السابق نقلا عن :
دفتر ٤٧ المعيه رقم ٣١٣ فى ٥ محرم سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣)

وجدير بالذكر ، انه فى خلال السنوات الثلاث عشرة من وقت تسوية المسألة المصريه سنة ١٨٤٠ - ١٨٤١ الى نهاية عهد عباس الاول فى يوليو سنة ١٨٥٤ لم يظهر اثر لتغلغل النفوذ الاجنبى فى مصر على غير المتوقع من وضع البلاد تحت ذلك النوع من الوصاية الدوليه الذى اوجدته هذه التسويه ، والذى اعطى الدول حقا دوليا فى تقرير مستقبل او مصير الباشويه نفسها ، وكان من المتوقع بفضل ماتضمنته الفرمانات من وجوب سريان المعاهدات المبرمة او التى تبرم فى المستقبل بين الباب العالى والدول فى الباشويه المصرية لأحد اركان التسويه ، واهم هذه المعاهدات : معاهدات الامتيازات الاجنبيه كان من المتوقع أن يقوى نفوذ القناصل ويتغلغل النفوذ الاجنبى فى مصر(١).

كما ساعد على عدم تغلغل النفوذ الاجنبى فى المجتمع المصرى فى تلك الفترة كره عباس الاول للاجانب ومحاولته الاستغناء عن خدماتهم ، من ذلك طرده للموظفين الفرنسيين الذين كانوا فى خدمة الحكومه المصريه منذ عهد محمد على ، كذلك ترحيل اليونانيين المقيمين فى مصر ولو انه ابقى على البعض منهم بعد توسط بعض القناصل فى الامر وعلى العموم ادت سياسه عباس الاول الى الاقلال من تغلغل النفوذ الاجنبى فى مصر فى تلك الفترة .

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص٥٠

ثالثا : ازدياد تغلغل الاجانب فى المجتمع المصرى فى عهد سعيد واسماعيل :

وفى عهد سعيد باشا ازداد تغلغل الاجانب فى المجتمع المصرى فتدفق الافاقون منهم على مصر بسبب سخاء ذلك الوالى وثروة البلاد والحريات الداخليه فيها • وقد حرض الافاقون سعيد باشا على ادخال راوس الاموال والمشروعات الاوروبيه وقد شجع " سابا تييه Sabatier " قنصل فرنسا بعض الافاقين فى مصر[1] •

كما ان اصطفاء اسماعيل للاوروبيين وركونه اليهم واجتذابهم اليه كل ذلك مكن لهم من مرافق البلاد فجاءوا برؤوس اموالهم استغلوها فى انشاء المتاجر والبنوك والبيوت الماليه والشركات والمقاهى والملاهى ومحال الدعاره فتفتحت الثغرات لخروج ثروة الاهلين الى ايدى الاجانب وامتدت ايدى الاعيان والكبراء والفلاحين وسائر الطبقات الى الاستدانة من البيوت الاجنبيه ليشتروا الاطيان والعقار فوجدت فى البلاد ثروات مادتها اجنبيه ولا ريب فى ان هذا الاساس يؤدى الى تبعية الثروة القوميه للاجانب دولا وشركات جماعات وافرادا فالاستقلال المالى قد اصابه التصدع من هذه الناحيه فضلا عن النواحى الاخرى واهمها القروض التى عقدها اسماعيل[2] •

---

١ - دكتور احمد الحته : تاريخ الاجانب فى مصر ص ٢٠٤ نقلا عن :
Sabry: L'Empier Egyptien sous Ismail.pp.37,38,40,233,234.

٢ - عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ج ٢ ص ٣١٥ - ٣١٦

ولم يكن للاجانب فى الامبراطوريه العثمانيه حق امتلاك الاطيان والمبانى ولكن محمد على منحهم ذلك الحق فى مصر سنة ١٨٤٢ • وذلك ان محمد على اعطاهم اطيانا من الابعاديه صارت لهم ملكا تبعا للقرار فبراير سنة ١٨٤٢ الذى نص على أن المنعم عليه بأطيان باسم (رزقه بلا مال) يكون مالكا لها ملكا مطلقا يتصرف فيها كيفما شاء على الوجه الشرعى بدون قيد ولا شرط سواء ان كان الانعام بها قبل ذلك التاريخ ام بعده (١) كذلك اعطى محمد على الاجانب فى مصر اطيان اخرى تبعا لنظام العهده الذى يلتزم فيه المتعهد لحكومه بدفع ما على القريه من الاموال الاميريه والبقايا وهى الضرائب وهى الضرائب المتأخره ويترك للاهالى اطيانا على حسب قدرتهم يزرعونها ويدفعون لها مايخصها من الاموال والبقايا • اما هو فيزرع مابقى من الاطيان لحسابه الخاص بواسطة الفلاحين غير المقتدرين بواسطة الفلاحين غير المقتدرين مقابل اعطائهم اجرا فى زراعته ولم يكن للاجانب فى تلك الاطيان حق الملكيه المطلق • بل حق الانتفاع فقط (٢) اما سعيد باشا فقد سمح للاجانب بشراء مايريدون من الاطيان الخراجيه التى تركها اصحابها على ان تكون عشوريه يملكونها ملكا مطلقا (٣) •

هكذا امتلك الاجانب الاطيان فى مصر (٤) كما امتلكوا المبانى فيها • بينما لم يحصلوا على ذلك الحق فى بقية الدوله العثمانيه الا فيما بعد • حينما منحهم السلطان العثمانى فى عصر اسماعيل (يونيه ١٨٦٧) حق اقتناء الاملاك العقاريه فى انحاء الدوله العثمانيه ماعدا الحجاز

---

١) دكتور احمد الحته : نفس المصدر السابق صفحة ١١٨ نقلا عن :

Sabry;op.cit.p.223.

٢) نفس المصدر السابق نقلا عن : احمد الحته (تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر) صفحة ٨١ / ٨٣ • ٨٥ / ٨٦

٣) نفس المصدر السابق صفحة ١٠٦

٤) محفظة ٦٣ المعيه تركى وثيقه ١٩٧ فى ٤ ذى الحجه سنة ١٢٧٦ (١٨٦٠) •
" ٦٤ " " " ١٠٩ " ٣ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ (١٨٦١) "
دفتر ٥٢٦ موجهات تركيه ٤٧ " ٢١ ذى الحجه ١٢٧٩ (١٨٦٣) •

وتقرر ان يعاملوا فى اداء الضرائب عليها مثل الاهالى ، وان تطبق عليهم القوانين الخاصه بالتمتع بالعقار وانتقاله والتصرف فيه ورهنه ، كما منحهم التصرف فى العقار بالهبه والايصاء (١) وتقرر ان تقسيم ما يتبقى بعد وفاتهم تكون حسب القوانين العثمانيه. وزيادة على امتلاك الاجانب للاطيان والمبانى فى مصر ، كان بعضهم يرتهنها من اصحابها غير ان بعض المتعاقدين كانوا يهملون الاصول المتبعه فى الرهن فيكتبون عقود الرهن بدون اطلاع الحكومه المحليه ، مع انها هى المنوطه بذلك ، اذ أن ديوان المديريه مختص برهن الاطيان والمحكمه مختصه برهن المبانى ، وبمساعدة المديريه والمحكمه تتضح صحة سندات التمليك وتتحقق صحة الحجج ، كما يتبين ان كانت الاطيان والمبانى المراد رهنها قد رهنت من قبل ام لا . فاذا لم يكن هناك مانع تجرى الحكومه المصريه الاصول المرعيه فى عقد الرهن ، اما اذا وجدت الحكومه مانعا فى ذلك انبهته للمتعاقدين حتى يكونوا على بصيره . وبناء على ذلك ارسلت الحكومه المصريه فى اغسطس سنة ١٨٦٢ رساله بذلك الى كل قنصل عام ، رغبة فى تنبيه الاجانب التابعين لها ، بأجراء الاصول المتبعه فى رهن الاطيان والمبانى. (٢)

وكذلك كان الاجانب فى مصر يستأجرون المنازل والحوانيت والمخازن . وقد تقرر فى لائحة نوفمبر سنة ١٨٥٧ أن المالك أو المستأجر الاصلى لايجوز له ان يؤجر لاحد من الاجانب منزلا او جزءا من منزل او حانوتا او مخزنا الا بعد ان يعرف اسمه وصناعته وجنسيته كما يجب عليه أن يخبر شيخ الحاره عن ذلك الاجنبى ليخبر الشيخ الضبطيه بذلك . واذا عقد الايجار بواسطة شيخ الحاره فعلى الشيخ افادة الضبطيه عن اسم الاجنبى وصناعته وجنسيته واذا اراد أحد

---

١) فيليب جلاد : قاموس الاداره والقضاء جـ (١) ص ٩٥ ،
يعقوب ارتين : الاحكام المرعيه فى شأن الاراضى المصريه ص ٦٠
٢) دكتور احمد الحته : نفس المصدر السابق نقلا عن :
منشور ديوان الخارجيه الى القناصل العامين أغسطس ١٨٦٢ (دفتر مجموع امور اداره صفحة ٣٠٦)

احد المستأجرين لمن يؤجر من الباطن لاجنبي فيجب قيد ذلك والتأشير على عقد الايجار في الضبطيه . واذا حدث نزاع بين المتعاقدين فيما يختص بتنفيذ عقد ايجار لم يعرض من قبل على الضبطيه ولم يؤشر عليه بها فليس للضبطيه الحق في رؤية ذلك النزاع والفصل فيه .(١) وكان الاجانب خاضعين للقضاء الوطني فيما يختص بالدعاوى الناشئه من الاطيان المستأجره اذ كانت تلك الدعاوى من اختصاص المحاكم الوطنيه .(٢)

وقد قام الاجانب في أول الامر بأداء ماعلى الاطيان من التزامات غير انهم في عهد سعيد باشا رفضوا دفع ضرائب الاطيان/ وكذلك رفضت في سنة ١٨٦٠ م مؤسسة (بريجز Briggs) الانجليزيه الوكيله عن حليم باشا في ادارة املاكه تقدم الرجال المفروضين على احدى عزبه لتطهير الترع مهدده في الوقت نفسه بترك الاطيان ومطالبة الحكومه بتعويضات أن هي اخذتهم بالقوه وعندما اخبر وزير الخارجيه المصريه القنصل الانجليزي بذلك اعلن القنصل ان الرعايا البريطانيين الذين يستأجرون الاراضي الزراعيه في مصر يجب عليهم اداء ماعليها من التزامات وقد وافقت الحكومه الانجليزيه على رأى القنصل مؤكده في مذكره لها في يونيه سنة ١٨٦٠ .

(ان الاجانب الذين يزرعون الاطيان في مصر خاضعون للسلطه المحليه وليس للقناصل حق في ذلك) . وعلى الرغم من موقف الحكومه الانجليزيه من تلك المسأله فأن مؤسسه (بريجز Briggs) اشتركت مع تجار من جنسيات مختلفه للحصول على حمايات تنصلا به وخلق عراقيل للحكومه المحليه ورغبه في الغاء العقد المحرر بين مؤسسه (بريجز) وحليم باشا دفع سعيد باشا ديوان اخيه حليم كما دفع للمؤسسه المبلغ المحدد في العقد للمرتبات .

---

١) نفس المصدر السابق صفحة ٢٠٠ نقلا عن : لائحه عموميه بترتيب و ضبط الاجانب ١٨٥٧ دفتر مجموع امور ادارة وأجراءات صفحة ٢٠٧ و ص ٢١٣

٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا عن :

Charles Hale, Alex. 19-2-1868.

خاضعون فى ذلك من حيث المبدأ لقوانين البـلاد (١) .

وكذلك أدى امتلاك الاجانب للاطيان والمبانى فى مصر الى زيادة تغلغلهم فى المجتمع المصرى بدرجة كبيرة لكى يحافظوا على تلك الطلبات الزراعية او غيرها والاكثر من ذلك انهم امتنعوا عن اداء ما عليها من التزامات وخلافه . وما زاد فى تغلغل الاجانب فى المجتمع المصرى فى عصر اسماعيل اضطراره للاستدانة منهم بشتى الوسائل حتى حصلوا اخيرا على معظم اموال الدولة فى الوقت الذى لم يستطع دفع مرتبات الموظفين المصريين لمدة تسعة أشهر وفى نفس الوقت اخذ يضغط على الفلاحين بزيادة الضرائب لكى يستطيع ان يجمع اكبر قدر من المال ليستطيع سداد ديونه (٢).

وفى الوقت نفسه عندما لا يجد الفلاح من المال اللازم لسداد ما عليه من التزامات كان يضطر للاستدانة من المرابين اليونانيين الذين تغلغلوا فى معظم القرى المصرية بفوائد باهظة وعندما يصبح عاجزا عن سداد ديونه يحتوى هؤلاء المرابين على ارضه ضمانا لاموالهم (٣) .
وهكذا ازدادت ثروات هؤلاء المرابين الاجانب على حساب متاعب الفلاحين ولان هؤلاء كان لهم وكلاء فى جميع انحاء القطر المصرى كانوا يعرفون جيدا اى الفلاحين فى حاجة الى المال لكى يلبسوا مطالب الحكومة فكانوا يقرضونهم بضمان المحاصيل وكانت تختلف فوائد الديون من ١٢ الى ٢٠ ٪ شهريا طبقا لحالة المدين (٤)

وكان المرابى يحرر بنفسه سندا بالمبلغ فيوقع عليه الفلاح بختمه آمنا جاهلا ما يخبأ له المرابى لانه لا يقرأ على ان هذه الفائدة لم تكن فى الحقيقة الا جزء من الربح .

---

١) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا عن : Sabry:op.cit.pp.48,49.

2 - De Malortie (Baron):Egypt.p.I33.

3 - Dicey : The story of The Khedivatê.p.90.

4 - Ibid : p.9I.

(١)
الذى يتسع فيه المرابى فهو اولا يجعل ميعاد استحقاق جميع السندات شهر اكتوبر او الشهر الذى يبيع فيه الفلاح قطنه والفائدة محسوبة عن سنة كاملة أيها كان الوقت الذى يقترض فيه . فأن تم القرض فى يوليه او يونيه . فالفائدة تحتسب عن السنة كلها مع ان الدفع سيكون بعد اربعة شهور . وكم من جنيه وكم من شبهة يخبأها للفلاح المسكين شهر اكتوبر والذى يسميه القرويون شهر المرابين - فأذا حل أجل السلفة وقد لا يشعر الفلاح بحلوله لجهله السنة الخريجة ولانه غير متعود الدفع فى المواعيد جاء المرابى يطالبه باله فتى رآه ارتعدت فرائصه . وقديما كان الدائن الذى يمطل يلجأ الى كبير القرية فيأذنه بلا مقاضاة بطرد مدينه من غيطه وبيته وتمليكها . فذكرى هذه الحوادث التى لم يسمع بمثلها ابقت للمرابى هيبة فى النفوس وبالنظر الى كون الفلاح لم يتعمد للدفع فأنه يبيع على المرابى قطنه بثمن بخس بسبب الاضطرار من جهة وجهل الاسعار من جهة ثانية ومعلوم ان للقطن تقلبات سريعة متعلقة فى اسعاره . فالمرابى الواقف على تلك التقلبات بما يرده من البرقيات المتوالية يستغل هذه الميزة العظيمة وربما كانت القرية بأسرها متأثرة بهبوط وقع منذ اسبوع فى الاثمان مع ان هذه الاثمان تكون قد ارتفعت منذ يومين ولم يجيئها نبأ الارتفاع فعندئذ يأتى المرابى ويجعل المدين فى ترقب مدينه مكرها اياه على بيع قطنه بأدنى سعر . وهذا هو الباب الثالث للربح الذى كان طامعا فيه (٢).

---

١) يوسف نحاس : الفلاح وحالته الاقتصادية والاجتماعية ص ٩٢

٢) يوسف نحاس : نفس المصدر السابق ص ٩٣ / ٩٤

وهكذا كان يحرم معظم الفلاحين من ارضهم نتيجة لالتجائهم بصفة مستمرة للاستدانه من ذلك للطرق العديده التى كان يتبعها المرابون فى اغتصاب ملك الارض ويستولون عليها فى النهاية (١) . وقد بلغ من تدخل الاجانب فى المجتمع المصرى احتجاجهم على مشروع اللائحة الخاصة بإدخال بعض الاصلاحات على مجلس النواب والذى تقدم بمشروعها فا للخديوى توفيق مع تظاهر الاجانب بالرضا من الاصلاح المشروع فيه ولكن لماذا خاف الاجانب فى مصر من اطلاق الحريه للمصريين وتخويلهم الاصلاح المرغوب ؟ لو نهض شأن المصريين واستقرت عقولهم ، وكان لهم رأى فى ادارة بلادهم فهل تزيد الضرائب وتضيق على الفلاح فى ادائها حتى يأخذ المالك بمادتين فى بضعة اشهر وهو انما يأخذها من الاجنبى ؟ ولو وضع نظام ثابت للحكومه المصريه يكفل للاهالى حريتهم ، هل يمكن للاجانب ان يتمتعوا بالسلطه والنفوذ الذى يتمتعون به تحت السلطه الاستبداديه وانما يكونوا حكاما فى اقتضاء ديونهم واستخدام المصريين فى مصالحهم ؟.... ماذا أصاب الاجانب فى عهد الاستبداد حتى يطلبوا الخلاص منه ؟.... نعم .... قد يصح هذا انما لكن ان يكونوا ملائكة قديسين مؤثرين سعادة المصريين على سعادتهم ، ويزهدون فى المنافع الخاصه بهم انما طلبها ضررهم وضرر غيرهم (٢) .

I - Lane (S): Social Life in Egypt.p.52.

٢ — طاهر الطناحى / مذكرات الامام محمد عبده ص ٥٤

وهكذا كان بجرد معظم الفلاحين من ارضيهم نتيجة لالتجائهم بصفة مستمرة للاستدانه وذلك للطرق الشنيعه التى كان يتبعها المرابون فى اغتصاب تلك الارض ويستولون عليها فى النهاية (١) . وقد بلغ من تغلغل الاجانب فى المجتمع المصرى اعتراضهم على مشروع اللائحة الخاصة بادخال بعض الاصلاحات على مجلس النواب والذى تقدم بمشروعه باشا للخديوى توفيق ، وتظاهر الاجانب بالرضا من الاصلاح المشروع فيه ، ولكن ماخطر الاجانب فى مصر من اطلاق الحريه للمصريين وتخويلهم الاصلاح المرغوب ؟ لو قيل هأن المصريين واستنارت عقولهم . وكان لهم رأى فى ادارة بلادهم ، هل تزيد الضرائب ويضيق على الفلاح فى ادائها حتى ياخذ المائه بمائتين فى بضعة اشهر وهو انما ياخذها من الاجنبى ؟ ولو وضع نظام ثابت للحكومه المصريه ويكفل للاهالى سعادتهم ، هل يمكن للاجانب ان يتمتعوا بالسلطه والنفوذ الذى يتمتعون به تحت السلطه الاستبداديه ، وانما يكونوا حكاما فى اقتضاء ديونهم واستخدام المصريين فى مصالحهم ؟ . . . . ماذا أصاب الاجانب فى عهد الاستبداد مالايحبون ، حتى يطلبوا الخلاص منه ؟ . . . نعم . . . . قد يصح هذا اذا امكن ان يكونوا ملائكة قديسيين ، يؤثرون سعادة المصريين على سعادتهم . ويزهدون فى المنافع الخاصه بهم اذا حلوها ضرر عام يصيب غيرهم (٢) .

I - Lane (S): Social Life in Egypt.p.52.

٢ - طاهر الطناحى / مذكرات الامام محمد عبده ص ٥٤

وسواء صحت هذه الاقوال ام لم تصح فالحقيقة التى لاريب فيها ان قنصل فرنسا مسيو " تريكو " عندما احس بمقاصد الخديو وميله الى مقاومة الاحساس العام اخذ يعمل فى اقامة الموانع دون ذلك فوحد وكيل دولة انجلترا مستر " رينرولسن " للاتفاق معه على اقناع الخديو بضرر الاصلاح الجديد فى الوقت الحاضر — وقت الارتباكات فى المسائل المالية وان دخول النواب فى تصحيح الاوضاع ونحوها مما يعوق حل المشاكل الموقوفة لتشتت الاراء وافناء الوقت فى المداولات . وعندما عرض رئيس النظار المشروع على الخديو عرضا غير رسمى ظهرت عليه علامات النفور منه ورأى ان الاصلاح على هذه الصورة سابق لاوانه فلم يقبل ما عرض عليه (١).

ولم يقتصر تغلغل الاجانب فى المجتمع المصرى عند هذا الحد فعندما اراد اسماعيل ان يلغى مكاتب البريد الاجنبية ويستبدلها بالمكاتب الحكومية احتج الاجانب على ذلك وخاصة الانجليز منهم والنمسويون فى الاسكندرية والذين عللوا احتجاجهم بأن ادارة تلك المكاتب بواسطة مصريين سوف تعرض مصالحهم للخطر وهذا بالطبع غير صحيح لانهم اثبتوا جدارتهم فى ادارة المكاتب البريدية بالقاهرة (٢).

---

١ — طاهر الطناحى : نفس المصدر السابق ص ٥٥، ٥٦

2 - F.O: Vol.78/2855.pp.I55.I56.

ومن الشخصيات الاجنبيه البارزه " نوبار باشا " الذى تدرج فى الوظائف حتى اصبح رئيسا للوزراء فى عهد اسماعيل باشا . وهذا يعطى "اعظم دليل على تغلغل الاجانب فى مصر وسيطرتهم على اهم الوظائف . وكان نوبار يتقن معظم اللغات الاوربيه وهو من الارمن ، وقد عاصر ثلاثه من ولاه مصر عدة سنوات ، وكان دائما يعتز بنفسه ، فخورا ، ويعتبر رغبة الولاه هى القانون ، وكان اخاه " اراكيل بك " ايضا يعمل حاكما للسودان فى عهد سعيد باشا ، ومات وهو فى مقتبل العمر متأثرا بطقس السودان الحار ، ويندر ان نجد اسرة واحده تختلف فى الاصل والمولد عن الاسره الحاكمه ، وترتقى الى ارقى الوظائف واعظمها فى الدوله طوال ثلاث اجيال متلاحقه خصوصا اذا كان ذلك فى ظل الملكيه المستبده فى الشرق . وقد حصلت اسرة " نوبار " على تلك المكانه بفضل تفوقهم وكذلك بفضل مواهبهم ولم تقف فى طريقهم ايه عوائق دينيه او سياسيه . ومن اعظم مشروعات نوبار باشا انشاء المحاكم المختلطه والتى حدت من نفوذ الجاليات الاجنبيه فى مصر وان لم تقض عليها . والذى توصل الى اقرارها بعد مجهود شاق بسبب معارضة القناصل من جهه والخديوى اسماعيل من جهه اخرى . (١)

I - De Leon (Edwin) : The Khedive's Egypt.pp.177,179.

مما سبق يتضح تغلغل الاجانب فى المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر وسيطرتهم على أرقى الوظائف . وقد بدأ ذلك كما سبقت الاشارة بالاثار الاجتماعية والثقافية التى تركتها الحملة الفرنسيه فى المجتمع المصرى بانشاء المقاهى والملاهى والحدائق على الطريقه الفرنسيه ثم قلدهم المصريون بعد ذلك فى طريقة معيشتهم واخذوا منهم الكثير من عاداتهم وتقاليدهم حتى أدى ذلك الى انحطاط مستوى الأخلاق وانتشار الفساد بين العامه ونسائهم وابان فترة الاحتلال الفرنسى وكان ذلك من أظهر آثار الفرنسيين على المجتمع المصرى ولكن على الرغم من هذا الأثر السئ على حياة الطبقه الدنيا من المجتمع المصرى ابان فترة الاحتلال الفرنسى فقد اهتم الفرنسيون بالصحة العامه فى مصر وكذلك النظافه وحاربوا التسول والشعوذة مما كان له أثر طيب فى المجتمع المصرى حينئذ .

ثم جاء عصر محمد على وخرج الاجانب من عزلتهم وابندمجوا مع المصريين وساعد على ذلك استعانه محمد على بالأجانب فى كافة العلوم والفنون وسائر مرافق الدولة الحيويه حتى فى الجيش والبحريه وكان معظمهم من الفرنسيين فى ذلك الوقت .

كما لاحظنا عدم تغلغل النفوذ الاجنبي في الفترة من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٥٤ وهي نهاية حكم عباس الاول الذى كان يكره الاجانب بطبعه . وذلك بخلاف سعيد باشا الذى كان مولعا بمخالطة الاجانب وفتح لهم باب الهجرة على مصراعيه فأدى ذلك الى حضور بعض الافاقين من الاجانب الى مصر وتغلغلوا في المجتمع المصرى وسمح لهم سعيد باشا بامتلاك الاطيان والمباني . وكانوا في معظم الاحيان لا يؤدون ما عليها من التزامات .

كما ان اسماعيل باشا قد بالغ في اكرام الاجانب على حساب الشعب المصرى وكبد المصريين متاعب جمة نتيجة لاستدانته الاموال الطائلة بابهظ الفوائد كما ادت سياسته في ارهاق الفلاح المصرى بالضرائب إلى اضطراره ايضا إلى الاستدانة من المرابين الاجانب الذين كانوا يقرضون الفلاحين الاموال بالربا الفاحش حتى كانوا يضطرون في النهاية الى التنازل عن املاكهم سدادا لديونهم فيستولى عليها هؤلاء المرابين الذين اصبحت لهم ملكيات شاسعة في مصر بفضل تلك السياسة الجائرة .

/ Here

اهداف الجمعيات التبشيريه (الارساليات)

فى النصف الاول من القرن التاسع عشر اخذت مصر ترحب بالاجانب الذين يفرحون اليها يحملون معهم كثيرا من عناصر النشاط الاقتصادى ، وان لم يهملوا ان يستغلوا هذا النشاط لصالحهم ، ونزح معهم رجال الارساليات الدينيه يبغون نشاطا دينيا فى بلد كان الاجانب يعدونه بكرا .

وبدأت الارساليات بانشاء الكنائس كل منها على مذهبها الخاص ، ثم رأوا ان يوسعوا من دائرة نشاطهم ، فألحقوا بهذه الكنائس مدارس لهم يقومون هم بالتدريس فيها لاطفال جالياتهم ومن يشاء من الجاليات الاخرى . وبذلك بدأ فى مصر ما يسمى بالمدارس الاجنبيه (١)

واغراض هذه المدارس واضحه تتلخص فى ~~تعليم~~ فى تعليم الاجانب المقيمين فى مصر ، كل مدرسة تعلم افراد الجاليه طبقا لمذهبها الدينى . غير ان هذه المدارس كانت لها اغراض اخرى اذ لم تهمل الدعوة الى نشر الدين المسيحى وتحويل الاقباط الى غير مذهبهم .

ولكن هذه المدارس :- ابان انشائها فى مصر كانت قليلة التأثير لان اغراضها الدينيه كانت تصد المصريين عن اللحاق بها . وفى ذلك يقول " بورنج " (ان المدارس الاوروبيه لم تنجح الى ذلك الوقت (سنة ١٨٣٧) فى تخطى الحواجز الناشئة عن نظام الطبقات ، فلم تتمكن من نشر تعاليمها بين الاهالى) .(٢)

---

١ — دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٦٧١ نقلا عن ؛

Dor Bey : p.267.

٢ — نفس المصدر السابق ص ٦٧٢ نقلا عن تقرير بورنج عن احوال مصر سنة ١٨٣٧ الى حكومته

ففى سنة ١٨٣٤ انشأ الاباء المعازريون (Lazarists) اول مدرسة للارساليات الدينية بلبنان وبعد نحو عشر سنين انشأوا اول مدرسة لهم بالقاهرة وكان هذا فاتحة لنشاط الارساليات الدينية المختلفة من كاثوليكية وبروتستنتية ومن فرنسيوا يطالية وانجليزية وامريكية والمانية واسكتلندية في مصر وكما سبقت الاشارة لم تقتصر هذه الارساليات نشاطها على التعليم وانما اهتمت بالدعوة الى الدين المسيحى ، وعنيت بوجه خاص بتحويل الاقباط الارثوذكسيين الى الكاثوليكية او الى البروتستنتية ، واستعانت على ذلك باساليب مختلفة منها الدعوة الدينية ، وقد جعلوا من كنائسهم مصدر الدعوة ومنها التمريض وخلافه وانشأت المستشفيات الكثيرة مثل " السبع بنات" و " هرمل " وغيرها ، ومنها اخيرا التعليم ، وقد جعلوا من مدارسهم مصدرا لهذه الدعوة (التعليمية) . والواقع ان التعليم عند هذه الارساليات الدينية لم يكن غرضا لذاته ، وانما كان وسيلة من وسائل الدعوة الدينية . ولهذا لم تقصر هذه الارساليات الدينية المختلفة مدارسها على عاصمة البلاد ، وانما انشأتها في حواضر الاقاليم وكثيرا من مدنها ، وقد حظى الصعيد منها بنصيب كبير (١).

ومع ان الغرض الاول من انشاء مدارس الارساليات الدينية في مصر انما هو نشر الدين المسيحى الا ان الانصاف يقضى علينا ان نعترف انها عملت عملا محمودا على تقدم العلوم في البلاد ،

---

١ — دكتور احمد عزت عبد الكريم / نفس المصدر السابق ٨٢٣ — ٨٢٤

ومن طبقات الامة ، وانها وحدت نصب عينيها التعليم الجيد ، فكان في هذا سر نجاحها ... وكان احد المبشرين الانجليز ويدعى " بارطيمو " قد طلب من محمد على فتح مدرسة بالاكتاب لتعليم الاطفال من جميع الاديان ، فقبل محمد على ان تقوم الحكومة المصرية بجميع نفقاتها على الا يدخلها الا المصريون فقط بشرط عدم التدخل في دياناتهم .

واخيرا صادفت هذه الفكرة . فكرة تأسيس مدارس حرة مجانية ولمدة لكل الاديان سنة ١٨٦٩ ولقيت تعضيدا من الخديوي اسماعيل وقد صادفت هذه المدارس نجاحا في اول الامر ولكن هذا النجاح لم يستمر طويلا ، اذ انصرف عنها الناس الى مدارس الحكومة التي تمهد لهم وظائفها .

وقبل اسماعيل اهتم سعيد باشا اهتماما عظيما بالمدارس الاجنبية التي اسستها الجمعيات التبشيرية . ومما يؤثر عنه ان راهبات الراعي الصالح وكن قد افتتحن مدرستيهما بمصر والاسكندرية بتربية ستين يتيمة من بنات البلاد على اختلاف اديانهن زيادة عن البنات الاخرى . الداخلات برسم زهيد ، اجرة تعليمهن وتربيتهن وجدن العيب ثقيلا عليهن . فالتجأن اليه وطلبن منه منحهن اردب قمح سنويا ، من كل واحدة من تلك اليتيمات فاجاب طلبهن في الحال وان راهبات المحبة بالاسكندرية كن قد فتحن محلا لتوزيع الادوية مجانا على المرضى فطلبن ....

I - Mc.Coan : Egypt as it is .p.230

٢ — دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد على ص ١٧٢/١٧٣

اختلاف مذاهبهم وادیانهم ، وجدن انهن فی حاجة الی مبلغ خمسة آلاف فرنك سنويا لیتمكن من الاستمرار علی عملهن فالتمسنه من سعید باشا . فوافق علی ذلك .

كما وهب سعید باشا ایضا مبنی بمصر للارسالیه الامریكیه فی سنة ١٨٥٥ وهی سنة قدومها الی مصر . ثم ساعد علی توطید قدمیها فی مصر واستمرار نشاطها[1] .

وكما سبقت الاشاره كان التعلیم عند الجمعیات التبشیریه وسیله من وسائل الدعوه الی الدین المسیحی . ولذلك لم یحجم المسلمون فی مصر عن دخول مدارس تلك الجمعیات فی اول الامر وقد سادت فی مدارس كل ارسالیه ثقافتها الدینیه والقومیة[2] .

وكانت مدارس الجمعیات التبشیریه تنقسم الی قسمین .

اولا : مدارس الارسالیات الكاثولیكیه : وتشمل مدارس العازاریین وبنات الاحسان والفریر والاباء الفرنسسكان .

ثانیا : مدارس الارسالیات البروتستنیه : وتشمل مدارس الارسالیه الامریكیه ومدارس الارسالیه الاسكتلندیه[3] والارسالیه الانجلیكانیه .

وسنتحدث عن تلك المدارس بمختلف انواعها بالتفصیل فی الصفحات التالیه .

---

١) الیاس الایوبی: تاریخ مصر فی عهد الخدیوی اسماعیل ج١ ص ١٨٤

٢) احمد احمد (دكتور) : الاجانب فی مصر والسودان ص ٢٠١

٣) نفس المصدر السابق ص ٢٠٢ / ٢٠٣

أولا : مدارس الارساليات الكاثوليكية :

كان الرهبان الفرنسسكان اول الطوائف الدينية الكاثوليكية التي حلت بمصر فقد حاولوا منذ القرن الثالث عشر ان يقيموا بمصر وكان مركزهم بيت المقدس وقد عنوا اول الامر بانشاء كنائس لهم في الاسكندرية ورشيد ودمياط والقاهرة في القرن السابع عشر ثم مدن الصعيد كاسيوط وابي تيج ومدنا واخميم وجرجا والاقصر واسوان في القرن الثامن عشر . ووجدوا ان مجال نشاطهم كان بين الاقباط وخاصة بين الاقباط الكاثوليك في الصعيد وقد ارسل الفرنسسكان نفرا منهم ليتعلموا في روما لنشاطهم التعليمي فكان في مبدأ امرهم محدودا جدا .(١)

وفي القرن التاسع عشر امتد نشاط الارساليات الدينية الكاثوليكية بمصر وبدأ ذلك بعد سنة (١٨٤٠)

١ — العازاريون Lazarists وبنات الاحسان Filles de la Charité

كانت الحاجة في الاسكندرية خاصة ماسة الى بعثات كاثوليكية لتعليم ابناء وبنات الجاليات الاوربية التي تكتظ بها الاسكندرية وبذلك وضع اساس النفوذ الثقافي الفرنسي في الاسكندرية وفي سنة (١٨٤٤) وصل بعض رجال الدين من العازاريين Lazarists وبنات الاحسان Filles de la Charité الى الاسكندرية وقدم محمد علي للعازاريين حصنا قديما بجوار كنيسة " سانت كاترين " واقيمت كنيسة

---

١ — دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر ج ٢ ص ٨٤١ نقلا عن :

Dunne.pp.37,90.

ومدرسة مجانيه فى سنة (١٨٤٧) ودعوا " الفرير " Fréres لمساعدتهم فى التعليم فتسلموا المدرسة وعاش العازاريون والفرير معـا خمس سنوات أو ست ولكن الوفاق لم يستمر بين الفريقين . وفى سنة (١٨٥٢) ترك الفرير للعازاريين مدرستهم وأخذوا يعنون بانشاء مدارس خاصه لهـم . وبذلك بدأ نشـاط (الفرير) التعليمى فى مصر ، وهو النشاط القائـم حالـيـا (١) .

أما (بنات الاحسان) فكن يبذلن جهدهن للتمريض ، ولكنهـن أنشأن أيضا مدرستين للبنات وملجأ لليتامى ومن أشهر مدارسهن مدرسـة " السبع بنات " المشهورة بالاسكندرية (٢) .

وأنشأ العازاريون مدرسة خاصة بهم بعد أن تخلى عنهم (الفرير) سنـة (١٨٥٢) ولكن تقدمهم كان بطيئا وبسبب مذابح لبنان سنة (١٨٦٠) حولت مدرستهم الى دار للايتام . وكذلك وسع (بنات الاحسان) دار الايتام التى كانـوا انشاوها فى سنة (١٨٥٠) واعيد بناؤها فى سنة (١٨٥٧) لتقبل عددا كبيرا مـن المرضى (٣) . وعاد العازاريون الى فتح مدرستهم فى سنة ١٨٦٢ . أما اليتامـى فنقلوا الى مكان آخر ثم نقلوا الى مبنى خاص قدم ارضه لهذا الغرض الخديوى اسماعيل (٤) . وكان العازاريـون يتبعون فى مدارسهم برامج الليسيه الفرنسيه ولقد أبدى " دوبيك " ارتياحه

---

١ — دكتور احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق صـ ٨٤٢

٢ — الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عصر الخديوى اسماعيل جـ ١ صـ ٢١٧

٣ — دكتور احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا من : Dunne? p.275

٤ — نفس المصدر السابق صـ ٨٤٣ نقلا من دفتر ٢١ (مجلس مخصوص) صـ ١٩ رقم ٤٠ فى ١٥ شعبان ١٢٨٩ .

لنظام المدرسة ونظافتها (١) . وفتح العازاريون مدرسة أخرى لهم سنة ١٨٧٢ وهى مدرسة (سانت مارى) وأخرى للقطاء وبديرها (بنات الاحسان) سنة ١٨٤٧ .

وكانت الخاصة الخديوية تصرف فى كل سنة ١٩٢٥٠ قرشا لمدرسة العازاريين (٢) . وكان التعليم فيها يطابق التعليم فى فرنسا فاللغة الفرنسية أساس التعليم وتدرس بها أيضا اللغات العربية والاغريقية الحديثة والايطالية اختياريا وأصبحوا يفاخرون ما سواهم بأن ما يتقنه طلبة مدرستهم من اليونانية القديمة لاتباريهم فيه طلبة مدارس أوربا ذاتها (٣) . ويقبل بها التلاميذ من سن السابعة الى الخامسة عشرة ، ويشترط أن يعرف التلميذ القراءة والكتابة بأية لغة ، ويدفع التلميذ الداخلى فى السنة – وهى عشرة أشهر – ألف فرنك (٣٨٥٠ قرشا) وهو مبلغ يزيد على ما كان يطلب من تلاميذ المدارس الحكومية فى الدرجة الأولى ويدفع التلميذ (النصف الداخلى) وهو الذى يمكث فى المدرسة من الساعة السابعة صباحا الى الساعة السابعة مساء – ٦٠٠ فرنك فى السنة ، وعلى كل تلميذ أن يأتى بالملابس التى تعينها المدرسة (٤) .

٢ – الفرير :

لجأ الفرير عقب انفصالهم عن العازاريين الى الآباء الفرنسسكان وفى سنة ١٨٥٣ وضعوا حجر الأساس فى بناء مدرستهم التى سميت (كلية سانت كاترين) لقربها من كنيسة سانت كاترين ، واستعانوا بها عن المدرسة الداخلية التى احتفظ بها العازاريون .

---

١ – احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا عن :

٢ – نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا عن : دفتر ١٩٣٦ أوامر ٣٠ رقم ٤٢ فى ٢٩ ربيع ثان سنة ١٢٨٨

٣ – الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل جـ١ ص ٢١٩

٤ – احمد عزت عبد الكريم : نفس الصفحة نقلا عن :

Collége des Lazaristes à Alex. Distribution des prix, Alex, 1872

وفي سنة ١٨٥٤ عزم الفريـر على ان يمدوا نشاطهم التعليمي الى القاهرة فافتتحوا اول مدرسة لهم في ١٥ فبراير سنة ١٨٥٤ . وجعلوها كمدرسة الاسكندرية قسمين قسما يدفع تلاميذه مصروفات دراسية وقسما يتعلم تلاميذه بالمجان . واعطوا لمدرستهم اسم كلية " سان جوزيف " وقد انتعشت مدرستهم بفضل الهبة التي منحهم اياها سعيد باشا سنة ١٨٥٩ وهي الارض التي اقاموا عليها مدرستهم مقابل ثم استبدلت بها ارض بالخرنفش ومبلغ ٣٠ الف فرنك (٢) .

واظهر " الفرير " في عملهم اخلاصا ونشاطا اكسباهم محبة (القاهريين) وجعلت لمدرستهم المكانة الاولى بين المدارس الاوربية بمصر . ولو ان رجال التربية لا يوافقون على الاسلوب الجاف الذي يتبعونه في تعليم النشء .

وفي سنة ١٨٦٩ كان بالمدرسة الداخلية (Pensionnat) خمس فرق بكل منها فصلان عدا الفرقة الخامسة ففيها ثلاثة فصول . وبالمدرسة المجانية فرقتان : بالاولى فصلان وبالثانية ثلاثة . وتنقسم الدراسة قسمين : دراسة اجبارية تتألف من الاخلاق والدين واللغات العربية والفرنسية والايطالية والانجليزية والحساب والتاريخ والجغرافيا والمساحة والرسم والمحاسبة والتاريخ الطبيعي والكيمياء والفسيوغرافيا والمثيولوجيا ومواد اختيارية تتألف من اللغات الاغريقية والعبرية والتركية والموسيقى والالعاب (٣) .

---

١) احمد عزت عبدالكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٤٤ نقلا عن Dor: p.26, Sachot, p.39

٢) الياس الايوبي : تاريخ مصر في عصر الخديوي اسماعيل جـ١ ص ٢١٨

٣) احمد عزت عبدالكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٤٥ نقلا عن :
Distribution solenelle des prix faite aux élévées Fréres des des Ecoles Chrétienne du Caire 23 Aout 1869.

وفى سنة ١٨٧٢ كان بمدرسة الفرير بالقاهره ١٥٥ تلميذا بقسم " المصروفات " و ٥٠ تلميذا بالقسم المجانى . اما مدرسة الاسكندريه ففيها ٥٨٠ تلميذا منهم ٢٢٧ تلميذا بالقسم المجانى . وكان الاقبال على مدارس الفرير من الكثره بحيث انهـا لم تكن تمنح المجانيه الا للتلاميذ الذين ينتمون الى الرهبنة الكاثوليكيـه (١)

وكانت مصروفات الداخليه بمدرسة مصر مائة فرنك شهريا ، وبالاسكندريه ستين فرنكا ومصروفـات نصف الداخليه ٥٠ فرنكا شهريا بمصر ٣٠ ، بالاسكندريه (٢)

وتقدم المدرسه لتلاميذها تعليما ابتدائيـا . ويعطى لتلاميذ الفرقه النهائيه دروس فى الهندسه والتاريخ الطبيعى ومبادىء الطبيعه والكمياء ، وتمتاز مدرسة الفرير بالعنايه بتعليم اللغات الحيه . فتدرس بها اللغات الفرنسيه والعربيه والتركيه والعبريه والاغريقيه الحديثه والايطاليه والانجليزيه والالمانيه . ويدرس التلاميذ وهم من جنسيات اوروبا المختلفه اربعا من هذه اللغات او خمسا وأنشـأت المدرسه جمعيه لقدماء الطلبه ويجتمعـون بهـا فى يوم الاحد من كل اسبوع ولمدرسة الفرير الاثر القوى فى نشر النفوذ الفرنسى الثقافى فى القـاهره (٣) وفى سنة ١٨٧٢ افتتح الفرير مدرسه اخرى برمل الاسكندريه ولكنها لم تصب من النجـاح ما اصابته المدارس الاخرى . (٤)

---

١) دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر جـ٢ ص ٨٤٥ نقلا عن :
Dor: pp.273, 274.

٢) الياس الايوبـــــى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل جـ١ ص٢١٨

٣) احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا عن :
Sachot: pp.32, 34.

٤) نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا عن :
Dunne: p.409.

٣ — جماعات الفرنسسكان : (Maison des Soeurs Franciscaines)

فتحت هذه المؤسسة سنة ١٨٥٩ (ماري كاترين) Marie Catherine بمساعدة ست " اخوات " اخريات في الشارع الذى سمى فيما بعد باسم كلوت بك . وكان الغرض من هذه المؤسسة شراء حرية الجوارى وتدريبهن على الخدمة المنزلية (١)

ويظهر انها تحولت بعد ذلك الى الاغراض التعليمية فدعيت فى سنة ١٨٧٥ Institut des Religieuses Franciscaines وكان بها ١٢ من المعلمات ١٤٧٥ تلميذه بالقسم الخارجي ولكن من جنسيات وديانات مختلفه ويتعلمن بها الفرنسية والايطالية والعربيه والنحو والحساب والجغرافيا والتاريخ المقدس والتاريخ العام واشغال الابرة والتطريز وتعلم بها اختياريا الالمانية والانجليزية والعزف على البيانو .(٢) ووهبهم اسماعيل يوم جلوسه على العرش خمسين الف فرنكا وقرر لهن تسعين اردبا قمحا سنويا (٣) وفتحت جماعة ال Religieuses Franciscaines مدارس فى بولاق فى سنة ١٨٦٨ والمنصورة (١٨٧١) ودمياط (١٨٧٢) وكفر الزيات (١٨٧٣) والاسماعيلية (١٨٧٤) .(٤)

٤ — مدارس الاباء الفرنسسكان : Pére Franciscaines

بدأ الاباء الفرنسسكان ينشئون لهم مدارس في عهد سعيد في الاقاليم : فأنشأوا لهم مدرسة بالمنصورة في سنة ١٨٥٥ ودمياط وكفر الزيات ورشيد في سنة ١٨٥٨ والسويس سنة ١٨٥٩ وبورسعيد ١٨٦٣

---

١ — احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٤٦ نقلا عن : Dunne. .332.

٢ — نفس المصدر السابق ونفس الصفحات نقلا عن : Statistique 1875,pp.141?142

٣ — الياس الايوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوى اسماعيل ج ١ ص ٢٢٠

٤ — احمد عزت عبد الكريم : نفس الصفحة نقلا عن : Dunne:op.cit.p.408

وفى الوجه القبلى انشأوا مدرسه للبنات فى نقادة فى سنة ١٨٥٥ واخرى فى قنا سنة ١٨٦٣ وفى نحو هذا التاريخ فتحوا مدرسه فى طنطا واخرى فى اخميم (١) وكذلك مدرسه فى بورسعيد حوالى سنة ١٨٧٢ وفتح (آباء الارض المقدسه) مدرسه اخرى فى الاسماعيليه فى سنة ١٨٧٥ .

وفتحت جماعه Franciscaines des Missions Africines مدرسه فى الزقازيق فى سنة ١٨٧٧ وطنطا سنة ١٨٧٨ ولجماعة Soeurs Chairine Franciscaines مدرسه للبنات بالقاهره منذ سنة ١٨٥٩ وقد اقامت هذه الجماعه مدرسه داخليه واخرى خارجيه ودار للأيتام (٢)

وقد فتحت المدرسه ابوابها للتلاميذ من القوميات المختلفه ولكن اغلبهم كانوا من الايطاليين (٣)

وفى سنة ١٨٦٨ انشأ الاخوات مدرسه فى بولاق وفى سنة ١٨٧٢ مدرسه بالمنصوره

٥ ــ اخوات الراعى الصالح : (Soeurs du Bon Pasteur)

قدم الخديوى اسماعيل للأخوات الراعى الصالح فى سنة ١٨٦٩ مكانا متسعا فى شبرا وجمعن هبات اخرى امن بها ديرا وكنيسه لهن ومدرسه داخليه ودار للايتام وكانت لهن ايضا مدرسه خارجيه فى درب الجنينه . تدفع تلميذاتها أجورا معتدله . وفى بورسعيد انشأت الاخوات دارا للأيتام فى سنة ١٨٦٥ ومدرسه خارجيه فى سنة ١٨٧٤ وانشأت مدرسه فى السويس سنة ١٨٦٥ ومدرسه جبل الكرمل فى بولاق فى سنة ١٨٦٧

---

١) احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٤٢ نقلا عن : Dunne: pp.333

٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا عن : Dor: op.cit.p279

٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا عن : Ibid : p.278.

٦ — أخوات سان فنسان دى بول :
Soeurs de St.Vincint de Paul

كان لهن بناء ضخم يقع فى مواجهة كنيسة العازاريين بالاسكندرية

وكان يضم فى سنة ١٨٧٢ : ٨٨٠ بنتا ، ١٥٠ ولدا ، وكانوا موزعين بين

خمس مؤسسات : مدرسة داخلية ومدرسة للأطفال ودار للأيتام ومدرسة مجانيه

ومشغل . وكانت الجالية الفرنسيه بالاسكندرية تعتمد على هؤلاء (الأخوات)

فى تعليم بناتها ، ولكن المدرسة كانت تضم أيضا عددا كبيرا من أبناء وبنات الجاليات

الأخرى . وكان الخديوى يرعى مدارس الأخوات بعناية ، فكان يقوم لهن فى

كل عام القمح (١) .

٧ — اليسوعيون :

فتح اليسوعيون مدرسة بالموسكى Seminary لاعداد رجال دين من القبط

ولمكافحة انتشار المذهب البروتستنتى فى الصعيد ، ولهذا كانوا يشجعون

طلابهم الأقباط على أن يفتحوا لهم مدارس بالوجه القبلى ، تعلم فيها اللغة

الفرنسيه لمنافسة مدارس الارساليات البرتستنتيه من الأمريكيين والانجليز وكذلك

أنشأوا فى سنة ١٨٧٩ مدرسة العائلة المقدسة :

(College de la Sainte Famille) (٢) ويقبل بها تلاميذ من جميع

القوميات والأديان ، ويدفعون أجورا للمدرسة . وكانت المدرسة تعد طلابها

لنيل البكالوريا الفرنسيه (٣) .

---

١ — احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٤٨ نقلا من :

٢ — نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا من : Dor :op.cit.pp.267,278.

٣ — نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا من : Plauchut : L'Egypte et L'Occupatine Anglaise.p.24I.

Dunne : op.cit. .4IO.

وعلى العموم كان عدد التلاميذ في مدارس الارساليه الكاثوليكيه ٣١٣٢ تلميذا سنة (١٨٧٦) من اجناس مختلفه تلك الارساليه التي كانت تعمل لتخريج رجال الدين وذلك بخلاف المدارس الدينيه الاخرى (١) ٠

ثانيا : الارساليات البروتستنتية

١ - مدارس الارساليه الانجليزيه في الاسكندرية :

ادت المدارس التي يديرها قسس ارسالية الكنيسه الانجليزيه خدمات جليلة للتعليم ٠ وكانوا يعيشون في القاهرة ويؤدون وظائفهم في الكنيسة الانجليزية بها ويعلمون عددا كبيرا يبلغ عادة حوالى مائة من الاطفال ٠ انحدرت جمهرتهم العظمى من اباء مسيحيين اقباط ولكن بينهم عددا قليلا من المسلمين ٠ ويتعلم الاطفال القراءة والكتابه باللغه العربيه كما يتعلمون مبادىء الجغرافيا والتاريخ الطبيعي والحساب والقواعد والهندسه التي لا يحسر حلها ويتكلم عدد قليل منهم اللغه الانجليزيه (٢) وتنقسم مدارس الارساليه الانجليكانية الى ثلاثة اقسام :

١ - المعهد الانجليزي En lish Institute وقد اعد لتعليم الاقباط بغية تخريج قسس للكنيسة القبطيه على التعاليم الانجليكانية وكان بهذا المعهد في سنة (١٨٤٥) ٣٥٥ تلميذا منهم ١٧ بالقسم الداخلي ٠

٢ - القسم الثاني خاص بالبنين ويديره احد المبشرين الانجليز ومعظم تلاميذه من المسيحيين

I - Mc.Coan :Egypt as it is .p.230.

٢ - دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٦٦٥ نقلا عن : تقرير بورنج الانجليزى عن احوال مصر سنة (١٨٣٢)

٣ - القسم الاخرخاص بالبنات (١)

وقد فتح المرسلون الاسكتلنديون مدرستين فى الاسكندريه : احداهما للبنين فى سنة ١٨٥٩ والاخرى للبنات فى السنة التاليه (٢) وقد بدات مس " هوتلى " Whately ابنة اسقف دبلن مدرستها التبشيريه فى سنة (١٨٦١) وقد بذلت جهدها فى التعليم او للتبشير بين المسلمين والاقباط على السواء وقد ساعدها بعض السوريين المسيحيين فى عملها ، وقد حلت بمصر فى ١٨٥٦ وقضت بها ثلاثين عاما فى عمل شاق مستمر وقد بلغ من حماسها لعملها انها كانت تنزل الى احياء القاهرة لتجمع البنات من اشد الطبقات فقرا ، وكانت تعلمهن أشغال الابره وتلقنهن مبادئ المسيحيه (٣) (٤) وقد انقفلت المدرسه ثم اعيدت فى ١٨٦٥ ، ونقلت الى مكان فى احياء القاهرة الاكثر اتساعا وانشأت مس " هوتلى " مدرسه اخرى للبنين بعد جهود مضنيه ، وقد ابطلت مرتين ثم اعيد افتتاحها للمره الثالثه فى يناير ١٨٦٥ وبدأت بخمسة عشر تلميذ ثم بثلاثين ، وكانوا يتعلمون القراءه والكتابه والانجليزيه ويقرؤن فى الكتاب المقدس ثم زيد التاريخ والجغرافيا والحساب واللغتان الفرنسيه والتركيه لبعض التلاميذ وقد كان نصف تلاميذ مدرسة البنون (١٢٠ تلميذا) ونصف تلميذات مدرسة البنات (٧٠ تلميذه) من ابناء وبنات المسلمين (٥)

---

١ - دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٦٧١ نقلا من :

Sophia Poole : The English Woman in Egypt, II, p;96. III. pp. 40;41.

٢ - نفس المصدر السابق : ص ٨٥١

Whately : Regged Life .p.28.

٣ - نفس المصدر السابق : ص ٨٥١ نقلا عن :

Ibid : pp.27,179,231.

٤ - نفس المصدر السابق : ونفس الصفحه : نقلا عن :

٥ - نفس المصدر السابق : ص ٨٥٢ نقلا عن :

Ibid : pp.267;268;270.

وفى سنة (١٨٧٠) منح الخديوى مؤسسة هذه المدارس ارضا بالمجالة لتبنى عليها مدرستها (١)

وفى سنة ١٨٨٠ قرر مجلس النظار — بناء على التماس (السيدة وطسلى مؤسسة المدرسة الانجليزيه بالفجالة المساعدة من لدن الحكومة) ان يربط لها بميزانية وزارة المعارف ٢٠٠ جنيها بصفة اعانة سنويه للمدرسة (٢)

وكان يعاون مس " هوتيلى " سورى بروتستنتى يدعى (منصور شكور) . وتحدثت بعض الوثائق العربيه عن (يوسف افندى شكور) رئيس المدرسة الانجليزيه بمصر . (٣)

وكان يوجد للارسالية الاسكتلنديه مدرستان فى الاسكندريه وهما من المدارس الهامه التى عملت على نشر التعليم فى مصر . وفى سنة ١٨٧٦ بلغ عدد التلاميذ بهما ٩٥ تلميذا ١٢٥ تلميذه وكانت تمنح المجانية لـ لفقراء من جميع الاجناس والأديان وكانت تقوم بتدريس اللغه العربيه والانجليزيه والفرنسيه والايطاليه والخط والرياضيات والتاريخ وا شغال التريكو بالنسبه للبنات . (٤)

وقد امتازت عموم مدارس الارساليات البروتستنية بالمساواه التامه التى نشر لواؤها نوعها بين الطلبه والطالبات المجانيين والمتعلمين بمصروفات بحيث لم يكن احد يستطيع ان يميز مطلقا ابين المجانيات . (٥)

---

١ — دفتر المصدر السابق ونفس الصفحه نقلاعن : دفتر ١٩٣٠ اوامر ص ١٢١ رقم ٤٤ فى ٦ صفر ١٢٨٧

٢ — نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلاعن : دفتر ١٠١١ (قيد الاوامر بديوان عموم المدارس) ص ٣٤ فى ٢٧ جماد اول سنة ١٢٩٧

٣ — نفس المصدر السابق ص ٨٥٣ نقلاعن : دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) ص ١٦ رقم ٥ فى غرة رجب ١٢٩١

4 - Mc.Coan : Egypt as it is .p.232.

٥ — الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عصر الخديوى اسماعيل ج ١ ص ٢٢٣

٢ - مدارس الارساليه الامريكيه :

بدات الارساليه الامريكيه نشاطها في مصر سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٥) فانشأت مدرسة لتعليم البنين في الازبكية[١] وقد اسهمت الارساليه الامريكيه في تخفيض وطأة الكوليرا في القاهرة في سنة ١٨٥٥ [٢] وفي اواخر سنة ١٨٦٠ منحها سعيد باشا مبنى من ابنية الحكومة في الموسكي بالقاهرة ويطل على ميدان الازبكيه ويتكون من ٢٥ حجرة واسعة وتبلغ قيمة نحو ٠٠٠ر٥٠ دولار[٣] وبذلك وضعت الارسالية الامريكية لاول مرة على قدم المساواه مع الارساليات الاوروبية التى نالت منحا من سعيد باشا وقد نجحت تلك الارسالية في تحويل بعض الاقباط الارثوذكس الى البروتستنتية[٤] . وفي سنة ١٨٥٦ فتحوا مدرستين اخريين لتعليم البنات ، وفي العام التالي مدرستين بالاسكندريه ثم مدرستين احدهما للبنين والاخرى للبنات في الفيوم وقد اغلقت سنة ١٨٧٥ .

وفي عصر اسماعيل عظم نشاط الارساليات الامريكية في فتح المدارس وخاصة في الصعيد[٥] حيث اتخذوا اسيوط مقرا للدعوة وانشأوا المدارس الاتيه :-

في سنة ١٨٦٥ مدرسة لاهوتية باسيوط واخرى لاعداد المعلمات .

في سنة ١٨٦٦ : قوص (مختلطة) النقورة (للبنين) واخرى (للبنات)

---

١ - امين سامي / تقويم النيل وعصر عباس الاول وسعيد ص ٢٣

2 - A;A: From Charles Hale, Alex,22-12-1864.
From Edwin de Leon,Alex,10- 7-1855.

3 - Ibid : From Thayer, Alex, 27 - 1 - 1863.

4 - Edwin de Leon : The Khedive's Egypt.p.276.

٥ - احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر جـ ٢ ص ٨٤٩ نقلا عن :

Amici : Statistique Générale,1879,pp.252,255.

وفى سنة ١٨٦٨ : سنورس للبنين واخرى للبنات .

فى سنة ١٨٦٩ : النخيلة (مختلطه) ؛ المطيعة (مختلطه)

فى سنة ١٨٧١ : اسيوط . كلية بروتستنية للذكور .

فى سنة ١٨٧٢ : ملوى للبنين . فى سنة ١٨٧٣ الباجور (انجلية للبنين) موشيم (للبنين)

البدارى (مختلطة) فى سنة ١٨٧٤ : طهطا (انجيلية مختلطه) فى سنة ١٨٧٥ اسيوط

(انجيلية تجهيزية للبنات) واخرى للبنين . القصير (انجيلية للبنين) ، سنبو (للبنين)

العزيزيه (للبنين) ، ابنوب (للبنات)(١)

وفى سنة ١٨٧٧ : (بنى عدى) للبنين ، اسيوط (انجيلية ابتدائية للبنين) الطويلة (للبنين)

نقادة (انجيلية للبنين) والبداضية (للبنين) منفلوط (بنين) المعصرة (بنين اسيوط

(انجيلية بنات) وفى سنة ١٨٧٨ : إسنا (انجيلية بنين) ارمنت (انجيلية بنين) الاقصر

(انجيلية مختلطة) اسيوط (انجيلية للعميان المحرومين) .

واغلب تلاميذ هذه المدارس كانوا من الاقباط . ولكن كان يقبل بها ايضا بعض المسلمين وغيرهم

وقد بلغ عدد هذه المدارس ما لا يقل عن ٢٨ مدرسة بها ١٢٤٤ تلميذا ، وكان المركز الرئيسى

لنشاط الارسالية الامريكية القاهرة والاسكندرية واسيوط وكان معظم هذه المدارس بالمجان

وتنفق عليها .

---

١ — نفس المصدر السابق ص ٨٥١

الارسالية من مواردها الخاصة وكذلك الاعانات العادية التى كان يمنحهم اياها الخديوى اسماعيل (١) . وعندما اراد اسماعيل اعادة تخطيط مدينة القاهرة اتجه الى هدم الحى فى الرئيسى للارسالية بالموسكى وقامت عدة منازعات بينه وبين اعضاء الارسالية الذين طالبوا بمبنى آخر او تعويضهم بمبلغ من المال واخيرا تم الاتفاق على منحهم قطعة ارض امام فندق شبرد ومبلغ سبعة الاف جنيه لاقامة مبنى عليها (٢) وكان الخديوى اسماعيل يعمل على تشجيعهم دائما وكثيرا ما كان يستقبلهم فى قصره من وقت لآخر (٣) كما استنكر اسماعيل المعاملة السيئة التى تلقاها احد الاقباط الذين اعتنقوا المذهب البروتستنتى على يد احد المبشرين الامريكيين تلك المعامله التى عاملتهم بها بطريركية الاقباط فى الوجه القبلى (٤) ووعدهم بعدم حدوث ذلك مرة اخرى .

وقد شهدت الارسالية الامريكية الكثير فى القطر المصرى وبلغ عدد اعضاء الارسالية سبعة عشر عضوا منهم عشرة رجال وسبعة من السيدات بالاضافة الى عشرة من المصريين وثلاثة وستون من المدرسين المصريين المدربين سواء من الذكور او الاناث وعدد كبير من رجال الدين (٥) .

ولقد زار " دوريك " كلية المرسلين الامريكية بالقاهرة واظهر عدم ارتياحه لاسلوب ،

---

1 - Mc.Coan: Egypt as it is .pp.230;231.

2 - A . A : Vol.8.Desp.139.pp.81,82. 7 - 10 - 1873.

3 - Ibid : Alex, 17 - 2 - 1863.Vol.3.Desp.30.p.157.

4 - Ibid : Alex, 27 - 6 - 1867.Vol.4.Desp.95.p.2 20.

5 - De Leon (Edwin): The Khedive's Egypt.pp.275,276.

الفصل السادس

التعليم الأولى فى مصر

مدارس الجاليات الاجنبيه التى انشئت فى مصر فى القرن التاسع عشر

كان النفوذ الغربى متغلغلا فى شئون التعليم وبخاصة فى مرحله الاولى فقد ظلت اللغه الايطاليه تحتل المقام الاول بأعتبارها اللغه الشائعه فى بلاد "الليفانت" فكان المدرسون الاجانب فى بادىء الامر من الايطاليين كما ارسلت البعوث الاولى الى ايطاليا . ثم حلت اللغه الفرنسيه محل الايطاليه وكثر عدد الفرنسيين الذين استخدموا فى مختلف المرافق والمصالح والمنشآت (١)

ولقد انشئت مدارس لتعليم ابناء الجاليات الاجنبيه التى اقامت بمصر واتخذ كثير من افرادها هذه البلاد وطنا ثانيا لهم . وطبيعى ان هذه المدارس كانت تنحو فى تثقيف تلاميذها منحى قوميا : فالمدارس اليونانيه تعتنى باللغه اليونانيه والتاريخ اليونانى . والمدارس الايطاليه تعنى باللغه الايطاليه والتاريخ الايطالى وهكذا . على اننا نلاحظ ان اغلب هذه المدارس كانت تعنى الى جانب الثقافات القوميه الخاصه بتعليم تلاميذها اللغه الفرنسيه التى حلت فى التجاره فى بلاد الشرق محل اللغه الايطاليه . وكانت فوق هذا لغة الدبلوماسيه الاوربيه . وبعض هذه المدارس تغلب عليها الصفه الدينيه . وهى المدارس التى انشأها وقام على تعليم ابنائها وبناتها بعض رجال الدين من كل جاليه . والبعض الاخر من هذه المدارس تغلب عليها الصفه (العلمانيه) وهى المدارس التى انشأها وقام على التعليم فيها افراد وجمعيات من كل جاليه وبعضها يتطلع الى الكسب المادى . وبعضها لا يتطلع الا الى تحقيق الاغراض التهذيبيه (٢)

---

١) دكتور محمد فؤاد شكرى : حضارة مصر الحديثه (محاضرات سنة ٥٩) ص ١٤٤

٢) دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر جـ ٢ ص ٨٢٤

ومن اهم مدارس الجاليات الاجنبيه فى مصر :

١) مدارس الجاليه اليونانيــــه .

كان لطائفة الروم الارثوذكس مدرسه بدير القديس جورجيوس (Gergeos) بمصر القديمه منذ منتصف القرن السابع عشر . وظلت قائمه حتى اوائل القرن التاسع عشر وكانت لهـم مدرستان اخريان بحى الجوانيــه .(١)

وفى عهد محمد على وجدت مدرسه للافريق (Hyppacantic Greek (Orthodox School) وكانت فى حى الحمزاوى وفى الاسكندريه اسست الجاليه اليونانيه مدرسه فى عهد محمد على فى سنة ١٨٤٣ . وجمع افراد الجاليه مبلغا من المال اتفقوا به مستشفى نظاميـــه واقيم لها بناء فى سنة ١٨٥٤ على ارض قدمها الثرى اليونانى (Michel Tosiza) وانتظم البناء الجديد مدرسه اوليه للبنين واخرى للبنات وكنكتيه . ودعيت هذه المدارس بأسم مؤسسهـــا (٢)

اما الجاليه اليونانيه بالقاهره فقد تأخر تنظيمها الى سنة ١٨٥٦ وجعلت من اهم اغراضها المحافظــه على مدرستها بالقاهره وكانت تسمين فى مدرسه للبنين واخرى للبنات وكانـت تقوم على اشتراكات تدفعها البطريركيه وافراد الجاليه . ويظهر ان حالتها الماليه لم تكن طيبـــه لان الجاليه ارسلت الى الحكومه اليونانيه فى سنة ١٨٧٥

---

١) دكتور احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٢٣ نقلا عن
Politis:L'Hellenisme et L'egypte Moderne.Vol.I.pp.I09,II0.

٢) نفس المصدر الســـابق ونفس الصفحه نقلا عن :
Ibid:p.4I2.

٣) نفس المصدر السابق ص ٨٠٤ نقـــلا عن :
Ibid:pp.270,27
امين سامى فى التعليم فى مصر

تطلب اليهم ان تمدها بالكتب الدراسيه اللازمه لها .

وكانت مدرسة البنات بالحمزاوى وتديرها السيده (Hélène Vassiliadis) وكان بها في سنة ١٨٦٠ ستون تلميذه وكان زوجها يدير مدرسة البنين الاوليه وبعد ان يتم التلاميذ دروسهم بها يلتحقون بالمدرسه الابتدائيه اليونانيه وكانت تقع بالقرب من دار البطريركيه في الحمزاوى .

اما الاسكندريه فقد انشأ اليونانيون مدرسه للبنات في سنة ١٨٥٥ ومنذ سنة ١٨٧١ نشطوا لتنظيم مدارسهم في الثغر . وقد زارها (دوريك) في ذلك الوقت وكانت بمدرسة البنين ٨ مدرسين . (١٨٢) تلميذا ومدرسة البنات ٤ مدرسات . ٥٠ تلميذه وعدلت المدارس مناهج التعليم فيها لبلائم الحاجات المحليه . فأعطى اللغه العربيه واللغات الاوربيه الحديثه مكان ممتاز واضيفت فصول عاليه للتلاميذ المتقدمين وفي سنة ١٨٧٨ نظمت دروس في التجاره . كما كانوا يتعلمون ايضا التاريخ والجغرافيا والرياضات واشغال الابره والموسيقى (١)

وكان لليونانيين بالاسكندريه عدا هذه المدارس مدرسه يديرها (Emanuel Suvarpia) وكان بها سنة ١٨٧٢ خمسه معلمين ٢٨ تلميذا ومدرسه يونانيه سوريه كاثوليكيه وبها معلم واحد . ٣٠ تلميذا

وكلما حل اليونانيون ببلد انشأوا لهم فيه كنيسه ومدرسه كما فعلوا في المنصوره وطنطا في سنة ١٨٥٩ وفي بورسعيد تقدم لهم فيلسيس أرشك اقاموا عليها كنيسه ومدرسه للبنين ومدرسه للبنات في سنة ١٨٦٦

---

١) نفس المصدر السابق نقلا عن : Ibid : p .233.

٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا عن : 2 - We.Coan : op.cit.p.227.

٤) نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا عن : Ibid : pp.226,34 3.

Ibid : p.335.

الزقازيق جمعوا مبلغا من المال لينشئوا لهم كنيسة ومدرسة . وكذلك في شبين الكوم والاسماعيلية .(١)

واهم المدارس اليونانية بالقاهرة المدرسة التي انشأها الاخوه Abet (عبيد ؟) قد افتتحت في سنة ١٨٦٠ وعلى اثر افتتاحها اغلقت الجالية مدرستها بحوش الاقتصاد ووضعت المدرسة (Abet) ـ وقد دمجت بعد ذلك بالمدرسة العبيدية ـ لائحة نص فيها على ضرورة تدريس اللغات الاغريقية والعربية والفرنسية لجميع التلاميذ (٢)
وفي سنة ١٨٦٣ دخلت المدرسة في رعاية الحكومة الروسية . وكانت المدرسة تتألف من اربعة فصول : فصلان منها للتعليم الاولى وفصلان للتعليم الثانوى واكثر تلاميذها من الاغريق . وبها قليل من القبط والارمن وفي الوقت الذى ضعفت فيه مدارس الجالية بالقاهرة . نهضت المدرسة العبيدية لتسد حاجة ابناء الجالية وغيرها من الجاليات الاخرى الى التعليم بفضل اوقاف مؤسسيها واعانة الحكومة المصرية هوانشئ بها في سنة ١٨٧٦ قسم يتلقى فيه التلاميذ الذين لا يعرفون اللغة اليونانية دروسهم باللغة العربية . وكان اكثر تلاميذ هذا القسم من ابناء المسلمين . وقد اثنى " دوريك " على المدرسة العبيدية حين زارها سنة ١٨٧٢ . وكان بها في ذلك الوقت ٨ معلمين و ١٢٥ تلميذا . وكانت تستخدم في تعليمهم طريقة (لانكستر) وكان يقام لامتحان تلاميذ المدرسة العبيدية بحفل في كل عام يحضره قنصل الروسيا وكثيرا من الاعيان . وخطب في احدى هذه الحفلات " رفاعه بك رافع " فأشاد بالمدرسة التي (كست هذه الجالية جمالا وحمت جوى الجو ائه واكسبت نواجها اغتذ/لا) (٣)

---

١) احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر جـ٢ نقلا عن Politis:pp.298,339,348
٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة نقلا عن : Ibid : pp.442,481.
٣) نفس المصدر السابق صـ ٨٥٦ نقلا عن
الوقائع المصرية العدد ١١٩ في ٢٦ اوز

في سنة ١٨٦٢ انشئت الكليه الايطاليه بالاسكندريه على ارض مساحتها ٢٥٨٣ مترا مربعا ، قدمها سعيد باشا كما ساهم بمبلغ ٦٠ الف فرنك في بنائها ، وقد اتصلت المدرسه منذ انشائها بالحكومه الايطاليه ونالت منها اعانه ماليه سنويه ، وقد شكل للاشراف عليها مجلس اداره برأسه قنصل عام ايطاليا في الاسكندريه وكان يدير المدرسه (agani) وقد وضعت للكليه في سنة ١٨٧١ ، لائحه من اعداد بنظام الدراسه وتأديب التلاميذ ، وقد نظمت اللائحه الدراسه بالكليه على النحو الاتي :

١ـ المدرسه الاوليه (Scula lementare) تتكون من اربعة فصول :

الفصل الاول : قسمان ادنى واعلى ويدرس تلاميذها الايطاليه والحساب

الفصل الثاني : الايطاليه والفرنسيه والحساب

الفصل الثالث : الايطاليه ، الفرنسيه ، الانجليزيه ، الحساب ، الجغرافيه

الفصل الرابع : الايطاليه ، الفرنسيه ، الانجليزيه ، العربيه ، الحساب ، الجغرافيه التاريخ ،

٢) المدرسه الفنيه (Scula Tecnico) وتتكون من اربعة فصول :

الفصل الاول : الايطاليه ـ الفرنسيه ـ الانجليزيه ـ العربيه ـ التاريخ والجغرافيا الحساب والرسم والخط

الفصل الثاني : الايطاليه ، الفرنسيه ، الانجليزيه ، العربيه ، التاريخ والجغرافيا والهندسه والرسم والخط علوم طبيعيه ،

I - Mc.Coan: op.cit.p.??.

٢) احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق نقلا عن :

Collegio Italiano di Alessandria d' Egitto, Regalamento

الفصل الثالث : الايطاليه · الفرنسيه · الانجليزية · العربيه · التاريخ والجغرافيا الرسم · الجبر · الطبيعه · مبادئ أولية فى الحقوق والواجبات ·

الفصل الرابع : الايطاليه · الفرنسيه · الانجليزيه · العربيه · تاريخ التجارة مبادئ القانون التجارى · علوم وتعطى دروس اختياريه فى اللغات الاغريقيه واللاتينيه والالمانيه ·

وكانت الكلية الايطاليه بالاسكندريه من اكثر المدارس الاجنبيه بمصر نجاحا أما فى القاهرة فقد انشأ " تيتو فيجارى " (Tito Figari) وهو من مبعوثى سعيد باشا الى اوروبا مدرسة فيكتور عمانويل المجانيه سنة ١٨٦٦ وكان بها فى سنة ١٨٧١ ثلاثة مدرسين ، ٤٥ تلميذا ويتعلمون اللغات العربيه والايطاليه والفرنسيه (١) · وكذلك الترجمه من الفرنسيه الى الايطاليه والعربيه وبالعكس فى آن واحد وشفويا فتحرس عند التلاميذ المقدره على تحويل الفكر بسرعه من احدى هذه اللغات الى الاخرى (٢) ·

٣ — مدارس الأرمن :

كانت الجاليه الارمنيه أولى الجاليات سبقا الى انشاء المدارس فى عهد محمد على فأنشأت مدرسة (كالوسديان) فى بولاق سنة ١٨٢٨ وكانت تابعه للبطريركيه الارثوذكسيه ولكن الأرمن لم يحتفلوا بعد ذلك بإنشاء مدارس خاصه لتربية ابنائهم قانعين بارسالهم الى مدارس الارساليات والجاليات الاخرى · واحتفظوا بمدرستهم وكان بها فى سنة (١٨٧٢) عشرون تلميذا يعلمهم أرمنى لا يعرف العربيه ولهذا كان التفاهم شاقا بينه وبين تلاميذه ·

---

١ — دكتور احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٥٩

٢ — الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل ج ١ ص ٢٢٥ ·

٣ — احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٥٧ ·

[illegible] وتصبير العيون فاكثر منهم بالتعلم والصناعة (١) . والعلوم التي تدرس بها كانت محدودة وهي العربية والارمنية والفرنسية والرياضة (٢) .

أ- مدارس اليهود :

كان لليهود في سنة ١٨٢٢ اربع مدارس اولية بالقاهرة تضم ١٥٥ تلميذا ومدرستان مدرسة (Bengamin Ozzi) ومدرسة (Benedetto Malki) وتختلط فيهما التلاميذ من الذكور والاناث واكثرهم لم يبلغ الخامسة من عمره فهي ملاجئ للطفولة وبعض الاطفال وتنهم يجلسون على الحصير او يجلسون على الارض ويتعلم الاكبر سنا منهم القراءة والكتابة باللغتين العربية والعبرية .

ولليهود ايضا في القاهرة مدرستان اولتيان اعلى من المدارس السابقة مستوى : مدرسة (Aliream Colan) ومدرسة (Schnuel Acker) ويتعلم تلاميذها اللغة الايطالية التي تعتبر كبيرا في المعاملات التجارية ويدفع التلاميذ رسوما شهرية تتراوح بين خمسة قروش وعشرة .

وأكبر مؤسسة تعليمية لليهود الكلية التي انشأوها بحارة اليهود بالقاهرة بفضل الهبة التي تقدم بها سنة ١٨٦٠ الثري اليهودي " صموئيل روبينو " (Samuel Rubino) وبها ٨٣ تلميذا تتراوح اعمارهم بين السادسة والخامسة عشرة ويتعلمون اللغات العبرية والفرنسية والايطالية والاناشيد الدينية والجغرافيا والتاريخ والحساب .

---

١) الياس الايوبي : نفس المصدر السابق ص ٢١٥

2 - Mc.Coan: op.cit.p.22

ويتلقى بعض تلاميذها دروسا في التلمود واكثرهم يتعلمون بالمجان

وفي سنة ١٨٧٥ كانت المدارس الاسرائيلية بالقاهرة تديرها لجنة من بعض رجال الدين واعيان الطائفة ، وكان بها جميعا ١٢ مدرسا ١٧٥٥ تلميذا ١٧٥٥ تلميذ ، يتعلمون العبرية والعربية والايطالية والفرنسية والمعلومات العامة . واكثرهم يتعلمون بالمجان ، وايراداتها من الصندوق العام لابناء الطائفة والاشتراكات السنوية ولليهود الاسكندرية اربع مدارس اولية بها ٩١٢ طفلا ، واهم المدرسة التي انشأها الثري اليهودي Proaper Delma التي تضم ٤١ ولدا ١٢٥ بنتا وهي وسط بين الكتاتيب والمدارس التي تسير على النسق الاوروبي . وانشأت الطائفة الاسرائيلية بالاسكندرية مدرستين مجانيتين يقرب نظامها من نظام المدارس الاوروبية احدهما للبنات وبها ٨٥ فتاة يتعلمن اللغة الايطالية والاخرى للبنين وبها ١٠٤ تلميذ يتعلمون اللغات الايطالية والعبرية والفرنسية والحساب والجغرافيا .

وفي سنة (١٨٧٥) كانت المدارس الاسرائيلية بالاسكندرية منظمه على مثال مدارس القاهرة وتبلغ نفقاتها السنوية ٥٠٠ و ١٢٠ جنيها (1) على ان معظم مدارس اليهود كانت مشهورة بالقذارة الخارجية المنابها بما فيها اكثر منها بحسن التعليم . وان هذه المدارس وحدها لاتدل على حقيقة انتشار التعليم بين اليهود فان اولادهم وبناتهم كانوا يترددون على المدارس الاجنبية الاخرى لدرجة انك لاتلقى يهوديا مصريا غير متعلم (2) وبالرغم من ذلك كان يندر ان ترى بينهم فردا راقيا رقيا حقيقيا لانهم كانوا يعتبرون العلوم محض اسلحة اجتماعية فكانوا يسرعون في اقتباسها (3) .

---

١ – احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٩٠

2 - Mc.Coan: op.cit.p.227.

٣ – الياس الايوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل جـ١ ص ٢١٦

٥ ـ المدارس الالمانيه :

فتحت اول مدرسة المانيه بالاسكندريه في سنة (١٨٦٦) ، وفي سنة (١٨٧١) كان ثمة مدرستان المانيتان بها إحداهما للبنين وبها ستة معلمين ، ٢٥٥ تلميذا ، والاخرى للبنات وبها معلمتان (٦١) تلميذه وفي القاهرة فتحت مدرسة المانيه للبنين سنة ١٨٧٣ ، والاخرى للبنات في العام التالي (١) .

٦ ـ مدارس السوريين المارونيين :

كان لهم في عصر اسماعيل ثلاث مدارس بالقاهره ، مدرسة في درب الجنينة واخرى في الازبكيه وثالثه في شبرا . وهي في مستوى الكتاتيب ويقرأ الاطفال فيها القصص والمزامير والانجيل ويديرها قسيس مارونيون ، ويدخل اغلب تلاميذها في مدرسة الفرير بالخرنفش ، ويرسل بعضهم الى مقر المارونيين في بيروت للدخول في السلك الديني (٢) .

ولم تساهم مدارسهم بشكل ملحوظ في الحركه التعليميه في مصر (٣) .

٧ ـ مدارس خاصة :

وهي المدارس التي انشأها على نفقتهم الخاصه افراد من الاوربيين من رجال التعليم او الاعمال ولاشك في ان اطراد الزياده في عدد الجاليات الاجنبية بمصر واتساع نشاطها كان يقتضي التوسع في انشاء المدارس على اختلاف انواعها لسد الحاجه الى تعليم ابناء هذه الجاليات وبناتها (٤) . (انظر الملحقات)

---

١ ـ دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر حـ ٢ ـ ٨٥٩

٢ ـ نفس المصدر السابق ـ ٨٥٧

3 - Mc.Coan: op.cit.p.224.

٤ ـ دكتور احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ـ ٨٦٠

هذا وقد فتحت كل مدرسة من مدارس الجاليات الاجنبية شحى فيها ، كما عنيت اغلبها بتعليم اللغة الفرنسية وهى اللغة الدبلوماسية فى ذلك ، كما تغلبت اللغة الدينية على بعض مدارس الجاليات الاجنبية بينما تغلبت على البعض الاخر اللغة العلمانية وهى المدارس التى انشاها وقام بالتعليم فيها افراد او جمعيات من كل جالية .

وقد قام سعيد باشا بتشجيع مدارس تلك الجاليات حتى بلغت المدارس الاوروبية التى فتحت فى عهده حوالى احدى عشر مدرسة (١) .

والحق ان هذه المدارس جميعا قد وجدت من خلفاء محمد على وخاصة سعيد واسماعيل كل عطف وتشجيع ورعاية . وكان لهذه الحالة اثرها فى توطيد هذه المدارس واقامت اكثرها على البقاء لمدة طويلة ، فقدمت اليها الهبات الطائلة وأراضى للبناء ومقادير سنوية من القمح وتقدم الخديوى اسماعيل لبعض هذه المدارس بمرتبات معلمى اللغة العربية تشجيعا لهذه المدارس على تعليم اللغة العربية لطلابها وبالكتب المدرسية التى يقروءها تلاميذ المدارس الحكومية وبالاعانات المالية يجريها عليها فى كل عام .

وكان يطلب الى السلطات الادارية المحلية ان تمد يد المساعدة للقائمين على المدارس الاجنبية لان هذه المدارس (من الامور الخيرية التى يجب المساعدة فيها (٢)) .

كما كان ديوان المدارس ينشر فى صحيفة روضة المدارس وفى الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) اخبـــار .

---

١ — امين سامى / تقويم النيل وعصر عباس الاول وسعيد ص ٤٣٩

٢ — احمد عزت عبد الكريم / التعليم فى مصر ح ٢ ص ٨٢٧ نقلا عن : دفتر ٤٦٥ (مدارس عربى) طلب مساعدة محافظة دمياط للمدارس الانجليزية بها ص ١٦ رقم ٥ الى محافظ دمياط غرة رجب ١٢٩١ .

المدارس الاجنبية ونوه بمجهوداتها في التعليم ورفاعة بك رافع يزور بعض هذه المدارس ويقف في حفلاتها خطيبا . وبفضل هذا التشجيع تضاعفت الزيادة في عدد هذه المدارس (١) الاجنبية وتلاميذها ويتضح ذلك من البيان التالي :

السنة	عدد المدارس	عدد المدرسين	عدد التلميذات		عدد التلاميذ		مجموع التلاميذ
			داخليه	خارجيه	داخليه	خارجيه	
١٨٤٨	١٠	—	—	—	—	—	—
١٨٧١	١٦٠	—	—	—	—	—	٥٥٩١
١٨٧٥ (٢)	٩٣	٤٣٨	٥١٩	٢٨٦٤	٣٥٢	٥٢٢٦	٨٩٦١
١٨٧٨	١٥٢	—	٣٢٥	٤٣٠٠	٣٢٩	٧٢٩٣	١٢٢٤٧
١٨٨٧ (٣)	١٩١	٨٦٤	—	—	—	—	٢٢٧٦٤

ويرى على باشا مبارك ان عدد تلاميذ تلك المدارس في سنة ١٨٨٧ يمكن ان يصل في الحقيقة الى ٢٥,٠٠٠ تلميذ وتلميذه وذلك لان نظارة المعارف لم تستطيع الحصول من بعض المدارس على المعلومات التي طلبتها .

على ان اهمال اللغه العربية في هذه المدارس كان يحول دون ان يتمكن تلامذتها من اللحاق بمدارس الحكومه العاليه (الخصوصيه) . وقد لاحظ توسون تنظيم المعارف في سنة ١٨٨٠ انه لم يكن القصور قاصرا لاستطاع تلاميذا المدارس الاجنبية ان يصلوا الى الصفوف الاولى بين تلاميذ المدارس الخصوصيه هو عندما فكرت الحكومه في انشاء مدرسة عليا للادارة على انقاض مدرسة الالسن فكرت في تغذية المدرسة من تلاميذ المدارس الاجنبيه .

---

١ - الوقائع المصريه العدد ١١٩ في ربيع الاول سنة ١٢٨٩ .

٢ - احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٢٨ نقلا عن :

[illegible]tatistique des [illegible]coles civiles 187 5.p.[illegible].

٣ - نفس المصدر السابق ونفس الصفحه نقلا عن :

Mi[illegible]istre L'inst[illegible] publique 3eme report [illegible]887.

المدارس الحرة المجانية : Ecole Gratuites Libres et Unincrasalles

رأينا كيف ان كل جالية وكل الإرسالية وكل طائفة دينية اخذت تعنى بمدارسها وان تسود فيها ثقافتها الدينية او القومية وكانت هذه الغايات الدينية والقومية تصد كثير من عن ان يفيدوا ابعد الفائدة من (هذه) المدارس التي لا ينكر اثرها في تربية طوائف كثيرة من ابناء الاوربيين وغيرهم ولم يستطيع اهل البلاد ان يقفوا بمعزل عنها لقد راينا ان كثيرا من هذه المدارس واهمها المدارس الامريكية — قد تغلغلت في مختلف انحاء البلاد حتى ذهبت بعيدا الى فرشوط وقوص واسنا ... الخ واقبل الاقباط على مدارس الارساليات الامريكية وغيرها من مدارس الجمعيات التبشيرية الدينية . اما المسلمون فقد وقفوا بمعزل عن هذه المدارس اول انشائها ثم بدأوا يتسربون اليها ليفيدوا من التعليم الذى تقدمه والذى يختلف فى اسلوبه وغاياتـــه عن التعليم الذى تقدمه (لهم) مدارس الحكومة وعلى الخصوص من حيث العناية التى تبذلها المدارس الاجنبية بتعليم اللغات الاوربية الحية ... وبلغ من اقبال ابناء البلاد على التعليم بالمدارس الاجنبية ان اصبحوا يكونون فى سنة ١٨٧٨ ٥٢% من مجموع تلامذتها .

وكلما ازداد عدد الجاليات الاجنبية وانتشرت مدارسها اشتد الشعور بالحاجة الى مؤسسات تعليمية ولا تعنى بتلقين تلاميذها دينا معينا ولا تحفل بتلقين تلاميذها ثقافة معينة وانما تكون (عامة) لابناء الجاليات جميعا ولابناء البلاد ايضا تقوم على تعليمهم مجانا وتأخذهم بثقافة عامة للعربية فيها حظ لا يقل عن حظ اللغات الاوربية ونهض احد كبار الاجانب بالاسكندرية (مسيو دوفان Dauphin) لتحقيق هذا المشروع بانشاء المدرسة التى دعيت فى اول الامـــر (المدارس المجانية العامة) ونال " دوفان " تشجيع

الخديوى اسماعيل ورعاية ولى عهده توفيق باشا واعانة الحكومة المصرية (١) وأمها القاصدون من كل مذهب وجنس فوليس فيها مظهر البتة يذكر احدهم بأن هناك فارقا بينه وبين الجالس بجانبه بل يشعر الجميع بأنهم اخوة فى الانسانية المحققة وان هذه الاخوة هى الرابطة الوحيدة بينهم . وشرعوا يتعلمون فيها العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية ومبادئ الرياضة والهندسة والتاريخ ويتعلم من شاء الحرفة التى يختارها (٢) . وبالرغم من ذلك كانت تلك المدارس اقرب الى المدارس الاجنبية منها الى المدارس المصرية وفى سنة ١٨٢٣ انشئت مدرسة من هذا النوع فى القاهرة وانتقل لادارتها دونان نفسه . وفى سنة ١٨٧٦ كان يوجد بها ٤٨٦ تلميذا منهم ٢٦٢ مصريا من جميع الاديان والاجناس ١٥٥ انجليزى ٦٢٥ فرنسى ٧٢ ايطالى ٦٢٥ يونانى ٢١ نمسوى ٥ ألمان ٣ اتراك ٣٥ روسى ٣٥ أسبانيون ١٣ من اجناس اخرى بينما يوجد بمدرسة الاسكندرية ٢٥٦ تلميذا (٣) .

استقلال المدارس الاجنبية عن نظارة المعارف :

هذه هى معاهد التعليم الخارجية عن النظام القومى مرابطا اختلافها فى القصد وفى الثقافة وفى مستوى التعليم . ولكن كان يجمع بينها انها جميعا مستقلة عن سلطان الدولة مثلا فى ديوان المدارس او نظارة المعارف ، وهى الهيئة المهيمنة - او التى يجب ان تهيمن - على مختلف معاهد التعليم فى البلاد .

---

١ - دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر جـ ٢ ص ٨٦٢

٢ - الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عصر الخديوى اسماعيل جـ ١ ص ٢٢٦

3 - Mc.Coan : op.cit.p 22?.

وليس من شك فى ان اطراد الزيادة فى عدد هذه المدارس وتلاميذها مع بقائها مستقله تمام الاستقلال من ديوان المدارس أو نظارة المعارف قد هال القائمين على شئون التعليم فى البلاد . وتقدم مصطفى رياض باشا فى سنة ١٨٧٢ بمشروع قانون لتنظيم المدارس الاجنبيه واخضاعها لهيمنه الدوله .

ويعتبر هذا المشروع أول محاولة من جانب الدوله لاخضاع هذه المدارس لسلطانها وتلتها محاولات أخرى فى سبيل هذه الغايه وفيما يلى بعض القواعد الاساسيه التى جاءت فى المشروع :

اعترف رياض باشا فى مشروعه (بالكيان) الخاص الذى اكتسبته المدارس الاجنبيه فى مصر .

وكان يرجو أن يؤدى الاصلاح القضائى (والذى سيأتى الكلام عنه بالتفصيل فى الفصل العاشر) والذى شرعت فيه حكومة اسماعيل الى توحيد التشريع بين المصريين والأجانب المقيمين فى مصر . ومن ثم يكون من السهولة بمكان وضع قانون عام لتنظيم التعليم فى مصر ينطبق على المدارس المصريه والمدارس الأجنبيه على السواء ، وفى انتظار بلوغ هذه الغاية (تنظم) لائحة رياض (صلة) المدارس الاجنبيه بديوان المدارس فكل مدرسة (حرة أو خاصة) ينشئها افراد من أهل البلاد أو أجانب متوطنون بها يجب أن تنال (رخصة) من الحكومة المصريه (المادة الاولى)[1] .

---

١ - دكتور احمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فى مصر جـ ٢ صـ ٨٣٠

وتخضع للتفتيش نظارة المعارف مع بقائها مستقلة (المادة الثانية) ويزور هذه المدارس أطباء الحكومة ويسمح للمدارس بأن تختار لها أطباءها على ان يرفعوا الى نظارة المعارف تقاريراً سنوية بحالة المدارس الصحية (المادة الخامسة) وترفع ادارة المدرسة الى النظارة تصميما للبناء الذى تقوم عليه المدرسة (المادة السادسة) وتقريرا شهريا بعدد التلاميذ الذين يدفعون مصروفات والذين يتعلمون بالمجان (المادة الثامنة) وتقريرا آخر فى كل ستة اشهر بعدد تلاميذ المدرسة وتوزيعهم على الفرق الدراسية وعمر كل منهم وجنسيته واسم أبيه أو ولى أمره ومهنته (المادة التاسعة) وتخطر ادارة المدرسة نظارة المعارف بميعاد العطلة وافتتاح الدراسة (المادة العاشرة) وتبعث الى النظارة باللوائح تنظيمها (المادة ١١) وبتقارير سنوية فى ختام العام الدراسى تبين سير المدرسة فى العام المنصرم ونتائج التلاميذ فى الامتحانات العامة وميزانية ايراداتها ومصروفاتها (المادة ١٢) وتضع ادارة كل مدرسة تحت تصرف الحكومة المصرية عشر محالها لتلاميذ تقبلهم للتعليم بالمجان . والنظارة تتقدم نفقات مأكلهم وملبسهم ومأواهم بالمدرسة الا اذا كانت المدرسة تقبل اعانة مالية من الحكومة المصرية (المادة ١٣) .(١)

---

١ - دكتور احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٣١

وفيما عدا الصلات التي حوتها اللائحة على ان تجعلها سهلة ميسرة على المدارس حتى لتذكر ان رفع هذه التقارير الى النظارة ليس الا (صلة الاخطار) فيما عدا ذلك تركت اللائحة للمدارس الاجنبية الحرية الكاملة في اختيار مدرسيها على ان تخطر النظارة بأسمائهم ومرتباتهم (المادة ١٤) كما تركت لها الحرية الكاملة في وضع خططها الدراسية على ان ترسلها الى النظارة قبل بدء العام الدراسي (المادة ١٥) وتشترك نظارة المعارف في امتحان تلاميذ هذه المدارس اما بواسطة مندوبين من لجان الامتحان او بامتحان بعض تلاميذها في الامتحانات العامة على تلاميذ المدارس الاميرية (المادة ١٦) (١).

فهذه اللائحة او مشروع اللائحة - لم تفعل شيئا سوى انها حاولت ان تنظم الصلة بين المدارس الاجنبية والحكومة المصرية او نظارة المعارف على نحو يحفظ لهذه المدارس استقلالها وذلك باخطار نظارة المعارف بحالتها من وقت لآخر . وليس في اللائحة ما يشير الى الزام هذه المدارس باتباع خطة معينة ترسمها النظارة . ولكن هذه اللائحة ظلت مشروعا حتى اذا كانت سنة ١٨٨٠ ونهض المفتشون لتنظيم التعليم في مصر عني ببحث المدارس الاجنبية . وخاصة من حيث علاقتها بالحكومة المصرية فقرر ان نظارة المعارف العمومية تستطيع - الى حد ما -

---

١ - نفس المصدر السابق ونفس الصفحات .

التفتيش على هذه المدارس والوقوف على المبادئ والبرامج الدراسية والتي تطبق على الطلبة المصريين الذين يتعلمون بالمدارس الاجنبية ، وقد بلغت نسبتهم الى مجموع التلاميذ في سنة ١٨٧٨ ٥٢ ٪ . واشار بان ترسل برامج التعليم بالمدارس الابتدائية الاميرية الى مديرى المدارس الاجنبية (حين يطلبونها) للسير على موجبها . وبأن تضع النظارة تحت تصرفهم - ان شاءوا - مدرسين للغة العربية وأكد القومسيون على النظارة ان لا تقدم الى هذه المدارس اعانات مالية الا اذا خضعت لتفتيش ديوان المعارف وان لا تقبل تلاميذها بالمدارس الخصوصية الا اذا درسوا طبقا لبرامج التعليم بالمدارس الاميرية . وأظهر القومسيون ارتياحه الى ما علمه من ان مجلس النظار قرر رصد مبلغ في ميزانية المعارف في كل سنة يوزع لاعانة المدارس المحتاجة الى الاعانة بنسبة عدد المحلات المجانية التي خصصتها كل مدرسة لابناء الفقراء (١)

على ان مقترحات القومسيون لم يتح لها ان تنفذ الا بعد وقت طويل ، وقبل ان الشيخ محمد عبده قد عين عضوا بمجلس المعارف الاعلى الذى شكل في سنة ١٨٨١ استطاع ان يقنع اعضاء المجلس والاجانب منهم خاصة بضرورة وضع المدارس الاجنبية في مصر تحت رقابة نظارة المعارف (بحجة ان جميع الدول الاوربية تراقب جميع المدارس التي تأخذ منها اعانة وتفتش مدارسها) .

---

١ - احمد عزت عبد الكريم : نفس المصدر السابق ص ٨٣٢ نقلا عن تقرير القومسيون ص ٢٢٧

د يجب على الحكومة ان تعلم ابنها لا لتضع دراهمها بل لتنفقها لبنا ينفع بلادها) وقيل انه لولا قيام الثورة العرابية لنفذ اقتراحه (١)

وظلت المدارس الاجنبية مستقلة — تمام الاستقلال — عن نظارة المعارف ، وظل تقدمها يطرد من عام لآخر بينما ظلت مدارس الحكومة تقريبا واقفة عند الحد الذي بلغته سنة ١٨٧٥ رغم قلة عدد الاجانب والطوائف غير الاسلامية بمصر بالنسبة الى مجموع المسلمين من اهل البلاد ويتضح ذلك من البيان التالي (٢) :

السنة	المدارس الاجنبية		المدارس الاميرية		عدد الاجانب والطوائف غير الاسلامية	عدد المسلمين
	مدرسة	تلميذ	مدرسة	تلميذا		
١٨٧٥	٩٣	٨٩١٦	٣٦	٤٨٧٨	—	—
١٨٨٢	١٩١	٢٢٧٦٤	٤٠	٥٥٠٠	٤٠٠ر٠٠٠	٦ر٠٠٠ر٠٠٠

وهكذا قام التعليم الاجنبي في مصر (مستظلا بالامتيازات الاجنبية غير حافل بالدولة ولا خاضع لسلطانها ولا ملتفت الى حاجات الشعب واغراضه ولا معني الا بنشر ثقافة البلاد التي جاء منها والدعوة لهذه البلاد) (٣)

---

١ — رشيد رضا : تاريخ الامام محمد عبده جـ ١ صـ ١٤٥

٢ — احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر جـ ٢ صـ ٨٣٢ نقلا عن :

A.Moubark : Note sur la création d'un Systeme general ... etc.

٣ — الدكتور طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر جـ ١ صـ ٢٢

وهكذا انشئت مدارس لتعليم ابناء الجاليات الاجنبية فى مصر واتخذ كثيراً من افرادها هذه البلاد وطنا ثانيا لهم • وكانت اهم هذه الجاليات كما سبقت الاشارة مدارس الجالية اليونانية ومدارس الجالية الايطالية والمدارس التى انشأها اليهود والارمن ومدارس الجالية الالمانية والسوريين المارونيين •

وطبيعى ان هذه المدارس كانت تنحو فى تثقيف تلاميذها منحى قوميا : فالمدارس اليونانية تعنى باللغة اليونانية والتاريخ اليونانى والمدارس الايطالية تعنى باللغة الايطالية والتاريخ الايطالى وهكذا • كما رأينا ان اغلب هذه المدارس كانت تعنى الى جانب الثقافات القومية الخاصة بتعليم تلاميذها اللغة الفرنسية التى كانت لغة الدبلوماسية الاوروبية •

كما رأينا ان هذه المدارس جميعا كانت مستقلة تمام الاستقلال — عن سلطان الدولة ممثلا فى نظارة المعارف ، وبالرغم من الاعانات والهبات التى كان يقدمها محمد على وخلفاؤه لاصحاب هـــذه المدارس • وكان لهذا كله اثره فى توطيد هذه المدارس مما اعان اكثرها على البقاء فى البلاد مدة طويلة • كما رأينا قيام احد هؤلاء الاجانب (مسيو دونان) بانشاء المدارس الحرة المجانية فى القاهرة والاسكندرية والتى كان تلاميذها من مختلف الاجناس والاديـــــان •

الفصل السابع

تكوين القنصليات ودور القناصل بالنسبة للجاليات الأجنبية

كانت لمصر علاقات تجاريه مع بعض الدول الاجنبيه ، فترسل اليها صادراتها وتأخذ منها وارداتها . وقد انشأت بعض تلك الدول قنصليات لها في مصر ، يرأس كل واحدة منهـا قنصل ، من واجباته الاشراف على شئون بلاده التجاريه في مصر .

بيد ان حكومة محمد على ، على تسامحها ، ماكانت لترضى بأن تترك لاقامة هؤلاء الاجانب مع اهل البلاد ومع الحكومه ذاتها من غير تحديد ، وماكانت لتدع قناصل الدول التى ينتمى اليها هؤلاء الاجانب يجاوزون الحد في حماية مصالحهم ، مع كل ماانطوت عليه هذه الحمايه في ظل الامتيازات الاجنبيه من افتئات على سلطان الدوله وسيادتها .

ولذلك كان من ابرز ظواهر هذا العصر نشاط التمثيل القنصلي في البلاد وتنظيمه علـى قواعد ثابته . وكان لشخصيه محمد على ونفوذ حكومتـه القويه أثرا فعالا في هذا التنظيم اذ ان سياسته الاقتصاديه ، وما اسفرت عنه من نمو مطرد في العلاقات التجاريه بين مصر والخارج ومشروعاته الامبرياليه وما احدثته من اثار في العلاقات الدبلوماسيه بين مصـر وتركيا وماانتجته من اسواق خضعت لنفوذ محمد على ودخلت في دائرة نشاطه الاقتصادى كل ذلك أوجب العنايه بالتمثيل القنصلي ، وتنظيم هذا التمثيل (١)

---

١) الدكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر (محمد على) صـ ٢٥

وكان عدد قناصل الدول الاجنبيه فى مصر فى بداية القرن التاسع عشر تسعة قناصل فقط . وذلك فى عام ١٢٣٤ هجريه (١٨١٩) ميلاديه[١] ولكن عندما جاء هدجسون (Hodgson) الامريكى الى مصر سنة ١٨٣٤ هجريه ذكر فى تقريره الذى رفعه لحكومته انه كان يوجد فى مصر قنصليات لكل من بريطانيا العظمى وروسيا والنمسا وسردينيا وهولندا واسبانيا والسويد وتسكانيا وصقليه والدانمرك وبروسيا واليونان والولايات المتحده الامريكيه وفرنسا[٢] وذلك يدلنا على زيادة عدد القناصل فى مصر عما كانت عليه سنة (١٨١٩) وذلك نتيجة لزيادة علاقات مصر التجاريه والسياسيه مع الدول الاجنبيه . وكان القنصل العام لكل من انجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا يرعى مصالح بلاده السياسية فضلا عن المصالح التجاريه لانه فى نفس الوقت مندوب سياسى لبلاده . ويقيم فى الاسكندريه صيفا وفى القاهره شتاء تبعا لمكان انعقاد ديوان محمد على[٣] . كما كان القنصل يتصل بالباشا رأسا ويبعث برسائله مباشرة الى وزارة الخارجيه فى بلاده على انه يبعث بصوره منها الى سفير دولته بالقسطنطينيه[٤] وظل محمد على . على الرغم من تشجيعه وفود الاجانب الى البلاد وآقامتهم بها يحرص كل الحرص .

---

١) دفتر ٣ المعيه تركى رقم ٢٧٨ فى ٢ شعبان ١٢٣٤
2 - A.A/Report by William Hodgson .p.8.Alex.28-9-1834.
٣) دكتور احمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ٣٠٤
٤) دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٢٦

على صون نفوذه الكامل في ادارة شئونها ولم يستطع القناصل التدخل في هذه الشئون او حمل الباشا على شيء يرى انه يتنافى مع مصلحة البلاد بل كانوا يتوددون اليه خدمة لمصلحة الدولة التي يمثلونها او قضاء لمصالحهم الشخصية وكان لاهتمام هؤلاء القناصل بكسب رضى محمد علي واستبقاء صداقته ابلغ الاثر في تمتعه بالسيطرة والنفوذ في ادارته الداخلية ، من اوائل سني حكمه الى نهاية عهده تقريبا[1] وكان في بعض الاحيان ينعم عليهم بالهبات لتوطيد الصداقة بينه وبينهم[2] وكان القنصل ينال براءة الاعتماد من الباب العالي بوصفه صاحب السيادة الشرعية على مصر ، فعند تعيين الكولونيل "كامبل" (Campbell) القنصل العام لبريطانيا والقنصل " دوهاميل " (Du Hamel) القنصل العام لروسيا تقدم هذان القنصلان ومعظم اعضاء هيئة القناصل براءتهم من لدن الباب العالي الى الباشا واما المسيو "ميمو" (Mimaut) القنصل الفرنسي فمع انه اقام في مصر ثلاث سنوات الا انه لم يتسلم تلك البراءة من السفير الفرنسي في القسطنطينية كما اجل اثنان من وزراء الدول الصغرى طلب براءات لقناصلهم في مصر حتى تتم تسوية الخلافات القائمة مع الباب العالي وعندما ساءت العلاقة بين محمد علي والسلطان لم يعر محمد علي براءات الاعتماد شأنا كبيرا واعتبر تعيين القنصل من جانب دولته كافيا لقيامه بأعباء وظيفته اذا وافقه هو على هذا التعيين[3] .

---

١) دكتور محمد فؤاد شكري : نفس المصدر السابق ص ٢٧

٢) دفتر ٦ المعية تركي وثيقة ٥٢٢ في ٢ شوال سنة ١٢٣٦) (١٨٢٠)

3 - A;A: Report by W.B.Hodgson,Washington, 2-3-35.p.33.

ورأت الحكومات التى تدخلت فى النزاع بين السلطان ومحمد على ، أنه من المناسب أن تتجنب أى عمل قد يبدو فيه مساس بسيادة السلطان ، ولذلك طلب سفراء هذه الحكومات لدى الباب العالى (البراءات) اللازمة لاعتماد قناصلهم ، طبقـا لما يجرى به العمل ، وعندما قدم قنصل سردينيا براءته وضعها الباشا على الديوان بجانبه ، وبدأ يتحدث مع القنصل من فتح الماريونوس فى بهدشت . وقد لقيت براءة القنصل الروسى من قلة الاكتراث مثل ذلك . لهذا أبلغ الكولونيل " كامل " بوغوص بك وزير الخارجيه المصريه — قبل تقديم براءته أنه اذا كانت هذه الوثيقة المعطاه من لدن الباب العالى غير ضرورية فانه لن يقدمها الى الباشا . أما اذا لم يكن بد من تقديمها فانه يرجو أن يتسلمها محمد على بما جرت به العادة من الاحترام ، وذلك بأن يفضها ويقرأها ، وقد رأى محمد على لاعتبارات سياسيه أن يتسلم البراءة حسب القواعد المرعيه .

لذلك رأت الحكومات الاوروبيه التى تربطها روابط الصداقه بالباب العالى . أنه من اللائق أن تطلب براءات لقناصلها فى مصر . وأن كان الباب العالى نفسه يرفض أحيانا اعطاء براءات للقناصل فى ممتلكات محمد على .

أما نواب القناصل ووكلائهم ومن المهم من المندوبين فكانوا يباشرون وظائفهم على أثر صدور أمر من محمد على باعتمادهم لدى حكومته .(١)

I - A.A: op.cit.pp.34,35,36.

وقد اختلفت صفة القنصل من دولة الى أخرى وكان يوجد :

---

١) مندوب سياسي وقنصل عام (٢) قنصل عام (٣) قنصل

وبناء على ذلك كان يوجد في مصر سنة ١٨٣٨ مندوب سياسي وقنصل عام لكل من بريطانيا وفرنسا وروسيا . وقنصل عام لكل من النمسا وسردينيا وهولندا والسويد وتسكانيا وصقلية واسبانيا واليونان وقنصل لكل من الدانمارك وبروسيا والولايات المتحدة . وكانت مهمة كل واحد من هؤلاء الممثلين تختلف باختلاف رتبته فالمندوب السياسي والقنصل العام مهمته سياسية وقنصلية يشرف على شئون بلاده السياسية والتجارية في مصر وكذلك كانت مهمة القنصل العام اما القنصل فكانت مهمته قنصلية فقط . وكان كل واحد من هؤلاء الممثلين مهما كانت رتبته يتولى حماية رعايا دولته في مصر وممتلكاتهم وله عليهم ولاية قضائية في المسائل المدنية والجنائية فيفصل بينهم في جميع الدعاوى وقد زاد عدد القنصليات في مصر حتى بلغ ١٦ قنصلية في سنة ١٨٦٠ وتمثل كل واحدة منها احدى الدول الاجنبية . ومن اهم القنصليات التي لعبت دورا هاما في النواحي السياسية والتجارية في القرن التاسع عشر قنصلية فرنسا .(١)

وكان بونابرت اول من عين مندوبا (قومسيرا) عاما للعلاقات التجارية في القاهرة إذ أسند

---

١) دكتور احمد الحتة : الاجانب في مصر والسودان ص ٢٠٥ نقلا عن :

تلك الوظيفة الى (ماتيو دلسبس) وقد مهدت السبيل لهذا التعيين بمنشة (سيباستيانى) اذ تلقت أمرا بابلاغ الباشا نبأ مؤداه ان مندوبا تجاريا فرنسيا سيفد عما قريب الى القاهرة . ولكن ازاء الاضطرابات التى كانت سائدة آنئذ فى البلاد لم يسمح دلسبس الا البقاء فى الاسكندرية ردحا من الزمن ولم يهبط العاصمة الا بعد مرور عدة أسابيع على وصوله . وكانت القاهرة ما زالت مسرحا للنزاع المستحكم والشقاق المحتدم بين المماليك والالبانيين ، وعملا بنصيحة الزعماء الالبانيين الذين عجزوا عن تأمينه وطمأنينته رجع دلسبس الى الاسكندرية فى شهر مارس سنة ١٨٠٤ رغم الأوامر الصادرة اليه من القنصل الأول بونابرت بأن يلزم القاهرة . وقد عين دلسبس مندوبا " قوميسيرا " عاما فى مصر بمرسوم امبراطورى صادر فى ٢١ أغسطس سنة ١٨٠٤ وحل محله دروفتى وكيل مندوب (قوميسير) العلاقات التجاريه فى الاسكندرية وقد ظل مقره فى الاسكندرية ومنذ ذلك التاريخ لم يوجد بالقاهرة الا وكيل مندوب (قوميسير) عام هو مانجين . ولم يستقر رأى دروفتى على الاقامه فى القاهرة الا فى شهر مارس ١٨٠٧ وعندما اصبح نزول الانجليز فى الاسكندرية قاب قوسين أو أدنى . وابتداء من سنه ١٨٠٨ أصبح دروفتى يلقب بلقب القنصل العام وقد عين روسيل فى سنة ١٨١٤ بدلا من دروفتى فاستقر فى الاسكندرية غير أنه كان يقضى فترات [1]

---

١) رينيه وجورج قطاوى ، ترجمة الفريد يلوز : محمد على واوربا ص ٢١٤ ، ٢١٥ نقلا عن المكاتبات القنصليه بالقاهرة مجلد ٢٦ ص ٥٣ .

طويلة في القاهرة . وظلت الشئون المتعلقة بالقاهرة تعالج حتى سنة ١٨٢٥ بمعرفة قنصل فرنسا العام في الاسكندرية وقد شغل هذا المنصب :

روسـول من سنة (١٨١٤) الى سنة (١٨٢١)

دروفتي من سنة (١٨٢٢) الى سنة (١٨٢٥)

وخلال تلك الفترة لم توجد في القاهرة الا وكالة للقنصلية العامة وكان " جاربسهاري " مأمور الوكالة القنصلية . واول نائب قنصل في القاهرة هو " مالبغوار " وقد اسند اليه المنصب بمقتضى كتاب (١) مؤرخ في الخامس والعشرين من فبراير سنة ١٨٢٥ ووصل الى العاصمة في العاشر من اغسطس سنة ١٨٢٥ . وعين " مالبغوار " قنصلا بامر صادر في الحادي والعشرين من اغسطس ١٨٢٥ . وظلت قنصلية القاهرة قائمة حتى السابع والعشرين من اكتوبر ١٨٢٧ حيث ابلغ القرار بالغائها الى مالبغوار ثم اعيد بامر صادر في السابع والعشرين من اكتوبر ١٨٣٣ . وقد خلفه بعد ذلك: فرديناند لسبس" (١٨٣٤ - ١٨٣٨) ثم ماتيو دي بورفيل" (١٨٣٩ - ١٨٤٦) وبندربيجي (١٨٤٧) ثم " دبلابورت" (١٨٤٨ - ١٨٥٠) (٢) .

ومن اشهر القناصل في عصر محمد على القنصل العام السويدي "انسطاسي"

---

١ - نفس المصدر السابق ونفس الصفحات نقلا عن نفس المصدر مجلد ٢٧ ص ٢٤١

٢ - نفس المصدر السابق ص ٢١٥ - ٢١٦ نقلا عن نفس المصدر مجلد ٢٦ ص ٢٤٩ - ٢٥٣

وكذلك القنصل الالماني Dumreiher الذي كان يعتبر من اعظم الشخصيات الاجنبية في مصر وكان يحترمه جميع الالمان في مصر وذلك للخدمات الجليلة التي قدمها لجميع الاشخاص من بني وطنه . (١)

اما عن التمثيل القنصلي للولايات المتحدة الامريكية في مصر: فترجع العلاقة بين مصر والولايات المتحدة الامريكية الى سنة ١٨٣٢ حيث انشئت اول قنصلية للولايات المتحدة في الاسكندرية وكثر عدد السياح الامريكيين الى الاسكندرية . ولكن لم توجد علاقات تجارية مباشرة بين البلدين حتى ذلك الوقت . (٢)

وعندما حضر هدجسن الامريكي في مهمة رسمية الى مصر سنة ١٨٣٤ ذكر في تقريره ان محمد علي ابدى رغبته في تعيين الولايات المتحدة قنصلا عاما لها في مصر كما سأل بوغوص ناظر الخارجية المصرية هدجسن عن مدى استعداد الولايات المتحدة لتعيين قنصل عام لها في مصر حتى يكون مندوبها مساويا في الدرجة لمندوب الدول الاخرى وذلك فضلا عن ان محمد علي يتطلع الى تأييد الدول الاجنبية فان ارسلت اليه الولايات المتحدة وكيلا مساويا في المرتبة لوكلاء الدول الاوروبية كان ذلك في صالح تجارتها في المستقبل . (٣) ثم تطور التمثيل القنصلي للولايات المتحدة في مصر خلال القرن التاسع عشر فتحولت القنصلية الى قنصلية عامة والقنصلية العامة الى وكالة سياسية وقنصلية عامة . وكان اول قنصل لها في الاسكندرية " جون جليدون " Gliddon وعين في ١٢ يناير سنة ١٨٣٢ . (٤)

I - Puckler Muskau(H.LH); Egypt under Moh.Ali.pp.74,75,76.

2 - A.A : Vol.p.62.

3 - A.A : Report by Hodgson, 2-3-I835.pp.55,56.

وكان جليدون من تاجرا انجليزيا في الاسكندرية منذ سنة ١٨١٨ ولم يتردد محمد علي في اعتماده تعيينه والسماح له بمباشرة أعماله على الرغم من صغر رتبته بالنسبة لرتب ممثلي الدول الاجنبية الاخرى وذلك لان محمد على اعتبر تعيينه فاتحة علاقات تجارية وعمل على تنميتها وتشجيعها (١) . غير ان القنصلية واجهت صعابا اول الامر نتيجة لحسد اعضاء الهيئات القنصلية لها وبخاصة الانجليز (٢) . ثم انشئ لها فرع في القاهرة وآخر في دمياط ثم تطور بانشاء قنصلية أخرى في القاهرة غير ان البعثة في كل من الاسكندرية والقاهرة كانت قنصلية فقط ولذا لم تكن للولايات المتحدة علاقات دبلوماسية مباشرة مع والي مصر .

وفي اواخر سنة ١٨٤٨ خطت تمثيل الولايات المتحدة في مصر خطوة كبيرة ، عندما عين رئيس الجمهورية . قنصلا عاما في الاسكندرية وجعل بعثته قنصلية وسياسية غير انه لم يمنحه لقب مندوب سياسي ولذا لم تكن بعثته سياسية من كل الوجوه (٣) . ومع ذلك فقد بدأت العلاقات السياسية المباشرة بين الولايات المتحدة ووالي مصر ونشأت القنصلية العامة في الاسكندرية

وفي ظل القنصلية العامة زاد تمثيل الولايات المتحدة في مصر فعين قنصل في القاهرة وآخر في بورسعيد ونائب قنصل في كل من السويس وبورسعيد والاسماعيلية ومندوب قنصلي في كل من الاقصر واسيوط وطنطا وقنا والخرطوم والمنصورة .

I - A.A : Hodgson,2-3- 1835.pp.35.36.55.56.

2 - Ibid: p.8.

3 - A.A : From the Secretary of State,Washington 23-10-1848.

وجرجا وبنى سويف والمنيا والزقازيق واسوان •

وفى يوليو سنة ١٨٧٢ عين رئيس الجمهورية مندوبا سياسيا وقنصلا عاما فى الاسكندرية لتمت بذلك الصفة السياسية لممثل الولايات المتحدة فى مصر (١) •ونشأت الوكالة السياسية والقنصلية العامه فى الاسكندرية التى نقلت فى اواخر سنة ١٨٧٤ الى القاهرة •

وكانت الاغراض الاساسية من تمثيل الولايات المتحدة فى مصر فى القرن التاسع عشر حتى سنة ١٨٨٠ :

١ — تشجيع التبادل التجارى بين مصر والولايات المتحدة •

٢ — المحافظة على العلاقات الودية بين البلدين وتقويتها •

٣ — (المحافظة) حماية مصالح الامريكيين فى مصر (٢) •

هكذا كان تمثيل الولايات المتحدة القنصلى والدبلوماسى فى مصر فى القرن التاسع عشر حتى ١٨٨٨

وكان عند تعيين احد قناصل الدول فى مصر يقام احتفال خاص لذلك الغرض ويبين ذلك من الخطاب الذى ارسله يوسف كمال وكيل ديوان الكتخدا الى كبير مترجمى الجناب العالى يسأل فيه عن "المحل" الذى سيجرى فيه الاحتفال الخاص بقنصل انجلترا العام والساعه المحدده لذلك (٣) •

وكما لتبع فى الوقت الحاضر كان يقوم القنصل باجراء الترتيبات اللازمه عند زيارة كبار الشخصيات فى بلاده لمصر فهذا قنصل بلجيكا العام يطلب تخصيص عربات سكه حديد وباخرة نيلية لتكون تحت امر سمو الامير اندوق (دبرابان) ولى عهد بلجيكا وزوجة (٤) •

ويقول هوجسون Hodgson الامريكى فى تقريرة ان معظم القناصل فى مصر فى ذلك الوقت اجازت لهم حكوماتهم الاتجار لحسابهم الخاص الى جانب القيام باعباء وظائفهم القنصلية •

I - A.A:From Beardsley,New York,2-4-1872,From the Secretary of State ,Washington,25-7-1872.

٢ - دكتور احمد الحتة :التمثيل القنصلى والدبلوماسى للولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر ص ٨٧

٣ - محفظه ٢٢ ج معيه تركى وثيقة ٥٢ فى ٢١ربيع اول سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣)

٤ - محفظه ٣١ معية تركى وثيقه ١٤٢ فى ١٣ جماد اول سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)

قناصل أوروبا يعتمدون في نجاح تجارتهم على عطف محمد علي لاسيما وأنه (هو المزارع الوحيد والصانع الوحيد والتاجر الوحيد في مصر).

كما ذكر "بورنج" في تقريره إلى حكومته أن قناصل جميع الدول - عدا بريطانيا العظمى وفرنسا والنمسا والروسيا وأسبانيا وبلجيكا - تجار يتجرون مع الباشا (محمد علي) وقد أصاب كثير منهم ثروة طائلة من عملياتهم التجارية مع الحكومة، ولذلك صار من المتعذر أن يكون لأعمالهم أو نفوذهم طابع الاستقلال، بل إن بعضهم يعملون وكلاء معتمدين للباشا في مسائل التوريدات التي تحتاج إليها الحكومة وفي تصريف المحصولات المصرية عندما ترسل إلى أوروبا حتى تباع لحساب الوالي، ومن أجل ذلك كثيرا ما حدث أن تعارضت المصلحة مع الواجب، وآية ذلك لما أثير موضوع حرية تجارة الغلال استوردت البيوت التجارية التي ينتمي إليها بعض القناصل ألوفا من الأرادب بناء على أمر الباشا، وبذلك أفاد القناصل من نظام لا يمكن أن يكون له سوى أسوأ الأثر في المصلحة العامة. لهذا لم يتقدم هؤلاء القناصل بالاحتجاج والشكوى إلا حينما اشتدت وطأة نظام الاحتكار، عندئذ بذلوا ما في وسعهم للقضاء على هذا النظام الذي قامت عليه سياسة الباشا الاقتصادية.(1)

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكري: بناء دولة مصر محمد علي ص٥٤٥ - ص٥٤٦ نقلا عن: تقرير بورنج الانجليزي عن أحوال مصر سنة ١٨٣٧

ولقد أدى اشتغال القناصل بالتجارة فى عصر محمد على الى ان اصحاب البيوت التجارية الكبيرة هم الذين ينالون هذه المناصب فى العادة ،وقد عاون جماعة من هؤلاء القناصل الحكومة المصرية فى نشاطها التجارى ،وصاروا يقومون بأعمال الاستيراد ومن بين الذين توطدت صلاتهم بمحمد على قنصل السويد " انسطاس Anastasi " الذى سبقت الاشارة اليه — وقنصل اتحاد الهانسا وبتألف من همبرج ولوبك وغيرها من البلدان فى ساحل المانيا الشمالى والراين ، و " زيزينيا " Zizinia وهو يونانى الجنسية وقنصل اليونان " باستريه " Pastré وقنصل توسكانيا " روستى " Rossetti ولكن هؤلاء لم يكن لهم اى نفوذ قنصلى ،بمعنى انهم كانوا لا يستطيعون الانتفاع (بالحقوق) التى اختصها زملاؤهم فى ولايات الدولة العثمانية الاخرى بفضل سريان معاهدات الامتيازات الاجنبية بها .(١)

ولكن يبدو أن اشتغال القناصل بالتجارة قد اقتصر على عصر محمد على لا نجد فى الوثائق ما يدلنا على اشتغال هؤلاء القناصل بالتجارة بعد عصر محمد على . إذ اقتصر عمل هؤلاء القناصل على تشجيع التبادل التجارى بين مصر والبلاد التى يقومون بتمثيلها ،وكذلك المحافظة على العلاقات الودية بين بلدانهم ومصر ،وحماية مصالح رعايا دولهم فى مصر ،ولو أنهم بالغوا فى حماية تلك المصالح أشد المبالغة خصوصا فى عصر سعيد والخديوى اسماعيل كما سيتضح ذلك فيما بعد .

---

١ — محمد فؤاد شكرى (دكتور) : مصر والسودان ص ٤٩

الوظائف القنصلية واختصاصاتها :

ويعد نظام القنصليات الاجنبية في مصر هو نظام قنصليات الليفانت بوجه عام وتتكون القنصلية البريطانية من :

١ - قنصل عام ومندوب سياسي	ومرتبه	٨٠٠٠ دولار
٢ - سكرتير خاص	«	٨٠٠ «
٣ - قنصل في الاسكندرية	«	٢٥٠٠ «
٤ - مأمور القنصلية	«	٦٠٠ «
٥ - مترجم اول	«	٨٠٠ «
٦ - مترجم ثان	«	٤٠٠ «
٧ - قواصان مرتب كل منهم ٢٠٠ دولار		٤٠٠ «
٨ - اثنان من الخدم مرتب كل منهم ١٢٠ دولار		٢٤٠ «

والى جانب هؤلاء الموظفين تضم القنصلية الفرنسية والروسية والنمساوية والايطالية ملحقين اصطلح على تسميتهم June de Langue بالفرنسية، Giovani di Langua بالايطالية .

وهؤلاء الملحقون تلاميذ يدرسون اللغات الشرقية ، ليكونوا مترجمين ثم ينتهي بهم الامر الى ان يصبحوا قناصل .

وللقنصل العام : اشراف وسيطرة على شئون بلاده السياسية والتجارية في كريت وسوريا ومصر وبلاد العرب وهو يعالج الامور مع الباشا وحده ، ويرسل مكاتباته رأسا الى وزارة الخارجية التابع لها . وترسل صورة من المكاتبات الهامة الى سفير دولته لدى الباب العالي ، ولذلك كان هناك اتصال دائم بين الوزراء الانجليز (1) والفرنسيين والروس في القسطنطينية وقناصلهم في مصر وما يجعل هذا الاتصال

I - A.A : Report by Hodgson.p.36, 3-3-1853.

أمراله ضرورة واهمية للرغبة في المحافظة على مصالح دولهم السياسية في هذا الوقت الذي اضطربت فيه العلاقات بين الباب العالي ومحمد علي .

ولما كان القناصل الانجليز والفرنسيون والروس منه ومن سياسيين كذلك فهم يشتغلون مع البكاشا اما سائر القناصل ومنهم عدد يشتغل بالتجارة فانهم لا يبرحون الاسكندرية . (١)

وكان من اختصاص القناصل ان يفصلوا في القضايا التي تنشأ بين رعايا دولهم اما القضايا التي يقوم فيها النزاع بين اجانب ووطنيين فكان يفصل فيها الباشا نفسه او الهيئة التي يعهد اليها بذلك نيابة عنه وفي الحالات التي تتعذر فيها تبعية المتقاضين لكونهم من رعايا دول مختلفة كانت تنظر قضاياهم لجنة تحكيم مختلفة (٢) . وذلك حتى انشاء المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٦ فانتقلت اليها اختصاصات القناصل والمندوبين السياسيين القضائية وذلك فيما عدا القضايا التي بدأت قبل سنة ١٨٧٦ (٣) (وسيأتي الحديث عن المحاكم المختلطة بالتفصيل في الفصل العاشر)

وكيل القنصل :

كان كل قنصل يمثله في القاهرة وهي مقر الحكومة وكيل يتناول مرتبا لائقا وكما كان هناك وكلاء في ثغري رشيد ودمياط وفي عهد محمد علي لم يكن لدولة اخرى عدا انجلترا وكلاء للقناصل في اية ناحيـة من نواحي القطـر المصري . وكان للقنصل الانجليزي وكلاء في السويس والقصـير

---

١ I - A.A: op.cit.p.37.

٢ - دكتور محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي ص ٢٦

٣ - دكتور احمد الحته : التمثيل القنصلي والدبلوماسي للولايات المتحدة في مصر في القرن التاسع عشر ص ٢٢ . صالح جودت : مصر في القرن التاسع عشر ص ٧

على البحر الاحمر وفى قنا على النيل «من الجهة المقابلة للقصير وكذلك فى جدة ومخا فى الجزء الغربى من ساحل البحر الاحمر وهؤلاء الوكلاء كانوا يؤدون خدمات جليلة فى ارسال البريد والمكاتبات الحكومية من الهند والبهاو فى حمايةالموظفين والمسافرين من الانجليز وتقديم المعونة اليهم كما هو الشأن مع السفن الكبيرة التى تحمل المتاجر الى البحر الاحمر(١) وبالرغم من ان هوجسون ذكر فى تقريره سنة ١٨٣٤ انه لم يكن هناك وكلاء قناصل لاية دولة سوى انجلترا فى مدن القطر المصرى الا انه يبدو ان الدول الاخرى بدأت تحذو حذو انجلترا فى تعيين وكلاء لقناصلها فمثلا عين (الخواجه) جرجس سرورى وكيلا لقنصل توسكانا (ايطاليا) فى دمياط(٢) كما عين التاجر (دانيال) وكيلا لقنصل الدنمارك لرعى امور ومصالح الرعايا والتجار الدانمركيين الذين يروحون ويجيئون بالسفن تحت علم الدانمارك الى الاسكندرية(٣) . كذلك عين ميخائيل سرورى وكيلا لقنصل اسبانيا فى دمياط(٤) وكان السيور "راشيونتو" وكيلا لقنصل النمسا ونقود(٥) وفى عهد سعيد عين الخواجه (انطوان والى) اليونانى وكيلا لقنصل اليونان فى المنصورة(٦) . كما عين الخواجه " سيداروس " وكيلا لقنصل بروسيا فى الاقصر(٧) .

وفى عهد اسماعيل اصبح لمعظم الدول وكلاء للقناصل فى معظم بلاد القطر المصرى ونذكر على سبيل المثال "جوانى باندالدى" الذى عين وكيلا لقنصل برازيليا فى مصر وميخائيل يوسف وكيلا له فى المنصوره(٨) كما كان (الخواجه اقلاديوس حنين) وكيلا لقنصل فرنسا فى مدينة جرجا(٩) .

I - A.A;Rep ort by Hodgson.p.37.

٢ — دفتر ٣٣ المعيه تركى رقم ٣١١ فى ٢١ رجب سنة ١٢٤٣ (١٨٢٨)

٣ — دفتر ٢ المعيه تركى رقم ١٢٥ فى ٨ محرم سنة ١٢٣٤ (١٨١٩)

٤ — نفس الدفتر وثيقة ٢٢٥ فى ٣ ربيع ثان ١٢٣٤

٥ — دفتر ٥ المعيه تركى رقم ٥٠٤ فى ٢٨ ذو الحجه سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠)

٦ — محفظه ٦٨ المعيه تركى وثيقه ٨٢ فى ٢٤ رجب سنة ١٢٧٨ (١٨٦٢)

٧ — محفظه ٣٠ المعية تركى وثيقه ٥٨ فى ٦ رمضان سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)

٨ — ٩ محفظه ١٠٩ المعيه تركى وثيقه ٣٧٥ فى ٢ ذى الحجه سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥)

على البحر الاحمر وفى قنا على النيل ومن الجهه المقابله للقصير وكذلك فى جدة ومخا فى الجزء الغربى من ساحل البحر الاحمر و هؤلاء الوكلاء كانوا يؤدون خدمات جليله فى ارسال البريد والكاتبات الحكومية من الهند والبهاوفى حمايةالموظفين والمسافرين من الانجليز وتقديم المعونه لهم كما هو الشأن مع السفن الكثيرة التى تحمل المتاجر الى البحر الاحمر (١)

وبالرغم من ان هوجسون ذكر فى تقريره سنة ١٨٣٤ انه لم يكن هناك وكلاء قناصل لاية دولة سوى انجلترا فى مدن القطر المصرى الا انه يبدو ان الدول الاخرى بدأت تحذو حذو انجلترا فى تعيين وكلاء لقناصلها فمثلا عين (الخواجه) جرجس سرورى وكيلا لقنصل توسكانا (ايطاليا) فى دمياط (٢) كما عين التاجر (دانيال) وكيلا لقنصل الدنمارك لرعى امور ومصالح الرعايا والتجار الدانمركيين الذين يروحون ويجيئون بالسفن تحت علم الدانمارك الى الاسكندرية (٣). كذلك عين ميخائيل سرورى وكيلا لقنصل اسبانيا فى دمياط (٤) وكان السنيور "راطنوزتوكيلا لقنصل النمسا في عهد (٥)

وفى عهد سعيد عين الخواجه (انطوان والى) اليونانى وكيلا لقنصل اليونان فى المنصورة (٦).

كما عين الخواجه " سيداروس" وكيلا لقنصل بروسيا فى الاقصر (٧).

وفى عهد اسماعيل أصبح لمعظم الدول وكلاء للقناصل فى معظم بلاد القطر المصرى ونذكر على سبيل المثال "جوانى يانه الهدى" الذى عين وكيلا لقنصل برازيليا فى مصر وميخائيل يوسف وكيلا له فى المنصوره (٨) كما كان (الخواجه اغلاديوس حنين) وكيلا لقنصل فرنسا فى مدينة جرجا (٩).

I - A.A;Rep ort by Hodgson.p.37.

٢ ـ دفتر ٣٣ المعيه تركى رقم ٣١١ فى ٢١ رجب سنة ١٢٤٣ (١٨٢٨)

٣ ـ دفتر ٣ المعيه تركى رقم ١٢٥ فى ٤ محرم سنة ١٢٣٤ (١٨١٩)

٤ ـ نفس الدفتر وثيقة ٢٢٥ فى ٢ ربيع ثان ١٢٣٤

٥ ـ دفتر ٥ المعيه تركى رقم ٥٠٤ فى ٢٨ ذو الحجه سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠)

٦ ـ محفظه ٦٨ المعيه تركى وثيقه ٨٢ فى ٢٤ رجب ١٢٧٨ (١٨٦٢)

٧ ـ محفظه ٣٠ المعية تركى وثيقه ٥٨ فى ٦ رمضان سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)

٨ ـ ٩ محفظه ١٠٩ المعيه تركى وثيقه ٣٧٥ فى ٢ ذى الحجه سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥)

ن للولايات المتحدة الامريكية وكلاء قناصل في القاهرة وطنطا والمنصورة وبني سويف واسيوط

ينا والاقصر والخرطوم وذلك سنة ١٨٧٤ (١) . وكان وكلاء القناصل في الوجه القبلي يؤدون

مات جليله للسواح في اشهر الشتاء اذ يستقبلون بريد السائح ويرسلونه . كما يصلحون

ربه اذا حدث له تلف ويحلون المشكلات بينه وبين النوتي ويتدخلون لمصلحته في جميع الحالات

التي تسبب له متاعب ويسهمون بطرق كثيرة في ط مأنينته ورفاهيته وراحته (٢) . اما الفوائد التي

كانت تعود على وكلاء القناصل فهـــــي :

١ - وضع وكلاء القناصل في مستوى كبار الموظفين المحليين .

٢ - حمايتهم من دفع الضرائب الاستثنائية .

٣ - تمتعهم بالطمأنينة التي يتمتع بها الاجانب وحمايتهم من ظلم السلطات المحلية (٣) .

ونظرا للخدمات الجليلة التي كان يقدمها وكلاء القناصل لرعايا دولهم فانهم كانوا دائما

يتمتعون بمكانة ممتازة بينهم فمثلا عندما عزل (كومانوس Comanos) من وظيفة كاتب

للقنصل الامريكي فانهالت على القنصل الامريكي الاف الرسائل تطالب بعودة كومانوس الى

وظيفته لانه بسبب وجود الشخص الذي يستطيع تلبية مطالبهم مثله (٤) .

---

١ - دكتور احمد الحته: التمثيل القنصلي والدبلوماسي للولايات المتحدة في مصر في القرن التاسع عشر ص ٦٣

٢ - نفس المصدر السابق ص ٦٤ نقلا عن A.A: From Beardsley.Cairo,4-3-75.

٣ - نفس المصدر السابق ص ٨٢

4 -A.A:op.cit.3-9-1875.

مأمور القنصلية :

لقد كان للقنصل كما سبقت الاشارة - على رعايا دولته ولاية قضائية فى الشئون المدنيه والجنائية ومن الممكن ان يقال انهم كانوا يكونون شبه مستعمرة فى مصر . وكان مأمور القنصلية هو المختص بالشئون القضائية ويقوم بالاعمال الكتابيه فى المحكمه القنصلية ويحفظ المحاضر ويسجل جميع ما تقوم به القنصلية من اعمال اذ يسجل ويحفظ كافة الوصايا والعقود وغير ذلك من المستندات القانونية الخاصة بالرعايا البريطانيين وتودع لديه النقود كما يعهد اليه بأموال القنصلية . (١)

مترجم القنصلية :

لما كان الفصل فى القضايا بين المصريين ورعايا الدول الاجنبية فى مصر فى يد الباشا او من ينيبه فان مترجم القنصلية يحضر محاكمة الاجنبى التابع لدولته سواء كان مدعيا ام مدعى عليه . (٢)

وكما سبقت الاشارة كان يوجد الى جانب هؤلاء الموظفين ملحقون بالقنصليات الفرنسيه والروسيه والنمساوية والسويدية وهم طلبه يدرسون اللغات الشرقية توطئة لتعيينهم مترجمين ثم قناصل بعد ذلك . (٣)

I - A.A: Report by Hodgson.p.38 (3-3-1835)

2 - Ibid : p.38.

3 - Ibid : p.36.

القناصل والحماية :

ان انواع الحماية القنصلية التي كان يسبقها القناصل الاجانب على المعتمدين في بلاد الشرق كثيرا ماكانت عقيمة = مثلا = في سبب تسديد الديون بالطرق القضائية المألوفة لهذه الحمايات التي اسيء استعمالها زمنا طويلا بصورة مزرية - كانت تخرج المتمتعين بها من اختصاص المحاكم الوطنية وتدخلهم في اختصاص محاكم هؤلاء القناصل وحدهم . وكان الانجليز في عصر محمد علي يهتمون اهتماما كبيرا بالا يبسطوا حمايتهم الا على الرعايا البريطانيين ويمكن القول ان قناصل الانجليز في مصر في عصر محمد علي لم يمنحوا الحماية غير مستحقيها الا في حالات نادرة جدا وذلك بخلاف قنصليات الدول الصغرى التي كانت تسيء التصرف غالبا اذ كانت تمنح حمايتها من لاحق لهم في الحماية نظرا للارباح الطائلة التي تعود من وراء ذلك وكانت التعليمات التي تصدرها وزارة الخارجية البريطانية تصلح شيئا فشيئا ماكانت تقع فيه القنصليات الاخـــرى من مخالفات (١) .

ولكن تلك التعليمات كانت في بعض الاحيان تهتم اهتماما كبيرا بالمحافظة على جميع الحقوق والامتيازات التي حصل عليها الرعايا البريطانيين في مصر وضرورة المحافظة على تلك الامتيازات الخاصة بتجارتهم وكافة شئونهم وعدم التفكير في التنازل عن اى حق من تلك الحقوق المكتسبة ... (٢)

---

١ - دكتور محمد فؤاد شكري/بناء دولة مصر محمد علي ص٦١٩ - ص٦٢٠ نقلا عن تقرير بورنج الانجليزي عن احوال مصر سنة ١٨٣٧

2 - F.O : Vol.24/2.p.256. (30-I-1834)

ولقد بالغ بعض القناصل الانجليز في مصر في منح الحمايه لغير مستحقيها ، من ذلك منح الحمايه لاحد المجرمين الذي خرج من السجن حديثا والذي كان لا يجب ان يمنح مثل تلك الحمايه بأي حال من الاحوال (١) !

ونظرا لمبالغة القناصل في منح الحمايه لكل من يتقدم لهم نجد التعليمات تصدر باستمرار بقصر الحمايه على رعايا تلك الدول فقط . فهذا وزير الخارجيه ينبه القنصل الفرنسي في مصر سنة ١٨١٥ بضرورة قصر الحمايه على الرعايا الفرنسيين فقط (٢) كما كان بعض هـؤلاء القناصل انفسهم يتحدون قوانين البلاد ويرفضون الخضوع للنظم المتبعه ، وكانوا يقومون بتهريب الاثار النادره مثلا على انها مجموعه من الكتب وذلك بعد وضعها في صناديق مغلقه (٣) . كما كانوا معفيين من دفع الرسوم الجمركيه المقرره (٤)

وكانوا دائما يحافظون بشتى الوسائل على حقوق هؤلاء الرعايا الذين يمنحوهم تلك الحمايه (٥) . غير ان هؤلاء القناصل منحوا الحمايه في عهد عباس الاول على مدى واسع للرعايا العثمانيين ومنهم المصريين ، وكذلك للاجانب من جنسيات آخرى كما أن بعضهم اتخذ من ذلك العمل تجاره تدر عليه المال (٦) .

I - Driault(Edward):Moh Aly et Napoleon.p.I63.
2 - Ibid : p .254.

٣) دفتر ٤٠ المعيه السنيه عربي ٣٤٤ رقم ١٠٩ في ٥ رمضان سنة ١٢٦٥ (أغسطس ١٨٤٩)
٤) دفتر ٥ المعيه تركي رقم ٦٢ في ٨ جمادى اول سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠)
٥) دفتر ٢٢ المعيه تركي رقم ٣٨ في ١٩ جمادى اول سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤)

6 - A.A:From Jhones, Alex(I5-2-I853)

وقد وجد ريتشارد جونز القنصل العام الامريكي عند وصوله الى مصر سنة ١٨٥٣ ان نحو ٥٠ شخصا مسجلون تحت الحمايه القنصليه العامه الامريكيه . معظمهم هاربون من بولندا والمجر والولايات الايطاليه . ولذا قرر عدم حماية غير الامريكيين الا في الاحوال غير العاديه ، كما رفض جميع الطلبات التي قدمت اليه من المصريين . للحصول على الحمايه الامريكيه .

وعلى الرغم من ان وزارة الخارجيه الامريكيه ارسلت الى " ماكولي " قنصلها العام في الاسكندريه تعليمات في ١٤ يناير سنة ١٨٥٠ بقصر الحمايه على الامريكيين وموظفي القنصليه العامه . فقد بلغ عدد من منحهم ماكولي الحمايه من غير الامريكيين وموظفي القنصليه العامه ٣٦ شخصا . وكذلك منح " جونز " الحمايه لخمسة اشخاص من غير الامريكيين وموظفي القنصليه العامه فيما بين مايو وديسمبر سنة ١٨٥٣ . اما " ادوين دي ليون Edwin de Leon " فلم يتردد في منح الحمايه لبعض الهاربين من الايطاليين والبولنديين ولبعض الرعايا المسيحيين من مصريين وعثمانيين . وقد بلغ عدد من منحهم " ادوين دي ليون " الحمايه من غير الامريكيين وموظفي القنصليه العامه ١٤٩ شخصا فيما بين ديسمبر سنة ١٨٥٣ ومارس ١٨٦١ .

وكذلك عندما اعلنت الحكومه المصريه في ١٥ أبريل سنة ١٨٥٤ اليونانيين في مصر وعددهم ٣٠٠ بمغادرة البلاد في مدى ١٥ يوما نظرا لانقطاع العلاقات السياسيه والتجاريه بين الباب العالي واليونان ، لجأوا الى قنصل الدول الاجنبيه ، فمنح القائم بالاعمال الامريكي " ادوين دي ليون " بعضهم الحمايه كما فعل ذلك القنصل العام لكل من فرنسا وبلجيكا والنمسا وبروسيا والسويد . وبذلك نال عشرين اليونانيين في مصر الحمايه ، وتمكن ذلك العدد من البقاء في البلاد (١)

١) دكتور احمد الحته : التمثيل القنصلي والدبلوماسي للولايات المتحده في مصر في القرن التاسع عشر ص ١٤ و ١٢ و ١٨ و ٢٢
محفظة المعيه تركي وثيقه ٨٢ بتاريخ غرة شعبان ١٢٧٠

وكما سبقت الاشارة كان القناصل يبالغون فى المحافظة على حقوق الاجانب الذين يشملهم الحماية دون مراعاة مصلحة البلاد . فعندما صدر قرار الحكومة المصريه فى عهد عباس بمنع اصدار الغلال الى البلاد الأجنبيه ، وبتحديد خمسة عشر يوما يباح فيها للتجار التصدير ثم يمنع بعد ذلك ، عارض جميع القناصل فى ذلك محافظين بذلك على مصالح التجار الأجانب ، دون التقيد بمصلحة البلاد التى يقيمون فيها (١) .

كذلك قطع "ماكولى" القنصل العام الامريكى فى مصر العلاقات بين بلاده ومصر رغبة فى الضغط على الحكومة المصريه أثناء المفاوضه معها لتعويض أحد الأمريكيين يدعى " فكتور بارثو " Victor Barthow عن مخبز كان يستأجره فى الاسكندرية وأزالت الحكومة بناءه سنة (١٨٤٩) عند توسيعها شوارع المدينه. وعلى الرغم من أن طلب التعويض رفض فى تلك السنة على أساس أن الحكومة أعطت تعويضات لأصحاب المنزل ولا علاقة لها بالمستأجر فان " ماكولى " ألح فى الطلب حتى أن عباس الأول عرض عليه أن تدفع الحكومة ألف ريال " لفكتور " ولكن " ماكولى " لم يرض بذلك وأنذر الحكومة المصريه فى فبراير ١٨٥٢ بأنه اذا لم تحل المسألة حلا مرضيا فى مدة ثلاثة أسابيع فانه سيقطع علاقاته الرسميه مع الحكومة ، وينزل العلم الامريكى بالاسكندرية. وفى نهاية المدة المحددة أرسلت الحكومة اليه مذكرة أعلنت فيها قبول مبدأ التحكيم فى مقدار التعويض ، ولكنه رفض ذلك مع أنه تقدم به من قبل وأمام هذا التعنت قطع العلاقات الرسميه بين القنصلية العامه والحكومة ،

---

١ — محفظه ٢٢ب وثيقة ٦ فى ٢٣ ذو الحجة سنة ١٢٦٩

وانزال العلم الامريكى . عرضت الحكومة المصرية ان تدفع ٦٠٠٠ دولار تعويضا " للدكتور " ولكن " ماكولى " تمسك بان يكون التعويض ١٢٠٠٠ دولار ثم خفضه الى ٨٠٠٠ دولار فاضطرت الحكومة المصرية الى الرضوخ لطلبه ووافقت على دفع ٨٠٠٠ دولار تعويضا " للدكتور " وفى اليوم التالى رفع العلم الامريكى وحيته قلاع الاسكندرية باطلاق ٢١ مدفعا (١) .

وفى اثناء قيام " دانوس " باعمال القنصل العام الامريكى فى الاسكندرية سنة ١٨٦٤ قام نزاع بينه وبين الحكومة المصرية فقطع العلاقات الدبلوماسية معها وانزل العلم الامريكى ايضا وملخص ذلك :

كان " توماس كندينكو " Thomas Kindincō وهو يونانى تحت الحماية النمساوية يعيش فى الاسكندرية وفى سنة ١٨٦٢ ذهب الى الولايات المتحدة واعلن نيته فى ان يصبح مواطنا امريكيا ولكنه رجع الى الاسكندرية بعد ذلك بمدة قصيرة ومعه جواز سفر كمواطن امريكى غير انه تبين للقنصل العام " ثاير " وقتذاك من صور الاعلان التى خلفها " توماس " فى نيويورك سنة ١٨٦٢ انه اعلن اذ ذاك انه من رعايا النمسا وعندئذ قال " توماس " ان جواز سفره خطأ وانكر انه حصل عليه عن طريق الغش . وبعد ذلك استمر فى الاسكندرية يعمل فى التجارة ولم يتم بقية الاجراءات للحصول على لقب مواطن امريكى .

وقد اشترى " توماس " مضخة وأراد تجربتها فاقامها فى قطعة ارض فضاء على جانب شارع من شوارع

---

١ — دكتور احمد الحتة : التمثيل القنصلى والدبلوماسى للولايات المتحدة الامريكية فى مصر فى القرن التاسع عشر ص ١٣ نقلا عن :

Sabry : L' mpire gyptien sous Ismail.pp.I8-I9.

الاسكندريه ابرشيمه ، وجعلها تأخذ المياه من قناه عامه تجرى خلفها ، وعندما

وجد البوليس أن المضخه تأخذ المياه من القناه ، ارسلوا مذكره الى القنصليه

العامه الامريكيه فى ١٧ يوليه سنة ١٨٦٤ يقول فيها : أن توما س كند بنكــــو

قد أقام آله بخاريه على قناه عامه مما أدى الى تخريبها ، فالرجا ايقاف العمل واعادة

المكان الى حالته الاولى • اذ أن مثل ذلك العمل لايحدث الا بتصريح من الحكومه

فأوقف " دانيس " القائم بأعمال القنصل العام الامريكى العمل • وبتفهم بعد ذلك

أن المضخه ليست بخاريه ، بل تدار بقوة الحصان ، فصرح لتوما س كند نيكو باستئناف

العمل ، وطلب من الحكومه المصريه أن تبوخ مهندسيها الذين قالوا عن المضخـه

التى تدور بقـوة الحصـان • انها آلــه بخاريــه • وبناء على ذلك استؤنف العمـــل

فى يوم ١٤ يوليـــه • ولما رأى البوليس ان القناه فرغت من المياه مره اخرى ، ارسل مذكره

الى القنصليه العامه الامريكيه : يقول فيها ، أن اقامة أى آله متحركه لايكون الا بتصريح

من الحكومه • وبخاصـه اذا اتصلت بالقنوات العامه ، ويطلب اصدار الامر مره اخـرى

الى " توما س كند نيكو " لايقاف العمل • غير أن هذه المذكره وصلت الى القنصليه العامه

نحو الساعه السادسه من مساء يوم ١٤ يوليـو أى بعد انتهاء ساعات العمل • ولذا لم

تعرف محتوياتها أذ ذاك لانها كانت باللغه العربيه • والمترجم لم يكن موجودا،وفى ساعه

مبكره من صباح اليوم التالى استؤنف العمل فى آخذ المياه من القناه ، فطرد البوليس العمال

واستولى على المكان وعومل " توما س كند نيكو " بشده،وعلى ذلك كتب دانيس الى وزيـــر

الخارجيه المصريه مذكره يقول فيها • أن ماحدث هو استيلاء على مسكن امريكى ويطلـــب

فيها معاقبة المعتدين • فأجاب شريف باشـا وزير الخارجيه فى ١٦ يوليو بأنه طلـــب

أيضاحات من البوليس • وعند وصولها سيعمل ما يتطلبه العدل[1] .

---

١) نفس المصدر السابق ص ٣٠

ولكن " دانيس " رفض أى تأخير ، وارسل فى ١٨ يوليه الى شريف باشا رسالة يقول فيها أنه اذا لم تقدم الترضيه حتى ظهر يوم ٢٠ يوليه فانه سينزل العلم الامريكى ، ويقطع العلاقات مع الحكومه المصريه . وقد وافقه على تلك الفكره القنصل العام لكل من انجلترا وفرنسا وايطاليا . وقد ارسل وزير الخارجيه المصريه فى ١٩ يوليه رساله الى القنصليه العامه يبدى فيها أسفه على مثل هذا القرار الشديد جدا . ويؤكد فيه رغبة الحكومه المصريه فى بقاء العلاقات الوديه مع الولايات المتحده ، ويقول انه من المستحيل اتخاذ أيه اجراءات قبل معرفة الحقائق لان تقارير البوليس متعارضه مع اقوال " توماس كيد نيكو " ويؤكد أن الحكومه لم ترفض احداله بل انها لا تستطيع ادانة أحد الا بعد التحقيق ولذا فانه يقترح عمل تحقيق تمثل فيه القنصليه العامه . فأجاب دانيس فى نفس اليوم انه يقبل مبدأ التحقيق المقترح بشرط ان يكون التحقيق لاحقا للترضيه لا سابقا لها ، وتمسك بأنذاره السابق . فأرسل شريف باشا رساله آخرى بتاريخ اليوم ذاته الى القنصليه العامه يكرر فيها أسباب المقترحات السابقه . ولكن انزل " دانيس " العلم الامريكى وقطع العلاقات الدبلوماسيه مع الحكومه المصريه ، مع ان التعليمات تنص على عدم انزال العلم القنصلى مهما كانت الظروف الا بتصريح من وزارة الخارجيه وتوسط " تاستو " Tastu قنصل فرنسا العام فى المسأله بناء على طلب اسماعيل باشا ولكن دون جدوى. وعندما علم وزير الخارجيه الامريكيه بالنزاع قرر أن " توماس كيد نيكو " ليس مواطنا امريكيا . وأن الحكومه تنكر الحمايه التى أعطاها له " دانيس " والتدخل الذى قام به لمصلحته كذلك قرر الوزير أن انزال " دانيس " للعلم كان شاذا وغير مصرح به من وزير الخارجيه الامريكيه ، ولذلك فان الوزاره تنكره وتأسف له .

---

١) نفس المصدر السابق ص ٣٢/٣٠ ٣٧

اما شارلز هيل "Charles Hale" الذى تولى اعمال القنصل العام الامريكى فى مصر سنة ١٨٦٤ فلم يمنح الحمايه لاى شخص جديد . بل سحب الحمايه ممن أساءوا استعمالها . غير أنه وجد نحو ٤٠ شخصا لا ينطبق عليهم النص القائل بقصر الحمايه على المواطنين الامريكيين ، وموظفى القنصليه مع انهم مثبتون فى سجلات القنصليه العامه والحكومه المصريه تحت الحمايه الامريكيه . وقد أدى بعضهم من وقت لاخر خدمات للقنصليه و كما أن حالتهم ليست محل نزاع من الحكومه المصريه او اى حكومه اخرى ، واستمرارها بسبب ارتباطا . وليس لهم غرض من تمسكهم بالحمايه الامريكيه ، ولهذا كله لم يسحب " شارلز هيل " الحمايه من هؤلاء الاشخاص ، بل ترك معهم شهادات الحمايه التى منحها لهم اسلافه واكتفى بعدم تجديدها ، والامتناع عن مساعدة اصحابه ان كانت المساعده غير مستحقه (١)

غير أن أنظمة الحكومه المصريه . تتطلب فى كل سنه التحقيق من صحة السجل المثبوت فيه اسماء الحاصلين على الحمايه . وكذلك تجديد شهادات الحمايه، وبناء على ذلك رأى شارلز هيل الا بد من القيام بذلك العمل فى بداية سنة ١٨٦٦ بعد أن امتنع عنه سنتين ولذلك طلب من وزير الخارجيه الامريكيه تعليمات جديده عن مسألة الحمايه فأرسل اليه الوزير تعليمات على ألا يمنح للحمايه لاى شخص ليس فى الواقع مواطنا امريكيا بالمولد او بالتجنس او لاى شخص ليس فعلا موظفا بالقنصليه .

ثم قال الوزير ان هذه تعليمات واضحه وتستوجب عدم استمرار الحمايه للاربعين شخصا الذين

---

١) نفس المصدر السابق ص ٣٩

أعار انهم " شارلزهيل " ولذلك فانه يأمره بتنفيذها وارسال نبذ عن تحت الحماية الامريكية اذ ذاك تبين اسماءهم ومدة حمايتهم واسباب منحها لهم .

وعندما وصلت تلك التعليمات الى " شارلز هيل " اعلن المتمتعين بحماية القنصلية العامة بالاسكندرية من غير المواطنين الامريكيين اوموظفي القنصلية العامة اذ ذاك بسحب الحماية منهم على حسب تعليمات وزارة الخارجية ، غير ان معظم من سحبت منهم الحماية قدموا التماسات باعادتها اليهم فرفعها " شارلزهيل " الى وزارة الخارجية وكذلك ارسل اليها نبذ عن سحبت منهم الحماية تبين اسماءهم ومواطنهم الاصلية وتاريخ منحهم الحماية وملاحظات عنهم وقد بلغ عددهم ٤٧ شخصا في القنصلية العامة بالاسكندرية و ٢٦٥ شخصا في القنصلية بالقاهرة وفضلا عن ذلك فقد الغى " شارلزهيل " من قبل حماية ١٢ شخصا منحها لهم " دانيس " كما سحب قبل وصول التعليمات الاخيرة اليه الحماية من بعض الاشخاص اذ كانت بسجلات القنصلية العامة بالاسكندرية عند مجيئه اسماء ٧٢ شخصا من غير المواطنين الامريكيين او موظفي القنصلية العامة ، يتمتعون بالحماية الامريكية فضلا عن السبعة عشرة شخصا المذكورين مع العلم بان شالزهيل " لم يمنح الحماية لاى شخص في مصر منذ وصوله اليها فصلا عاما لهلاده .(١)

وقد رفض وزير الخارجية الامريكية الالتماسات التى تقدم بها البعض لاعادة الحماية اليهم

---

١ - نفس المصدر السابق ص٩٠ نقلا عن :

A.A : From Charles Hale(I7-I-I867);(I5-4-I867);to the Secretary of State.pp.I6I,I66.

وهكذا حلت وزارة الخارجية الامريكية مسألة الحماية فى مصر فاصبح يتمتع بها فريقان فقط هما المواطنون الامريكيون وموظفى القنصلية غير الامريكيين غير ان المواطنيين الامريكيين فئتان إحداهما بالمولد والاخرى بالتجنس. وبذلك كان فى استطاعة الشخص من الرعايا العثمانيين أن يصبح امريكيا بالتجنس فيتمتع بالحماية الامريكية كما فعل توما سركيس بتيكو واخوه جورج اللذان تجنسا بالجنسية الامريكية فتمتعا بحماية الولايات المتحدة فى مصر. غير ان وزارة الخارجية الامريكية قررت ان تلك الحماية لاتسرى على القضايا او المنازعات السابقة لتجنسهما بالجنسية الامريكية.(١)

وقد عالج قانون الجنسية العثمانية الذى صدر فى ١٩ يناير ١٨٦٩ أمثال تلك الحالة اذ نص على أنه اذا حصل احدى الرعايا العثمانيين على جنسية اجنبية بأذن من الحكومة العثمانية فأنه يعتبر ويعامل كرعية اجنبية . اما اذا دخل احدى الرعايا العثمانيين فى جنسية اخرى بدون اذن الحكومة العثمانية فأن ذلك العمل يعتبر باطلا ويستمر اعتبار ذلك الشخص ومعاملته فى جميع النواحى كرعية عثمانية . وقد تقرر تطبيق هذا القانون فى جميع انحاء الامبراطورية العثمانية بما فيها مصر .

وبناء على ذلك ارسل وزير الخارجية المصرية فى ١٨/ ابريل ١٨٦٩ صورة منه الى القنصليات العامة فى مصر(٢)

وقد حدث نزاع بين الحكومة المصرية والقنصلية الامريكية على مسألة الحماية بعد قصرها على المواطنين الامريكيين وموظفى القنصلية ولكن لم يلبث أن انتهى ويتلخص ذلك فى :

1- A.A :From Charles Hale, Alex. 29-I-1869.

2- Ibid : Alex. 2I-4-1869.

عين احد المصريين ويدعى " يوسف خزام " مترجما لوكالة القنصليه بالقاهره ووافقت الحكومه المصريه على تعيينه في ١٧ اكتوبر ١٨٥٨ وخزام لا يعرف اللغه الانجليزيـــه ولا اللغه الفرنســـيه • ولم يؤد ، أي خدمه تذكر في وظيفة مترجم في القاهـــره وقد تحولت وكالة القنصليه الى قنصليه • بتعيين جورج تايلور قنصلا في القاهـــره وعندما جاءت التعليمات بسحب الحمايه الامريكيه من غير الامريكيين وموظفي القنصليـــه أبقى " تايلور " اسم خزام في قائمة موظفي القنصليه الموجودين فعلا بالخدمـــه غير ان رجال البوليس المصري في القاهره بدأوا في يونيه ١٨٦٧ يعارضون في الاعتراف بحماية الولايات المتحده لخـــزام مما أدى الى تقديم شكوى بذلك الى القنصل العـــام الامريكي " شارلز هيل " الذي اجاب بأنـــه سوف لا يتدخل في الموضوع الا اذا كانت المراســـلات عن طريق وزير الخارجيه المصريـــه • وبناء على ذلك ارسل إليه ذو الفقـــار باشـــا وزير الخارجيه في ٣ اغسطس ١٨٦٨ مذكره بالموضوع يعارض قيام خزام بوظيفتـــين في وقت واحـــد هما مترجم لقنصليته ، ووكيل حليم باشا ابن محمد على • ويرى ضرورة ترك احداهما • وعندئذ رد القنصل العام بأن اسم خزام أرسل كموظف بالقنصليه الى وزارة الخارجيه بواشنطـــن ، ولا يمكن سحبه الا بأمر وزير الخارجيه الامريكيه وأوضح القنصل لوزيـــر الخارجيه الامريكيه ان وظيفة خزام لا وجود لها في الحقيقـــه ، ولا يمكن القيام بمثل تلـــك الوظيفـــه لجهله اللغات الغربيـــه • وقيامه بوظيفة وكيل الامير حليم • التي تشغل وقتـــه وانتباهه . فضلا على ادعاء وظيفة لحماية شخص يتعارض مع روح ونص تعليمات وزارة الخارجيـــه عن مسألة الحمايـــه (١) •

ووافق وزير الخارجيـــه على سحب اسم يوسف خزام من قائمة المتمتعين بالحمايه في القنصليه بالقاهره لعدم وجود سبب كاف لاستمرار الحمايه التي منحت له (٢) •

I - A.A:op.cit.Alex.7-9-1869.
2 - op.cit,From the Secretary of State,Washington,13-II-69.

وقد استثنت وزارة الخارجية الامريكية السويسريين من قرار الحماية الذى اصدرته عندما أرسلت منشورا الى " جورج بتلر " Butler – القنصل العام الامريكى فى مصر – فى سنة ١٨٧١ ، بناء على طلب حكومة سويسرا ينص على منح الحماية الامريكية للمواطنين السويسريين فى البلاد التى لايوجد فيها ممثلون سياسيون ، أو قنصليون من سويسرا . (١)

وقد قدم الضباط الامريكيون الذين فى خدمة الحكومة المصرية طلبات الى " بتلر " للحصول على حماية القنصلية العامة ، مع العلم بأنهم تنازلوا فى عقود استخدامهم عن حق المطالبة بحماية القنصلية الامريكية لهم ، فأصبحوا بذلك محرومين من الحماية فى حالة حدوث نزاع بينهم بين الحكومة المصرية أو الرعايا المصريين . وتبعا لذلك ، طلب " بتلر " من وزير الخارجية الامريكية ارسال التعليمات اليه فى هذا الموضوع . (٢)

I- Ibid:Washington,3I-3-187I.

فرد الوزير بأن القاعدة فى وزارة الخارجية الامريكية هى عدم التدخل رسميا فى موضوعات العقود بين المواطنين الامريكيين والحكومات الأجنبية، وتسر التدخل على بذل ممثلى الحكومة الامريكية المساعدة الحميدة لمصلحة الاشخاص الذين يعتقدون أن ضررا ألحق بهم، حتى فى حالة هذا التدخل غير الرسمى، يجب ألا يكون الشخص قد تنازل عن حقه فى مطالبة الحكومة بذلك. أما اذا كان الشخص قد تنازل عن ذلك الحق فى نص العقد، كما حدث فى حالة الضباط الامريكيين الذين فى خدمة الحكومة المصرية، فلا أساس لتدخل الحكومة الامريكية لمصلحته. (١)

هكذا كان موقف وزارة الخارجية الامريكية من الحماية فى مدة " بتلر".

I - Ibid : From the Secretary of State, Washington, 5-10-1871

وكما سبقت الاشارة ، بالغ القناصل في المحافظة على حقوق الأجانب التابعين لهم ، فعندما طلبت الحكومة المصرية تقديم " على بدوى " المستخدم بطرف القبطان " جونسون " — وكيل القومبانية الهندية بالاسكندرية — لتأدية الخدمة العسكرية ، أجاب قنصل انجلترا العام ، بأن الوكيل المذكور يعتبر في مقام قنصل ولا يجوز تجنيد أحد أتباعه منعا لتعطيل أعماله ، وهدد بأنه اذا أصر في طلبه ، فانه سيكتب الى الخارجية التي تعرف حقوق القناصل . (١)

ولقد بلغ من اعتماد الأجانب على حماية قناصلهم أن خدم " المسيو باركى " الانجليزى ، اعتدوا بالضرب على قنصل بروسيا العام ، وطلب قنصل بروسيا أن تكون مجازاتهم أمام باب منزله . (٢) وهذا " مسيو ولهايم " أحد رعايا دولة بروسيا ، وقد اتهم بعدم قيامه بتوزيع نقود الميراث الى الجهات المختصة . (٣)

---

١ — محفظة ٢٢ ب المعية تركى ، وثيقة ١ في آخر جمادى الثانية سنة ١٢٦٩
٢ — " ٣٩ " " " " ٩ " غرة " الاولى " ١٢٧٢
٣ — " ٤١ " " " " ٢٢ في ٣ رجب سنة ١٢٧٢

كما تقدم أحد المصريين بشكوى الى ديوان الخديوى ، يطلب فيه اعادته الى منصبه كرئيس لمجلس التجار ، حيث أنه استبعد بناء على طلب قنصل النمسا ، الذى كان يريد الحصول على حقوق غير مشروعة لأحد رعايا دولته ويدعى " جبارة " . (١)

وعندما حدثت مشاجرة بين بعض رجال الشرطة وبين قواس قنصل انجلترا ، صار استدعاء كبار ضباط الشرطة ونبه عليهم مشددا بتوجيه أقصى العقوبة للجنود الذين وقعت منهم المشاجرة ، دون توجيه أية عقوبة لقواس القنصل . (٢)

والاكثر من ذلك ، مطالبة أحد القناصل بايجاد المكان المناسب لأحد رعايا دولته فى السجن ، نظرا لرطوبته وظلمته . والا سيضطر لنقله الى دار القنصلية . (٣)

---

١ — محفظة ٣٠ المعية تركى ، وثيقة ٧٥ فى ٧ ربيع ثان سنة ١٢٧١
٢ — نفس المحفظة ، " ١٥١ " ١٤ " " ١٢٧١
٣ — " " " ١٨٧ " ١٧ " " ١٢٧١

ولهذا كان يتحايل بعض الأشرار للحصول على الحماية من أية دولة كانت، حتى يستطيعوا الوصول الى أغراضهم، تحت ستار الحماية، فمثلا التجأ السمسار "أنطوان بدوى" الى قنصل الولايات المتحدة لحمايته، بعد أن أخرجه قنصل أسبانيا من حمايته لسوء سلوكه. (١)

ولقد تمادى القناصل فى استغلال نفوذهم، فطلب أحد القناصل عزل أحد الضباط المصريين لأنه لم يطع أوامره فى تسليم أحد المتهمين. (٢)

وعن استبداد القناصل وغطرستهم، روى أحد السياح، أن الخديوى اسماعيل استدعى ذات يوم قنصل بروسيا من الاسكندرية، ولما وصل القنصل الى المحطة متأخرا كان القطار قد سافر من محطة الاسكندرية، وسار شوطا كبيرا. غضب القنصل لقيام القطار قبل وصوله، فلم ير ناظر المحطة بدا من ارسال اشارة الى سائق القطار

---

١ ــ محفظة ٣٢ المعية تركى، وثيقة ١٦٩ فى ١٤ جمادى الثانية سنة ١٢٧١

٢ ــ " ٥٧ " " " ٤٨ " ٢٠ ربيع أول " ١٢٧٥

ليعود أدراجه ، فعاد القطار ، ولم يبال بالجدول ،
ولا بالمواعيد ولا بالمسافرين ولا بمصالح المسافرين ،
كأن قناصل الدول فوق القانون وفوق الجميع ،
لايحسبون حسابا لمصر ، ولا لقوانين مصر ، ولا لأنظمة
مصر ، ارادتهم فوق كل شيء ، كأن الشمس ،
لاتغرب الا بأمرهم ولاتشرق الا بأمرهم . (١)

وعن استخفاف الأجانب بقوانين البلاد ، قال على لسان
محدثه احمد الفلاح :

" بين مصر وأوروبا هوة عميقة ، تجعل التفاهم
بينهما مستحيلا . الا أن بين الشرق والغرب
معاهدات ، تعين وتحدد حقوق المواطنين والأجانب ،
الا أن قوة الأجانب وضعف الوطنيين ، مسخا نصوص
المعاهدات ، فأدخل فيها الأجانب ماليس منها ، وأخرجوا
منها ماليس فيها ، فانعكست الآية ، وأصبح المصرى

---

١ — عزيز خانكى : المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية . ص ٧٥

ليعود أدراجه ، فعاد القطار ، ولم يبال بالجدول ، ولا بالمواعيد ولا بالمسافرين ولا بمصالح المسافرين ، كأن قناصل الدول فوق القانون وفوق الجميع ، لايحسبون حسابا لمصر ، ولا لقوانين مصر ، ولا لأنظمة مصر ، ارادتهم فوق كل شيء ، كأن الشمس لاتغرب الا بأمرهم ولاتشرق الا بأمرهم. (١)

وعن استخفاف الأجانب بقوانين البلاد ، قال على لسان محدثه احمد الفلاح :

" بين مصر وأوروبا هوة عميقة ، تجعل التفاهم بينهما مستحيلا . الاصل أن بين الشرق والغرب معاهدات ، تعين وتحدد حقوق المواطنين والأجانب ، الا أن قوة الأجانب وضعف الوطنيين ، مسخا نصوص المعاهدات ، فأدخل فيها الأجانب ماليس منها ، وأخرجوا منها ماليس فيها ، فانعكست الآية ، وأصبح المصري

---

١ — عزيز خانكي : المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية . ص ٧٥

فى بلده غريبا ،والاجنبى صاحب السلطة والسيادة .

بمجرد مايهبط الاجنبى أرض مصر ،يصبح سيد

البلاد ،اذا حل حلت معه قوانين بلاده . ولو

أنه يحضر وفى نيته احترام مافيها من لوائح وأحكام

لهان المصاب ،ولكنه يستعين بقوانين بلاده ،

ليسمح لنفسه خرق قوانين بلادنا ،ولا يعترف

بحكومة البلاد ولا بادارة البلاد ،ولا بقضاء البلاد .

يرفع عقيدته ليسمع العالم أنه لايعرف سلطة

الا قنصله ،فاذا قام نزاع بينه وبين أحد مواطنيه ،أو بينه

وبين أحد الأهالى ،ولى وجهه شطر القنصل ،بدعوى

أنه لايعرف الا القنصل ولا يعترف الا بسلطته ،والقناصل بشر

مثلنا ،منهم من يخطئ ومنهم من يصيب . والمفروض أن القنصل

رجل عدل ،لايحابى أحد ولا يظلم أحدا ،الا أن مركزه

دقيق جدا ،ووظيفته تقتضى أن يكون من رجال القانون

وأن يعرف لغة البلاد التى يعيش فيها ،وأن يكون على شئ

من اليسار ،حتى لايميل مع الهوى ولايغويه مال ولايستهويه

نعرة قومية ، وأن يكون ذا ذمة وعدل . ولا يميل مع ابن وطنه ويظلم ابن البلد ، وإذا لاحظت أن في مصر ٢٠ قنصلية أجنبية أي ٢٠ حكومة داخل الحكومة المصرية يتحدث عليها طاغيا ، كلما غضب واحد منهم هدد بقطع العلاقات ، وباستدعاء أسطول بلاده ، ولاحظت أنه في كل يوم تقع حوادث نصب ونشل وضرب وقتل ، وإن احتكاك الأجنبي بالمصري يمكن أن يتطاير منه شرر أزمة سياسية ، يتصادم فيها حق الخديوي بحق الدولة الأجنبية ، إذا عرفت كل هذا أدركت السبب الذي يحمل الخديوي على رفض التصريح باستحضار ٣٠٠٠٠ عامل من البلاد الأجنبية ليشتغلوا في خدمة شركة قناة السويس . نحن نعرف أن من مصلحة مصر أن تستعين بعلوم وفنون الأجانب وبخبرتهم . إلا أنه طالما تبقى الامتيازات الأجنبية سارية في مصر تبقى الهوة موجودة ، فيستحيل تفاهم العنصر الوطني والعنصر الأجنبي ، لأن الإنسان ميال بطبعه إلى المحافظة على كيانه ، والامتيازات تساعد الأجنبي على الاعتداء على كيان الوطني في نفسه وفي ماله وفي أمنه . (١)

---

١ - عزيز خانكي : المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية . ص ٧٧/٧٨

وهكذا ، كان يعتمد الأجانب بوجه عام على قناصل دولهم فى حمايتهم ، بالرغم من ارتكابهم الجرائم والمخالفات المتعددة لقوانين البلاد ، فهذا قنصل اليونان يعمل على حماية بعض الأشخاص السارقين والقتلة والمجرمين ، وقد حدث منه ذلك مرات عديدة ، أدت الى توتر العلاقات بينه وبين ضبطية مصر. (١)

كما أن قنصل فرنسا ، فى عهد اسماعيل ، هدد بقطع العلاقات بين البلدين ، واستدعى الأسطول الفرنسى الذى كان راسيا فى البحر الأبيض عندما حدثت مشاجرة بين أحد الفرنسيين وبعض القواصين الأتراك ، فى الوقت الذى ابتدأ فيه الفرنسى بالعدوان ، وبالطبع خضعت الحكومة المصرية لرغبة القنصل الفرنسى ، وسجنت الجنود الأتراك ، بعد الاعتذار للقنصل عما حدث. (٢)

---

١ — محفظة ٤٣ المعية تركى وثيقة ٤٣١ فى ٣ ربيع أول سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨)

2 - Sammarco: Histoire de L'Egypte Moderne .T.III.pp.32 ;33

كما حدثت أزمة أخرى بين نفس القنصل والحكومة المصرية، عندما عارض القنصل مصادرة احدى الصحف التي يمتلكها أحد الفرنسيين، بعد نشره أخبار لها مساس بكرامة الحكومة. فقبض رجال الشرطة على المحرر، فاحتج القنصل الفرنسي على ذلك وطالب باقصاء رجال الشرطة الذين قبضوا على المحرر، والتنكيل بهم والا سيضطر الى قطع العلاقات بين البلدين.(١)

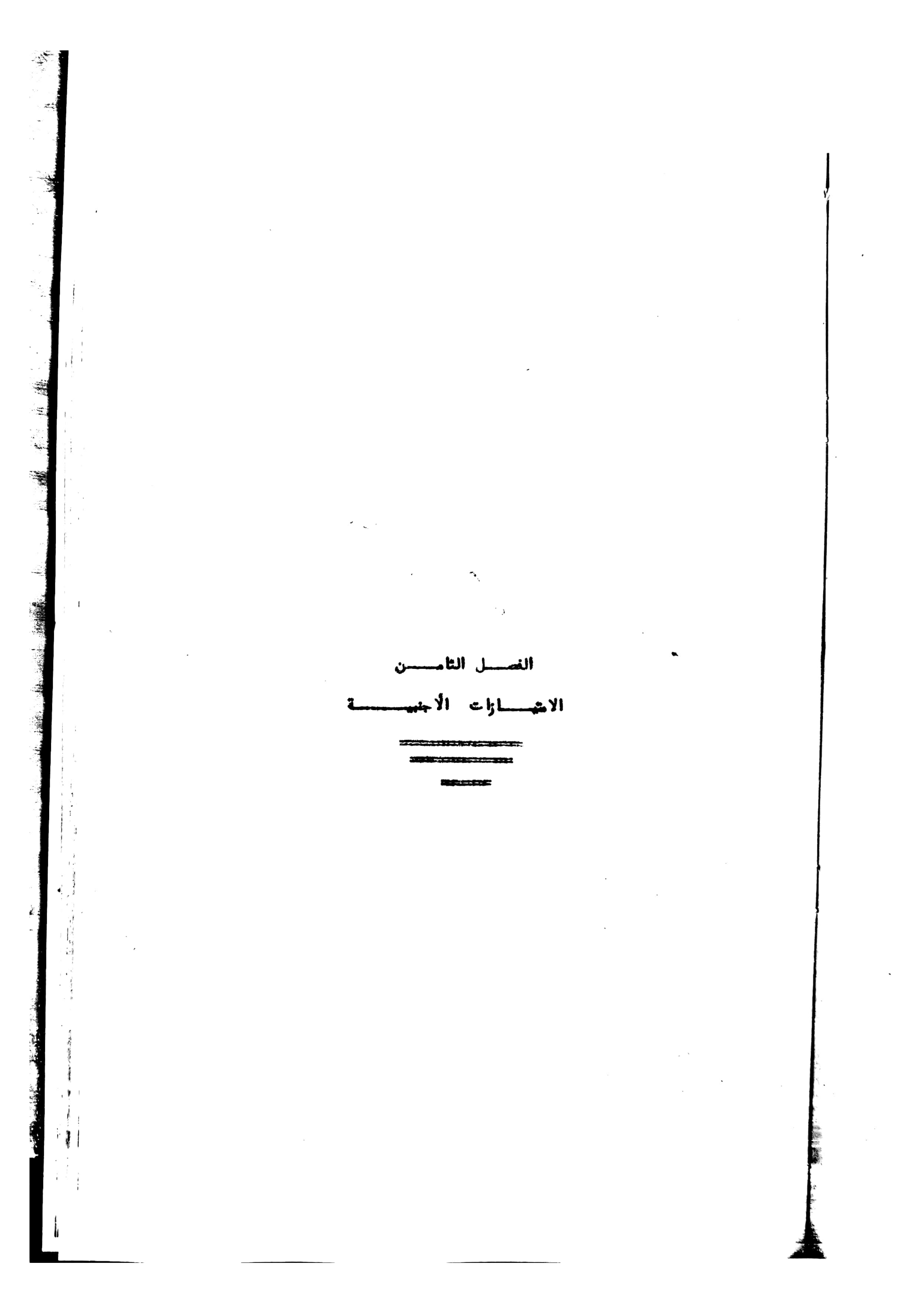
وتحت ضغط القناصل واستغلال نفوذهم كان يضطر الخديوى اسماعيل لمساعدة الأجانب ماديا وهو مكره على ذلك، فقد حدث أن أفلس أحد تجار الأثاث الفرنسيين، واحتاج الى مبلغ ١٠٠,٠٠٠ فرنك لكى يسدد ديونه، وعندما تدخل القنصل الفرنسى اضطر الخديوى الى شراء مالديه من أثاثه فى

I - A.A: From Butler, Alex. I-7-I87I.

الوقت الذى لم يقبل أى انسان شراءه، وذلك لكى يفك ضائقة التاجر الفرنسى، وارضاءا للقنصل (١) .

مما سبق يتضح اعتماد الأجانب على سلطة القناصل الذين بالغوا فى منح (الحماية) لكل من يتقدم بطلبها، بالرغم من التعليمات التى كانت تصدر باستمرار عن وزارات الخارجية لمختلف الدول، بضرورة قصر الحماية على رعايا تلك الدول فقط. كما أدى الأمر الى احتماء الأشرار والمجرمين خلف ستار (الحماية) فى ارتكاب جرائمهم ومعتمدين فى ذلك على سلطة القناصل الذين كانوا يحملون دائما على انصاف هؤلاء الرعايا، سواء كانوا على حق أم على باطل، ويرجع ذلك بدون شك الى سوء نظام الامتيازات الأجنبية والذى سيأتى الحديث عنه بالتفصيل فى الفصل الثامن.

I - David S.Landes:Bankers ans Pashas.p.131.



الفصل الثامن

الامتيازات الأجنبية

تاريخ الامتيازات الاجنبية وتطورها :

بالرغم من قيام كل القوانين الغربية على مبدأ المساواه وعلى وجوب خضوع جميع الافراد والهيئات في جماعة مستقلة لادارة عليا واحدة نرى الغربيين انفسهم ينادون بغير ذلك ويتخذون مما يسمى بنظام الامتيازات الاجنبية أساسا لتنظيم علاقاتهم ببعض الدول الشرقية واول ما يفهم من عبارة الامتيازات هو التعارض مع مبدأ المساواة . فاذا علمنا انها تعنى خضوع رعايا الدول الممتازه لا للقوانين والمحاكم وجهات الادارة المحليه ولكن لقوانين ومحاكم وهيئات اجنبيه علمنا انها تتعارض كذلك مع مبدأ السياده . فالامتيازات اذن هدم لاهم اركان القانون وبعبارة آخرى هدم لاهم اسس الحياه الاجتماعية .

ويكاد يجمع المؤرخون على ان فكرة الامتيازات الاجنبية انما نشأت بالبلاد الاسلامية وهم يعزون ذلك الى ان الدين الاسلامى مزج العبادات بالمعاملات واتخذته الدول الاسلامية أساسا لشرائعها تنظم معاملاتها طبقا لاحكامه . ثم زعموا ان هذه الاحكام تعتبر غير المسلم عدوا لا تصح معاملته بل لا يصح ان يتمتع بحماية الشريعه . ولما كان الغربيون قد الفوا تنظيم شئونهم بروح مرنه فقد وجدوا من الضرورى ان لا يدخلوا مع البلاد التى تحكمها الشريعه الاسلامية فى معاملات واسعه النطاق الا على اساس تمتعهم بقسط وافر من الحرية وذلك بعدم ارغامهم على اتخاذ احكام الشريعه الاسلامية اساسا للمعاملات التى تقتضيها الحياه المدنيـــــه .

وقد تطرف بعض المؤرخين الى حد القول بان عدم مرونة او عدم تسامح الدين الاسلامى جعل من المستحيل التعامل مع غير المسلمين فاضطر الخلفاء الى منح غير المسلمين امتيازات قضت على سلطة الحكومه .

وبعد ذلك تحول الاجنبى المتواضع من مخلوق يحتفى بما يناله من منح السلاطين الى قوة مسيطرة تجعل من تلك المنح حقوقا وتتخذ منها معاول تهدم بها صرح الحكومات الاسلامية وتقوض من اركانها .

لكنا نرفض الاخذ بهذا الراى رفضا باتا . ذلك ان الدين الاسلامى اكثر الاديان تسامحا وان الخلفاء المسلمين لم يرفضوا - والاسلام فى ذروة القوة والعزة - ان تجمعهم بغير المسلمين صلات المودة والتعاون . فالخليفة الرشيد مثلا لم ير اى حرج فى عرض معاهدة صداقة وتعاون على اكبر ملوك اوروبا فى القرن العاشر الميلادى . كذلك لم ير صلاح الدين وغيره من سلاطين مصر ما يقف دون تنظيم علاقاتهم بكثير من جمهوريات المدن الاوروبية الشهيرة من القرن الثانى عشر الى القرن الخامس عشر ولم يكن تنظيم تلك العلاقات مؤسسا على التمييز الذى يدعيه " لورد كرومر " وغيره . فليس من الانصاف ولا من الدقة التاريخية ان تعزى الامتيازات الى أمراء المسلمين وسلاطينهم يقدمونها للاجانب كوسيلة لحمايتهم من تعصب المسلمين وجمود الاسلام وقصور احكامه . ومن الأدلة الواضحة على بطلان هذا الزعم قوله تعالى فى القرآن الكريم (فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) وما من منصف يعلم هذا ويحكم على الاسلام بعدم التسامح ثم يقرر بناء على هذا ان الدين الاسلامى هو اصل الامتيازات .

واغلب الظن ان الامتيازات ترجع الى اصل رومانى عرفته اوروبا قبل أن تعرف الاسلام او تختلط بالمسلمين . واساس هذا النظام فكرة محلية القوانين ومركزيتها . واصل هذه الفكرة ان الفاتحين الرومان جروا على ترك الولايات الاغريقية الراقية تباشر تنظيم علاقاتها العائلية الداخلية بتطبيق قوانينها المحلية

ولم يفرضوا تطبيق القانون الروماني الا في الامور ذات الارتباط بالشئون العامه ولقد اعتاد تجار المدن الاوربيه الشهيره ، قبل أن يسود مبدأ القوميه على أن يكلوا أمر القضاء فيما يقع بين مواطنيهم في الخارج من خلاف او نزاع الى هيئات تسمى قنصليات ، ثم تطور هذا الوضع الى نظام القنصليات في القرون الوسطى ثم الى النظام القنصلي المحدود (والذي سبقت الاشاره اليه في الفصل السابع) ومن الحقائق الثابته انه لما سقطت الامبراطوريه الرومانيه الغربيه استقدمت حكومة القسطنطينيه أهل النشاط من رعايا الامبراطوريه الشرقيه وأغرتهم بضروب الترغيب لحملهم على النزوح الى عاصمة الامبراطوريه الشرقيه وكان من بين ضروب الترغيب التأكيد بأن لا يسري عليهم في الشرق الا قوانين بلادهم كلما استدعى الامر تطبيق القوانين .

وقد جرى تجار المدن الاوربيه النشطه مثل بيزا والبندقيه ومرسيليا وغيرها على هذه السنه واخذها عنهم صلاح الدين رغبة منه ان يكون أزاؤهم كما كان أمراء الفرنج المسيحيين بالشرق ثم اقتفى الاتراك العثمانيون بعد فتح الاستانه اثر حكام القسطنطينيه فأقروا النظام الذي وجدوه قائما .

مما سبق يتضح خطأ الرأي القائل بأن فكرة الامتيازات نشأت بالبلاد الاسلاميه وبسبب تعصب المسلمين وجمود التعاليم الاسلاميه .(١)

وعلى ذلك يمكن القول ان الامتيازات الاجنبيه في العصر الحديث كانت منحه من سلاطين آل عثمان .

---

(١) محمد عبد الباري : الامتيازات الاجنبيه ص ١١ — ص ١٥)
عمر لطفي (بك) : الامتيازات الاجنبيه ص ١٢ — ص ١٣

الى بعض دول اوروبا . وكان مفعولها ينتهى بوفاة السلطان الذى منحهـــا . على أن يجددها السلطان الذى يخلفه اذا اراد . وكانت الامتيازات مفروضه على مصر بسبب تبعيتها للدوله العثمانيه ثم انقلبت المنحه مع توالى السنين والايام الى حـــق مكتسب للاجانب . (١)

وكما سبقت الاشاره عقدت عدة معاهدات بين الدوله الاسلاميه وبعض الدول الاجنبيه ففى سنة ١١٥٤ عقدت معاهده تجاريه بين مصر " وبيزا " والتى حصل تجار " بيزا " بمقتضاها على امتيازات خاصه فى مصر والتى كانت بداية لما تبعهما من أمتيازات . وفى سنة ١١٧١ تولى صلاح الدين حكم مصر . وبالرغم من الدور العدائى الذى قامت به " بيزا " فى تشجيع مشروع ملك اورشليم المنافس فأن صلاح الدين الذى اشتهـر بالتسامح عمل على استمرار تمتع تجار (بيزا) بتلك الامتيازات وذلك بمقتضى الوثيقه التى احتلت المرتبه الاولى فى تاريخ الامتيازات فى مصر . وقد جاءت تلك الوثيقه بعد تلك الشكاوى والالتماسات التى تقدم بها تجار " بيزا " والتى اهتم بها صلاح الدين اهتماما كبيرا وعمل على حماية مصالحهم فى مصر .

وفى سنة ١٢٩٠ عقدت معاهده مع جنوه . والتى نصت لاول مره على قاعدة قانونيه هامه والتى اشارت الى ما يشبه المحاكم المختلطه . وتنص المعاهده على أنه " اذا حـدث نزاع بين احد المصريين او أحد الاجانب مع احد تجار جنوه فيمكن للقنصل أن يفصل بينهم وأن الخصم لابد أن يبحث عن حقوقه امام المحكمه التى يتبعها المتهم" ولكـن لم تحدد امتيازات واضحه اخرى فى تلك الاتفاقيه . (٢)

---

١) عزيز خانكى : المحاكم المختلطه والمحاكم الاهليه ص ٣٠

2 - Brinton(J.Y): The Mixed Courts of Egypt.pp.3,4.

وفى سنة ١٤٨٨ منح قايتباى " تجار فلورنسا امتيازات أخرى فى مصر فنصت المعاهدة على ان يختص القنصل فى نظر القضايا التى تنشأ بين تجار فلورنسا فى مصر . نصت ايضا على ان المسلمين لا يمكنهم ان يصدروا احكاما ضد تجار فلورنسا ماعدا فى المحكمة الخاصة بالرسوم الجمركية واذا لم يقتنعوا بتلك الاحكام يمكنهم ان يستأنفوا امام الباب العالى ليحصلوا على حقوقهم كاملة .

وفى سنة ١٥١٧ فتح السلطان سليم الاول مصر واصبحت ولاية عثمانية وعلى الفور اكد الحاكم الجديد الامتيازات الممنوحة للبنادقة والفرنسيين ايام المماليك وقد جدد السلطان سليمان الثانى تلك الامتيازات فى الاتفاقية التى عقدها مع فرنسا سنة ١٥٢٨ وكانت تلك الاتفاقية تعتبر الاخيرة التى طبقت فى مصر دون سائر الولايات الاخرى اذ خضعت مصر بعد تلك الاتفاقية للامتيازات التى منحت لرعايا الدول الاوروبية فى مصر بوصفها احدى ولايات الامبراطورية العثمانية تلك الامتيازات التى منحها حكام القسطنطينية ونفذت فى جميع الولايات العثمانية بما فيها مصر (١)

ولقد اجمع المؤرخون على ان اهم تلك المعاهدات المعاهدة التى عقدت فى فبراير سنة ١٥٣٥ فى القسطنطينية بين " جين لافوريه" Jean de La Forêt مندوب الملك فرنسوا الاول François I ملك فرنسا والباب العالى ممثلا فى ابراهيم باشا نائبا عن السلطان سليمان الثانى (٢) . وكان فرنسوا يقصد معونة تركيا العسكرية ضد شارل الخامس (امبراطور النمسا) خصم الطرفين واعظم ملوك اوروبا المسيحية

I - Ibid : p.5.

2 - Meyer(G): L'Egypte Contemporaine et les Capitulations. p.23.

فى ذلك العصر واهم ماجاء فى هذه المعاهدة :

١ حرية الانتقال والتجارة للاتراك فى فرنسا وللفرنسيين فى البلاد التركية على ان لاتجبى ضرائب من رعايا اى الفريقين فى بلاد الفريق الاخر اكثر مما يدفع رعاياه وهذا هو الشطر التجارى .

اما الشطر القضائى والادارى فيتلخص :

٢- حرية الفرنسيين المتنقلين والمقيمين فى البلاد التركية .

٣- حق ملك فرنسا فى تعيين قناصل بالبلاد التركية يكون من اختصاصهم -دون المحاكم التركية- محاكمة رعايا فرنسا وعلى السلطات التركية تقديم كل مساعدة للقناصل فى تنفيذ الاحكام طبقا للقوانين الفرنسية .

٤- اذا كان فى الخصومة تركى فتختص المحاكم التركية بالحكم فيها وفى هذه الحالة لابد ان يحضر ترجمان القنصلية المحاكمة ولا يلزم الفرنسى فى هذه الحالة الا العقود المكتوبة .

٥ - لايصح للسلطات التركية دخول منزل فرنسى او القبض عليه الا فى حضرة القناصل اومندوبيهم او بعد اخطارهم وكان لفرنسا حق حماية بعض الاجانب فاكتسب هؤلاء بحكم خضوعهم للحماية الفرنسية داخل الحدود التركية مامنحته تركيا من المزايا لفرنسا .(١)

وقد حذت انجلترا وغيرها حذو فرنسا فحصلت على امتيازات مماثلة فى تركيا فعقدت معاهدة مع انجلترا سنة ١٥٧٩ وبينها وبين هولندا سنة ١٥٩٨ وبينها وبين المجر ١٦١٥ وروسيا ١٧٠٠ ومملكة نابلى ١٧٤٠ ومملكة الدانمرك ١٧٥٦ واسبانيا ١٧٨٢ واهم ماورد فى تلك المعاهدات حرية التجارة والملاحة للاجانب وحرية الدين وحرية العبادة فى الكنائس والمحلات المقدسة واحترام مساكن الاجانب وغير ذلك من الامتيازات التى جعلت الاجنبى فى بلاد الدولة العثمانية ممتازا عن العثمانيين انفسهم .(٢) لكن تلك الامتيازات كانت الى سنة ١٧٣٩ امتيازات موقتة يمنحها السلاطين وتنتهى بموتهم او بتركهم العرش . حدث سنة ١٧٣٩ ان وقفت فرنسا الى جانب تركيا تعضدها اوبياف دفع نتائج اعتداء رحمها به

---

١ - محمد عبدالبارى : الامتيازات الاجنبية ص ٢٤ - ص ٢٥ ،

٢ - عمر لطفى : الامتيازات الاجنبية ص Brinton:op.cit.PP.5,6,7.

الروسى والنمسا وكلانت كل المعونه أن توسطت فرنسا فمكنت الاتراك من الحصول على صلح شريف وفى نظير هذه الوساطه حصل الفرنسيون على معاهده سنة ١٧٤٠ وكانت أساسا جديدا للامتيازات الاجنبيه بتركيا وكانت بين لويس الخامس عشر ملك فرنسا والسلطان محمود الاول وقد تعهد فيها السلطان على نفسه ومن يخلفه بعدم أى تغيير بند من بنود تلك المعاهده دون موافقة فرنســــا (١).

وقد نصت تلك المعاهده على ثلاث أسس هامه :

١) تأكيد جميع الامتيازات السابقـــة
٢) اضافة امتيازات جديده خاصه بالتجاره وبذلك فازت فرنسا بامتيازات جديده فى هذا الصدد
٣) أعطيت للامتيازات التى يمنحها السلطان صفات محدوده لايمكن المساس بها او تغييرها فى المستقبل.

ويمكن تلخيص اهم احكام هذه المعاهده فيما يأتى :

أولا : تحديد نسبه معينه للرسوم الجمركيه والضرائب الداخليه لايصح أن تتجاوزهـــا الحكومه التركيه دون موافقة فرنســـا.
===

ثانيا : تحريم دخول السلطات المحليه مسكن الفرنسى دون ترخيص القنصل او السفير الفرنسى
===

ثالثا : تحريم قبض السلطات المحليه على فرنسى دون ترخيص من القنصل او السفير الفرنسى
===

رابعا : تقرير حرية التجاره والاستقلال للفرنسيين فى البر والبحر ضمن حدود الدوله العثمانيه
===

خامسا : خضوع الفرنسيين ومن تحميهم فرنسا للقضاء القنصلى الفرنسى وخضوع الاجانب فيما بينهم للقضاء القنصلى دون التركى.
====

سادسا : اذا كان الجانى اجنبيا والمجنى عليه تركيا فيحاكم هذا الاجنبى لا أمام المحاكم التركيه العاديه ولكن امام الديوان العالى أى أن المحاكمه هنا تكون بواسطة محكمه اداريه لاقضائيه وكذلك الشأن اذا كان المدعى عليه فى المنازعات المدنية والتجاريه اجنبيا والمدعى تركيا بشرط أن يحضر المحاكمه القنصل او ترجمان القنصلية (٣).
====

ولقد بذلت حكومات الدول الاوربيه الاخرى مجهودات كبيره لدى حكومة القسطنطينيه للحصول على

---

1) Sammarco; Histoire de L'Egypte de Moderne; T.3.P.225.
2) Meyer: op.cit.p.55.
٣) محمد عبد البـــارى : نفس المصدر السابق ص

امتيازات مماثله من السلطان ، ففى سنة ١٧٣٧ عقدت معاهده مع السويد وأخرى مع توسكانيا (ايطاليا) سنة ١٧٤٦ ، ومعاهده أخرى مع بروسيا (المانيا) سنة ١٧٦١ والروسيا سنة ١٧٨٣ ، وهكذا حصلت معظم الدول الاوربيه على الامتيازات من السلطان العثمانى ، وذلك بعد أن حصلت عليها انجلترا سنة ١٦٧٥ وكان لتلك المعاهدات أكبر الاثر فى ازدهار العلاقات التجاريه بين الامبراطوريه العثمانيه والدول الاوربيه ⁽١⁾ .

ونظرا لتضارب مصالح تلك الدول مع مصالح الباب العالى فى القسطنطينيه فقد عملت على عقد اتفاقيات خاصه مع ولاة مصر تختلف روحا وموضوعا عن تلك المعاهدات التى اعترفت بالقوه والتى كانت متفق عليها مع الباب العالى ، وسارعت تلك الدول لكى تثبت انفصال مصر عن تركيا من الناحيه التجاريه وخاصـــة بالنسبه للرسوم الجمركيه ⁽٢⁾ .

والجدير بالملاحظه أن معاهدات الامتيازات التى سبق ابرمتها الدول الاوربيه مع الدولة العثمانيه لم تلق دائما احترام السلطات الحاكمه المحليه فى مصر فى القرن الثامن عشر فكثيــرا ما كانت هذه السلطات تعمل على ايذاء الذى يرعايا الدول الاجنبيه وحاجرهم وكثيرا ماكانت الدول الاوربيه تحتج لدى الدولة العثمانيه على سوء معاملة السلطات المحليه فى مصر لرعاياها ولكن هذه الاحتجاجات كانت تذهب ادراج الرياح لان الدوله العثمانيه فى النصف الثـــانى من القرن الثامن عشر على وجه الخصـــوص لم يكن لها من النفوذ السلطان على مصر مايمكنهـــا من تنفيذ هذه الامتيازات الامر الذى جعل الدول الاجنبيه ولا سيما انجلترا وفرنسا تحاول الاتصال المباشـــر ،

I - Meyer: op.cit.pp.73:74

2 - Ibid: p.8 I.

بالبكوات المماليك فى مصر لابرام اتفاقيات معهم أو لحثهم على احترامهم لمعاهدات الامتيازات التى منحت لرعاياهم ٠ وكان هذا التدخل من جانب انجلترا وفرنسا وغيرها يغضب الباب العالى صاحب الحق الشرعى فى مصر ٠ ويلاحظ أن بكوات المماليك لم يحترموا ابدا اتفاقياتهم المتعدده والتى ابرموها مع الدول الاجنبيه فكثيرا ماكان التجار الاجانب يتعرضون للاهانات فهل كان القناصل أنفسهم يتعرضون للضرب والسجن وكثيرا ماهوجم حيهم الذى يسكنونه ويحتفظون بتجارتهم فيه وكان التجار الاجانب ينزلون بحى خاص يضم مخازن تجارتهم ومنازلهم ولا يسمح لهم بالسكن خارجه ٠ وكان حى الاجانب بالقاهره هو تقريبا حى الموسكى حاليا ٠ وكان التجار الاجانب يرغمون على ركوب الحمير دون الخيول بل كان عليهم أن ينزلوا عن حميرهم اذا مروا بأحد الضباط الاتراك او البكوات المماليك وكان الباشوات المماليك يفرضون على التجار الاجانب المغارم المنتزعه فى شكل هدايا او ضرائب حتى سميت مصر بموطن المغارم ولقد وصف الرحاله " فولنى " حالة التجار الفرنسيين فى القاهره عندما زار مصر سنة ١٧٨٢ بقوله ـ أنهم (التجار الفرنسيين) محصورون فى زقاق واسع يتعايشون وقلما كانت لهم صلات بغيرهم وهم يتحاشون الخروج ما أستطاعوا لئلا يتعرضون لشتائم الشعب الذى يكره أسم الفرنجه (الاوربيين) أولاً هانات المماليك الذين يكرهونهم على التحمل عن ظهور الحمير فى الازقه ٠ ويفتك بهم وباء الطاعون ويحصرهم فى منازلهم ٠او من فتنه تعرض حيهم لنهب والسلب او من مغارم يفرضها عليهم القائد او البكوات وفى كل ذلك مافيه من المخاطر وتلقيهم هموم آخرى مما لاشك بسبب متاجرهم فمنهم مضطرون الى البيع دينا وقلما سددت ديونهم فى آجالها ٠٠٠ وتجرى المعاملات على اساس الذمة ولكن هذه الذمة قد تشوهت ،

بما طلبهم التلاميس فى انفع السنوات وكثيرا ما احجموا عن الرد والسيحيون ، آخر علاقتهم أكثر خيانه للامانه من الاتراك انفسهم ولذ لك فلا عجب ان بلغ الضيق بهولاء التجار الفرنسيين حدا جعلهم يطلبون من حكوماتهم لرسال قوات حربيه لتأديب المعتدين وتأمين مصالح الاجانب وسلامتهم وقد أدت سياسة المماليك التعسفيه ازاء الاجانب عامة الى انسحاب معظم القناصل للدول الاجنبيه فى اواخر القرن الثامن عشر والى توقف النشاط التجارى الاوربى (١) .

وفى القرن التاسع عشر حاول محمد على الحد من معاهدات الامتيازات حتى ان وزير خارجية بريطانيا ارسل الى قنصليه فى مصر بضرورة مطالبة محمد على بمراعاة الامتيازات الممنوحه للرعايا البريطانيين فى مصر والمتفق عليها مع الباب العالى (٢) .

وعلى الرغم من ذ لك فقد كانت معاملة محمدعلى للاوربيين أكثر اعتدالا من معاملة المماليك لهم وذ لك حتى يتسنى له الاستعانه بهم فى تطوير النظم المختلفه فى مصر ، كما كان يرحب بقدوم السياح الاجانب كما دعى الكثير من العلماء الفرنسيين لمصاحبة ابنائه فى حملاتهم الى السودان وبمرور الزمن اصبح للقناصل الحق فى نظر جميع المسائل التى تخص رعايا دولهم سواء المدنيه منها او التجاريه (٣) .

وبالنسبه للمسائل التجاريه فقد انشأ محمدعلى فى سنة ١٨٣٦ مجالس التجار التى كانت بمثابة محكمه تجاريه ،

---

(١) دكتور محمد فؤاد شكرى : حضارة مصر الحديثه (محاضرات / ٥٩) ص٤٣ و/ ٤٥

(2) F.O: Vol.7 8/202 .Alex.5-IO-I83I.

(3) Brinton : op.cit.p.8.

مختلطه فقد كانت تشمل ممثلين من الاهالى والاجانب اما المسائل الجنائيه فقـــد

ترك الفصل فيها للقناصل واذا لم يرض المذنب بحكم القنصل يحول الى المحاكم

الاهليه ويطبق عليه قانون البلاد (١) فقد قامت معظم الدول الاجنبيه وبخاصه انجلتـــرا

بمعارضـــة نظام الاحتكار الذى كان يعتبر أساسا لسياسة محمد على الاقتصاديـــه

ونجحـــت انجلترا بالفعل لالغائه مسترشده بما لها من حقوق مستمده من معاهدات

الامتيازات وكان من رأى تجار الانجليز ان هذه الامتيازات قد ضمنت لهم حرية التجاره

فى تركيـــا وممتلكاتها ومن بينها مصر وغيرها من الاقاليم التى خضعت لحكم محمـــد

على وكان لهم بمقتضاها الحق فى جلب المتاجر وشراء مايريدون من السلع او تصديره دون

أن يمنعهم احد من ذلك او يتعرض لهم بسوء يعطل نشاطهم التجارى ولما وجد الانجليز

ان مصالحهم التجاريه مرهونه برغبات الحكام ورجال الاداره العثمانيه الذين يستطيعون

أن يعطلوا تجارة الصـــادر والوارد معا • قرروا ان يزيلوا كل غموض فى هذا الصدد فكلف

(بلمرستون) بنسنبى (Ponsonb) سفير حكومته فى الاستانه أن يهتم بمراجعة جميـــع

الانظمه الخاصـــه بالتجاره البريطانيه فى الامبراطوريه العثمانيه ومن بينها مصر فدخـــل

(بنسنبى) فى مفاوضات مـــع الباب العالى اسفرت عن عقد المعاهدات الانجليزيه العثمانيه

فى ١٩ اغسطس سنة ١٨٣٨ وتتألف هذه المعاهده التجاريه والبحريه من ثمانية بنود اساسيه

وثلاث اخرى اضافيه • (٢)

I - Meyer:oPcit.pp.96,97.

٢) دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على صـ ٥٨ و ٥٩

وقد كان لهذه المعاهده اثار عميقه في نظام الاحتكار في ممتلكات الباشا هبل لقد مهدت لالغاء هذا النظام في النهاية ؛ فقد نص البند الثاني من البنود الاساسيه على أن (الرعايا دولة بريطانيا العظمى ومن ينوب عنهم في كل الممالك العثمانيه أن يشترطوا سواء كان برسم بيعها في داخلية الممالك العثمانيه او برسم تصديرها - كل الاصناف بدون أدنى استثناء من حاصلات الممالك المذكورة الزراعيه والصناعيه - ويتعهد الباب العالي قطعيا بإبطال احتكار الحاصلات الزراعيه وغيرها من الاصناف أيا كانت وبالغاء الرخص التي كانت تعطيها الحكومه المحليه بشرائها ونقلها من مكان الى اخر بعد شرائها وبإزالة كل ما كان من الاجراءات باعثا على اكراه رعايا جلالة ملك بريطانيا على اخذ مثل الرخص المذكوره من الحكومه المحليه لانها تعتبر في المستقبل كمخالفه للمعاهدات فيقاضي الباب العالي ويقصه كل وزير ومأمور ارتكبها ويعوض على الرعايا الانجليز بوجهة العدل ما يصيبهم من الضرر والخسائر متى كان مثبوتا) وقد تبع عقد هذه المعاهده مع بريطانيا عقد معاهدات مماثله لها مع بلجيكا في ٣٠ أغسطس سنة ١٨٣٨ (عدلت في ٣٠ ابريل سنة ١٨٤٠) ومع فرنسا في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٣٨ واتحاد الهانسيا (لوبيك وبريمن) (وهامبورج) في ١٨ مايو سنة ١٨٣٩ وسردنيا في ٢ سبتمبر سنة ١٨٣٩ والنمسا في ٢١ اكتوبر سنة ١٨٣٩ والسويد والنرويج في ٣١ يناير ١٨٤٠ واسبانيا في ٢ مارس ١٨٤٠ واليونان في ٣ مارس ١٨٤٠ وهولندا في ١٤ مارس سنة ١٨٤٠ والدينمرك في ٢٧ ابريل ١٨٤٠ (١)

١- نفس المصدر السابق صفحة ٦٠ وصفحة ٦١

غير ان عقبات كثيرة حالت دون تطبيق هذه المعاهدة والمعاهدات الاخرى المماثلة لها في مصر وفي ممتلكات محمد على . اذ صادف صدورها وبدء تنفيذها حدوث الازمة السياسية الكبرى (١٨٣٩ - ١٨٤٠) زد على ذلك ان كثيرا من اهم ما تنتجه البلاد ولاسيما القطن وقصب السكر كان يحصلها محمد على بوصفه مالك الجفالك الواسعة او بوصفها جزءا من الضرائب المربوطة على الاراضى ذاتها هذا الى ان تنفيذ هذه المعاهدة كان متعذرا من الناحية العملية من غير رغبة الباشا وموافقته لان محمد على كان صاحب السلطان الاعلى على رعاياه كما كان يسيطر تماما على جميع الاسواق وطرق المواصلات . ومع ذلك فقد ظلت انجلترا مصرة على تنفيذ المعاهدة في املاك محمد على ولذلك انتهز (بلمرستون) انقضاء الازمة السياسية وارسل الى مصر (الكولونيل بارنيت Barnett) ليبحث مع الباشا في موضوع المعاهدة فقابل محمد على في اغسطس سنة ١٨٤١) وتحدث اليه فيما ينبغى عمله حتى يصبح في استطاعة الجميع الاتجار على (حسب قوانين الامبراطورية العثمانية ومقتضى المعاهدات القائمة بين حكومة الباب العالى وبين حكومة صاحب الجلالة الامبراطورية) بيد ان محمد على لم يلبث ان اعتذر عن عدم امكان تغيير النظام القائم دفعة واحدة في بلاد اعتادت هذا النظام مدة طويلة لما ينشأ عن الغاء الاحتكار واطلاق حرية التجارة على هذا النحو من اخطار عظيمة . (١)

وفي ٣ مارس سنة ١٨٤٢ قدم القنصل الانجليزى (بارنيت) بالاشتراك مع القنصل النمسوى

---

١ - نفس المصدر السابق ونفس الصفحات .

غير ان ظلت هذه كثيرة حالت دون تطبيق هذه المعاهدة والمعاهدات الاخرى المماثلة لها في مصر وفي ممتلكات محمد علي ٠ اذ صادف صدورها وبدء تنفيذها حدوث الازمة السياسية الكبرى (١٨٣٩ — ١٨٤٠) زد على ذلك ان كل حاصلاتها مما تنتجه البلاد ولاسيما القطن وقصب السكر كان يتسلمها محمد علي بوصفه مالك الجفالك الواسعة او بوصفها جزءا من الضرائب المربوطة على الاراضي ذاتها هذا الى ان تنفيذ هذه المعاهدة كان متعذرا من الناحية العملية من غير رغبة الباشا وموافقته لان محمد علي كان صاحب السلطان الاعلى على ولايته كما كان يسيطر تماما على جميع الاسواق وطرق المواصلات ٠ ومع ذلك فقد ظلت انجلترا حريصة على تنفيذ المعاهدة في املاك محمد علي ولذلك انتهز (بالمرستون) انقضاء الازمة السياسية وارسل الى مصر (الكولونيل بارنيت Barnett) للبحث مع الباشا في موضوع المعاهدة فقابل محمد علي في اغسطس سنة ١٨٤١) وتحدث اليه فيما ينبغي عمله حتى يصبح في استطاعة الجميع الاتجار على (حسب قوانين الامبراطورية العثمانية ومقتضى المعاهدات القائمة بين حكومة الباب العالي وبين حكومة صاحب الجلالة الامبراطورية) بيد ان محمد علي لم يلبث ان اعتذر عن عدم امكان تغيير النظام القائم دفعة واحدة في بلاد اعتادت هذا النظام مدة طويلة لما ينشأ عن الغاء الاحتكار واطلاق حرية التجارة على هذا النحو من اخطار عظيمة ٠ (١)

وفي ٣ مارس سنة ١٨٤٢ قدم القنصل الانجليزي (بارنيت) بالاشتراك مع القنصل النمسوي

---

١ — نفس المصدر السابق ونفس الصفحات ٠

مذكرة مشتركة الى محمد على يطلبان فيها الغاء الاحتكارات وتعديل الرسوم الجمركية على تجارة الصادر والوارد ورفع الضيق الذى لحق بالتجار الاجانب من جراء تشدد عملاء الوالى معهم حتى يمكن تنفيذ المعاهدة تنفيذا دقيقا وامام هذه الاحتجاجات المتواصلة لم يسع الباشا اخيرا الا مراعاة رغبة الدول وتخفيف وطأة الاحتكار فاطلق تجارة السوائل والجلود والغلال والقطن فى العام نفسه • واستطاع القنصل الروسى " كريمر " Kremer ان يكتب الى حكومته فى يونيه سنة ١٨٤٢ (ان الظروف الحالية توحى بان البلاد سوف تستقبل عهدا من الهدوء • فقد استطاع تكاتف الدول التى عقد معها الباب العالى معاهدة على غرار معاهدة سنة ١٨٣٨ ان يقيموا علاقاتهم التجارية على اساس يرتضون اليه ولا يبدو من جانب الباشا ما يدعو الى الاعتقاد بوجود رغبات اخرى لديه تخالف رغبات الدول •) (١)

ولكى نوضح مركز بريطانيا ازاء الامتيازات يجب ان نستعرض بسرعة وايجاز تاريخ التدخل الانجليزى بمصر • والواقع ان السياسة البريطانية لم تتجه الى مصر الا بعد ان هدد نابليون طريقها الى الهند بمحاولة احتلال سوريا ومصر وتهديد امبراطوريتها • ولم يكد نابليون يستقر بمصر حتى اخذ الانجليز والاتراك فى مطاردته • وتم لهم بعد زمن يسير طرده من سوريا ثم من مصر وعملت انجلترا على بسط نفوذها على مصر لتأمن التعرض لمثل ذلك التهديد الخطير • ولكن الاعتداء على مصر اعتداء على تركيا • وسياسة انجلترا التقليدية تحول دون ذلك فلا بد اذن من تحين الفرص حتى لا تظهر بمظهر يخالف السياسة التقليدية حينذاك •

---

١ — نفس المرجع والصفحات السابقة •

وتحتول محمد على عهد الانجليز الى صديقهم الالفى ... بأنشاء حزب يدعو لصداقة الانجليز وتلك طريقه لابأس بها ولكنها لم تنجح . كما فشل الانجليز فى الحمله التى ارسلوها الى مصر سنة ١٨٠٧ . ولكن انجلترا لم تنس غرضها لمجرد قيام تلك الصعاب فلما انتصر محمد على انتصاراته المشهورة وهدد الآستانة انتهزت انجلترا استنجاد الاتراك بالدول واتفقت مع النمسا والروسيا والمانيا وحاربت بالقوة المادية بين محمد على والطامعة . ثم عقد مؤتمر لندن وفيه قررت الدول المشار اليها تجريد مصر من قوتها ووضع قيود ثقيلة على الجيش والبحريه المصريه ونفذ مدتركيا ذلك .

ومات محمد على وخلفه ابراهيم فلم تطل مدة حكمه ثم كان عباس الاول فظهرت فكرة انجلترا وهى مد خط حديدى بين القاهرة والسويس . وفى عهد سعيد نشطت السياسه الانجليزيه للحيلوله بين دلى لسبس وبين مشروعه وهو شق قناة السويس . ولما انهزم الفرنسيون فى اواخر حكم نابليون الثالث على يد الالمان تهيأت انجلترا فى القضاء على النفوذ الفرنسى والحلول محل فرنسا بمصر وتم لهم ما أرادوا خصوصا بعد شراء اسهم مصر فى قناة السويس سنة ١٨٧٥ ثم ارسال بعثة " كيف " لاعداد تقرير عن حالة مصر الماليه وعندما لم يخضع اسماعيل للارشاد الانجليزى الى الحد الذى يرضى اطماع انجلترا عملت على خلعه سنة ١٨٧٩ فلما ابعد اسماعيل رات انجلترا ان الادارة الدوليه التى خضعت لها مصر لاتنيل انجلترا كل النفوذ الذى كانت تبغيه فاحتلت مصر عسكريا سنة ١٨٨٢ وبهذا المركز استبعدت كل نفوذ دولى عن الادارة المصريه تدريجيا . (١)

---

١ - محمد عبد البارى : الامتيازات الاجنبيه ص ١٣٢ - ١٤٠

ولاريب أن تصرف انجلترا هذا لم يكن يتفق مع اى نظام دولى ولا يمكن الدفاع عنه على اساس احترام العهود المكتوبه . من اجل ذلك كانت انجلترا حريصه كل الحرص على عدم اثارة مخاوف الاوروبين على امتيازاتهم بمصر . وكان من نتائج حرص انجلترا هذا وتجنبها للاصطدام مع السياسه الفرنسيه بمصر ان نمت الامتيازات وتطورت ضد مصلحة مصر حتى نهاية القرن التاسع عشر

وعلى العموم يمكن القول ان وجود الانجليز فى مصر كان من الاسباب التى ساعدت على شدة وطأة الامتيازات على المصريين .

ومن الغريب ان اساس هذه الامتيازات قد قام على العادات العرفيه لا على نصوص المعاهدات المكتوبه وحدها . ومهما يكن من امر فلا يمكن ان تحل العادات محل القانون او العهود الدوليه بحيث يصح للاجانب القول بان لهم حقوقا مكتسبه تبرر كل هذا الخروج على المبادىء القانونيه العامه التى تقرر سيادة الدول وتوجب المعاملات على المساواة . ومن القواعد المقرره ان العاده لا تأخذ حكم القانون الا اذا كانت قائمه على الرضا ولها صفة الاستقرار فأساس المعاملات الدوليه هو الاتفاق ضمنيا كان او صريحا . ولابد كذلك من الاستقرار زمنا طويلا لا يتخلله اعتراض . فما يسميه الاجانب ومن تابعهم بمصر عادات عرفيه ان هو الا سلسلة وقائع ماديه قامت على غير الرضا بل كانت كل واقعه مثلا لتجاوز الاختصاص والحدود من جهه واذعان الضعيف على أمره من جهه أخرى .

وكما سبقت الاشاره تعني الاتراك العثمانيون مصر سنة ١٥١٧ ٠ فان كانت هناك عادات قائمه بمصر من الفتح العثماني ٠ بتوسطعلى اتفاقات بين سلاطين مصر والدول فان الفتح العثماني وبسط سيادة جديدة على مصر يبطل مفعول تلك العادات ٠ فان قيل ان سلطان تركيا ابرم معاهدة مع فرنسا سنة ١٥٢٨ ماكان للفرنسيين من امتيازات بمصر ٠ يمكن الرد على ذلك القول بان تركيا عقدت مع فرنسا والدول الاوروبيه الاخرى سلسله من معاهدات الامتيازات من سنة ١٥٣٥ الى ١٧٤٠ فالمجوز ٠ ومصر ولايه عثمانيه ان تأخذ منفعة الاجانب بمصر احكاما غير احكام تلك المعاهدات سواء كانت حقوق الاجانب الموجوده بمصر قائمه قبل الفتح العثماني على عادات او على عهود مكتوبه وقد ورد بفرمان فبراير سنة ١٨٤١ الصادر من سلطان تركيا لمحمد على ان جميع المعاهدات المعقوده بين الحكومه التركيه والدول الاجنبيه والتي ستعقد بينها وبينهم في المستقبل ، تسري على مصر اسوة بباقـــي البلاد العثمانيه ٠

ومعنى هذا أنه لايحق للدول ان تدعي بمصر حقوقا تخرج عما ورد بالمعاهدات المبرمه بيـــن تركيا والدول ٠ ولا يحق لولاة مصـــر ان يمنحوا الاجانب بالاتفاق او بالسكوت ٠ حقوقا بمصــر تزيد عما ورد باحكام معاهدات الامتياز المعقودة مع تركيا وان كان ثم سكوت من الجانب المصري فان كان لفترة قصيرة لاتكفـــي لقيام عادة لها قوة القانون فقد يمكن الاجانب بمصر في آخر عهد المماليك اصحاب مصالح تذكر بمصر ولم يكن لهما من النظام القائم بالبلاد يشجعهم على الاقامه بهذه البلاد فلما فتح محمد على البلاد على مصراعيها للاجانب امها الكثيرون منهم لكن محمد على كان قويا حاكما بالفطرة يعرف متى يضرب بشدة ومتى يلين ٠ (١)

---

١ — محمد عبد البارى : الامتيازات الاجنبيه صـــــــ ٤٤ — ٤٦

لذلك كانت الحكومة وتعليماتها محترمة مهيبة الجانب وكانت مصر قوة متماسكة لا لأن نظمها كانت ثابتة مؤسسة على القواعد الحديثة ولكن لأن يد الحاكم كانت قوية لا يفلت من قبضتها عابث بالقانون وطنيا كان او اوروبيا . وفى طول عهد محمد على لم يجسر اى قنصل من قناصل الدول على رفض تنفيذ حكم صدر بإدانة ومعاقبة اجنبى حتى انه لم يجسر قنصل منهم على ان يشكو من صدور حكم جائر على احد الاجانب . ولكن بعد وفاة محمد على وابراهيم . استغل قناصل الدول ضعف عباس الاول وسعيد ورجال حكومة مصر فى ذلك العهد وجاروا على حقوق المصريين . فانتزعوا سلطة محاكمة الاجانب من يد الحكومة المصرية واستأثروا بها دونها .(1) وبالغ حكام مصر بعد محمد على فى اكرام الاجانب . ومنحوهم الامتيازات الطائلة . والتى تخطوا بها حدود الامتيازات السابقة والتى اكتسبوها بمقتضى العرف والتقاليد والعادات المكتسبة وتنبه هؤلاء الحكام اخيرا لهذا الخطأ الواضح . وكانوا من الضعف بحيث انهم لم يستطيعوا الوقوف فى وجه الاجانب . وعلى العموم يمكن القول ان امتيازات الاجانب فى مصر كانت اكثر منها فى تركيا ولقد بدأ فى مصر سوء استغلال واضح لتلك الامتيازات مما ادى الى خضوع حكامها للنفوذ المباشر للدول الاوروبية . فمثلا كان هؤلاء الاجانب يقومون بتهريب البضائع تحت سمع وبصر موظفى الجمرك فى مصر وتقف المعاهدات حائلا دون اتخاذ اى اجراء قانونى مباشر معهم ونفس الشئ يمكن ان يحدث للاجنبى الذى ،

---

1 ــ عزيز خانكى : المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية ص ٣١

يمتلك محلا للقمار او من يتجر في البضائع المسروقه او الاجنبي الذي يبيع المخدرات وكان كل هؤلاء يحتمون تحت ستار الامتيازات وما اكتسبوه من عادات نتيجة لضعف الحكام في ذلك الوقت (١) ·

فكانت الحكومه لاتستطيع ان تحرك ساكنا امام تلك الجرائم والحقوق الزائده عن الحد التي كان يتمتع بها هؤلاء الاجانب · وكان من الصعب ان يحصل وطني على حقوقه من الاجنبي بأي حال من الاحوال (٢) ·

بل والاكثر من ذلك خضعت الحكومه المصريه في كثير من الاحيان لسلطان الحاكم القنصليه مما ادى الى تجريد السلطات المصريه من نفوذها على هؤلاء الاجانب الذين لايخضعون سوى لقناصل دولهم وتعرض الاهالي للظلم الجائر في علاقتهم مع الاجانب المقيمين بمصر واصبحت تلك الحالة تزداد سوءا يوما بعد يوم (٣) ·

ومما سبق يتضح خضوع مصر لمعاهدات الامتيازات التي عقدتها الدولة العثمانيه مع فرنسا وسائر الدول الاوروبيه بوصفها احدى الولايات التابعه لتركيا وكانت هذه الامتيازات لاغراض تجاريه في بادئ الامر ثم تطورت بعد ذلك وشملت مختلف النواحي في مصر وظهر اثرها السيء بعد انتهاء فترة حكم محمد على لمصر وذلك لضعف ولاة مصر الذين جاءوا بعده خصوصا سعيد واسماعيل الذين بالغوا في اكرام الاجانب وساعدوهم في استغلال الامتيازات الاجنبيه حتى خرجت عن نصوص المعاهدات السالفه الذكر ·

---

1 - Cromer : Modern Egypt.Vol.II.P.427,429.

2 - De Freycinet (C):La Question d'Egypte.P.I43.

3 - Mc.Coan : Egypt as it is.p.284.

اهم الامتيازات الممنوحه للاجانب في مصـــــر :

اعطت امتيازات الاجانب في الدولة العثمانيه ممثلي الدول الاجنبية في مصـــــر فرصـــه للحصول على حقوق جديدة وارهاق السلطات المحليه بطلبات زائدة عن الحد لصالح رعاياهم وبخاصة في عهد سعيد واسماعيل :

وهذه بعض امتيازات الاجانب في القرن التاسع عشـــــر :

١ - الحريه الدينيـــــة :

كان التسامح الديني واضحا في عصر محمد على نظرا لارتباط مصالحه بالاجانب (١) . فأباح محمد على الحريه الدينيه لهم في مصر وسمح لهم بدق اجراس كنائسهم والغى القاعدة التي تحتم عليهم الحصول على تصـــريح من الحكومه لبناء كنيسة او اعادة بنائها او اصلاحهـــا وقد ادت الحريه الدينية الى انتشار الارساليات الدينية في مصـــر وقد اهتمت الارساليات الدينية الكاثوليكية والبروتستنتية بالدعوه الى الدين المسيحي وتحويل الاقباط الارثوذكســـي الى الكاثوليكية او البروتستنتيه كما سبقت الاشاره الى ذلك في الفصل الخامس .

وقد اعطـــى محمد سعيد مخصصات للمدارس والكنائس التابعه لجميع المذاهب المسيحيه في مصـــر كما ذم في فرمان كـــثيرة التعصب والاضطهاد الديـــــنى . (٢)

وكذلك اتخذ محمد ســـعيد في سنة ١٨٦٠ كل الاحتياطات اللازمه للقضاء على اية حركـــة ضد المسيحيه في مصـــر . وذلك بمناسبة الاشتباك الذى حدث بين المسلمين والمسيحيين في سوريا مما ادى الى سفك الدماء والتجاوز بالقتل ،

I - Cameron(D.A): Egypt in the 19th Century.p.2II.

2 - A.A : From Thayer, Alex.27-I-18 63.

من ٥٠٠٠ من المسيحيين في سوريا الى الاسكندرية . وبذلك لم يحدث في مصر ما حدث في سوريا بل استمرت الحالة في مصر هادئة بسبب ما اتخذه الوالي من احتياطات .(١)

وعلى الرغم من تمتع الاجانب في مصر بالحرية الدينية منذ عهد محمد على فان الاجانب كانوا يخشون من التعصب الديني حتى ان "ريتشارد جونز" القنصل العام للولايات المتحدة [redacted] في الاسكندرية اقترح على حكومته في اغسطس ١٨٥٣ ان تزور سفينة حربية الاسكندرية منعا لتعدي المسلمين على المسيحيين في حالة قيام الحرب بين تركيا وروسيا .(٢)

وكذلك طلب " ادوين دي ليون " القنصل العام للولايات المتحدة في الاسكندرية من حكومته في يوليه سنة ١٨٥٨ ارسال سفينة حربية للاقامة في شاطئ سوريا واخرى للاقامة عند شاطئ مصر او بالقرب منه ، وذلك خوفا من حدوث اشتباك بين المسلمين والمسيحيين بمناسبة حادثة جدة الذي ذهب ضحيتها ٢٣ شخصا منهم القنصل الانجليزي ومترجمه وكاتبه والقنصل الفرنسي وزوجته . وايضا طلب ادوين دي ليون من حكومته في يولية سنة ١٨٦٠ زيارة الاسطول الامريكي في البحر المتوسط ، وتكليفه التجول في سواحل سوريا وازمير ومصر وتونس وطرابلس وذلك بمناسبة الاشتباك الذي حدث بين المسلمين والمسيحيين في سوريا .(٣)

ولكن بالرغم من ذلك ظل التسامح الديني منتشرا في مصر في عصر سعيد وايضا في عصر اسماعيل حيث اشاد بذلك الاجانب انفسهم في رسائلهم الى حكوماتهم .(٤)

I - Ibid: From Edwin de Leon.Alex.1860

2 - Ibid : From Jones .Alex.August,1853.

3 - Ibid : From Edwin de Leon.Alex,1858.1860.

٤ - جاك تاجر وجمعي جندي : اسماعيل كما تصوره الوثائق . ص٣٢ .

٢ — حرمة المسكن :

قررت معاهدات الامتيازات حرمة المسكن للأجانب بحيث لا يمكن لموظفى السلطة المحليه دخوله • وكان المسكن يتألف من البيت وملحقاته • غير أن القناصل فى مصر توسعوا فى تفسير معنى السكن حتى شمل جميع الأماكن التى يمارس فيها الأجنبى تجارته وصناعته وفنه وحرفته (١) •

ومع أنه ليس فى الامتيازات ما يمنع الأجنبى من أن يشترى أو يمتلك البيوت أو الأراضى أو ما سوى ذلك من أنواع العقار ، الا أن العادة التى تعفى الاجانب من جميع الضرائب تمنعهم بالضرورة من شراء العقار الثابت واقتنائه ، لأن جميع العقارات الثابته خاضعه للضرائب ، اذ أنها أهم مورد للدخل فى جميع بلاد الشرق ، وبناء على ذلك عمدت الحكومات الأوروبيه المختلفه ، الى اصدار تعليمات تمنع رعاياها من امتلاك الارض ، بل لقد وصل الأمر الى حد ان أمرت القناصل أن يبيعوا بيعا جبريا الأراضى التى قد يجدونها فى حوزة رعايا الدول التى يمثلونها • وبالرغم من ذلك أصبح عددا عظيما من المنازل والمخازن فى حوزة المستوطنين من الأجانب (٢) • وهذا ناظر الداخليه فى عهد سعيد يستفهم من أحقية الأجانب فى امتلاك المبانى أو عدمه واستناد قنصل الولايات المتحده فى ذلك الى الاراده السنيه الصادره الى الاسكندريه والتى تصرح باخراج حجة التمليك للأجانب بشروط معينه (٣) •

وفى سنة ١٨٦٧ حصل الاتفاق بين تركيا والدول الاوروبيه بشأن امتلاك الأجانب للعقار ومن أهم بنوده :

١ — فى نظير تمتع الأجانب بحق الملكيه العقاريه فيما عدا ولاية الحجاز من املاك تركيا تقبل الدوله خضوع ملاك العقار من رعاياها ضمن املاك تركيا لكل قانون تركى يتعلق بالعقار وللمحاكم التركيه فى كل نزاع يتعلق بعقار

---

١ — دكتور احمد الحته : الاجانب فى مصر والسودان ص ٢١٩

٢ — دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٦٣٤

٣ — محفظه ٤٨ معيه تركى وثيقه ١٧٥ فى ١٦ الحجه سنة ١٢٧٣ (١٨٥٧)

مهما كانت جنسية المتقاضين ويكون هؤلاء الاجانب خاضعين لما تفرضه تركيا من الضرائب العقاريه أسوه بالاتراك ٠

٢ـ قبلت الدول خضوع رعاياها للشرائع والمحاكم التركيه فى كل مايتعلق بمخالفات البوليس ثم صدر بذلك فرمان سنة ١٨٦٧ المشهور بفرمان ٩ صفر وفى السنه التاليه صدر بروتوكول وقعته الدول حدد معنى المسكن تحديدا دقيقا وقصر تخويل السلطات التركيه فى مسائل القبض على الاجانب ودخول منازلهم على الحالات التى لا تبعد عن مقر القنصل بمسير تسع ساعات فاذا كانت المسافه أكثر من ذلك لا يتحتم الرجوع الى القنصل او السفير ٠ (١)

٣ـ حرية الاقامه والتجول :

منحت الامتيازات للاجانب حرية الاقامه والتجول فى أنحاء الدوله العثمانيه وقد أتخذت مصر فى عهد عباس ومحمد سعيد بعض الاجراءات فيما يختص بتلك الحريه ٠ ففى أغسطس سنة ١٨٥٣ صدرت لائحه بمعاملة الاجانب فى مصر ٠ وأرسلت صوره منها الى ضبطية كل من القاهره والاسكندريه ورشيد ودمياط ومحافظة كل من السويس والقصير والعريش ومديرية اسوان ومصلحة المرور للعمل بها وتتلخص تلك اللائحه فى البنود الآتيه :

١) يجب على مأمورى الضبطيه أجراء العمل بمقتضى القوانين الخاصه بضبط وربط البلد ومساعدة قناصل الدول الاجنبيه فى أداء واجباتهم ٠

٢) يجب أن تكون مع الاجانب المقيمين داخل الحدود المصريه تذاكر أقامه من قنصلياتهم مبينا فيها أوصافهم ٠

---

١) محمد عبد البارى : الامتيازات الاجنبيه ص٢٨ ـ ص٢٩

وأشكالهم وصنعتهم ، ومؤشرا عليها من الضبطيه • كما يجب على الاجانب الذين يتوجهـــون الى جهات خارج الحدود المصريه او داخلها أن يكون بأيديهم جوازات سفر من قنصلياتهم مؤشرا عليها من الضبطيه •

٣) يطرد الاجنبى من القطر المصرى بمعرفة قنصله ، بناء على طلب الحكومه المصريه أذا لـــم يثبت أسباب معاشه وصناعته بدليل قوى ، ولم يحضر ضامنا معتمدا فى مدة شهر •

٤) الاجانب الذين يمرون بالقاهره فى طريقهم من الهند او اليها دون الاقامه بالقاهره ترســـل قوائم بأسمائهم من مصلحة المرور الى الضبطيه ، حيث أن أسماءهم مقيده بالمكتب الافرنجى التابـــع لتلك المصلحـــــــــه •

٥) أذا ضبط الاجنبى سائرا بلا فانوس بعد غروب الشمس بثلاث ساعات فى أسواق وحوارى وأزقـــة الاسكندريه والقاهره والبنادر وسائر الجهات يرسل الى الضبطيه ثم ترسل فى اليوم التالى الـــى قنصله رساله تطلب فيها مجازاته على حسب قانونـــــــه •

٦) اذا تشـــاجر الســـكارى من الاجانب ليلا فى محلات بيع الخمر والمقاهى فيما بينهم لو مـــع خلافهم فأنهم يضبطون فى الحال ويرسلون الى الضبطيه ويحبسون فيها تلك الليله وفى اليوم التالـــى يرسلون الى قناصلهم لمجازاتهم •

٧) اذا تطاول الاجنبى باللســـان او باليد على احد موظفى الضبطيه الكبار او الصغار اثناء تأديتهم وظيفتهم فانه يضبط فى الحال ويرســـل الى القنصل التابع له لمجازاته •

٨) بما ان حمل الاسلحه المختلفه ممنوع فان الاجنبى الذى يحملها نهارا ولم يوضح الاسباب المانعه لحملها ، يضبط ويرسل الى القنصليه التابع لها • اما الاجنبى الذى يحملها ليلا فانه يحبس فى تلك الليله فى الضبطيه وفى اليوم التالى يرســـــل الى قنصليته لمجازاته •

٧) اذا اقترف احد الاجانب ذنبا وثبتت عليه الجنحه يرسل بذلك تقريرا الى القنصل التابع له لمجازاته وعلى القنصل اعلان الضبطيه بالجزاء الذى يحكم به عليـــــه . (١)

وعندما زاد عدد الاجانب فى مصر فى عهد محمد سعيد اصدرت الحكومه لائحة فى نوفمبر سنة ١٨٥٢ جاء فى مقدمتها : (ان هولاء الاجانب فلما انه يوجد فيهم جملة افراد من ذوى الاعتبار كذلك يوجد فيهم ايضا اشخاص يسلكون طرق المخاطرة التى من سلكها لايصح بواسطة الامن العمومى أن يكون معافى من حراســـة ومراقبة الضبطيه وبناء على ذلك صار من أهم الامور وقتئذ أن تعطى للحكومه المحليه كيفية فى أجراء تلك المراقبه والملاحظـــه من طرفها أجراء مثمرا فالعهود نامات التى كانت رابطه واساسا لمعاملة الحكومه للاجانب لـــم يزل العمل جاريـــا بموجبها الى الان وأن كانت عملت واستنتجت وفى احوال لم توجد فى هذا الزمن لكن قـــد صار من اللزوم أن الحكومه المحليه لا تخرج فيما يختص بضبط وربط الاجانب عن حدود المحاكمه وعن الحكم المنصوص عليه بالشروط المعتبره فيما بين الدول وأنه بدون العدول عن الاصول والقواعد المتعلقه بتلـــك المادة يجد يمكن بواسطة استخراج نبذا جامعة لترتيب حجة نظاميه أن يكون لحركة الحكومه العامه قوة ونفاذ بالنسبه لسعة الموجبات التى تحكم بوجوب اجرائها الحاله الراهنه المقتضيه بها الاجانب ومن كونـــه أن معظم الاجانب مازالوا يتجهون افواجا لمدينتى الاسكندريه والمحروسه فقد صار من الضرورى أن يبـــادر باعطاء الطرق اللازمه لضبط وربط هاتين المدينتين التى يمكن بواسطة اجرائها فيما بعد أن يعم نفعهـــا سائر مايحتاج اليها من جهات الحكومه التى يكثر فيها الاجانب .)

---

(١) دكتور احمد الحته : الاجانب فى مصر والسودان ص ٢١١ — ص ٢١٢ نقلا عن :
قرار المجلس الخصوصى فى ٢٣ شوال ١٢٦٦ وعليه ارادة الى الديوان الكتخداوى فى ٧ ذى القعده (أغسطس ١٨٥٢
دفتر مجموعة امور ادارة اجراءات ص ٢٦٥ — ص ٢٦٧

وقد تقرر في تلك اللائحه انشاء قلم ضبط وربط الاجانب في كل من ضبطيتي القاهره والاسكندريه من اختصاصاته : (البحث بالدقه في أوراق القضايا والتقارير المبنيه هي عليها والوقوف على حقائقها وقيدها وترتيب قوائم الاسماء والشروحات المختصه المرسله لكل من جهتي القنصلاتو وقلم المسابورتات وتحرير المضابط عن التحقيقات الابتدائيه في القضايا المختصه بالاجانب ويصير بواسطة المعاون حصول التصديق من مأمور الضبطيه على تذاكر الاقامه والبسابورتات في الداخل) ورئيس ذلك القلم هو المعاون ومن واجباته أن ينفذ الترتيبات المقرره فيما يختص بضبط الاجانب وأن يتوجه الى المكان الذي يحدث فيه نزاع من الاجانب او ضدهم لايقاف النزاع والمشاجره ولرسال الاجانب المحدثين لذلك الخلل او المتسببين في حصوله الى الضبطيه وأن يخبر مأمور الضبطيه بكافة الامور التي تستحق التفات الحكومه .

وقد جاء باللائحه عن أقامة الاجانب في مصر مايلي :

١) لايسوغ لاحد من الاجانب الاقامه بمدينتي القاهره والاسكندريه الا بشرط أن يكون مدرجا في جدول القاطنين او بيده تذكرة اقامه مستوفيه الشروط او أن يقرر القنصل التابع له أنه سائح

٢) تحرر كل قنصليه الى كل من ضبطيتي القاهره والاسكندريه قائمه بأسماء رعاياها بشرط أن يكون القاطنون على حده . ومن معهم تذكرة أقامه على حده واذا توفى فيما بعد شخص ممن ذكروا في تلك القائمه يخبر القنصل الضبطيه بذلك

٣) لايعتبر الاجنبي من القاطنين الا اذا كان له صنع أو عقار أو كان من أرباب الالتزامات أو له .

حرفه شهيره او كان من أربـاب الوظائف العموميه او مستخدما بجهة بحيث مايرد له منها يكفـــى معيشته ٠

٤) أعطاء تذاكر أقامه للاجانب الذين ليســوا من القاطنين ولهم رغبه او لزوم للاقامه فـــى البلاد لمده طويله او قصيره وتلك التذاكر تعطى من القنصليات او من محافظ المدينه ويجـــب أن يكون عليها تصديق من الضبطيه المحليه (١) ٠

(وفى مارس سنة ١٨٥٩ صدر قرار بأن الاجانب الذين يأتون الى مصر لايقبلون فيها ويعادون الى بلادهم اذا كانت جوازات سفرهم بها شك وشبهه أما اذا كانت جوازات سفرهم ليس بها شـــك ولا شبهه ويكونون خالين من الشرور ولكنهم لم يؤشروا على جوازات السفر فى الباخره التى نزلـــوا فيها فأن أولئك الاجانب يقبلون فى مصر ولا يعادون الى بلادهم (٢) ٠

وفى أغسطس سنة ١٨٦١ تقرر الغاء وظائف ناظر قلم جوازات السفر بالاسكندريه وكتبته مع أبقـــاء كاتب تركى فى الضبطيه لاعطاء تذاكر لمن يريد من رعايا الحكومه الذهاب الى الخارج ٠ اما الاجانب فقد تقرر عدم أعطاء تذاكر لمن يريد منهم الذهاب الى الخارج وعدم طلب تذاكر ممن يأتى منهـــم من الخارج الى الاسكندريه ٠ واذا حدث من أحدهم شىء مغاير مثل سرقته ونحوها ٠ يضبـــط ويرسل الى القنصليه التابع لها فأن اعترضت بأنتمائه اليها وتكفلت بعدم حدوث شىء منه مره أخرى فلابأس والا فأنه ينفى من مصر الى الخارج ومن يحضر من رعايا الحكومه من الخارج لا تطلب منه تذكره (٣)

---

١) دكتور احمد الحته : نفس المصدر السابق ص ٢١٤ — ص ٢١٦ نقلا عن :
لائحه عموميه بترتيب وضبط الاجانب فى غاية ربيع الاول ١٢٧٤ (٥ انوفمبر ١٨٥٧) دفتر مجموع أمور اداره ص ٢٠٧ / ٢١٠

٢) نفس المصدر الســابق ص ٢١٧ نقلا عن :
دفتر مجموع أمور اداره واجراءات ص ٢٠٠ قرار من الداخليه فى ١٨ جماد ثان ١٢٧٥

٣) نفس المصدر السابق ص ٢١٧ نقلا عن نفس الدفتر ص ٢٠٠ فى ٤ صفر ١٢٧٨ (١ أغسطس ١٨٦١)

ولم يقتصر الامر بالنسبه لامتيازات الأجانب في مصر على الحريه الدينيه وحرية الاقامه والتجـول والمحافظه على حرمة المسكن بل حصلوا على أمتيازات آخرى عديده ، بموجب العرف والتمادى فى أستغلال تلك الامتيازات . فمثلا طلب القنصل الانجليزى فى عهد سعيد الترخيص لاحد الرعايـا الانجليز احضـار (وابور طحين) من أنجلترا ليعمل به فى مصر بشرط الا يعطيس لاحد آمتياز مثله (١) ولقد حافظت الحكومه المصريه على تلك الامتيازات حتى اثناء اقامة المرضى من الاجـانب فى المستشفيـات الحكوميه فبالغت بالاعتناء بهم وتقديم الرعاية الطبيه الممتازه لهم بخلاف سـائر المرضى (٢) وكانت المرتبات التى يتقاضاها الاجانب فى مصر سخيه جدا حتى فى عصر محمد على الـذى منح احد هؤلاء الاجانب واحدا وعشرين كيسـا فى الشهر أى ١٢٦٠ جنيها فى السنه ويتقاضى آخرون من ستة أكياس الى سته عشره كيسـا كل شهر اى مبلغا يتراوح بين ٣٩٠ و ٧٨٠ فى السنه هذا فضلا (٣) عن الجرايات التى تخصص للجميع كل حسب رتبته وبالطبع زادت هذه المرتبات فى عهد سعيـد باشا واسماعيل زياده كبيره ولسبب هذه الامتيازات التى تمتع بها الاجانب فى مصر جعلت الاشخاص فى البلاد الاوربيه وفى الولايات المتحده يتهافتون على العمل فى القنصليات فى مصر ويدفعون فى سبيل ذلـك الاموال الكثيره لعلمهم أن تلك الوظائف ستدر عليهم اموال الكثير (٤)

---

١) محفظه ٤٦ معيه تركيه وثيقه ١٠٣ فى ١٢ شعبان سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦)

٢) نفس المحفظه وثيقه ٨٧ فى ١٢ شعبان سنة (١٢٧٢) (١٨٥٥)

٣) دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على صفحة ١٧٢ نقلا عن : تقرير بورنج الانجليزى الى حكومته عن مصر سنة ١٨٣٧

4 - A.A : Report by Hodgson.p.48.

مساوئ الامتيازات الاجنبية :

ليس من الدقة القول بأن الاجانب أكتسبوا حقوقهم المدعاه في مصر بناء على أتفاق دولي صريح أو عادات مرعية فالحقيقة أن التطبيق غير العادل وغير المتفق مع روح الامتيازات أنما هو نتيجة الامر الواقع المبني على التحكم من جانب الغربيين وعلى التفريط والاهمال من الجانب المصري .

وأن تطبيق الامتيازات بمصر خرج بها عما نصت عليه المعاهدات الدولية الصريحة المعقودة بين الدول وتركيا ولكن الاجانب يعللون هذا التطبيق الشاذ بأن مصر منشأ الامتيازات وبأن السيادة المصرية أزاء الاجانب بهذه الب لاد كانت محدودة بالمعاهدات الصريحة والعرف الجاري قبل أن يفتحها الاتراك العثمانيون بأجيال عدة فاذا تعدلت تلك الامتيازات بتركيا فلا يستلزم هذا تعديلها في مصر وان كانت خاضعة للسيادة التركية واذا أنفصلت مصر عن تركيا وتحررت عن سيادتها من الوجهة القانونية كما تحررت من قبل من الوجهة العملية فلا يؤثر هذا في مركز الاجانب في مصـــــــر . (١)

والواقع أن هذا الادعاء لا أساس له وأنه ليس هناك وثيقة تربط المصريين غير معاهدات الامتياز مع تركيا (والتي سبق الاشارة اليها في بداية هذا الفصل) وغير أتفاق أنشاء المحاكم المختلطة (والتي سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في الفصل العاشر) فاذا ماتحررت مصر من السيادة التركية وهو ماتم فعلا — فلا شئ يوجب على هذه البلاد التقيد بنظام الامتيازات الاجنبية .

---

١) محمد عبد الباري : الامتيازات الاجنبية ص ٣٢

بالنسبه لتركيا لم يحاول تناصل الدول الاجنبيه المختلفه استغلال تلك الامتيازات ولم تخرج عن النظام الذى وضعت له وربما كان السبب فى ذلك قلة عدد الأجانب فى البلاد بالنسبه لاتساعها وقلة احتكاكهم بالأهالى (١) . اما فى مصر لا سيما بعد أن أزال محمد على كل الحواجز التى كانت بين حياة الأجانب وبين الهيئة الاجتماعية المصريه وفتح باب الهجرة الى مصر واسعه أمام الأجانب وعلى الأخص بعد وفاته وبعد أن لفظت حوادث أوربا السياسيه فى سنة ١٨٤٨ عددا كبيرا من المهاجرين الى مصر أصبح عدد الجاليات الأجنبيه ثلاثة أضعاف ماكان فأن نظام تلك الامتيازات خرج عن حدود دائرته بالمره وأصبح قناصل الدول اعتمادا على ما لحكوماتهم من قوة واختتاما لضعف ولاة مصر بعد محمد على يفتاتون على حقوق السلطه المحليه التشريعيه (٢) . مما أدى الى تجريد السلطات المحليه فى مصر من كل نفوذها وتعرض الأهالى للظلم الجائر فى علاقاتهم مع الأجانب المقيمين فى مصر وأصبح تلك الحالة تزداد سوءا يوما بعد يوم (٢) . فلا تنفذ الشرائع المصريه على الأجانب المميزين مالم توافق عليها الدول صاحبة الامتيازات وفى بعض الأحوال يكفى أن تقرر الجمعيه العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطه مشروعات القوانين المصريه ليمكن سريانها على الأجانب المتمتعين بالامتيازات وكانت تأبى اقرار أى مشروع قانون يعرض عليها اذا كان فيه تكليف جديد لأجنبى جرى العرف الخاطئ على اعتباره مخالفا لروح الامتيازات والنتيجة الحتميه لهذه الحال هى تعطيل كثير من الاصلاحات الضروريه فى مصر لأنها كانت تحتاج الى تشريع ينظمها ولان العدالة لا تسمح بتطبيق طائفة كبيرة من القوانين على المصريين وحدهم (٣) .

---

1 - Mc.Coan:op.cit.p.284.

٢ - الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل جـ ١ ص ٦٢ ٤

٣ - محمد عبدالبارى: الامتيازات الأجنبيه ص٦

وكان من افشى الاوبئة المصرية على الاطلاق ذلك المركز الممتاز الذى كان يتمتع به الاجانب فى مصر ويعود بالفائدة خصوصا على أسوأ العناصر الاوربية أو الشرقيين الاوربيين الاصل وقد تفشى هذا الوباء فى اواخر عهد اسماعيل تفشيا متناهيا فى الهول والروع • فالاوربى الساعى لنيل الامتيازات أو للاشتغال بالربا الفاحش واليونانى الفندقى [illegible] الخطر او السمسار واليهودى المرابى والسورى المستملك وكلهم قادر بسهولة على الفوز بحماية احدى الدول الاجنبية ينهبوا كلهم الخزانة المصرية والفلاح المصرى المسكين الى مدى غير قابل للتصديق (١) • بل كان بعض هؤلاء الاجانب يحصل على الحصول على حماية اية دولة اجنبية اخرى لكى يتحايل فى الحصول على اغراضه ولا مانع من تغيير تلك الحماية والانتماء لاحد قناصل الدول الاخرى وهكذا محتميا بنظام الامتيازات (٢) •

ويتحدث نوبار باشا عن مساوىء نظام الامتيازات فى مصر قائلا (أن مايدعوه الاجانب من نظام قضائى يحكم علاقاتهم بالحكومة وبالافراد لم يعد مستندا الى الامتيازات فالواقع أنه لم يبق من تلك الامتيازات كما حددتها الامتيازات سوى اسمها اما النظام الذى يتمسكون به فيرتكز على عادات تعسفية لم تقم بحكم العلاقات المعتادة بل بمبالغة القناصل فى الاستئثار بالسلطة دون الادارة المحلية متأثرين بالمصالح الخاصة لكل جالية • نعم كان الجانب المصرى حريصا على تسهيل اقامة الاجانب ببلاده ولكنه بالغ فى هذا الحرص حتى اصبحت الحكومة بمرور الايام ولا سلطان لها عليهم)

---

١) ذكرها صروف : اسماعيل المفترى عليه (مترجم) ص ٢٢٦

٢) محفظة ٤٦ معية تركية وثيقة ٢٨٦ فى ٢٠ رمضان ١٢٧٣

وأصحى الاهالي بلا مرجع ثابت للعدل يرجعون اليه في معاملتهم مع الاجانب ٠)

وقال في موضع اخر (صار اجراء الحفظ العام في البلاد متوقفا على مشيئة الاشخاص لا على ماتقضى به النظم والقوانين لذلك اصبح مركز الحكومة حرجا وصار البوليس المحلى عاجزا عن مراقبة الجرائم الخفيه حتى مايتعلق منها بالطرق العامه والحريات)

وقال ايضا (كان الغرض من الامتيازات حماية الاجنبي غير ان الاوربين يفسرها بعدم معاقبة الاجنبي لا بمجرد حمايته ونحن اذا رجعنا الى المعاهدات نجدها صريحه في أن الاجانب يحاكمون امام المحاكم الاهليه بحضور ترجمان القنصليه المختص) (١)

وفي المذكرة التي وجهها وزير خارجية فرنسا الى القنصل الفرنسي في الاسكندريه سنة ١٨٦٩ ٠

أشار الوزير الفرنسي الى أن نظام الامتيازات الذى اتبع في مصر كان نتيجه لظروف استثنائيه ولكنها اصبحت ضروريه ولكنه لا يوجد أدنى شبهه في نظام الامتيازات المتبع في مصر اذا قورن بما هو متبع في تركيا والذى يحاول ولاة مصر الرجوع اليه للتخلص من الالتزامات المفروضه عليهم وبالرغم من ذلك اعلن الوزير الفرنسي تمسكه بنظام الامتيازات السائد في مصر في تلك الفتره (عصر اسماعيل) بالنسبه لرعايا فرنسا في مصر (٢)

ومن مساوىء تلك الامتيازات انها حرمت القبض على الاجانب المجرمين او المخالفين في غير

---

١) محمد عبد الهادى : نفس المصدر السابق صفحة ٣٥ و ٣٦

2 - Meyer:op.cit.pp.I57,I59.

حالات التلبس وهى حال قللت من هيبة الادارة المصريه فى نظر الاجانب والوطنيين وعرضت أمن الاهالى وطمأنينتهم للخطر وحريه الافراد المسالمين للتهديد (١). وعن مساوىء الامتيازات الاجنبيه يقول نوبـار ايضـا : " فى ليلة وصولى الى الاسكندريه رايت جماعه من الفرنسيين والايطاليين يتحدثون على ظهـر الباخره واحدهم يقول : (انى مندهش كيف أن اليهود يتركون مصر للسعى على ارزاقهم فى البلاد الاخرى ان الاسكندريه هى مدينة الخيرات الوفيره فيها يشعر الاجنبى كأنه فى بلد مكتسبته فيها ابان ازمة القطن لايتصوره العقل. يكفى أن يتدخل الاجنبى فى اية عمليه ليكسب المئات والالوف.

الاجنبى لايدفع ضرائب لانه الضرائب لايجوز فرضها الا على الفلاح حتى الايجار الذى نتعهد بدفعـه على سكاناهو وهم فى وهم. نستأجر من المالك المصرى منزلا بألف ريال فاذا ماحضر أول الشهر لقبـض الايجار نطرده ونحيله على القنصل. فاذا ما دفعته غباوته لرفع دعوى علينا أمام القنصل يدفع مصاريفهـا ورسومها وتبقى القضيه معلقه ستة شهور أو أكثر. وبمجرد مانشعر بأن الحكم سيصدر ضدنا نتنازل عن الايجار لاجنبى اخر تابع لقنصل اخر فتبطل الاجراءات من اولها لاخرها واذا استمر المصرى على جهله وأعاد الكره أمام القنصل الجديد أضطر الى عمل اجراءات جديده وصرف مصاريف جديده ودفع رسوم جديده واذا ما أستمرت الاجراءات شهورا وشعر الاجنبى الجديد بأن الحكم سيصدر عليه بالاخلاء تنازل الى اجنبى ثالث من جنسيته ثالثه والاجنبى الثالث يتنازل الى اجنبى رابع والاجنبى الرابع يتنازل الى اجنبى خامس وبما أنه يوجد فى مصر سبع عشرة قنصليه فيمكنك أن تتصور حال المسكين (المصرى) ".

١ـ محمد عبد البارى : نفس المصدر السابق صـ ١٠

أمام الاجانب المحتالين حقا أن المصريين قوم سذج كأن اموالهم جعلت وقفا على الاجانب ، تصور أن أحد رجال البوليس اراد يوما أن يلزمنى بكنس الرصيف الموجود أمام بيتى ولكنى تمسكت فى الحال بالامتيازات ... له أن حكومته لا سلطان لها على الاجانب أن الاجانب فى مصر يسرحون ويمرحون كأنهم فى بلادهم ، يفتح الاجنبى محل ميسر ويستأجر بعض النساء لاغواء المصريين على التردد على محله فاذا ما أعترض له البوليس أسرع الاجنبى وطالب الحكومه بتعويض مائة ألف ريال لينتهى معها صلحا على عشرة آلاف ٠ (١)

وازاء ضعف الحكومه وضعف الاهالى جرت عادة الاجانب على رفع دعاويهم كلها أمام محاكمهم القنصليه حتى ولو كان المدعى عليه مصريا ، جروا على هذا على خلاف القاعده القانونيه المعروفه التى تحتم على المدعى أن يرفع دعواه أمام محكمة المدعى عليه وعلى خلاف أحكام معاهدات الامتيازات وعلى خلاف الاصول التى جرت مجرى البديهيات وبسكوت الحكومه وخضوع الاهالى أنقلبت (العاده) الجاريه الى (أصول) مرعيه وبهذا انسلخت قضايا كثيره من ولاية المجالس المحليه وأختصت بها المحاكم القنصليه وأصبح المصرى خاضعا لقضاء القناصل رضى أو لم يرض ، زعما منهم أن حقوق الاجانب لا يؤمن عليها فى المحاكم الاهليه وأنهم لا يجدون فى أخلاق القضاه الوطنيين مايقيمون عليه ثقتهم فى قضائه ثم الزموا الحكومه المصريه عن طريق المخابرات والتهديدات السياسيه بتنفيذ أحكامهم على رعاياها رغم أنفها ولو كان حكمهم جائرا ٠ (٢)

---

١) : عزيز خانكى : المحاكم المختلطه والمحاكم الاهليه صـ ٧٢ و ٧٣

٢) الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل جـ ١ صـ ٤٦٣٠

وبذلك انتزع القناصل سلطة الحكم فيما يقترف رعاياهم من الجرائم التى تقع على الاهالى والتزم الاهالى عندما يقاضون الاجانب أن يرفعوا دعواهم أمام محاكمهم القنصليه وذلك أن التنفيذ فى منازل المحكوم عليهم كان يقتضى حضور القنصل ولكن القناصل كانوا يمتنعون عن حضور التنفيذ فتحجم السلطات الاهليه عن أقتحام منازل الاجانب فيضطر الاهالى الى الالتجاء للقناصل عساهم يرسلون مندوبيهم لحضور التنفيذ كما أغتصب القناصل سلطه الحكم على الحكومه المصريه فى القضايا التى يرفعها الرعايا الاجانب وهذا من أغرب مايذكر فى ضعف هيبة الحكومه (١) .

وترتب على ذلك أنه قامت فى البلاد نحو سبع عشرة محكمه قنصليه تطبق كل واحده منها قانون بلدها وكان من ذلك فوضى لا يمكن وصفها فى أداء القضاء اولا وفى تنفيذ الاحكام بعد ذلك (٢) .

وهكذا كان يحاكم القناصل المتهمين من رعايا بلادهم وفى بعض الاحيان يرسلونهم الى بلادهم لمحاكمتهم حيث كان يحكم فى الغالب ببراءتهم التى كان فيها كثير من الشك (٣) .

فمن تعسف الامتيازات الاجنبيه ان المجنى عليه كان لابد أن يتابع رفع الدعوى أمام محكمة الجانى ولو كانت فى اية دوله اوربيه وكان فى ذلك زياده مبالغه لنفوذ القناصل ولا تنص عليها المعاهدات وانما أصبحت تطبق طبقا للعرف والتقاليد وعلى ذلك كان الاجانب يخضعون فقط لقوانين بلادهم والتى يقوم بتطبيقها قناصلهم فقط واصبح لاسلطان لمصر على الاجانب المقيمين فيها لانهم غير خاضعين لقوانين البلاد (٤) .

---

١) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل حـ ٢ صـ ٢٨٨

٢) اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته صـ ٣٨ (من خطبة لعبد الحميد بدوى باشا)

3 - De Freycinet : La Question d'Egypte; P.143.

4 - Brinton : op.cit.pp.8,9.

وكما سبقت الاشاره حكمت المحاكم القنصليه فعلا على الحكومه في قضايا تعويضات والتزمت الحكومـــه بدفع مبالغ باهظه بطريق التهديد خشية اغضاب القناصل وحكوماتهم . وقد أحصيت هذه المبالغ في مدى أربع سنوات (من سنة ١٨٦٤ الى سنة ١٨٦٨) فبلغت ٠٠٠و٨٠٠و٢ جنيه . (١)

وذلك بحجة أقدام الحكومه المصريه على فسخ عقود أبرمتهـــا مع أولئك الاجانب لو على أعمال أوجبت فسخ تلك العقود والامثله على ذلك كثيره . وهذا أحد الاجانب يفخر بحصوله على تعويض من الحكومه بغير وجه حـق حيث يقول : " توصلت الى كسب عشرة الاف ريال بحيله وهـــي أنني حصلت على رخصه بوضع أكشاك وحطمتها ورفعت دعوى على الحكومه أدعيت فيها بان الحكومه أخطأت في الترخيص لي بوضع الاكشاك في المحل الذي عينته وقلت أنه كان يجب عليها ان تعرف ان هذا الوضع معرض لتقلبات الجـو والقنصل ايد طلبي بكل ما أوتي من حول وطول وأنتهت الحكومه بان دفعت ٠٠٠و٣٠ فرنك تعويضـــا ". (٢)

ويقول أجنبي آخر : " يعرف شخصا اقتضى أربعة الاف جنيه من الحكومه في مسأله عرضها أمرهـــا والحكومه رفضت طلبه فأدعى انه فكر وتعب وعمل وسافر وترك أهله واجتاز البحر وحضر الى مصـــر وعرض الامر على الحكومه وقدر الله أتعابه ومطريفه باربعة الاف جنيه والغريب انه انتهى بالحصول عليهـــــــــــــــا ". (٣)

I - Mc.Coan:op.cit.p.285.

٢-٣) عزيز خانكـــي : المحاكم المختلطه والاهليه صـــــ ٢٢ .

كما حصل احد الاجانب في مصر على تعويض قدره ستة آلاف جنيه لانه اوصى بصنع صفائح لرقام المنازل وتأخرت البلديه عن تقديم الكشوف اللازمه لها في الوقت المطلوب .(١)

ولم يكن الغرض الاساسي من الفوز بامتياز ما في تلك الايام استغلال ذلك الامتياز استغلالا نافعا ، بل اختراع سبب لاهماله ثم مطالبة الحكومه بتعويض ، وعلاوه على ذلك كانت كل خسارة تصيب اى اجنبى على اى ضـــرر يلحق به حق ولو كان ناشئا عن حادث هو المسئول عنه فرصه تغتنم للمطالبه بتعويض . فاذا سرق ماله وقع اللوم على الحكومه لانها لم تقم الحراس الاكفاء . واذا جنح زورقه الى الشاطئ لزم الحكومه لانها لم تنظف قعر النهر مما تراكم فيه . ويقال ان اسماعيل قال لاحد حشمه في خلال مقابله مع احد الاجانب : " اقفل تلك النافذه لانه اذا اصيب هذا الكريم بزكام كلفني ١٠ الاف جنيه " وليس في هذا القول مبالغه .(٢)

ومن امثلة مطالبة الاجانب بالتعويضات ان تاجرا نمسويا يدعى " فلتز " كان قد ارسل بعض البضائع من ترسيتا لتسليمها الى التاجرين الانجليزين " راسليو وبارى " بمصر ولما كان هذان التاجران قد افلسا وكان عليهما بعض الديون للجمرك فقد حجزت البضائع الوارده اليهما في الجمرك فكتب اذ ذاك قنصل النمسا العام الى جناب نوبار بك يحيطه بان هذه البضائع لاعلاقه للتاجرين الانجليزين بها ولما لم يصرح باخراجها عين قنصل النمسا العام الى اقامة قضيه طلب فيها دفع اثمان البضائع والمطالبه بتعويض ووافقت محافظة الاسكندريه ومجلس الاحكام على طلبات القنصـــــــــــــــل .(٣)

---

١ ـ محفظه ١٠٦ المعيه تركى وثيقه ٥٢٢ في آخر ذى الحجه سنة ١٢٨٠

٢ ـ فؤاد صروف : اسماعيل المفترى عليه (مترجم) صـ ١٦٢

٣ ـ محفظه ٢١ المعيه تركى وثيقه ١٤٨ في ١٧ ربيع اول سنة ١٢٧١

ويتحدث " بيردسلي " Beardsley القنصل العام الامريكي بمصر سنة ١٨٧٥ عن احد الامريكيين الذى رفع دعــــوى ضد الخديو مطالبا اياه بتعويض دون وجه حق حيث يقول :

فى سنة ١٨٦٤ كان احد الامريكين يدعى مستر Page يعمل فى تجارة الثلج وطلب منه احد اعضاء بنك اوبنهايم هذا بالاسكندريه ان يرسل له حمولة من الثلج حيث تعهد بامداد الخديوى بها وفعلا اتى له مســـتر Page بما اراد ولكن رفض اوبنهايم استلام الثلج لان الخديوى كان فى الوجه القبلى وليس لديه استعداد لان يحفظ الثلج . فانصهر الثلج تحت تأثير حرارة شـــهر اغسطس ومن الواضح ان المسئول عن هذه الخسارة هو اوبنهايم الذى رفض استلام الثلج وليس الخديوى الذى لم يكن يعلم عن الامر شيئــا وبالرغم من ذلك طالب مستر Page الخديوى بتعويض على اساس ان الثلج جـــاء ليستخدمه هو ولم يقم بمطالبة اوبنهايم بثمن الثلج وهو المسئول عن تلك الخسارة. (١)

وكانت الحكومه المصريه تعمل دائما على المحافظه على امتيازات الاجانب فى مصر خوفا من المطالبه بتعويضات فهذا محمد شريف رئيس مجلس الاحكام فى عهد سعيد يخطر المعيه السنيه بعدم إلغاء التزام " جاك برنسيس " القائم بصنع الاحذيه فى مصنع الجوخ حتى لا يطالب الحكومه بتعويض . (٢) كما قام محمد شريف باضافة شروط جديده فى العقد المبرم بين الحكومه وبين احد الاجانب يدعى " براديني " حتى لا يقوم الاخير بمطالبة الحكومه بتعويضات دون وجه حـــــــق . (٣)

I - A.A: From Beardsley, Cairo, 22-3- 1875.

٢ — محفظة ١٧ المعيه تركى وثيقه ١٠٤ فى ٢ ربيع ثان سنة ١٢٧٨

٣ — محفظه ١٩ المعيه تركى وثيقه ٨٢ فى ١٦ ذو القعده سنة ١٢٧٨

وكانت الهوة الحالية بتعويضات واضحة منذ أيام سعيد وإسماعيل اللذين بالغا في تلبية الأجانب إلى مطالبهم ولكنهم كانوا يضجون أحيانا بالشكوى من كثرة تلك التعويضات [illegible] من ذلك ما حدث بين سعيد باشا وقنصل النمسا وافق [illegible] على تعويض قدره مائة ألف جنيه لأحد الرعايا النمساويين دون وجه حق [illegible] [illegible] خارجية النمسا (١) . كما [illegible] الإيطاليين [illegible] الحكومة المصرية بتعويض قدره ٢٠٠٠ [illegible] [illegible] [illegible] منزله عليها [illegible] [illegible] . (٢)

وقد تمادى هؤلاء الأجانب في استغلال الامتيازات والمطالبة بتعويضات خصوصا في عصر إسماعيل فكان أكثر أصدقاء إسماعيل خصوصا في سنواته الأخيرة كانوا [illegible] من همهم أن يحصلوا على أرباح [illegible] [illegible] . [illegible] أعمال [illegible] [illegible] ولم يكن [illegible] أن يعملوا وإنما كان كل قصدهم أن يحصلوا على الامتيازات ثم أن يتحللوا بأية [illegible] من العمل [illegible] مسئولية [illegible] على الحكومة [illegible] بتعويض وكان إسماعيل سهلا في دفع هذا التعويض حين كانت أبواب [illegible] للاقتراض مفتوحة في وجهه فكان [illegible] [illegible] يوسعونه نهبا جزافا .

---

1 - F.O : From Robert Colquhorn, 20-2-1860.

2 - Ibid : Cairo, 10-4-1860.

ومن مساوئ الامتيازات الأجنبيه فى مصر تحديد سلطة الحكومه فى فرض الضرائب فقد كانت تعانى شدة ماليه قاسيه بينما الأجانب لا يؤدون ضريبة تذكر لا بموجب معاهدات . ولكن لمجرد أنهم لا يريدون دفعها فمثلا كان محمد على يحترم جميع المعاهدات القائمه بين الدول الأجنبيه والباب العالى . وعلى ذلك كانت تطبق فى مصر القواعد التجاريه الساريه فى تركيا فكان يحصل ضريبة ٣٪ على الواردات فى داخل ممتلكاته ولا تفرض أية رسوم على حمولة السفن ولا يحصل من السفن أى نوع منها فى أثناء وجودها باحدى الموانى فى تركيا أو مصر سوى دولار واحد لقاء تذكره أو اذن تخليص من الجمرك ولا يكاد يعتبر رسما وفى مقابل هذه الضريبة المعتدله على الواردات الأجنبيه كان محمد على يفرض اتاوات ثقيله على الصناعات المحليه وهذه الضرائب جد ثقيل فى تركيا أما فى مصر فقد بلغت من الظلم منتهاه (١) وهذه المزايا التجاريه التى منحها الرعايا الاجانب لم يتمتع بها المسلمون أنفسهم أو الزميون استمتاعا كاملا ، وتفضيل الأجانب على الرعايا الاتراك على هذا النحو أمر غير مألوف فبينما يدفع الافرنج ضريبه جمركيه قدرها ٣٪ يدفع المسلمون ٤٪ والذميون ٥٪ هذا فضلا عما يدفعونه من أتاوات جبريه وعوائد المرور يعفى الاجانب منها وهذه المحاباه التى كان يحظى بها الاجانب فى رأى " هدجسون " الامريكى يعزى سببها لتفاعل عوامل مختلفه كأكرام الغرباء وبلادة الاتراك وقلة أكتراثهم بالتجارة ونفورهم من الملاحه وقد لا يكون فى هذا التفسير مقنع ولكن ثم سبب آخر لهذه ما أشتهر به الاتراك من تشبث بكل ما جرى به العرف فمنذ عقد المعاهده التى أبرمت بين فرنسا الاول وتركيا والتى اشترطت فرض رسوم قدرها ٣٪ ومن ثم غدا ذلك عرفا واجب الاتباع

I - A.A: Report by Hodgson.pp.47,487

وقد أدخلت تعديلات على الرسوم الجمركية في الاتفاق التجاري الذي عقد بين تركيا والدول الاوربية سنة ١٨٦١ فرفع الرسوم للواردات الى ٨٪ بدلا من ٣٪ وجعل رسوم الصادرات ٨٪ بدلا من ٣٪ مع النص على تخفيض رسوم الصادرات ١٪ سنويا حتى تصل الى ١ ٪ ومقابل ذلك تعهدت تركيا بألا تفرض رسوما أخرى على كل مادة دفع عنها الرسوم الجمركية المقررة (١)

والامتيازات الاجنبية عامة كانت من عوامل طغيان نفوذ الاجانب المالي لانها فضلا من أن تجعل لهم كيانا مستقلا في جسم الدولة فانها جعلت أموالهم غير العقارية بمنجاة من الضرائب فلم يكونوا يؤدون العوائد الشخصية ولا عوائد الحرف او عوائد المحلات التجارية والصناعية ولم يكونوا يؤدون سوى ضريبة العقارات ومع ذلك كانوا يتلكأون في أدائها ولا يعترفون الا بما يروق لهم فيها فهذا نوبار باشا يخطر المعية السنية (عهد أسماعيل) بأن ثمة صعوبات تقف في سبيل تحصيل ضرائب الاطيان من الاجانب بسبب عدم تطبيق الانظمة والقوانين المحلية عليهم (٢) . وكما سبقت الاشارة لم يلتزموا بشيء من التكاليف العامة سوى الرسوم الجمركية على أنهم كانوا أيضا في هذا يتحايلون على التخلص منها بتنظيم حركة واسعة النطاق من التهريب فكان كثير من الواردات يجري تهريبه من السواحل والثغور وتقف الامتيازات الاجنبية حجر عثرة في سبيل تفتيش السفن والمخازن وضبط المهربات وترتب على تلك الفوضى أن الاجانب أثروا أموالهم وزادوها أضعافا مضاعفة دون أن يشاركوا الاهليين في أعباء الضرائب والتكاليف العامة (٣) .

---

١) محمد عبد الباري : الامتيازات الاجنبية ص ٢٩

٢) محفظة ١٠٦ المعية تركي وثيقة ٥٠٣ في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٠ سجل ١١٤ المعية ص ٨١ ديوان الخارجية في ١٤ محرم سنة ١٢٨٠

٣) عبد الرحمن الرافعي : عصر أسماعيل جـ ٢ ص ٢١٨

وحينما حاولت الحكومه المصريه فرض ضرائب جديده على الاجانب المقيمين فى الاسكندريه وذلك حينما فكرت فى انشاء بلدية الاسكندريه سنة ١٨٦٩ لكى تستعين بتلك الضرائب فى رصف الشوارع وأضاءتها ونظافتها لقيت معارضه من القناصل حتى فى تكوين المجلس المشرف على ذلك والذى اشترط الا يقل عمر العضو عن خمسة وثلاثين عاما وأن يكون قد مضى على اقامته فى مصر خمس سنوات على الاقل كما اعترضوا على عدم تحديد نسبة معينه من الاجانب كأعضاء فى المجلس وكان الهدف من تلك الضرائب فى الاسكندريه بالذات أن معظم سكانها كانوا من الاجانب (١) واجتمعت هيئة القناصل ثلاثة ايام متتاليه لبحث المشروع واصدروا قرارهم بالاجماع وهو أن الهيئات القنصليه لا تستحسن هذا المشروع ويجب قبل تنفيذه أن توافق عليه جميع الحكومات الاجنبيه الممثله فى مصر (٢). هذا وقد وافقت حكومة الولايات المتحده الامريكيه على هذا المشروع على أساس أن البلديه تقوم بصحة نظافة المدينه ويجب أن يشارك الاجانب المقيمين فيها الحكومه فى دفع نفقات نظافة وأضاءة المدينه (٣).

وكان الهدف من ذلك المشروع توزيع الضرائب بالعدل بين الاهالى والاجانب خصوصا وأنهم يتجمعون بكثره فى الاسكندريه ويحتكرون معظم ثروتها وكان الهدف الرئيسى من معارضة القناصل لذلك المشروع أن كل قنصل كان يعمل على المحافظه على مصالح رعايا الدوله التى يمثلها سواء بالحق او بالباطل وهذا الشعور كان يقف حجر عثرة أمام تنفيذ أى قانون أو نظام معين خصوصا وأن الاجانب حتى ذلك الوقت كانوا معفيين تماما من أداء أى نوع من الضرائب (٤).

I - A.A: From Charles Hale, Alex, I4- 6-I869.

2. Ibid : 22-6-I869.

3 - Ibid: From Butler, Cairo, I5-I-I87I.

4 - Ibid : Alex, I2-I-I87I

ولقد صرح قنصل المانيا سنة ١٨٢٢ بأن الحكومه المصريه يحق لها أن تأخذ رسوما على منازل الاوربين وانه حق لا بد ان نرعاه . ولكن الحكومه أهملت هذا الحق من قديم فسقط بمرور الزمن وأصبح عدم دفع الرسوم عن المنازل الاوربيه من جملة العادات المألوفه ومع ذلك فقد قال قنصل المانيا أنه مستعد لقبول فرض الرسوم على المنازل المذكوره ولكنه يود أن يكون ذلك بالاتفاق العام حتى لا يميز أحد على الآخر من الاجانب .

كما كان الاهالى يذبحون ماشيتهم فى (المجزر) ويدفعون رسوما معينه على كل رأس وللاجنبى كان حتى سنة ١٨٦١ يأبى أن يذبح مواشيه حيث كان يذبحها الاهالى فأوضح نوبار باشا بأن المسأله متعلقه بالمحافظه على الصحه العموميه وأن الواجب على الاوربين أن يذبحوا مواشيهم فى (المجزر) فأبوا وارادوا أن يقاوموا بالقوه . فجرد نوبار على المقاومين قسوه من البوليس . وحينئذ أعترف القناصل أن الواجب على رعاياهم أن يخضعوا لقوانين البوليس فى هذه المسأله . ومنذ ذلك الحين أخذ الاجانب يذبحون حيواناتهم كالاهالى ويدفعون الرسوم المقرره .(١)

(٢) وقد عارضت انجلترا فى فرض الرسوم البلديه فى بادىء الامر ولكنها وافقت فى النهايه وتعتبر فرنسا أول دوله اوربيه عارضت حق الحكومه المصريه فى فرض مثل هذه الضرائب واستندت فى ذلك على معاهدات الامتيازات وخاصه تلك المعاهده التى عقدت بين تركيا وبريطانيا والتى تنص على أن "جميع الرعايا الانجليز المتزوجين وغير المتزوجين الذين سوف يقيمون فى ممتلكاتنا سواء كانوا صناعا أم تجارا سوف يعفون من الضرائب" .

---

١) نجيب مخلوف : نوبار باشا وما تم على يديه ص٤٩ ــ ٥٠

2 - F.O : From Stanton to Derby, 19-II-1875;Vol.78/2749/

وأستندت أيضا الى عبارة جاءت فى معاهدة تركيا مع الروسيا والتى تؤدى الى نفس المعنى ولكن استنادها الى هذين النصين أصبح لاغيا لاعتراف كل من انجلترا والروسيا بالضرائب الجديده فى مصر (١) .

وأن معظم الدول الأجنبيه الممثله فى مصر قد وافقت ببساطه على فرض الضرائب الجديده فى النهاية ولم يعارضوا الاجراءات التى قامت بها الحكومه المصريه وفى الحقيقه ، فإن مبلغا قليلا قد أمكن جمعه من حصيلة تلك الضرائب لأن الحكومة المصريه لم يكن لها النفوذ القوى على الأجانب الذين يخضعون فقط لسلطه القناصل ولا توجد قوة تنفيذيه لضمان دفع الضرائب وقد عبر أحد القناصل على الحكومة المصريه بقوله : " نعم أنه من العدل أن يساهم الاجانب المقيمين فى مصر والذين يتمتعون بميزات كثيرة فيها . فى المساهمه مع الحكومه المصريه بدفع القيمه المقرره للضرائب المقرره ولكنى لا يمكننى أن أكون بمثابه محصل لتلك الضرائب" ثم يقول أيضا " واذا لم يقم الرعايا الذين أقوم بتمثيلهم بدفع ما عليهم من الضرائب فى الحال فأنى أنصح باتباع الوسائل الكفيله بجمعها ولكن ليس فى استطاعتكم القبض عليهم أو الاستيلاء على ممتلكاتهم أو خرق أى شرط من شروط الامتيازات وإلا سأرفع ذلك لحكومتى فورا " . وبالطبع لا يمكن جمع هذه الضرائب بالقوه ويقوم البعض بدفعها فى الحال أما الأغلبيه فيرفضون دفعها (٢) .

I - A.A: From Beardsley, Cairo, 2I-8-I874.

2 - Ibid.

وبالرغم من ذلك نجد عدة مكاتبات من محافظ الاسكندرية وناظر الخارجية الى المعية بامتناع الاجانب المقيمين في الاسكندرية من تأدية تلك الضرائب ومساعدة القناصل لهم في ذلك[1] وهكذا تمادى الاجانب المقيمين في مصر في استغلال الامتيازات الاجنبية وذلك بعدم تأدية الضرائب المفروضة عليهم ولو أنها كانت طفيفة جدا وبالرغم من جمع الثروات الطائلة من التجارة والصناعة وسائر الاعمال التى قاموا بها في مصر . بل والاكثر من ذلك كانوا يتعمدون الاهمال والكثير من تلك الاعمال ويلقون تبعة أعمالهم على الحكومة المصرية لكى يطالبوها في النهاية بالتعويضات الباهظة وكان يساعدهم في ذلك القناصل الذين كانوا يعملون على المحافظة على مصالح رعايا الدول التى يقومون بتمثيلها دون مراعاة لمصلحة الدولة التى يقيمون فيها وهى مصر التى كان سوء استغلال الامتيازات الاجنبية فيها واضحا وبذلك خضعت للنفوذ المباشر للدول الاوربية لان الامتيازات الممنوحة للاجانب كانت كثيرا جدا وفى صور متعددة وسوء استعمالها كان مؤكـــــدا[2]

كما كانت تلك الامتيازات مضرة بالاوربيين انفسهم لان كل قنصل كان يناصر رعايا دولته ويحـــاول انحاء الضـــرر بخصمه مهما كانت جنســـيته[3] .

---

1) محفظة ١٠١ معية تركى وثيقة ٣٠ فى ٢٢ محـــرم سنة ١٢٨٩

2 - Cromer:op.cit.pp.427,428.

3 - Mc.Coan: Egypt as it is .p.280.

وقرب انعقاد مؤتمر الغاء الامتيازات الذي عقد في مونترو في ١٢ (أبريل) سنة ١٩٣٧م، أرسلت مصر مذكرة لكل من الدول صاحبة الامتيازات في مصر جاء فيها :

" تتمتع مصر بالنظم العصرية الحديثة من سياسية وإدارية واقتصادية ولكنها مع ذلك لا تزال البلد الوحيد الذي يعامل فيه الأجانب بنظام قائم على امتيازات منحت بمحض الإرادة والاختيار في القرن السادس عشر لأسباب قد زالت الآن بتمامها . ومع أن الدول صاحبات الامتيازات قد قبلت الغاء هذا النظام في البلدان الأخرى وخصوصا تركيا وإيران فإن نظام الامتيازات المخالف لمبادئ القانون الحديث لا يزال نافذا في مصر إلى اليوم وهو يعرقل رقي البلاد وتقدمها ونجاحها ويمس سيادة الدولة وكرامة الأمة فهذه الحالة الشاذة الخطيرة لابد إذن من وضع حد نهائي لها والحكومة الملكية مقتنعة بأن العودة كما جاء في القانون العام لالغاء الامتيازات الأجنبية لا يمكن أن تقابلها الدول صاحبات الامتيازات إلا بالارتياح وحسن القبول ويكفل ذلك روح الحق والعدل في نفوس هذه الدول . والغاء هذه الامتيازات يجب أن يترتب عليه كذلك الغاء الاختصاصات القضائية الاستثنائية المتعلقة بالأجانب في أراضي البلاد المصرية ، فتكون جميع الاختصاصات القضائية منوطة بالمحاكم الأهلية في البلاد ."(1)

١ـ أسكندر فهمي (بيك)

بحث تفصيلي عن أعمال مؤتمر الغاء الامتيازات (مونتريه) سنة ١٩٣٧م .

وعند انعقاد المؤتمر عرض النحاس باشا المطالب المصريه فى خطابه بجلسة الافتتاح الذى جاء نصه :

" يحق لنا لاظهار عدالة قضيتنا أن نذكر أن جميع الدول ترمى الى تقرير المساواه فى المعامله للتابعين لها بالنسبه لرعاياها بينما مصر لاتطلب سوى اعادة المساواه لرعاياها بالنسبه للاجانب المقيمين فى البلاد ..." (١)

مما سبق يتضح مدى سوء استغلال الامتيازات الاجنبيه فى مصر وكيف أن مصر دفعت الثمن غاليا من جراء تلك المعاهدات التى عقدتها الدوله العثمانيه فى القرن السادس عشر واستمرت حتى أوائل القرن العشرين وكما سبقت الاشاره فقد ساعد على تمادى الاجانب فى أستغلال تلك الامتيازات ضعف ولاة مصر فى القرن التاسع عشر خصوصا بعد وفاة محمد على الذى كان يعمل بسطوته على الحد من نفوذ الاجانب والوقوف امام مطامعهم .

كما ظهرت الاثار السيئه لتلك الامتيازات خصوصا فى عهد سعيد باشا الذى بالغ فى اكرام الاجانب والخديوى اسماعيل الذى أدى تورطه فى الاستدانه من الدول الاجنبيه الى الخضوع لنزوات هؤلاء الاجانب فمنحهم أمتيازات جديده وسلطات باهظه كما كان يدفع لهم التعويضات الجسيمه عن أول مطالبه بها مما أدى الى تدهور الحاله الماليه فى مصر واحتلال الانجليز لها فى النهايه فى عهد توفيق .

١- نفس المصدر السابق (ص٦)

خطبة النحاس باشا فى أول جلسات مؤتمر الغاء الامتيازات (١٢ أبريل ١٩٣٧)

الفصل التاسع

شغب الأجانب

Scanned by CamScanner

قلة حوادث الاجانب في عصر محمد علي .

بالرغم من تشجيع محمد علي للاجانب وتسامحه معهم واعتماده الى حد ما على نشاطهم في اصلاح البلاد والنهوض بها قد جذب الى مصر بعض العناصر الطيبة التي يمكن الافادة من جهودها . الا أن سرعان ما نزح الى البلاد جماعة من عنصر آخر استغلوا هذه الظروف للإثراء السريع معتمدين على مهارتهم في الكيد والتآمر . وما تتفق عنه أذهانهم من حيل المكر والخديعة في معاملاتهم التجارية مع الاهالي او مع الباشا نفسه . مستندين في ذلك كله الى تلك الامتيازات التي خولتهم حقوقا واسعة . في ولايات الامبراطورية العثمانية ومن بينها مصر بحكم تبعيتها لتلك الامبراطورية المتداعية . وكان أكثر هؤلاء المغامرين الذين وفدوا الى مصر . ممن يحلمون بالثراء العاجل من أيسر السبل ومن الفارين من وجه العدالة في بلادهم .

ويقول (بريس دافين) (Priese d'Avene) أضطر الباشا في بادىء الامر الى الاستعانة بالافرنج حتى ينجز مشروعاته . فقبل منهم في بلاده من تقدموا اليه دون تمييز بينهم . وكان اوائلهم خيارهم . فقد اجتذب ما كان يتمتع به محمد علي من صيت ذائع نفرا من ذوي الكفاية والاقدام . ولكن لم يلبث أن هبط مصر جماعة ممن يجرون وراء المغانم وقد أدرك الامير نفسه بأنهم يخدعونه . وكلما زاد خداعهم استشاط غضبا حتى انتهى الامر الى الارتياب في جميع الافرنج، على أن الافرنج لم يجيئوا الى مصر الا أجتناء للربح وفرارا من عقوبة على أثم ارتكبوه في بلادهم ولهذا كانوا يغادرون هذه البلاد الكريمة بعد أن ينهبوا فيها ناصبين وهم يحملون لعنات شعب لم يكونوا أقل من غيرهم نشاطا في ايقاع الظلم به (١)

١) دكتور محمد فؤاد شكري / : بناء دولة مصر محمد علي ص ٢٩

وفي سنة ١٨٢٢ حاول بعض التجار اليونانيين عدم دفع الجزيه المقرره عليهم والتي كانت تقضي بتحصيل رسوم من كل شخص من التجار الاجانب قدرها ٢٤ قرشا و ١٢ قرشا عن كل شخص من اتباعهم . فصدر فرمان الى والي مصر بضرورة تحصيل تلك الرسوم وعمل (دفتر) خاص يقيد فيه أسماءهم (١)

وكان محمد على حازما في معاملة الاجانب مما أدى الى الحد من حوادث الشغب التي كانوا يميلون دائما الى اثارتها . وبالرغم من ذلك كانت هناك بعض الحوادث نذكر منها على سبيل المثال :

أن بعض الافرنج اعتدوا على أحد المغاربه وفي وقت العشاء خرج حوالي ١٢٠ أو ٨٠ من متشردي الافرنج واجتمعوا في ميدان الجمرك بالاسكندريه طالبين بتحطيم المكان الذي سجن فيه الافرنج المتهمين . (٢)

كما قام احد الاجانب من المالطيين بالاعتداء على احد الطوبجيه دون وجه حق مما اضطر الى تدخل محمد على نفسه في الامر مطالبا بمعاقبة المالطي (٣)

وهذا وكيل قنصل انجلترا في الاسكندريه يعتدي على أحد التجار بعد أن منعه الاخير من الحصول على بعض البضائع قسرا . فأصدر السلطان أوامره بعزله (٤)

وكان بعض هؤلاء الاجانب يقومون بعمليات تهريب مضره بمصر ضررا كبيرا من ذلك قيام بعض اليهود بتهريب العمله (٥) . وضبط بعض التجار اليونانيين وهم يقومون بتهريب البلح (٦) .

---

١) امين سامي : تقويم النيل (عصر محمد على) جـ٢ ص٢٩٣
٢) دفتر ٣ المعيه تركي رقم ٣٣٣ في ١٩ رمضان ١٢٣٤ (١٨١٩)
٣) » ٦ » » ١٧ » ٤ ص ١٥ شعبان ١٢٣٦ (١٨٢١)
٤) » ٢٠ » » ٣٢٣ » ٥ ص ٣ جماد أول ١٢٤١ (١٨٢٥)
٥) » ٢٥ » » ٢٢ » ٥ ص ١٤ شوال ١٢٥١ (١٨٣٦)
٦) » ٢١ » » ٢٦٧ » ٥ ص ٢٦٧ في ٢٤ صفر ١٢٥٢

وكما سبق الاشاره كان المتهم الاجنبى يسلم الى القنصليه لمعاقبته فيوصى محمد على بخطر محافظ الاسكندريه" انه عند وقوع أى جنحه او ذنب من أحد رعايا النمســـا يقبض عليه ويسلم فى الحال الى القنصليه ويجلس هناك وفى اليوم التالى بعد المرافقه مع ترجمانه أمام الشرع وثبوت التهمه عليه فيصير تأديبه بواسطة قنصله واذا أوجــــب القصــاص شرعا على احد النمســاويين فيكتب //. القنصل الى سفيره لاجـــل القصــاص فى المحل الموجود بــه ." (١)

وبالطبع كان المتبع مع رعايـــا النمســـا يتبع ايضا مع رعايا باقى الدول الممثله فى مصر فى ذلك الوقت وكانت هذه الطريقه فى حساب المجرمين تؤدى الى تمادى الاشرار من الاجانب فى ارتكاب الكثير من الحوادث اعتمادا على حماية قناصلهم لهم ولو كانوا على باطل

فهذا سفير انجلترا فى القسطنطينيه يعمل على حماية سته من البحاره الانجليز قاموا بالاعتداء على اثنين من الخواصة فى جمرك الاسكندريه وذلك بأرساله تعليمـــات مشدده الى القنصل الانجليزى فى الاسكندريه بعدم معاقبتهم لعدم ثبوت التهمه ضدهـــم وذلك بالرغم من تدخل خسرو بك مستشار محمد على فى الامر وأصراره على معاقبة المجرمين لانه اذا كان احد المصريين قام بالاعتداء على احد الانجليز فأن الحكومــه المصريه كانت لا بد وأن تقتصـــــــى من الجانى ولكن عبثا حاول خسرو اقناع القنصـــل الانجليزى بالرغم من أثــار الاعتداء الواضحه على الجندين (٢)

---

١) دفتر ٦ المعيه تركى وثيقه ١٩٠ فى ٢١ جمــاد اول سنة ١٢٣٦ (١٨٢١)

2 - F.O: Vol.78/707; From Murray to Viscont Palmerston, Cairo; 30-I-1847.

ومن الامثله التى تدل على تحيز القناصل لرعايا دولهم انه عندما صدرت الاوامر الى محافظ الاسكندريه بلزوم تأديب احد البحاره الاجانب الذى كان يعمل بالسفن المصريه • بمعرفة الحكومه المصريه لان البحار المذكور اعتدى بالضرب على احد الفلاحين • اسرع قنصل النمسا وطالب بتسليمه هذا البحار لانه نمسوى ولا يحق للحكومه المصريه معاقبته (١) •

ولكن محمد على كان يرفض فى بعض الاحيان تسليم بعض المتهمين من الاجانب لقناصلهم عند ما تكون التهمه الموجهه إليهم بالغة الاهميه • من ذلك ابلاغ قنصل النمسا أن اطلاق سراح الاشخاص المقبوض عليهم بسبب تهريبهم اموالا فى الجمرك لايمكن ، فى الوقت الحاضر ~~لايمكن~~ نظرا لجريمتهم (الكبيره) (٢)

وكثيرا ماكان يتشدد فى معاملة الخطرين منهم ويعمل على الحد من شرورهم • فمثلا أمر باغلاق (الخماره) الكائنه بأبى زعبل ونفى صاحبها الاجنبى لانه كان من أرباب السوابق (٣) • كما امر بسجن التجار اليونانيين الموجودين بالاسكندريه بسبب عدم اداء شيم الديون المطلوبه منهم للحكومه المصريه (٤) •

وفى بعض الاحيان كان يعمل على احضار القنصل لمحاسبته على الحكم الذى يصدره ، بالنسبه لاحد رعايا ذلك القنصل المختص • والاكثر من ذلك كان يطلب الى القناصل احضار المتهمين والشهود امامه لسماع اقوالهم بنفسه حتى لايصيب الاهالى أى أذى ، بسبب تحيز القناصل لرعايا دولهم (٥) •

---

١) دفتر ٥ المعيه تركى رقم ٣٤ ق ٢٥ ربيع اول سنة ١٢٣٥ (١٨١٩)
٢) ـــ ٦٤ ـــ ـــ ـــ ١٨٣ ٢٦٥ رمضان سنة ١٢٥١ (١٨٣٥)
٣) ـــ ٧١ ـــ ـــ ـــ ٤٦٦ ٢٦٥ ذى الحجه ١٢٥١ (١٨٣٥)
٤) ـــ ٢٦ ـــ ـــ ـــ ٣٢ ١٩٥ ربيع ثان ١٢٤٢ (١٨٢٦)
٥) ـــ المعية عربى رقم ٤٦ ق ٩ صفر ١٢٤٥

وفى سنة ١٨١٩ لاحظ محمد على أن بين الاجانب الذين يفدون الى مصر اناسا غير جديرين بالعطف لسوء سلوكهم • فلما كثرت الشكوى منهم أمر بكتابة كتاب الى قناصل الدول استهله بالاشاره الى أولئك الاشرار (الذين يعتدون على سلامة البلاد والاهالى فى أملاكهم ويشتغلون بأعمال التهريب بحراً وبراً ويخالفون بوقاحه اوامر البوليس المحترمه فى جميع البلدان المتمدينه)

واستطرد الكتاب من ذلك الى القول : (فلأجل وضع حد لهذه الاضطرابات ومنعا لتكرارها فى المستقبل ورغبه فى ان تكون هذه البلاد موئل الامان والسلام الاجتماعى وهى أمنيه ما برحت من اعز الامانى ـ لهذا كله أمرنا بأن ندعوكم الى المعاونه على تحقيق هذا الغرض بكل مالكم من نفوذ • فلا يأمل اصحاب النيات السيئه أن تحميهم قنصلياتهم بل تقرر هذه القنصليات ابعادهم من ولاية مصر)

وكأنما خشى محمد على وهو الحاكم للبلاد ان يتبادر الى أذهان بعض القناصل من الفقره المتقدمه انه يشعر بضعف ما او يستأذنهم فى شىء ما يعلق قراره على موافقتهم فأضاف قائلا : (وانى أبلغكم أن الاوامر المشدده جدا أعطيت للسلطات وللمسئولين من البوليس والجمارك بأن يبذلوا حزما قويا ويعاقبوا بشده اذا لزم الامر جميع الذين تحدثهم انفسهم تعكير صفو الامن العام ... فاذا قالوا انهم اجانب وانهم مشمولون بحماية قناصلهم فعند السلطات المختصه تعليمات بأن يقبض عليهم الى أن يعاقبهم قناصلهم بشده وستلح الحكومه على هؤلاء أى القناصل فى أن يبعدوا عن البلاد كل من يتكرر حوادثه أو يشبه عليه انه لا يصلح امره)[1] •

---

١ ـ كريم ثابت : محمد على ص ٧٩ ـ ٨٠ ؛ أمين سامى : تقويم النيل وعصر محمد على ج ٢ ص ٢٧٩ ؛ دفتر المعيه تركى رقم ٢٢٨ فى ٣ شعبان سنة ١٢٣٤ (١٨١٩)

وفى ٢١ رمضان سنة ١٢٤٤ (١٨٢٩) اصدر محمد على اوامره الى بوغوص بك بانه اتفق مع قنصلى فرنسا و انجلترا بابعاد (من لا صنعه ولا كسب له بالبلاده) ويرجو اعلان ذلك بصفه وديه لباقى القناصل للمبادره الى ابعاد امثالهم من رعاياهم . (١)

ويبدو ان تعليمات محمد على الى القناصل فى هذا الصدد قد اثمرت حيث تكتب الى محافظ الاسكندرية بخبره (ان مترجمى القناصل قد استصحبوا باش اغاكم وضبطوا ١٠٠ شخص من ارزال النمسا واسبانيا وفرنسا واخذ كل الى دار القنصليه التابع لها توطئة لنفيهم وهذا ادى الى سرورنا) . (٢)

مما سبق يتضح قلة حوادث الاجانب فى عصر محمد على بوجه عام وهذا يرجع الى سيطرته على شئون الحكم وعدم تهاونه فى التساهل مع الاجانب والتشديد على القناصل بضرورة معاقبة الاشرار من الاجانب حتى يكونوا عبره لغيرهم . والاكثر من ذلك مطالبته القناصل بالعمل على ابعاد الاشرار عن البلاد واستجابة القناصل لهذا النداء بانه قاموا فعلا بالقبض على الاجانب الخطرين لاعادتهم لبلادهم الاصلية حتى لا يكونوا مصدر اذى للاهالى بمصر .

وقد ادى ذلك بدون شك الى الحد من حوادث الشغب التى كان يرتكبها الاجانب وكذلك حوادث التهريب والسرقه وخلافـــــه .

١ـ أمين سامى : تقويم النيل (عصر محمد على) جـ ٢ صـ ٣٤٥

٢ـ دفتر ٣ المعيه تركى رقم ٣٢٤ فى ٢١ رمضان سنة ١٢٣٤



ازدياد شغب الاجانب فى عهد خلفاء محمد على :

كان لضعف ولاة مصر بعد وفاة محمد على اثرا فى ازدياد شغب الاجانب وتعدد الحوادث التى كانوا يرتكبونها اعتمادا على الامتيازات الممنوحة لهم وحماية قناصلهم لهم فى اغلب الاحيان .

ومن امثلة استهتار الاجانب وعدم احترامهم للقوانين التى تصدرها الحكومة ان فرنسيا كان يمتلك مطبعة فى الاسكندرية وفى سنة ١٨٧١ اصدر جريدة بدون ترخيص من الحكومة المصرية بالرغم من صراحة القوانين العثمانية التى توجب على الاجانب المقيمين فى البلاد العثمانية بان يحصلوا على تراخيص من الحكومة قبل اصدار اى جريدة . وعلى خلاف الاوامر المصرية التى ابلغتها حكومة مصر الى قناصل الدول فى ديسمبر ١٨٥٧ وفى اكتوبر ١٨٦٣ طلبت الحكومة المصرية من الرجل الفرنسى ان يوقف المطبعة والجريدة حتى يحصل على رخصة فابى . وخاطبت الحكومة المصرية القنصلية الفرنسية وطلبت منها ايقاف المطبعة وتعطيل الجريدة . ورفض الرجل ايضا طلب القنصلية . فقدمت الحكومة المصرية بلاغا ضد الرجل الى القنصلية الفرنسية وطلبت محاكمته، فحاكمته القنصلية وثبت عليه التهمة واكتفت المحكمة القنصلية بالحكم باغلاق المطبعة وايقاف الجريدة بدون ان تجرؤ على الحاق اية عقوبة مالية او بدنية على الرجل مع ان القانون العثمانى والاوامر المصرية كانت تقضى بمعاقبة الرجل جنائيا . وكانت حجتها فى ذلك ان القوانين الجنائية عثمانية كانت او مصرية لاتسرى على الاجانب .(١)

---

١ - عزيز خانكى : المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية ص ٣٣ - ٣٤ ،

محفظة ١٢٣ المعية تركى وثيقة ٥٨١ فى ١١ صفر ١٢٨٠ هـ

امين سامى : تقويم النيل وعصر عباس الاول وسعيد / ص ٣٩٠

ومن الحوادث المشهورة الدالة على غطرسة بعض الاجانب وعجز الحكومة عن كبح جماحهم ان دأبت احدى الصحف الفرنسية سنة ١٨٧٠ تطعن على الحكومة المصرية وعلى ذات القنصلية الفرنسية طعناً مرا ، فطلب الخديو اسماعيل من القنصل الفرنسي تعطيل الجريدة الفرنسية ، فرفض القنصل وترك كتاب الجريدة يطعنون ويتمادون في الطعن الى درجة فظيعة جدا فلما رأى نوبار باشا عجز القنصل او اهماله عن ايقاف المحررين عند حدهم اصدر امر بتعطيل الجريدة بالقوة ، الا ان صاحب الجريدة لم يطع الامر ولبث يحررها ويصدرها ويوزعها في الشوارع بالرغم من صدور امر نوبار باشا الى رجال البوليس بمصادرة اعداد الجريدة ، فاتفق ان ضبط احد رجال البوليس اعدادا مع رجل كان يوزعها فاستنجد البائع برجل فرنسي اسمه (ماروني) فهم الفرنسي واراد الفتك بمن ضبط اعداد الجريدة الا ان الشرطي تمكن من القبض على الفرنسي وعلى بائع الجريدة وقادهما الى القنصلية الفرنسية ولكن بدلا من ان يعاقبهما القنصل على القذف والسب ومخالفة اوامر الحكومة انحاز الى جانب الفرنسي ، والادهى من هذا انه لم يكتف بذلك بل طلب الحكومة بتعويض بدعوى ان البوليس انتزع بالقوة اعداد جريدة فرنسية من احدى الرعايا الفرنسيين الا ان نوبار رفض سماع الشكوى واصر على معاقبة الشخص الذى كان يحمل اعداد الجريدة وتولى بيعها لانه خالف اوامر الحكومة ، كما طلب معاقبة الفرنسي الذى حاول الاعتداء على الشرطي فرفض القنصل ذلك وعلق منشورا على باب القنصلية دعا فيه جميع الفرنسيين الى حمل السلاح لمقاومة رجال البوليس المصرى ، واستاء الخديو اسماعيل من استفحال الخلاف بين الحكومة المصرية والقنصلية الفرنسية فاشار على نوبار باشا بتخفيف لهجته وطأته ، الا ان نوبار بطبعه رفض واشار بوجوب انتهاز هذه الفرصة لتظهر الحكومة مقدرتها وسطوتها وتضع حدا لهذه الفوضى ، ثم دعا جميع قناصل الدول للاجتماع ليحكموا فيما اذا كانت القنصلية الفرنسية مخطئة او مصيبة في تلك الاثنـــاء ؛

هدد نوبار باشا القنصلية الفرنسوية بالقبض على كل فرنسي يحمل سلاحا . فاجتمع القناصل وتباحثوا في الخلاف وحكموا بان قنصل فرنسا مخطئ في عمله وان نوبار لم يخرج عن دائرة القانون . الا ان الحكومات الاجنبية التابع لها هؤلاء القناصل لامت قناصلها على تدخلهم في مسألة لا تتعلق بهم ولا برعاياهم ولا بحكوماتهم بل تتعلق بقنصل دولة اجنبية وباجنبي غير تابع لهم اما القنصلية الفرنسوية فلم تقتنع بذلك الحكم وطلب تدخل الحكومه الفرنسيه نفسها في الامــر . وبعد اخذ ورد طلبت الحكومه الفرنسوية تحكيم ثلاثة قناصل من الدول الكبرى وبعد ماوقع اختيار الفريقين عليهم اذنت لهم حكوماتهم . فعين مستر "ستانتون" قنصل انجلترا و مسيو "جيمس" قنصل المانيا والمسنيور " ماريتنو" قنصل ايطاليا محكمين للفصل فيما اذا كان البوليس المصرى يملك مصادرة جريدة ممنوعه تباع في الشوارع ام لا .. فاجتمع القناصل الثلاثة وحكموا بالاجماع بان نوبار باشا كان على حق وان قنصل فرنسا كان على خطأ (١)

هذه حادثة بسيطه تتعلق بالامن العام وبالنظام العام لم تستطع الحكومه المصريه ان تتخلص منها الا بتدخل الدول وتحكيم القناصل ولولا حزم نوبار وباشه وصلابة رأيه لتمادى هؤلاء الاجانب في غيهم وشرورهم اعتمادا على نظام الامتيازات الاجنبية وعلى حماية قناصلهم لهم ولوكانوا على باطل وضعف الحكومه المصرية امام استبداد الاجانب .

---

١ — عزيز خانكي : نفس المصدر السابق ص ٣٢ — ٣٣

محفظة ٧٨ معيت تركي وثيقة ٢٧١ في ٢٤ صفر ١٢٨٢ هـ

نجيب مخلوف : نوبار باشا وماتم على يديه ص ٥١

ويختلف الامر اختلافا واضحا عندما يطعن اى صحفى اجنبى فى دولة اجنبية آخرى اذ سرعان ما يهب القناصل للعمل على تعطيل تلك الجريدة ويحكى ماحدث فى المثال السابق والدليل على ذلك ان احد الايطاليين ويدعى "استلينو" كان يصدر جريدة فى الاسكندرية باللغتين الفرنسية والايطالية وقام بنشر احدى المقالات طعن فيها وتحامل على قداسة البابا والحكومة الفرنسية فطلب قنصل فرنسا الى الحكومة المصرية الغاء الامتياز الممنوح الى الايطالى لاصدار الجريدة ونفى محرر المقال وكتب الى قنصل ايطاليا بذلك الاجراء ولم يحتج الاخير لا على قرار القنصل الفرنسى ولا على الاجراء الذى اتخذته الحكومة ...(1)

ومن امثلة افتئات القناصل على حقوق مصر وتشجيع رعايا دولهم وخصوصا الاشرار منهم دون وجه حق ان قنصل ايطاليا فى عهد اسماعيل كان مصرا على طلب التصريح لاحد رعايا دولته ويدعى "ملليرينى" باخراج كتبه المحجوزة بالجمرك بالرغم ماجاء فيها من مقالات ماسة بكرامة وشرف رجال الحكومة المصرية بالاضافة الى تعبيرات مخلة بالنظام والاداب العامة على الرغم من الادلة القاطعة والحجج الدامغة التى قدمت له بشأن عدم امكان التصريح باخراج تلك الكتب واصر القنصل على ذلك مما اضطر بناظر الخارجية ان يرفع الامر للخديو اسماعيل .(2)

وهذا يدل دلالة واضحة على تشجيع القناصل لتلك الفئة الضالة من الاجانب والتى كانت تعمل لمصلحة الاجانب الشخصية فقط دون النظر لمصالح البلاد التى يقيمون فيها .

---

1 - محفظة 48 معية تركى وثيقة 221 فى غرة ذى الحجة سنة 1273

2 - محفظة 83 معية تركى وثيقة 262 فى 10 ربيع اول سنة 1283

لقد حضر الى مصر عدد من الاجانب خصوصا في عهد سعيد واسماعيل كانوا على غير شيء من الامانة او الاستقامة فملأوا جيوبهم لدرجة كبيرة من اموال الخديو ومن الخزانة المصرية دون وجه حق .

ولقد حضر احد الامريكيين الى مصر في عهد اسماعيل واخذ يبحث عن عمل وتوسط القنصل الامريكي لدى "جنرال ستون" Stone والذى كان يعمل في الجيش المصرى لاعطاء الاخير بعض الاجهزة من نوع " الكرنومتر " لاصلاحها كنوع من المساعدة ولكن الامريكى وكان يدعى "كارلسن" ترك القاهرة متجولا في مدن الوجه البحرى وعندما طلب الجنرال ستون الاجهزة لاستخدامها لم يعثروا عليه الا بعد عناء وتعب وعندما حضر طلب عمل عقد مع الحكومة المصرية بمرتب ثابت قدره ثلاثون جنيها مقابل تسليم الاجهزة المطلوبة وبعد عدة شهور طالب الحكومة المصرية بمبلغ ٢٤٠ جنيها نظير الشهور التى قضاها والاكثر من ذلك طالب مقاضاة الحكومة المصرية مطالبا بتعويض وهو الذى عطل مصالحها بعد تسليم الاجهزة كما طلب تأييد القنصل الامريكى له ولكنه رفض لانه وجد ان مطالبه غير سليمة بالمرة .(١)

ولا نكاد نحصى تلك المشروعات التى اعطت الحكومة المصرية مقاولاتها للاوربيين والاجانب عموما فغشوها فيها غشا فاضحا وما يخطئه الحصر كذلك القضايا الخيالية التى رفعها المغامرون الاجانب على الحكومة المصرية فحكم لهم فيها بغير حـــق .

I - A.A:Vol.IO.Desp.330.pp.I28,I29;Cairo,30-6-I875.

ومن امثلة شغب الاجانب :

قيام بعض الاجانب من اليونانيين باحداث الشغب في (خمارة) في السويس (١) وكذلك اعتداء بعض بحارة سفينة فرنسيه على الاهالي في ميناء الاسكندرية (٢) كما قام ١٥٠ شخص تقريبا من الايطاليين كانوا في حفلة الى ساعة متأخرة من الليل ثم خرجوا بأعلامهم وموسيقاهم ومروا بحي الافرنج في الاسكندرية حيث اشتبكوا مع بعض اليونانيين بقتال عنيف . (٣)

كما تشير الوقائع المصرية الى وقوع عدة حوادث شغب بالاسكندرية مصدرها جميعا الاجانب من يونانيين والايطاليين والروام . (٤)

ويتحدث محافظ السويس في عصر اسماعيل عن شغب الاجانب قائلا ان بعض الاوربيين يبدو منهم احوال مخالفه لاحوال الضبط والربط منها مرورهم ليلا بدون فوانيس وتشاجرهم مع بعضهم ثم تعدي البعض منهم على الاهالي حتى انه في احدى الليالي واثناء مرور ملاحظ الضبطيه وجد بجهة بقال تجاه السكة الجديدة اكثر من مائة شخص منهم يتضاربون مع بعض ولم يستطع رجال الضبطية التعرض لهم خوفا من ادعاء هؤلاء الاوربيين عليهم بضياع شيء منهم . (٥)

ولم يقتصر الامر على اعتداءهم على الاهالي بل ان بعض هؤلاء الاجانب قاموا بمهاجمة

---

١ – محافظة ٢٢ (أ) معية تركي وثيقة ٦ في ٨ ربيع اول سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣)
٢ – « ٢٢ (ج) « « « ٣١٥٥ في ٩ ربيع اول سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)
٣ – دفتر ٥٣٤ صحيفة ٦٠ ٩٢ في ٥ شوال ١٢٧٩ (١٨٦٣)
٤ – الوقائع المصرية العدد ٨١٣ في اول يونيو ١٨٧٩
٥ – سجل ١٩٧ المعيه السنيه عربي رقم ٤٢ ص ٨٨ في ٢٧ رجب سنة ١٢٨٠ (١٨٦٤)

الضبطية لكي يخرجوا بالقوة المدعو "كون" احد رعايا بروسيا " وكان محجوزا بتهمة ضرب احد الاجانب ويدعى (فيشر) من رعايا النمسا (١).

وهذه مشاجرة حدثت بين احد رعايا انجلترا ويدعى " نقولا كورنيانى " وبين ثلاثة شبان اثنان منهم من جزيرة كريت والاخر من ساموس وقد ادى ذلك الى جرح الانجليزى (٢).

وكثيرا ما كان يحدث منازعات بين رجال الشرطة وهؤلاء الاجانب الذين يعملون على اثارة الشغب من ذلك ما حدث بين ثلاثة اجانب وثلاثة من رجال الضبطية وذهب الجميع الى مقر الضبطية فتجمهر كثير من الاجانب وعظموا المسألة واتهموا رجال الضبطية بالاعتداء عليهم (٣).

وكانت حوادث الشغب تكثر فى المناسبات العامة ففى احد ايام شم النسيم خرج اربعة من اليونانيين من احد محلات تعاطى الخمور فى العطارين بالاسكندرية وهم سكارى واخذوا يعربدون ويرقصون فرأوا جمالا يقود جملا فقطعوا عليه الطريق ومنعوه من السير فاعترضهم ملازم ورجل من الاهالى فحدثت بينهم مشادة جرح فيها الملازم ورجل آخر وواحد من اليونانيين ايضا وفى نفس ذلك اليوم اعترض جماعة من عسكر اليونان مالطيا يمتلك عربة للتجول وصادف مرور موظفين اجانب فانتصروا لذلك المالطى فحدثت بينهم وبين اليونانيين مشادة جرح فيها بعضهم بجراح خطـــــيرة (٤).

---

١ — محفظة ٤٧ معيه تركى وثيقة ٢٢٢ فى ذى القعدة سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦)
٢ — " ٤٣ " " ١١٤ " " " فى ٢٧ رمضان سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥)
٣ — " ٤٦ " " ١٨٦ " " فى ٢٧ شعبان سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦)
٤ — نفس المحفظة وثيقة ١٦٩ فى ٢٦ شعبان سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦)

ومن الحوادث الغريبة اعتداء اثنين من الانجليز على حارث الجمرك بالضرب وبعد القبض عليهما واجراء اللازم معهما من دفع رسوم الجمرك وخلافه ذهبا لقنصل انجلترا وانهماه ان الحارث هو الذى اعتدى عليهما فكتب الى مأمور الجمرك يأمره بمجازاة الحارس ورد الرسوم الجمركية التى حصلت منهما .(١)

وليست هذه هى الحادثة الوحيدة التى يتحيز فيها القناصل لرعايا دولهم دون وجه حق فقد حدث أن قتل اثنان من الانجليز سودة فى الطريق بعصيهما وحاول قنصل انجلترا تبرئتهما قائلا انهما حذرا تلك السودة ولكنها لم تنتبه فوقعت تحت العصيه قضاء وقدرا .(٢)

وليس أول على استهتار الاجانب من تلك الحادثة التى قتل فيها احد الاهالى ويدعى "احمد" بعد ان اطلق عليه المدعو " ماتيوتالوس" احد رعايا الانجليز الرصاص ليلا وعندما احضر الى الضبطيه ادعى انه اعتقد انه كلبا فى ظلمة الليل فقتله .(٣)

وكثيرا ماكان يبالغ قناصل الدول فى حماية المشاغبين من الاجانب واتباع طرق مختلفه لتهديد الحكومه فهذا قنصل انجلترا يطلب من الحكومه المصرية نقل البكباشى " شمس افندى" لسوء معاملته الضباط الانجليز الذين قبض عليهم لمشاجرتهم واعتدائهم على الناس حين لعبهم البلياردو بمقهى يملكها احد الفرنسيين والا سيضطر الى انزال " راية" دولته احتجاجا على ذلك .(٤)

---

١ — محفظه ٥٠ معيه تركى وثيقة ٢٨ فى ٤ صفر سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)
٢ — " ٥١ معيه تركى وثيقه ١٣٣ فى ٦ ربيع ثان سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)
٣ — نفس المحفظه وه وثيقه ٤٥ فى ١٣ ربيع ثان سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)
٤ — محفظه ٦٠ معيه تركى وثيقه ٩٤ فى ٣ صفر سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩)

ولم يقتصر الامر على احداث الشغب فى الطريق العام بل بلغ بهم ان اقتحموا منازل الاهالى وقاموا بالاعتداء عليهم فسطى احد افراد الاجانب دخل حوالى عشرين يونانيا وانجليزيا وامريكيا بيت " حسن برتو بك " فى الاسكندرية وتشاجروا مع خدم البك المشار اليه وضربوهم ضربا مبرحا وسطوا على المحل الخاص بالمشار اليه فجرحوا حوالى اربعة من اولئك الخدم .[1]

ولقد بلغ الامر بهؤلاء الاجانب انهم كانوا يعتدون حتى على النساء بالضرب معتمدين على حماية قناصلهم فهذا محافظ الاسكندرية يخطر المعية ان ثلاثة اشخاص ايطاليين تعدوا على احدى النساء (مسعوده) بالضرب كما اعتدى احد اليونانيين على سيدة اخرى بان طعنها بسكين فقبض عليهم وسلموا الى قناصلهم .[2]

كما قام رجال الضبطية فى عهد سعيد بالقبض على انجليزى وايطاليين كانوا يلهون ويتسامرون مع امرأة امام (اصطبل) باحد احياء الاسكندرية ليلا فاعتدوا بالشوم على احد الخدم الذى اراد ان يمنعهم .[3]

ويقول محافظ الاسكندرية فى عهد سعيد باشا انه علم ان امرأة عربية تصدى لها شخص اجنبى يدعى " فريزو " اثناء سيرها بالمنشية فخطف من وجهها البرقع وهرب فتعقبه الاهالى بقصد القبض عليه فاشهر لهم سكينا الا انهم تمكنوا اخيرا من القبض عليه وتبين انه سبق ان نفى من مصر ثم عاد اليها خلسة .[4]

---

١ — محفظه ٥٢ معيه تركى وثيقه ٢٣ فى ١٠ ربيع اول سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨)

٢ — محفظه ٦٨ .. .. .. ١٥١.. فى ٥ رمضان سنة ١٢٧٨ (١٨٦١)

٣ — نفس المحفظه .. .. .. ٧٦ فى ٤ رجب سنة ١٢٧٨ (١٨٦١)

٤ — محفظه ٦٩ .. .. ١٢٨.. فى ١٨ ذى الحجه سنة ١٢٧٨ (١٨٦١)



كما حدث أن تشاجر فرنسى وامرأة يونانيه والتجأ كل منهما لقنصله وأنضم لكل منهما أنصارهما وحدثت مشاجره جرح فيها الفرنسى (١).

وكما سبقت الاشاره كثيرا ما أعتدى الاجانب على رجال الضبطيه بل وسلبوهم نقودهم من ذلك أن ثلاثة من اليونانيين هجموا على "بلوكباشى القواسه" ويدعى "مصطفى أغا" وجرحوه وأخذوا ما معه من نقود ليلا فى محل عام ثم قاموا بالفرار (٢)

وقد تعددت حوادث الشغب التى قام بأرتكابها بعض الاجانب فى عصر اسماعيل خصوصا فى مدينتى الاسكندريه والسويس فكثيرا ما نجد محافظ السويس يخطر المعية السنيه بعدة حوادث قام بأرتكابها الاجانب هناك ففى التقرير الذى أرسله محافظ السويس عن حوادث الاجانب التى وقعت فى السويس فى المده ما بين ٢٥ شوال الى ٦ ذى القعده سنة ١٢٨٤ . نذكر منها :

١) اربعة من اليونانيين هجموا على مطعم يمتلكه احد الاهالى شاهرين سلاحهم ونهبوا ماله به من نقود وضربوه هو والصناع الذين بالمطعم وجرحوهم وفروا .

٢) أن احد الايطاليين دخل محلا لتناول الخمور وبعد ما شرب دفع لصاحبه نقودا زائفه فأمتنعت صاحبة المحل عن قبولها فشهر عليها السلاح وثبت أن له سوابق مماثله (٣).

---

١) محفظه ٨٧ معيه تركى وثيقه ٣٩٢ فى ٤ ذى القعده سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧)
٢) محفظه ٩١ " " ١١ فى ٢١ شوال سنة ١٢٨١ (١٨٦٨)
٣) نفس المحفظه وثيقه ١٣٩ ١٠ القعده سنة ١٢٨٤ (١٨٦٨) ،
" " " ١٨٠ فى ٢٣ " " ١٢٨٤

وفى تقرير اخر لوكيل محافظ السويس فى عصر اسماعيل يقول :

١- أنه حصلت مشاجره بين يونانيين على اثر تناول الخمر فى (خماره) فى محطة القنطره • جرح فيها ثلاثه ارسلوا الى المستشفى وقبض على المتسببين بحصولها •

٢- وحدث مثل ذلك فى خماره ببورسعيد جرح بسببها رجل فرنسى فأرسل الى المستشفى وقبض على المعتدى وهو فرنسى أيضا •

٣- كما حدث فى بورسعيد أن كان نمساوى (بقصد) فأصابت القذيفه وجه شاب يونانى فشوهته فقبض على النمسوى واخذت الدعوى ترسى بين قنصل الروم والنمسا (١)

وتقص علينا (ليدى دف جوردون) مدى استهتار الاجانب وعبثهم بمصالح الاهالى أن بعض الفلاحين الساكنين طلبوا منها أن ترجو بعض الرعايا الانجليز أن يكفوا عن صيد حمامهم ومع ما فى هذا من ولاله • على عدم مبالاه هؤلاء الاجانب بمصالح غيرهم فأن سببه الاكبر هو أن الخدم والتراجمه لا يجرءون على لفت نظر مخدوميهم الى أن ذلك الحمام ملك خاص وأن ما لا يقل عن ثمانيه أو عشره قوارب ملىئه بأمثال هؤلاء الاجانب تظل تابعه ثلاثة أشهر كامله ولا ريب أن مثل هذا العدد الكبير يحدث خساره فادحه لفلاحى الناحيه خصوصا وأن قنصل الانجليز فى تلك الناحيه يخشى أن يفوه بكلمه مما اضطرها أن تدعى أن الحمام ملك خاص لها حتى لا يفوتوا باصطياده • (٢)

---

١) محفظه ٨٤ المعيه تركى وثيقه ٩١ فى ٨ ربيع ثان سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦)

٢) ليدى دف جوردن : وسائل من مصر ص ٤٣ (ترجمه على الكاتب)

هذه هى بعض حوادث الشغب التى ارتكبها الاجانب فى مصر فى عهد خلفاء محمد على خصوصا ايام سعيد باشا واسماعيل حيث تمادى الاجانب فى الاعتماد على نظام الامتيازات فأستغلوه اسوأ استغلال فأعتدوا على الاهالى ولم يحترموا حرمة المساكن بل اعتدوا أيضا على رجال الشرطه وسلبوهم نقودهم .

أما عن حوادث السرقه والتى ارتكبها بعض الاجانب فى عهد خلفاء محمد على فنذكر منها على سبيل المثال :

أن اثنين من الاجانب احدهما ايطالى ويدعى (خورى) والثانى يونانى ويدعى (ارستيدى) دخلا فى احد المحلات العامه الذى تمتلكه " كارولينا خاتون " وحاولا سرقة نقودها فنادت على الطوافه واستغاثت بهم فحضر الطوافه وفى اثناء القبض عليهما ضرب احدهما بالمديه على يد رئيس الخفراء (١) . وهذا مأمور الضبطيه فى عهد سعيد يطلب نفى احد الامريكيين ويدعى (دبجترى) لارتكابه سرقه (٢) . ولقد حدث أن قام احد الاجانب ويدعى (لوبج) بسرقة احد الفنادق وقبض عليه وهو يهم بركوب القطار محاولا الفرار وكان يرتدى ملابس أمراه ولما فتش عثر على المسروقات معه ولما سئل عن جنسيته أجاب بأنه ايطالى ثم أدعى بعد ذلك انه أمريكى ولم يكن يحمل مايثبت جنسيته فقبض عليه وأدخل السجن (٣) .

---

١) أمين سامى : تقويم النيل وعصر عباس الاول وسعيد ص ٣٨٩

٢) محفظة ٢٨ وثيقه ١١٢ فى ١٣ صفر سنة ١٢٧١ (١٨٥٤)

٣) محفظة ٤٣ معيه تركى وثيقه ٦٠ فى ١١ رمضان سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥)

كما قام ثلاثة من الايطاليين واحد الانجليز باقتحام بنك (الخواجه كوروديم) بالاسكندريه للسرقه فقبض عليهم واثناء القبض عليهم جرحوا الخفير الموجود وكتب الى قناصلهم بلزوم تأديبهم (١).

وهذا وكيل ضبطية مصر (صالح صبحى) يخطر المعيه بأن اللص اليونانى المسمى (خريستو) هرب من منزله بينما كان قد ذهب اليه تحت حراسة القواصين لتغيير ملابسه (٢).

ومن الحيل التى يتبعها هؤلاء الاجانب فى السرقه أن شخصين يونانيين فى عصر اسماعيل قاما بأطعام حوالى ستين كلبا خبزا داخله حبوبا سامه وملاوا بجثث الكلاب شوارع الاسكندريه وكان هدفهما من وراء ذلك أن لا يكون فى المحلات التى يقصدونها للسرقه كلاب تنبح فينكشف امرهما (٣).

ولم يقتصر الامر على حوادث الشغب والسرقه بل قام الاجانب أيضا بأرتكاب الكثير من عمليات التهريب مخالفين بذلك النظم واللوائح المصريه ومعتمدين أيضا على نظام الامتيازات الاجنبيه وضعف ولاه مصر فى تلك الفتره امام استبداد القناصل.

فمثلا قام احد الفرنسيين ويدعى " بريشوت " بتهريب حقيبه مجوهرات واستعان بقنصل فرنسا فى تبرئته من التهمه الموجهه اليه بل واتهم أمين الجمرك بالتقصير (٤)

---

١) محفظه ٦٩ معيه تركى وثيقه ٦٨ فى ٩ ذو القعده سنة ١٢٧٨ (١٨٦٢)
٢) محفظه ١٥٣ " " " " ٢٨٢ و٢٧٣ محرم سنة ١٢٨٠ (١٨٦٤)
٣) " ١٠٢ " " " ٤٥٧ " ٨ شوال سنة ١٢٨٨ (١٨٧١)
٤) " ٧٢ " " " ١٥٣ " ٥ ذوالقعده ١٢٧٦ (١٨٦٣)

كما قام احد انالطيين من رعايا انجلترا بمحاولة تهريب كمية من التبغ الممنوع ادخاله في مصر ولكن قبض عليه[1] كذلك اتخذ احد الفرنسيين المقيمين الفرنسيين التهريب كحرفة له وضبط عندما حاول تهريب صندوق على ظهر باخرة نمساوية ولكنه هرب قبل فتح الصندوق[2] . كما ضبط احد الارمن متلبسا بتهريب الجوهرات وكان يخبأها تحت أبطه وثنايا حذاءه . وكانت خاصة ببعض تجار الجوهرات الاجانب بمصر وكان معظم هؤلاء الاجانب يلجأون الى قناصلهم شاكين ديوان الجمرك بأن بضائعهم ماكانت مهربة ويحتمون باستثناءات ليست مبررا لافعالهم[4] .

وهكذا قام بعض الاجانب بعمليات التهريب بالاضافة الى مارتكبوه من حوادث الشغب والسرقات وكانوا في اغلب الاحيان واثقين من حماية قناصلهم لهم . ولذا لم يقتصر الامر على حوادث الشغب والسرقة والتهريب بل تعدى الامر الى ارتكاب جرائم اخرى مثل التزوير والتزييف بل والنصب والاحتيال في سبيل ارضاء مطامعهم .

فمثلا قبض على احد الاجانب ويدعى " فيلبس واكوره " بتهمة تزييف النقود واشترك معه في ذلك اجنبي آخر ويدعى " اكوستين مابزويلر "[5]

---

١) محفظة ٧٢ المعية تركي وثيقة ٢١ في ٧ شوال سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)
٢) " ٧٣ " " " ١١٠ " ٢ ذو الحجة ١٢٧٩
٣) " ٤٤ " " " ١١١ " ٢١ ذي القعدة ١٢٧٢
٤) سجل ١٩٤ المعية السنية عربي ص ١٨٤ في محرم ١٢٨٠ (١٨٦٤)
٥ محفظة ٥٤ المعية تركي وثيقة ١٩ في ٢١ شوال ١٢٧٤ (١٨٥٧)

كما قام بعض اليونانيين ايضا بتزييف النقود وذلك في عصر اسماعيل .[١]
كما قام احد الاجانب ويدعى . (جورج) بأستلام مبلغ ١٢٢٦٠ قرشا من مصلحة السكك الحديدية بأسم ثمن خشب ثم اتضح بعد ذلك ان المستند مختوم بختم (مزور) زائف .[٢]

ومن حوادث تزييف النقود ان الطبيب الاجنبي (روزلي) كان يقوم بمساعدة زميله المدعو (تاربوناو) بتزييف النقود وقبض عليهما في الاسكندرية .[٣]

ومن حوادث النصب والاحتيال ان المدعوين (حبيب نجار) و (قسطنطهى)

قد استلما من الدائرة الالهامية مبلغ ٦٥ جنيها مقدما بمناسبة مقاولة معقودة بين الطرفين ولكنهما لم ينفذا المقاولة المذكورة وعندما استدعيا لاستجوابهما حضر احدهما الذي ذكر ان زميله قد سافر خارج البلاد ووعد بأحضار المبلغ المطلوب ولكنه لم يحضر المبلغ وابلغ رجال الضبطية انه صار من (المحبين) لدى أب البا وأمتنع عن أداء ماعليه من ديون .[٤] كما قام كل من التاجر الفرنسي (استلشر) والتاجر النمساوى (بيلوخ) بالاحتيال على بعض الاشخاص وحصلوا منهم على مبالغ عظيمة .[٥]
كذلك حكم على المدعو (سوكه) البكباشي بالطرد من السلك العسكري لتلاعبه بزمت الزيتون .[٦]

---

١) محفظة ٨٦ المعية تركى وثيقة ٢٠٩ في ٨ رمضان سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧)
٢) « ٣٤ « « « ١٢٨ « ١٨ محرم « ١٢٧٢ (
٣) « ٥٨ « « « ١٤٠ « ٢٩ جماد اول « ١٢٧٥
٤) « ٤٣ « « « ٢٧٤ « ٢٤ شوال ١٢٧٢
٥) « ٥٥ « « « ٧ « غرة ذو القعدة ١٢٧٤
٦) « ٢٢ (أ) « « « « ٥٣ « ٧ ربيع الاول ١٢٧٠

كما كان يماطل بعض هؤلاء الاجانب فى دفع ماعليهم من ديون سواء للاهالى او للحكومه بالرغم من مطالبتهم بتلك الديون مرات عديده[١] .

وهذا احد الاهالى يرفع شكواه الى الحكومه المصريه ، لانه سبق ان أعطى زوقا لاحد رعايا انجلترا فى مصر ويدعى (اتوفيو) بضمانه احد اليونانيين ويدعى (ديمترى جورجى) والذى وعد سداد ثمنه بعد ثلاثة شهور ولكن انتهت المده ولم يستطع اخذ شئ منه لانه ثبت انه مديون ومفلس وكذلك كفيله[٢] .

كما قام احد الاجانب ويدعى (كبرنو) بالهرب من مصر من غير ما يسدد ماعليه من ديون لبعض الاشخاص فى القاهره وقدرها ثمانون جنيها[٣] . وكما سبق الاشاره انه كانت تحال قضايا هؤلاء الاجانب لقناصلهم للنظر فيها ولكنهم كانوا يماطلون ايضا فى نظرها فى معظم الاحيان فهذا وكيل الخارجيه فى عهد سعيد يرسل كشفا مدون به العديد من القضايا الخاصه بالاجانب من رعايا الدول الاجنبيه ، والتى لم يفصل فيها بعد رغم مرور مده طويله على ارسالها اليهم[٤] .

مما سبق يتضح قيام بعض الاجانب فى مصر فى عهد خلفاء محمد على بارتكاب الكثير من حوادث الشغب والسرقه ،

---

١) محفظه ٢٦ المعيه تركى وثيقه ١٤١ فى ٢٠ ذوالحجه سنة ١٢٧٠ ، محفظه ٢٧ وثيقه ٢٤٧ فى ٢٤ محرم سنة ١٢٧١

٢) محفظه ٢٩ المعيه تركى وثيقه ٧٧ فى ٩ ربيع اول سنة ١٢٧١

٣) " " ٣٨ " " " ١١٦ فى ١٦ ربيع ثان سنة ١٢٧٢

٤) " " ٢٧ " " " ٢٣٥ فى ٥ محرم سنة ١٢٧١

والتهريب والتزيف والنصب والاحتيال . كما سبق الاشاره . كانوا يرتكبون تلك الحوادث وهم واثقين من حماية قناصلهم لهم في اغلب الاحيان هؤلاء القناصل الذين بالغوا في استغلال نظام الامتيازات الاجنبيه الذي ظهرت مساوئه بشكل واضح في تلك الفتره ، مما ادى الى ازدياد تلك الحوادث خصوصا في المدن المزدحمه بالاجانب مثل مدينة الاسكندريه ومدن القنال التي كانت تعتبر بمثابة مستعمرات اغلب سكانها من الاجانب الذين كانوا يعبثون بمصالح الاهالي والحكومه على السواء .

هذا وقد حاولت الحكومه المصريه اتخاذ بعض الاجراءات الوقائيه للمحافظه على الامن العام وسلامة الارواح ولكنها كانت تجد معارضه من قناصل الدول مما يعوق تنفيذ أى قانون يعمل على استتباب الامن للبلاد ويرجع ذلك بدون شك الى الاهميه البالغه التي اعطتها الحكومه المصريه لهؤلاء القناصل وكل من ينتمي اليهم بصله(١) فهذا قنصل النمسا يرسل ترجمانه الى محافظة الاسكندريه ليطالب الترضية اللازمه لحاجب القنصليه الذي تشاجر مع احد قواسي الضبطيه(٢) . وهذا يدل دلاله واضحه على مدى استغلال القناصل لنفوذهم فحتى حاجب القنصليه كان له مكانته الخاصه ، مادام ينتمي الى قنصل معين .

---

١) محفظه ٤٣ المعيه تركي وثيقه ٢٠١ في ١٢ شوال ١٢٧٢
٢) " ٤٤ " " " ٩٢ ، ٦ ذو القعده ١٢٧٢
///

ولذلك كان يتصدى هؤلاء القناصل باستمرار للحكومة المصرية مطالبين بتحقيق مطالب رعاياهم حتى ولو كانوا على باطل[1] .

وكان المتهمون الاجانب يسجنون في السجن الملحق بالقنصلية حتى تتم محاكمتهم[2] وبعد أصدار الاحكام تقوم الحكومة بسجنهم بالسجون المخصصة للاجانب التي كانت أرقى من السجون العادية[3] . وكما سبق الاشارة كانت القضايا الخاصة بالاجانب ، يفصل فيها القناصل بأنفسهم ولا يحق للحكومة المصرية محاكمتهم[4] ولكن كانوا يهملون كثيرا في الفصل في تلك القضايا وكثيرا ما كانت تطالبهم السلطات المصرية بضرورة العمل على انهاء القضايا التي احيلت اليهم وكانوا يلقون تبعة اهمالهم في معظم الاحيان على الحكومة[5] . وكان لالغاء نظام جوازات السفر بالاسكندرية اثره في اختلال الامن العام بها كما ادى ذلك الى دخول بعض المشاغبين الاجانب مما أدى إلى إتاحة الفرصة لاحداث الشغب في البلاد[6] . ولم يقتصر الامر على الاسكندرية بل انتشروا في باقي الاقاليم المصرية . فهذا نوبار باشا ناظر الخارجية في عهد اسماعيل يبعث الى الخديوي بمذكرة عن تعدد الاشرار والمتشردين من الاجانب المنتشرين في طنطا ويسأل عن الاجراءات التي يجب اتخاذها حيالهم[7] .

---

١) محفظة ٤٤ المعية تركي وثيقة ٢٨٨ في ٢٩ ذو الحجة سنة ١٢٧٢

٢) محفظة ٢١ المعية تركي وثيقة ٢٣٠ في ٢٦ ربيع اول سنة ١٢٧١

٣) " ٥٩ " " " ١٣٢ ف ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٥

3 - A.A: Vol.7. Desp.76. p.69.

4 - op.cit; From Farman, 4-II-1876

٥) " ٩٤ المعية تركي " ٤٣٨ ف ٢٣ ذو القعدة سنة ١٢٨٤ ومحفظة ٤٦

٦) " ٦٢ " " " ٢٥٦ ف ١٢ رمضان ١٢٢٣ ، " ١٤٣ ف ٣ ربيع ثاني ١٢٧٨

٧) " ٩٨ " " " ٤٥٨ ف ٢٥ ذو القعدة ١٢٨٦

محاولات الحكومة المصرية تجاه الاجانب للمحافظة على الامن :

ونظرا لانتشار حوادث الشغب واعمال العنف وارتكاب حوادث القتل فى بعض الاحيان اضطر قناصل الدول الى المطالبة بوضع حد لهذه الفوضى وحماية الارواح والممتلكات الخاصة برعايا دولهم . وعقدوا لهذا الغرض اجتماعا فى اغسطس سنة ١٨٥٧ حيث وافقوا بالاجماع على ان يقوم قناصل دول النمسا وفرنسا وانجلترا وبروسيا وروسيا بأخطار والى مصر بعدم وجود الامان اللازم لحماية الارواح والممتلكات فى مصر نتيجة لعدم سيطرة رجال الشرطة على الاشرار من الاجانب وطالبوا الوالى بأتخاذ خطوات عاجلة لتحسين نظم البوليس المصرى وادارته. وفى الحال اصدر الخديوى تعليمات الى وزير الخارجية ومحافظ الاسكندرية وحكمدار البوليس لكى يقوموا بالاتصال بقناصل الدول لاتخاذ الترتيبات المطلوبة . وتم الاتفاق على ان تقوم الحكومة المصرية بأعداد مشروع بالنظام المطلوب . ثم تقوم بعرضه بعد ذلك على قناصل الدول لمناقشته .

وفى سبتمبر من نفس السنة اجتمع قناصل الدول لبحث المشروع المقدم من الحكومة ولم يلق المشروع أى معارضة ملموسة وبالطبع لم يكن المقصود من وضع ذلك النظام مضايقة السواح الاجانب او الاجانب المتمتعين بسمعة حسنة فى مصر خصوصا بالنسبة لمنح جوازات السفر وخلافه وتم اخطار قناصل الدول بالنظام الذى وضعته الحكومة المصرية رسميا فى فبراير سنة ١٨٥٨ (١)

I - F.O: From Gohn Green to the Earl of Malmeonly, Alex; 29-3-1858.

وينقسم النظام الجديد الخاص بحفظ الامن والذى وافق عليه القناصل الى قسمين :

وينص القسم الاول على ضرورة نفى الاجانب الخطرين على الامن والاشرار خارج البلاد بعد موافقة قناصلهم الذين يكلفون مندوبيهم للقيام بأجراءات النفى .

وينص القسم التالى على منح السلطات المصريه حق دخول الاماكن العامه الخاصه بالاجانب لتعقب المجرمين .

وبالنسبه للبند الاول انه اذا احدث خلاف بين الحكومه المصريه واحد القناصل بالنسبه لنفى احد الاجانب يحال الامر الى لجنه مكونه من عدة قناصل تشكل لهذا الغرض لحسم الخلاف ومن المسائل التى اعترضت تنفيذ هذا الشق هو الخلاف حول مدى احقية الحكومه المصريه فى طلب نفى احد الاجانب عندما تصر الحكومه التابع لها على بقائه فى مصر ومن الواضح ان الخطوات التى وافق عليها القناصل لم تمس تلك المشكله ولم تتعرض لها وفى اغلب الاحيان كانت الكلمه الاخيره فى ذلك للقنصل نفسه . بناء على التعليمات التى يتلقاها من حكومته فى هذا الصدد . ومن القواعد الهامه فى القانون العام ان أيه دوله ليست مجبره على الابقاء على أى شخص اجنبى تستدعى المصلحه العامه ابعاده خارج البلاد ولكن كان من الصعب تطبيق تلك القواعد القانونيه فى مصر لتعارضها مع نصوص معاهدات الامتيازات .[1]

I - A.A : From Charles Hale;Alex.4-5-I866.

وبالفعل قام بعض القناصل بنفى الاشرار من رعاياهم ولوان كان بعضهم يعارض احيانا . فى القيام بمثل هذا الاجراء[1] ولقد اعترض المستر (شبرد) صاحب فندق شبرد المعروف على البند الخاص بحق السلطات المصريه دخول الاماكن الخاصه بالاجانب قائلا ان ذلك يتعارض مع نصوص معاهدات الامتياز التى لا يجب احداث أى تغيير فى نصوصها الا بعد موافقة البرلمان الانجليزى عليها .

والواقع ان الاستعماريه كانت طبقه بمحلات تعاطى الخمور والحانات والمنازل العامه التى يمتلكها الاجانب ذو السمعه السيئه وكان منهم المالطى واليونانى والايطالى والفرنسى وغيرهم . وقبل صدور ذلك النظام كان لا يمكن طبقا لمعاهدات الامتيازات لرجال البوليس اقتحامها بأى حال من الاحوال . فالبحار الانجليزى المخمور يمكن أن يقوم بقتل أى شخص فى تلك الحانات ويقف رجل البوليس متفرجا فى الشارع لا يجروء على دخول تلك الحانه . وكان على السلطات المصريه ان تلجأ الى القنصليات السبعة عشر الموجوده فى مصر لكى تتبين تحت أى قنصليه ينتمى هذا الجانى او صاحب الحانه وبالطبع تقع مثل تلك الحوادث ليلا وتكون جميع القنصليات مغلقه فلابد من الانتظار حتى الصباح قبل اتخاذ أى اجراء حتى يحضر مندوب القنصليه وتكون معالم الجريمه قد اختفت بالطبع .[2]

---

(١) امين سامى : تقويم النيل وعصر اسماعيل جـ ٣ صفحة ٤٦٦

(٢) محفظه ١١٨ ابحاث دفتر رقم ٥٢٥ اوامر عربى فى ٢٨ رمضان سنة ١٢٧٩

2 - F.O: From John Green.Alex; April I5th.I8 58.

وكثيرا ماكان يحدث ان يقوم أحد الاجانب بارتكاب جريمة قتل مثلا وعندما يجد رجال البوليس يطاردونه يسرع الى احدى الحانات التي يمتلكها احد الاجانب فيقف رجال البوليس مكتوفي الايدي لان معاهدات الامتيازات (تحرم دخول رجال البوليس المصرى اى منزل أو محل من المحلات التي يمتلكها الاجانب) .

وان مثل تلك الحوادث كانت تحدث كل ليله في الاسكندريه ولكنها كانت قليلة الحدوث نسبيا في القاهره وهذا ما يستند اليه مستر " شيرد " ولكن لسهولة الاتصال بين المدينتين بواسطة السكك الحديديه الذى يستغرق ساعات قليله في الوقت الذى يسود الامن احدى المدينتين وتعم الفوضى المدينه الاخرى فأن ذلك يتيح الفرصة للمجرمين واللصوص لكي يبيعوا المسروقات التي سلبوها من الاسكندريه ان يبيعوها في القاهره فمثلا عندما سرقت احدى (بلات) المنسوجات التي يمتلكها احد الرعايا الاجانب في الاسكندريه والتي سرقها احد الايطاليين وجدت بعد ذلك محتوياتها تباع في القاهره .

والواقع انه اذ لم يستطع البوليس المصرى الحصول على حق إقتحام الحانات المعهوده الموجوده في مصر في ذلك الوقت وكذلك الفنادق والمحلات العامه . فأنه من المستحيل ايجاد نظام ثابت للمحافظه على ارواح وممتلكات الاهالي والاجانب على السواء . فيعم البلاد الفوضى .

I - Ibid.

وانه اذا طبق ذلك النظام فى احدى المدن دون الاخرى او اذا استثنى أماكن معينة لايجوز لرجال البوليس فى مصر ارتيادها فإن ذلك الاستثناء يحول ايضا دون استتباب الامن فى البلاد . وعلى العموم لم يلق هذا النظام أى احتجاج من القناصل السبعه عشر الممثلين للدول الاجنبيه فى مصر فى ذلك الوقت اللهم الا اعتراض بعض الرعايا الاجانب مثل (مستر شبرد)

وبالرغم من موافقة القنصل الانجليزى على هذا النظام فانه حذر الحكومه المصريه بأن أيه مضايقه للرعايا الانجليز من جانب رجال البوليس فى مصر فيما يختص بتطبيق النظام الجديد سوف يقابلها التدخل المباشر من السلطات البريطانيه . (١)

مما سبق يتضح حدوث الكثير من حوادث الشغب والسرقه والتزييف والنصب والاحتيال التى ارتكبها الاجانب فى مصر خصوصا فى عهد خلفاء محمد على الذين تساهلوا الى درجه كبيره مع الاجانب المقيمين فى مصر فى تلك الفتره مما أدى بالقناصل انفسهم الى مطالبة الحكومه المصريه بأتخاذ الخطوات اللازمه للمحافظه على أرواح وممتلكات الرعايا الاجانب التابعين لدولهم . وبالرغم من موافقة هؤلاء القناصل على النظام الذى وضعته الحكومه المصريه فيما يختص بالنظام الجديد الا أن معاهدات الامتيازات كانت تقف حائلا دون تطبيق ذلك النظام على الوجه الاكمل .

---

(١) Ibid.

الفصل العاشر

المحاكم المختلطة

Scanned by CamScanner

نوعى المحاكم القنصلية :

كان القضاء بمصر متعددا قبل أنشاء المحاكم المختلطه ، وكان ذلك على غير أساس لتعدد القنصليات وجهل المتعاملين بالقانون الذى ينظم علاقاتهم وأن ذلك المركز الشاذ لم يكن له أساس قانونى بل كان مبنيا على التعسف فى تفسير الامتيازات . فمعاهدات الامتيازات واتفاقيات تركيا والدول الاجنبيه نظمت القضاء على النحو الاتى فى جميع البلاد العثمانيه قبل أن يتم الاتفاق على أنشاء محاكم مصر المختلطه :

أولا : أذا كانت الخصومه مدنيه وكان النزاع تركى تختص المحاكم التركيه بقيود معينه فى نظر النزاع وتنفيذ الاحكام الصادره ضد الاجانب بمراعاة قيود خاصه .

ثانيا : أذا كان المجنى عليه تركيا وكان الجانى من رعايا أحد الدول صاحبات الامتياز تختص المحاكم التركيه بمحاكمة الجانى بشروط معينه .

ثالثا : أذا كان النزاع تجاريا تنظر المحاكم التركيه النزاع وينضم اليها أعضاء أجانب .

اما الشروط المعينه فى كل ما ذكر فلا تتعدى حضور القنصل أو ترجمان القنصليه المحاكمه وتوقيعه الحكم الذى يصدر .

رابعا : يخضع رعايا الدول الذين يملكون عقارا الى التشريع والقضاء التركى فى كل مايتعلق بالعقار كما يخضعون لمحاكم مخالفات البوليس التركيه وللتشريع التركى فى احوال مخالفات البوليس (١)

---

١) محمد عبد الهادى : الامتيازات الاجنبيه ص ٩ و ٨ ،

دكتور احمد الحصه : الاجانب فى مصر والسودان ص ٢١٩

وظلت المحاكم التركيه تحاكم الاجانب فى جميع الجرائم التى يرتكبونها ليس فقط ضد رعايا دوله آخرى وانما فى جميع الاحوال فأن حق محاكمة الاجانب أمام المحاكم التركيه كان متبعا فى القسطنطينيه والاقاليم الاخرى التابعه لتركيا[1] . وكان من الواجب بالطبع على محمد على ومن خلفه من الولاه احترام المعاهدات التى أبرمتها الدوله العثمانيه صاحبة السياده على مصر مع الحكومات الاوربيه وتنفيذ مامنحه سلاطين آل عثمان من الامتيازات الاجنبيه وورد بفرمان تولية محمد على باشا المؤرخ فى أول يونيه سنة ١٨٤١ أن جلالة السلطان يسلمه مقاليد الحكم على البلاد المصريه ولكن يلزمه أحترام جميع المعاهدات التى أبرمت والتى سيتم برمها بين الحكومه العثمانيه والدول المتحابه وقد أجاب محمد على على ذلك فى خطاب رفعه الى الصدر الاعظم فى ٢٥ يونيه سنة ١٨٤١ أنه سيقوم بتنفيذ جميع المعاهدات المذكوره بالديار المصريه والتى تقضى بمحاكمة الاجانب امام المحاكم التركيه فى منازعاتهم مع العثمانيين سواء كانوا مدعين أم مدعى عليهم بشرط حضور القنصل أو الترجمان وقت المحاكمه[2] .

وفى بداية عصر محمد على كانت جميع القضايا التى تحدث بين الاهالى والاجانب تفصل فيها المحاكم الاهليه والشرعيه طبقا لقواعد الامتيازات الاجنبيه[3] . وكانت الاحكام التى تصدرها المحاكم المحليه تستأنف فى المحكمه العليا بالاستانه[4] . وكانت [illegible] المحليه عهد محمد على يفصل فى قضايا الجرائم التى يقترفها الاجانب . وبعد الفصل فيها يرسل الجانى الى قنصله لتنفيذ الحكم ثم أشتركت الحكومه القنصل او المترجم فى تحقيق قضايا الجرائم والفصل فيهما ،

I - Mc.Coan: Egypt as it is .p.285.

٢ـ عمر لطفى (بك) الامتيازات الاجنبيه ص ٢٣

٣ـ أسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار جـ٢ ص ٣٠٢

٤ـ دفتر ٥٣١ المعيه تركى رقم ٥ فى ٢٨ جماد الثانى سنة ١٢٥١

رغبة في تنفيذ القنصل للحكم الذي يصدر على الجاني . غير أن القناصل أخذوا منذ سنة ١٨٤٨ في تحقيق تلك القضايا وحدهم أو بالاشتراك مع أحد موظفي الضبطية المحلية بحجة أن العقاب يجب أن يطبق وينفذ في بلادهم ولذا لا يكون للتحقيق قيمة إلا إذا كان وفق قوانينهم (١) .

وفي أغسطس سنة ١٨٥٣ تقرر أن دعاوى الديون والضرب والشتم والسرقة التي يكون فيها الأجانب مدعين والوطنيون مدعى عليهم . يرسلها القنصل إلى الضبطية لأجل تحقيقها وإذا تقدم الأجنبي إلى الضبطية مباشرة مدعيا أن أحد الوطنيين مدين له فلابد أن يحضر مكاتبة رسمية بذلك من القنصلية التابع لها في مدى ٢٤ ساعة وإلا يطلق سراح المدعى عليه ولا تسمع الدعوى . وإذا حضر المدين ضامنا وأخذ مهلة للدفع فلا يحبس . وإذا كان المدين معسرا وحرم من أجره اليومي الذي يتعيش منه بسبب الحبس . فإن الضبطية تخصص له أجرا في اليوم على قدر كفايته وتخبر قنصل الدائن بضرورة دفعه له . أما إذا كان المدين مقتدرا وامتنع عن الدفع وحبس لأجل تحصيل المطلوب منه فلا يعطى له الأجر المذكور (٢) .

وكان القنصل أو وكيله يحضر تنفيذ الأحكام وكان يحتج أشد احتجاج إذا أهمل ذلك فهذا محافظ دمياط في عهد سعيد باشا يعتذر لوكيل قنصل فرنسا لعدم إخطاره قبل تنفيذ الحكم في أحد الرعايا الفرنسيين وأن ذلك حدث (من أثر السهو لا لسبب آخر يرجع إلى تغير الصلات الودية بين الدولتين فإنه يسعى دائما إلى توطيد العلاقات الحسنة بين فرنسا ومصر) وبالطبع لم يرض هذا جناب القنصل واحتج لدى الخارجية على ذلك (٣) .

I - A.A:From Charles Hale.Alex.29-2-1888.

٢ـ قرار المجلس الخصوصي في ٢٥ رجب سنة ١٢٦٩ وعليه أمر الإجراء إلى الديوان الكتخدا وي في ٧ ذي القعدة سنة ١٢٦٩ (١٢ أغسطس سنة ١٨٥٣) (دفتر مجموعة أمور إدارة وإجراءات ص ٢٦٧ ـ ص ٢٦٨

٣ـ محفظة ٦٥ المعية تركي وثيقة ١٤٥ في ٢٥ رجب سنة ١٢٧٢

وكانت المحاكم القنصلية موجودة بالفعل لدى قنصليات أنجلترا وفرنسا وأيطاليـــــا فقط اما باقي الجاليات الاجنبية فيقوم بوظيفة القاضي فيها القنصل او نائبه او أي شخص يجد في نفسه ما يؤهله لتلك الوظيفة (١) وفي عهد سعيد باشا اتبعت تلك المحاكم خطة لاتحيد عنها هي الحكم دائما لمصلحة رعاياها المتخاصمين مع الحكومـــــة ولمقاومة القناصل انفسهم . وكان من بين ذوى السمعة السيئة في هذا الميدان القنصل الامريكي (ادوين دى ليون) De Leon الذى خرج بمغانم طائلة والقنصل البلجيكي (زيزينيا) والقنصل اليوناني (باستريه) والقنصل الفرنسي (ساباتييه) والقنصل النمساوى (شرايز) ومن الافراد العاديين (برافاى) Bravay (وسكاكيني) Sakakini و(باولينو) Paolino وهو يوناني الاصل وان كان بولنديا و(كستليني) Castellarin وهو نمساوى الجنسية . وقضية هذا الاخير مشهورة تتلخص في انه طالب وحصل من الحكومة المصرية على تعويض عن تلف اصاب كميات من دود القز كان احضرها من الصين لحساب بعض المصانع الايطالية والفرنسية فتلفت اثناء عبور الاراضي المصريـــــة الى اوربا وقد ايد هذه الدعوى القنصل النمساوى (شرايز) .(٢)

وكان معظم قضاة المحاكم القنصلية من التجار الذين لا يجلسون على مقاعد القضاء الا بصفة استثنائية ورجال هذا شأنهم لا يمكن ان يتخلصوا من التعصب للجنسية والتأثر بمصالحهم الشخصية كتجار واصحاب ،

I - A.A: From Beardsley.Cairo;10-9-1873.

٢ ... دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان صـــــــ ٥١ .

صالح على الصميم (١) واذا وجد الشخص المناسب لتلك الوظيفة فانه يجمع شملها بحسن قوانين ستة عشر دولة اجنبية حيث ان القناصل يقومون بتطبيق قوانين بلادهم في القضايا التي تعرض عليهم . واذا عرفنا ان معظم هؤلاء القناصل كانوا من الجنسيات التي تختلف عن الدول التي يمثلونها يتضح لنا ان تطبيق قوانين تلك البلاد يكون معها لجهلهم بتلك القوانين . وبهذا وجدت في مصر حوالي ستة عشر (٢) محكمة قنصلية او اجنبية واذا تعدد المدعى عليهم في احد القضايا وكانوا من الجنسيات المختلفة فلا بد ان يلجأ صاحب الحق الى محاكم قنصلية متعددة . ونظرا لان القوانين التي كانت تطبقها تلك المحاكم غير موحدة فقد وجد تعارض في الاحكام التي تصدرها تلك المحاكم (٣) كما ادى ذلك الى ارهاق المدعي وتحمله رسوما مضاعفة امام تلك المحاكم المختلفة (٤).

ويبدو ذلك جليا في الحوادث الجنائية من جنايات او جنح او مخالفات اذا كانت الجريمة الواحدة قد ارتكبها مجرمون عدة ، فان الحادثة الواحدة يحكم فيها قضاة بقدر تعدد جنسية المتهمين وتطبق على الجريمة الواحدة قوانين بعدد المحاكم القنصلية وكما سبقت الاشارة كثيرا ما يقع تناقض في الاحكام او تفاوت في العقوبات بحسب القوانين التي تطبقها المحاكم او بحسب عقلية القضاة الذين يصدرون تلك الاحكام (٥).

١ــ محمد عبد البارى / الامتيازات الاجنبية ص ٨٢

٢ــ F.O : to Mr. [illegible] 9-7-1[illegible]5[illegible].
[illegible] - A.A[illegible] from Beardsley, Cairo. 10-[illegible]-1[illegible]73.

٣ــ محمد عبد البارى: نفس المصدر السابق ص ١٠٣.

٤ــ احمد شفيق: مذكرات في نصف قرن ج ١ ص ٧٦.

٥ــ عزيز خانكى: المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية ص ٢٦.

وكان المصرى حكومة وشعبا أشد الناس تعرضا لمساوىء ذلك النظام بل الفوضى وكثيرا ما كان يحتال الاجنبى لتعطيل الحكم النهائى الذى يحصل عليه الوطنى فكان الاجنبى اذا حكم عليه بالاخلاء مثلا يتنازل الأجنبى لآخر عن الارض أو العقار المحكوم بتسليمه فيضطر الوطنى الى رفع دعوى جديدة على الاجنبى الجديد أمام المحكمة القنصلية الجديدة التابع لها خصمه الجديد فيتحمل رسوم جديدة ومصاريف جديدة ويقضى الشهور بل السنون قبل أن يحصل على حقه . لقد حدث لشركة قناة السويس انها أجرت بيتا لها ببورسعيد الى اجنبى فتأخر عن دفع الايجار فأعلنته أمام محكمة القنصلية فتنازل عن الاجارة لاجنبى آخر من جنسية أخرى فأهملت الشركة القضية الاولى ورفعت قضية أخرى امام محكمة أجنبية فتنازل هذا عن الاجارة الى أجنبى آخر من جنسية خلاف جنسيته فاضطرت الشركة الى أهمال القضية الثانية ورفعت قضية ثالثة فعمل الثالث ما عمل الثانى فيئست الشركة من أمكان حصولها على حقها فأهملتها ولم تعد الى المطالبة بها الا بعد أنشاء المحاكم المختلطة (1) .

وكما سبقت الاشارة أصدرت المحاكم القنصلية أحكاما كثيرة لصالح رعاياها وحقهم فى مطالبة الحكومة بتعويضات بمساندة هؤلاء القناصل بكل ما لديهم من قوة ونفوذ . وحتى أن أحدهم وهو القنصل الامريكى (ماكولى) قطع علاقات بلاده بمصر رغبة فى الضغط على حكومة عباس الاول لتعويض أحد الرعايا الامريكيين عن مخبز كان يستأجره بالاسكندرية أزالت الحكومة بناءه سنة ١٨٤٦ عند توسيعها شوارع المدينة وأعطت تعويضا لاصحاب المنزل الذى يقع فيه المخبز وبذلك اضطرت الحكومة الى دفع ٨٠٠٠ دولار تعويضا لهذا الامريكى دون وجه حق (2)

1- نفس المصدر السابق ص ٢٦ - ص ٢٢

2- دكتور احمد الحته : التمثيل القنصلى و الدبلوماسى للولايات المتحدة فى مصر فى القرن التاسع عشر ص ١٢

وكان بعض الاجانب يرشون القناصل ولذا كان الحكم النهائى دائما [بقضى] بالزام الحكومه بدفع مبالغ طائله • ولقد بلغت مجموع المبالغ التى كان الاجانب يطالبون بها الحكومه الى وقت أنشاء المحاكم المختلطه ٤٠ (اربعون مليون جنيه) وأن أحد هؤلاء الاجانب كان يطالب الحكومه بمبلغ (١,٤٠٠,٠٠٠) جنيه فلم يحكم له الا بمبلغ ١٠٠٠ جنيه فقط وهذا يدل دلاله واضحه على مدى جشع وطمع هؤلاء الاجانب • (١)

والادهى من ذلك أنه أذا خسر المصرى دعواه وأراد أستئناف الحكم فأن الاستئناف يرفع الى محكمة أكس (Aix) بفرنسا أذا كان خصمه فرنسيا أو محكمة أنكونا (Ancona) أن كان أيطاليا • أو محكمة (شتيتين Stettin) أن كان المانيا أو محكمة (أودسا Odessa) أن كان روســيا أو محكمة (تريستا Trieste) أن كان نمساويا أو محكمة اثينا Athénes (Athénes) أن كان يونانيا أو محكمة لندن (London) أن كان أنجليزيا أو محكمة (نيويورك New York) أن كان امريكيا ... وهكذا وأذا كسب الدعوى وأستأنف خصمه تعطل تنفيذ الحكم حتى تحكم فى الاستئناف محاكم فرنسا او محاكم ايطاليا او محاكم المانيا او محاكم روســيا او محاكم النمسا او محاكم اليونان او محاكم انجلترا • (٢)

وأبشع أحوال الفوضى كان فى المسائل العقاريه فبينما كانت تركيا تحظر على الاجانب أمتلاك الاطيان والعقارات فى بلادها (الى أن صدر قانون ١٦ يونيه ١٨٦٧) الذى أباح لهم امتلاك الاطيان والعقارات فى بلاد الدوله العثمانيه ماعدا بلاد اليمن والحجاز) كان محمد على بالعكس قد أذن لهم امتلاك الاراضى والعقارات ،

١ـ عزيز خانكى : نفس المصدر السابق ص ١٣٧

٢ـ نفس المصدر السابق ص ٢٦

فى مصر بل أنه هو وخلفاؤه أقطعوا الاجانب مساحات شاسعه من الاطيان مجانا وبينما كانت المنازعات الخاصه بالملكيه العقاريه داخله أيضا فى أختصاص المحاكم العثمانيه جرى العرف فى مصر على أن تسوى جميع المنازعات الخاصه بالاطيان والعقارات بالطرق السياسية وبقيت الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٨٥٠ حيث أستأثرت المحاكم القنصليه بنظر جميع المنازعات الخاصه بالاطيان والعقارات فكانت أطيان القطر المصرى يسرى عليها ١٦ قانونا أجنبيا تطبقها ستة عشر قنصليه أضرارا بالسلطه القوميه الاهليه وأن تعدد المحاكم وتنوع القوانين أعدما كل الثقه بالمعاملات العقاريه . (١)

ولما كانت لا رابطه بين المحاكم القنصليه فقد كان من المتعذر ... الاطمئنان الى أساس ثابت للعدل وكانت تلك المحاكم تخشى أذا هى عاملت الملتجئين اليها من جنسيات اجنبيه بالحيف أن تنتقم المحاكم القنصليه الاخرى من رعاياهم . من ذلك أنه أذا لم يجد الاجنبى من قنصليه خصمه عدلا كان يشكو الى قنصله وأذا ماتدخل قنصل خصمه يقوم شقاق بين القنصلين يجر وراءه مشاكل سياسيه عديده .

حدث أن أقام يونانى دعوى على فرنسى امام المحكمه القنصليه الفرنسيه يطالبه بقيمة سند موقع عليه منه فلما فتحت الجلسه ونودى على القضيه حضر المدعى اليونانى وخصمه الفرنسى امام المحكمه فسأل القنصل الفرنسى ؟

---

١ - نفس المصدر السابق ص ٢٧ / ٢٨

الرجل اليوناني (هل أنت يوناني من رعايا الحكومة المحلية أم يوناني من رعايا دولة اليونانية) فأجاب الرجل (أنا يوناني من رعايا دولة اليونان) عند ذلك التفت رئيس الجلسة وهو القنصل الفرنسي الى كاتب الجلسة وقال له (قررنا شطب القضية) فبهت المدعي فالتفت القنصل الفرنسي وقال له (أذهب وقل لقنصلك أنه متى وجد رعايانا الفرنسيون منكم عدلا يجد اليونانيون رعايا دولتنا عدلا)(١)

وكانت طلبات الاجانب من الحكومة تحصل بأحد طريقتين اما بعرضها على محكمة اجنبية او بعرضها على لجنة قضائية يختار أعضاءها القناصل من جانب والحكومة المصرية من جانب آخر على وضع الاجراءات الواجب اتباعها .

فهذا محافظ الاسكندرية في عصر سعيد باشا يختار موظف معتمد من جانب الديوان ورجل معتمد من جانب القنصلية الانجليزية للنظر في الاحتجاج المقدم من احد رعايا الانجليز ضد الحكومة المصرية .(٢)

وكذلك تم تعيين لجنة ممثلة فيها الحكومة ومندوب عن احد الرعايا البولنديين للنظر في القضية التي بين الاخير وديوان البحرية .(٣)

ولما كثر عدد القضايا التي رفعها الرعايا النمساويون على الحكومة اتفقوا لنظرها لجنة خاصة مشكلة من اربعة قضاة أوروبيين تحت رئاسة احد باشوات مصر ولكنهم اشترطوا الا يكون لهذا الباشا رأي الا اذا تساوت الآراء جاز للجنة أن تعين ثلاثة قضاة أناسيين لترجيح رأي على رأي .

١- نفس المصدر السابق ص ٣٢

٢- محفظة ٦٢ معية تركي وثيقة ١٢٣ في ٨ رجب ١٢٧٦

٣- محفظة ٢١ " " " " ١٢٢ في ٦٥ رجب ١٢٢٩ .

وشكلوا لجنة مثلها لرعايا اليونان ولرعايا روسيا ومن الغريب انهم لم يقصروا ولاية

هذه اللجان على نظر القضايا التى يرفعها الاجانب على الحكومة المصرية بل مدوا

ولايتها فى بعض الحالات على القضايا التى يرفعها الاجانب على المصريين بوجه عام

وعلى ذوى النفوذ منهم بوجه خاص •

(١)

فمثلا تكونت ايضا لجنة للنظر فى النزاع القائم بين يعقوب مكين والخواجه فريت وحسم النزاع

وكذلك اللجنة التى شكلت للنظر فى النزاع القائم بين الخواجه اسكندر تمساوانى وشركاه

مع احد المصريين ويدعى محمد حجاج والتى انتهت بالحكم لصالح الخواجه اسكندر

(٢)

تمساوانى •

ولاكراه المصريين على قبول احكام هذه اللجان وعدم استئنافها اشترطوا فى كثير من

قضايا اليونانيين والنمساويين وغيرهم ان يرفعوا الاستئناف امام محاكم القسطنطينية وان

يكون ميعاد الاستئناف ٣٠ يوما فقط • وان يودع المستأنف تامينا قدره ٢٥٠ ريالا

اذا كانت قيمة الدعوى تقل عن خمسة الاف ريال فاذا زادت كان التامين ٥٠٠ ريال

على ان يمنح هذا التامين الى الخصم الذى يكسب الاستئناف تعويضا له عما يكون

قد انفقه من المصروفات • واعفوا بعض اللجان من تطبيق قانون معين وتركوا لهم

(٣)

حرية الحكم بحسبما تمليه عليهم ضمائرهم ••

وعلى العموم كانت الحالة القضائية فى مصر تشبه الفوضى فاذا تعاقد اثنان

كانا يجهلان الجهة القضائية التى ولجان اليها فى حالة قيام نزاع بخصوصها

وعند الدخول فى اجراءات القضية كان كل من الطرفين يحاول ان تنظر القضية بواسطة

القنصل التابع له حتى يتمكن من الحصول على حقوق غيره وقد تنظر القضية اكثر من

(٤)

مرة •

١ـ دفتر ٤٨ المعية السنية عربى ص ٣٦٢ فى ٥ جماد اول سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠)

٢ـ ـ ٦١ ـ ـ ـ ـ ـ

وكان القضاء القنصلي عقبة في سبيل المصالح الاجنبية ذاتها . فلأن الاخذ بالمبدأ القائل " إن المدعى يقاضى امام المحكمة التابع لها المدعى عليه " ولان استئناف الاحكام القنصلية امام المحاكم الفرنسية في بلاد القنصليات الفرنسية موجبا لارتباك التقاضي وضياع الحقوق فيما يختص بالاجانب كما كان ذلك النظام عقبة في سبيل استخدام ذوي الكفاءة من الاوربيين وذلك لان الحكومة المصرية ازاء تحيز القنصليات لرعاياهم واخذها بناصرهم محقين كانوا او على الباطل ولا سيما ازاء التجاء تلك القنصليات الى الوسائل والمؤامرات السياسية في تنفيذ الاحكام الجائرة التي تصدرها اصبح لا يستطاع مطلقا استخدام اجنبي متخصص في علم او فن لتستخدمه في مصالحها خوفا من ان يسيء استعمال سلاح المطالبة بتعويض وهو السلاح الموضوع في يده من ذلك النظام الجائر .

ومما ادى الى استبداد القناصل في اصدار احكامهم الجائرة انه لم تكن للحكومة المصرية اية سلطة بالنسبة للمحاكم القنصلية او الاعتراض على احكامها (1) .

مما سبق يتضح ان النظام القضائي القنصلي كان بعيدا كل البعد عن تحقيق العدالة اللازمة لاطمئنان المتعاملين (وطنين او اجانب) ذلك الاطمئنان الذي لابد منه لايجاد الثقة في النفوس وانتعاش الحياة الاقتصادية . مما ادى الى تقدم نوبار باشا وزير خارجية اسماعيل بمشروعه لانشاء المحاكم المختلطة لكي يضع حدا لفوضى المحاكم القنصلية .

I - Colvin(Sir Auckland): The Making of Modern Egypt.p.203.

المحاولات التي بذلت للحد من نفوذ المحاكم القنصلية قبل مشروع نوبـــار:

والى جانب المحاكم الاهلية والمحاكم القنصلية كان يوجد في عصر محمد علي نوعا اخـــر وهو مجالس التجار او المحكمة التجارية في كل من القاهرة والاسكندرية وهذه المحاكم غير مرتبطة بحدود القوانين الاسلامية وتتألف من التجار بدلا من رجال الدين وتنظر في المنازعات التجارية ، خاصة تلك المنازعات التي تنشأ بين المسلمين والمسيحيين بوجه عام . ومما يلفت النظر ان اغلبية اعضاء هذه المحاكم من التجار الاجانب فمثلا في محكمة الاسكندرية والتي كانت تتكون من تسعة اعضاء كان يوجد بينهم فقط اربعة من المسلمين أما الخمسة الاخرين فاحدهم فرنسي والثاني يهودي واثنان من المسيحيين والخامس سوئاني[1] . وكانت القضايا التجارية بين الاجانب والوطنيين من اختصاص تلك المحاكم . غير ان القناصل ادعوا في اخر الامر الحق في نظر القضايا التجارية التي يكون فيها اشخاص من رعاياهم مدعى عليهم كما انه في كثير من الاحيان رفضوا الاعتراف باختصاصات تلك المحاكم حتى في حالة ما يكون المدعى عليه من الوطنيين بحجة عدم الثقة في اعضائها[2] وكانت الاحكام الصادرة من احدى المحكمتين (في القاهرة والاسكندرية) تستأنف امام الاخرى وكان لدى كل محكمة مترجم وباشكاتب وكاتب ومحضرون معينون كلهم من لدن الحكومة المصرية ويتقاضون رواتبهم منها كذلك كانت نظارة الحقانية تعين ايضا رئيس كل محكمة من المحكمتين بالراتب الذي تراه . وكان المحلفون في هاتين المحكمتين ينتخبون من بين ٢٤ تاجرا يحصر فيهن عدد اكبر من هذا بالاسكندرية تكتب

1 - Dodwell(H):THE Founder of Modern Egypt.P.229.

2 - A.A: From Charles Hales.Alex.29-2-I..8.

اسمائهم فى كشف تقدمه المحافظه الى نظارة الحقانيه فتعين هذه اثنى عشر شخصا محلفين اصليين واثنى عشر اخرين نوابا عنهم فى غيابهم . اما المحلفون الاجانب فكانت الحكومه تنتخبهم من بين عدد من وجهاء تجار الجاليات الغربيه وتقدم القنصليات كشوفا باسمائهم الى الوزاره نوبيا . (١) وفى سبتمبر سنة ١٨٦١ صدرت لائحة تنظيم تلك المحكمتين الموجودتين بالقاهره والاسكندريه تتلخص فيما ياتى :

١ — ان تحرر كل قنصليه قائمه باعيان رعاياها وترسلها الى اقدم القناصل العامين كى يتمكن من جمع كافة الاعيان فى جمعيه عموميه لانتخاب الاعضاء الاوروبيين .

٢ — تنتخب الجمعيه العموميه المؤلفه من اعيان الاوربيين برئاسة اقدم القناصل العامين اثنى عشر عضوا واثنى عشر نائبا من الاوربيين فى السنه ويجلس كل عضو للحكم شهرين بشرط ان يكون الاول والثانى فى الشهر الاول والثانى والثالث فى الشهر الثانى والثالث والرابع فى الشهر الثالث وهكذا حتى الشهر الاخير يكون فيه الثانى عشر والاول . وبذلك يتجدد عضو من العضوين الاوربيين كل شهر .

٣ — تنعقد جمعيه عموميه من الاهالى برئاسة كل من محافظ الاسكندريه ومحافظ القاهره وتنتخب اثنى عشر عضوا واثنى عشر نائبا من الاهالى فى السنه وتعرض الاعضاء والنواب على الوالى لاعتمادها . ويجلس كل عضو للحكم شهرين بنفس الكيفيه السابقه .

٤ — يرسل اقدم القناصل العامين قائمه باسماء الاعضاء الاوربيين الى رئيس المجلس (المحكمه) كما ترسل اليه قائمــة ..

---

١ — الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل جـ ١ صـ ١٩٥ ، ٢٠٥ .

امين سامى : تقويم النيل وعصر عباس الاول وسعيد صـ ١٦٠ .

الاعضاء من الاهالي بعد اعتمادها من الوالي ويجب اعلان هاتين القائمتين في محل انعقاد المحكمة التجارية كما يجب نشرها في احدى جرائد التجارة في البلد • ويكون ترتيب اسماء الاعضاء في القائمة بالقرعة وترسل ايضا الى رئيس المحكمة قائمة باسماء نواب الاعضاء الاوربيين وبالكيفية السابقة كما ترسل اليه قائمة باسماء نواب الاعضاء من الاهالي ويكون ترتيب اسماء النواب بالقائمتين بالقرعة •

٥ ـ يكلف رئيس المحكمة الاعضاء الحضور للقيام بوظيفتهم واذا كان لدى الاعضاء مانع شرعي من الحضور يطلب رئيس المحكمة نواب الاعضاء على حسب رقم ترتيبهم للحلول محلهم

٦ ـ تتكون المحكمة التجارية (مجلس التجار) عند الانعقاد من الرئيس واربعة اعضاء نصفهم من الاهالي والنصف الاخر من الاوربيين وتستأنف احكام محكمة الاسكندرية في القاهرة واحكام محكمة القاهرة في الاسكندرية ويجب على الرئيس قبل انعقاد كل جمعية ان يتحقق من اعداد الاعضاء او نوابهم اللازمين للجمعية •

(٩)

٧ ـ يجب ان يكون بحجرة كتاب المحكمة:

أ) دفتر تقيد فيه السندات والتقارير والاوراق وكل ما يقدمه الخصوم من الاوراق بشرط ان يكون القيد على حسب تاريخ وترتيب تسليمها •

ب) دفتر فهرس تقيد فيه الدعاوى التي استوفت فيها المكاتبة والسندات وصارت صالحة للحكم فيها • ولا يجوز الحكم في اية دعوى قبل حلول دورها بموجب دفتر الفهرس ولا يجوز تغيير الترتيب المقرر في دفتر الفهرس للحكم في الدعاوى الا بقرار مسبب يدرج في ضبطية قرارات المحكمة •

ج) ضبطية المحكمة تدرج بها جميع الاحكام والقرارات التي تصدرها جمعيات المجلس ونتيجة الاحكام الصادرة •

ويوقع عليها الاعضاء الحاضرون فى اثناء الانعقاد ، وزيادة على ذلك تستعمل الدفاتر والسجلات الاخرى المستعملة فى حجرة كتاب المحكمة الاخرى .

-يعين احد المستخدمين ويعين تاجر يختاره القناصل العامون للتفتيش سنويا على محكمتى التجارة بالقاهرة والاسكندرية رغبة فى التحقيق من تنفيذ مواد تلك اللائحة والمطالبة بتوقيع الجزاء بالغرامة وغيرها على من يثبت عليه التقصير ، سواء كان رئيس المحكمة او النائب او كاتب او احد المستخدمين .

٩ - تنعقد جمعيات المحكمة فى كل اسبوع بنسبة عدد الدعاوى ، ومدة كل جمعية لا تقل عن ساعتين متتاليتين ، ومن واجبات الرئيس تعيين ساعات الجمعيات بمعرفة المحكمة واعلانها فى مكان انعقادها .

١٠ - يجب على رئيس المحكمة ان يدرج بالتوالى فى جرائد التجارة او فى جريدة (مخصوصة) أحرى لذلك ترجمة باللغة الفرنسية لنتيجة الاحكام الصادرة فى المحكمة التجارية .(١)

وعلى الرغم من تنظيم محكمتى التجارة فى القاهرة والاسكندرية فان تلك المحكمة كانت تفصل فى الواقع فقط فى القضايا التى يكون فيها المصرى مدعى عليه ، بينما استمرت اختصاصات القناصل القضائية كما هى .(٢) وقبل تأسيس المحاكم المختلطة بذلت عدة محاولات فى القسطنطينية للتخفيف من هذه المشاكل الناجمة .

---

١) دفتر مجموع ترتيبات ووظائف ص ٦٥ و ٥٨ : لائحة ارسلت مبالافادة من عريف باشا الى مجلس التجار فى ٢٩ صفر سنة ١٢٢٨ (٥ سبتمبر سنة ١٨٦١)

2 - Brinton;op.cit.pp.I2,I3.

ففي سنة ١٨٢٠ عقدت اتفاقية بين مندوبي فرنسا وانجلترا والنمسا وروسيا لتكوين لجنة للنظر في القضايا التي يكون طرفي النزاع فيها من جنسيات مختلفة . وكانت تلك اللجنة تتكون من ثلاثة أعضاء اثنان يختارهما القنصل والثالث من قنصلية المدعى وظلت تلك اللجنة تمارس عملها في تركيا حتى سنة ١٨٦٤ حيث أصبح عملها بناء على قرار محكمة الاستئناف الفرنسية في أكس (Aix) والتي قررت أن تشكيل تلك اللجنة لا يستند الى قاعدة قانونية وأن النصوص قراراتها يجب أن يكون اختياري بحت . وفي تلك الاثناء ونتيجة للاصلاحات التي قامت في تركيا سنة ١٨٢٦ طرأ تغيير على نظام القضائي الذي استقر بصفة نهائية في ظل الامتيازات الاجنبية حيث كانت قضايا الاجانب ترفع أمام المحكمة التركية العليا شكلت محكمة تجارية مختلطة تتكون من تجار الاتراك والعرب من الاجانب يختارهم الاطراف المتنازعة وقد عمل تعديل على تلك المحكمة سنة ١٨٤٨ واصبحت تتكون من اربعة عشر قاضيا نصفهم من الاتراك والنصف الآخر من الاجانب برئاسة وزير التجارة في تركيا أو من يحسوبيته (١) .

وقد قامت انجلترا عن طريق سفيرها في القسطنطينية والقنصل الانجليزي في مصر بعدة محاولات لكي تجعل الباب العالي يعمل على انشاء محكمة مختلطة في مصر في عهد عباس باشا الاول (٢) وبالفعل اصدر الباب العالي فرمانا سنة ١٨٥٠ وذلك قبل أن يتم التفاهم بين عباس والانجليز الذي بدأ في فبراير سنة ١٨٥٢ بانشاء محكمتين مختلطتين تجاريتين احداهما في القاهرة والاخرى في الاسكندرية وفي عهد عباس العمـــــل .

I - Britnton:op.cit.pp.IO;II.

2 - F.O:From Murray to Palmerston,Cairo,19-3-1849.;
From Cunning to Palmerston , Constantinople,
5-5-1849.

بهذا المشروع حرصا على سلطانه الداخلي في الوقت الذي كان يناضل فيه لمنع تطبيق (التنظيمات العثمانيه) ولمنع التدخل العثماني في شئون باشويته الداخليه (١) •

واكتفى عباس بإصدار لائحه في سنة ١٨٥٢ لتنظيم احوال الاجانب في مصر جاء فيهـا أن الاجنبي الذي يضبط سائرا بلا فانوس بعد غروب الشمس بثلاث ساعات في الاسواق والحوارى والازقه تطلب الضبطيه من قنصله مجازاته على حسب قانونه اما السكارى من الاجانب اذا تشاجروا ليلا في محل بيع الخمر والمقاهي والمحلات المماثله لذلك فانهم يرسلون الى قناصلهم لمجازاتهم واذا تطاول الاجنبي باللسان او باليد على احد موظفي الضبطيه في اثناء تأدية وظيفته فانه يرسل الى القنصل التابع له لمجازاته واذا حمل الاجنبي أسلحه بدون ترخيص فانه يرسل ايضا الى قنصليته لمجازاته • واذا اقترف احد الاجانب ذنبا وثبتت عليه الجنحه يرسل تقرير بذلك الى القنصل التابع له لمجازاته وعلى القنصل أعلان الضبطيه بالجزاء الذي يحكم به على ذلك الاجنبي (٢) •

اما سعيد باشا فقد حاول أن يحد من سلطان القناصل والمحاكم القنصليه ولاسيما بمسألة التعويضات وأن يسترجع لحكومته هيبتها المفقوده • وبذلك يأدخال نوع من الاصلاح القضائي الذي يلائم على الاقل بين ما للباشويه من حقوق في السياده الداخليه وبين الحقوق التي أغتصبها القناصل أستنادا على معاهدات الامتيازات الاجنبيه التي أخضعت الاجانب لسلطة هؤلاء القناصل وحدهم • كانت أولى المحاولات في سنة ١٨٥٧ عندما وصل سعيد باشا الى اتفاق مع القناصل في أغسطس وسبتمبر ،

١ـ دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص٩٢ •

٢ـ دكتور احمد الحته : الاجانب في مصر والسودان ص ٢٢٠ نقلا عن قرار المجلس المخصوص في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٩ وعليه أوامر الى الديوان الخديوي في ١٦ ذي القعده (٢ أغسطس ١٨٥٣) (دفتر مجموع امور أداره واجراءات ص ٢٦٥)

من هذا العام لتنظيم احوال الاجانب فأصدر (لائحه عموميه فيما يختص بترتيب ضبط وربط الاجانب بمملكة محروسة مصر القاهره) وأفصح سعيد عن غرضه من استصدار هذه اللائحه بأنه لم يكن الا افتئات على معاهدات الامتيازات التى قالت بحاجة اللائحه لأنها (كانت رابطة واساسا لمعاملة الحكومه للاجانب)[1]

وقد شكلت لجنه فى ديوان الخارجيه دعى اليها سته من كبار القناصل لوضع ما يشبه القانون بخصوص ضبط احوال الاجانب وادخالها تحت نظام معين لاستكمال اسباب الراحه والاطمئنان وبعد عدة جلسات انتهى وضع اللائحه المطلوبه[2] .

وفى نوفمبر سنة ١٨٥٧ صدرت اللائحه التى جاء فيها أن الاجانب اصحاب الفنادق والمنازل المهيأه والعنابر المفروشه والمقاهى ومحلات الطعام او بيع الشراب اذا خالف احدهم الاحكام المقرره على تلك المحلات فأن مأمور الضبطيه يخبر القنصل بالمخالفه ويطلب منه مجازاة المخالف على تفريطه اما اذا كانت المخالفه تضر بالامن العام فأن على الحكومه المحليه ان تطلب من حكومة المخالف اغلاق محله بالكليه او لمده معينه واذا حدث فى تلك المحلات مشاجره من الاجانب او اصابات اتراتيه وهجوم على أشخاص آخرين ففى الحال تضبط القوه العسكريه هؤلاء الاجانب وتسليم الى القراقول القريب من محل الحادثه او مأمور الضبطيه وعندئذ تبلغ الضبطيه قنصلياتهم بما حدث منهم ..

١- دكتور محمد فؤاد شكرى : نفس المصدر السابق ص ٥١

٢- محفظه ٤٩ المعيه تركى وثيقه ١١٦ فى ١٩ محرم سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

وقد قررت اللائحة خضوع الاجانب لقوانين الامن العام والمحافظة على الصحة والنظافــــة والاضاءة وضبط وربط الحارات والاسواق والمتنزهات العمومية مثلهم في ذلك مثل الوطنيين واذا حدثت مخالفة من أجنبي فيما يختص بحركة الضبط والربط فان مأمور الضبطية يحـــرر قنصليته بدون تأخير بتلك المخالفات ويطلب معاقبته قانونيا واذا حدثت في الطرق العمومية أمور مخلة من الاجانب مثل مشاجرة او أعتداء او سرقة او تعد على حق أي شخص سواء أكانوا هم المحدثين لتلك الامور او مشتركين مع غيرهم في حدوثها فان القوة العسكرية تضبطهم وترسلهم الى القراقول القريب من محل الحادثة او الى مأمور الضبطية وتبلغ قنصلياتهم بحادث ضبطهم .

وقد جاء في اللائحة فيما يختص بالتحقيقات الابتــدائية وتوقيع الحكم أن الاجنبي الذي يفعل الذنوب والجنايات والمخالفات الفاحشة والمخلة بنظام البلد والامن العام يضبط وتبلغ قنصليته بأسباب حجزه ويحجز المتهم في سجن الضبطية مدة التحقيق الابتدائي أو في سجن القنصليـــة أن طلبت القنصلية ذلك وتكفلت به ويجري التحقيق الابتدائي في ديوان الضبطية بحضـــور مندوب القنصلية التابع لها المذنب ومأمور ضبط وربط الاجانب ويتكون التحقيق من بيان الواقعة وتحرير الشهود واجوبة المذنب ثم يرسل المتهم الى قنصليته مع مذكرة بالتحقيق ونتائجه وملحوظات مندوب القنصلية واذا اتضح لمأمور الضبط من التحقيق أن دعوى المدعي باطلــــة فله الحق في عدم قبول اقامة الدعوى واذا اقترف الاجنبي ذنبا او جناية وثبت عليه ذلك في التحقيـــق الابتدائي فان مأمور الضبطية يطلب من القنصلية التابع لها المتهم مجازاته على ما فعل وترســل الضبطية المحلية الشهود من الوطنيين الى المجلس القنصلي حيث تجرى محاكمة المتهم وبعد انتهاء المحاكمة وصدور الحكم على المتهم ترسل القنصلية صورة الحكم الى مأمور الضبطية واذا كان الاجنبي الذي اقترف الذنب او الجناية او المخالفة غير تابع لاحدى القنصليات ،

فان مأمور الضبطيه يطبق عليه القوانين المحليه (١) .

ولكن لما كانت الحكومه قد عجزت في هذا التنظيم الجديد عن تجريد القناصل تماما من الحقوق التى أكسبهم اياها العرف . فقد صارت هذه المحاوله عديمة النفع ولم تسترد الحكومه شيئا من هيبتها او سلطتها المفقوده واتجه تفكير سعيد لانشاء محاكم مختلطه في أستطاعتهــــا بحث القضايا الجنائيه والمدنيه (التجاريه) على غرار ماحدث في تركيـا .

فـفي سنة ١٨٥٦ قرر السلطان العثماني أنشاء محاكم مختلطه في أنحاء الامبراطوريه العثمانيـه للفصل في جميع القضايا بين الاجانب والوطنيين (٢) . وبالرغم من تشجيع أنجلترا لفكرة أنشـــاء تلك المحاكم المختلطه في مصر في ذلك الوقت (٣) . الا أنه عندما وصلت الى مصر نسخة من الفرمـان الخاص بأنشاء تلك المحاكم لتطبيقــه فيها قدمها سعيد باشا للقناصل العامين ولكنهم رفضـوا أنشاء تلك المحاكم وفي رسالة من القنصل الامريكى دى ليون (De Leon) الى حكومـته أوضح الاسباب التى أستند اليها في رفض أنشاء مثل تلك المحاكم قائلا أنه يعترض أنشـــاء المحاكم المقترحه لبعض الصعاب منها عدم وجود لغه واحده متداوله تسهل الاتصال بين تلـك المحاكم والمتقاضين . كما أن معظم الشرقيين لا يعرفون الا اللغه العربيه وأن أفراد كل جاليه أجنبيه يجهلون لغة الجاليه الاخــرى . واستطرد قـائلا :

١- لائحه عموميه بترتيب وضبط الاجانب في غاية ربيع أول ١٢٧٤ (١٨ نوفمبر ١٨٥٧) (دفتر مجموعه أمور أداره وأجراءات ص ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٣)

— 2 - A.A; From Edwin de Leon.Alex,I-5-I856.

— 3 - F.O: To Mr. Brue,26-2-I856.

"أن نعيشا كعصبة مصرية في تلك العهد يحتم علينا أن يحفظوا حياتهم منفصلين وأن يدفنوا منفصلين كذلك بعضهم عن بعض . كل في مقبرة أذا اجتمعوا معا ليكونوا محكمة مؤلفة من عدة مسلمين وأرمن ولاتين ومسيحيين روم أرثوذكس وكريك مسيحيين كاثوليك وأقباط أرثوذكس وكريك وأقباط كاثوليك ويهود قد يحتاجون لكي يمنعوا من أن يخنق بعضهم بعضا الى أن يستحضر منهم بعصا الكرباج وهو أسمى أدوات القضاء المصري ." (١)

وبذلك ظل الصراع واستمرت قضايا الاجانب تتخذ قضايا الافراد والاماكن خاضعة لقضاء القناصل في المحاكم القنصلية والقضاء الدبلوماسي وهذا الامر الاخير من القضاء بدأ في مصر منذ ما أخذ القناصل العامون يتناقشون في دعاوى رعاياهم ضد الحكومة المصرية بنفوذهم الدبلوماسي في عهد عباس الاول وسعيد . (٢)

وفي يونيه سنة ١٨٦٠ اتفق شريف باشا وزير الخارجية المصرية مع ممثلي الدول الموقعة على معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ على أنشاء محكمة مختلطة في الاسكندرية للفصل في الدعاوى التي يقيمها الاجانب ضد الحكومة المصرية أو أفراد الاسرة الحاكمة على شرط أن يكون مبلغ الدعوى أزيد من (٥٠٠٠ فرنك) وبأن تتكون المحكمة من رئيس وأعضاء يختارهم الوالي ومن خمسة قضاة ممثلي الدول الموقعة على المعاهدة المذكورة . (٣) وتتألف اختصاص تلك المحكمة في الاستئناف . كما وضع شريف باشا لائحة لتلك المحاكم لوضع فيها مرتبات الاعضاء الاجانب . (٤)

I - De Leon: The Khedive's Egypt. P. 300.

٢- دكتور احمد المغنى : الاجانب في مصر والسودان ص ٢٢٢

٣- نفس المصدر السابق ص ١١٣

٤- محفظة ٦٨ المعيه تركي وثيقة ١٥٨ في ١٢ رمضان ١٢٧٨ ووثيقة ١٤٦ في رمضان ١٢٧٨ (١٨٦٠)

ولكن هذا المشروع عندما عرض على القناصل العاموين في مصر لم يلبث أن خرج عن الغرض الاساسي الذي قصده سعيد باشا ، فقد وضع هؤلاء مشروعا نهائيا لانشاء محكمة مختلطة دولية في الاسكندرية . وعلى خلاف ما كان يريده سعيد ، جعلوا استئناف الاحكام بمقتضى هذا المشروع النهائي ، لدى الباب العالي لان انجلترا على وجه الخصوص وهي التي احتضنت المشروع من البداية كانت تريد الاحتفاظ بسلطة الباب العالي صاحب السيادة الشرعية على مصر ، فلم يلق هذا المشروع قبولا لدى سعيد في الوقت الذي كان يعمل فيه للتحرر من تدخل الباب العالي في شئونه بل ينشد الاستقلال والانفصال عن تركيا اذا استطاع ذلك ، وكانت معارضة سعيد من أهم الاسباب في اخفاق المشروع ولو أنه من أسباب الاخفاق كذلك معارضة القنصل الفرنسي (دي بوفال De Bequval)* الذي أراد أن يكون استئناف الاحكام امام محكمة الدولة التابع لها المدعي أي في الخارج فاذا كان فرنسيا يكون الاستئناف في باريس واذا كان المانيا ففي فينا وهكذا وكذلك كان على رأس معارضيه القنصل الامريكي (دي ليون) وقنصل الدول (الاقل الاهمية) وهم جميعا الذين استفادوا أكبر استفادة من بقاء نظام القضاء القنصلي على حاله .(١)

وقد استند دي ليون (De Leon) في رفضه لمشروع شريف للاسباب الاتية

١- نص المشروع على استئناف احكام المحاكم المقترحة في القسطنطينية حيث تختلف القوانين والعادات والتقاليد واللغة عنها في مصر ؟

١- دكتور محمد فؤاد شكري : مصر والسودان ص ٥٢ و ٥٣ .

* F.O. from R.G. Colquhorn, Alex, 28-8-1860.

٢ — ان المحاكم المقترحه ترى العمل بقانون نابليون ، بالرغم من ان عادات وتقاليد البلاد تختلف تماما عن تلك التى فى فرنسا ويمكن تطبيق ذلك القانون عندما يكون البحر الابيض بحيرة فرنسيـــه سواء بالغزو او عن طريق المعاهدات الدوليه ففى تلك الحالة فقط يعتبر القانون الفرنسى اعلى سلطه فى تلك البلاد ، ولكن حتى يحدث ذلك فنحن نفضل القانون العام .

٣ — ان مندوب الدول العظمى الكبرى ، سوف يكون لهم فقط حق عضوية المحاكم الجديدة ، وسوف ينظرون قضايا رعايا الدول الاجنبيه الاخرى المشتركه فى مصر ، وذلك يعطى احد ممثلى الدول الكبرى الحمايه على مصر وعلى جميع رعايا الدول الاجنبيه الاخرى ، وعلى ذلك فان مندوبى الدول الاجنبيه والاخرى المقيمين فى مصر سوف لا يكون لهم اية سلطة قضائيه .

٤ — ان النظام المقترح يمنح للقضاه فرصة لكى يزيدوا من عدد الجلسات بدلا من الاسراع فى اصدار الاحكام فكل قاضى يتقاضى خمسة جنيهات عن كل جلسة ولم يوضع حد اقصى لعدد الجلسات مما يجعل نفقات القاضى باهظه .

٥ — ان نفقات التقاضى المطلوب دفعها مقدما باهظة ايضا ، مما يجعل تلك المحاكم مجالا لكبار المتقاضين من رجال الاعمال فقط والذين يمكنهم دفع مثل هذه المبالغ وتصبح ملاذا دون الفقراء وامثالهم ، هذا بالاضافه الى عدم السماح للمدعى بالتنازل عن القضيه التى رفعها بعد البدء فى نظـــــر الدعـــــوى .(١)

I — De Leon: op.cit.pp13041305 .

وهكذا فشل أيضا مشروع شريف باشا لانشاء المحاكم المختلطة . وفي أغسطس سنة ١٨٦١ أرسل القنصل العام الانجليزي في مصر مذكرة الى الحكومة المصرية يحرض فيها الوالي على التخلص من القضاء القنصلي والدبلوماسي وذلك بنظر القضايا بين الاجانب والمصريين في المحاكم المحلية بحضور القنصل أو مندوب عنه على حسب معاهدات الامتيازات . وقد وافق القنصل العام لكل من روسيا والاراضي المنخفضة على رأي القنصل العام الانجليزي بينما عارضه في ذلك القنصل العام الفرنسي . ولكن محمد سعيد لم ينتهز الفرصة لتنفيذ ذلك المشروع .(١)

مشروع نوبار لانشاء المحاكم المختلطة :

وفي عهد سعيد باشا أيضا عرض نوبار مشروع الاصلاح القضائي المشهور والذي كان يهدف أساسا الى ابطال المحاكم القنصلية ولكن كان سعيد يعد ويؤجل ولم يتم تنفيذ المشروع .(٢)

وواصل نوبار باشا جهوده لعرض مشروع انشاء المحاكم المختلطة على الخديوي اسماعيل وذكر في مشروعه مساوئ تلك الفوضى الشاملة وأبلغ المشروع للدول الاجنبية مشفوعا باقتراحات غاية في التواضع لاصلاح تلك المساوئ اما مطالبه لمصر فلم تكن سوى انشاء محكمة دولية في الواقع مصرية شكلا يكون من اختصاصها الفصل فيما يحدث بين المصريين والاجانب من منازعات ولم تتوان الحكومة في اعلان عزمها على تطبيق القانون التجاري الفرنسي ،

---

١ - دكتور احمد الحته : الاجانب في مصر والسودان ص ٢٢٤ نقلا عن :
Sabry: op.cit.pp.44,45.

٢ - جرجس حنين : المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية ص ٥٢

ذاتة وتشكيل لجنة اوربيه مصريه لوضع التشريع اللازم للمحاكم المذكورة في المسائل المدنيه والجنائيه
اما اعضاء المحاكم المقترحه فمن المصريين والاجانب الذين لهم بمصر فتصليات تعينهم الحكومه المصريه
من بين من ترشحهم الدول وتكون الاغلبيه للعنصر الاجنبي فوران هذه المطالب العادله لم تكد
تبلغ للدول سنة ١٨٦٧ حتى اثارت الجاليات الاجنبية عاصفه احتجاج وخصوصا الجاليه الفرنسيه.(١)
والواقع ان مشروع نوبار كان متمشيا مع روح الامتيازات لانه قدم ضمانات اكثر لتحقيق العداله في مصر
في ظل معاهدات الامتيازات وذلك لجميع الاجانب المقيمين في مصر .(٢)

وامرت الحكومه الفرنسيه فتشكلت بباريس لجنة فرنسيه لدراسة المطالب المصريه وابدء عليهـــا
وفعلا وضعت لجنة باريس مشروعا معارضا للمطالب المصريه المتواضعه متمسكه بالمركز الشاذ غير المحتمل
وهذا المركز القائم على الفوضى وسوء تطبيق الامتيازات ثم ابلغت قرار اللجنه للدول فحاز قبولها .

كانت فرنسا منذ عهد محمد علي تدعي صداقة مصر وكان نفوذها بمصر عظيما جدا .والواقع انها
وقفت الى جانب مصر في ظروف حرجه وامدتها بالمعونه الفنيه في جميع فروع الادارة والجيش فساعدتها
بذلك على التقدم . ولكن شروط امتيازات xxx قناة السويس كما منحها سعيد . ومرامها البعيده
وتشبثها باستبقاء حال الفوضى الناشئه من الامتيازات وهي فوضى لاترضي صديقا كل هذا يدل
على ان صداقتها لم تكن بريئه ولانزيهه . بل يمكن القول انها كانت 6

---

١ — محمد عبدالباري : الامتيازات الاجنبيه ص ٦٦

2 - Mo.Coan op.cit.p.28 0.

تركيا وساعد اخيرا الى الاستيلاء على مصر وعلى السلم وهذا ما يوجه سلوكها ازاء مصر ايام حكم سعيد واسماعيل . ونحن نرى انها كانت ومنذ عهد محمد على تعمل على تحقيق نواياها خصوصا من المصريين ولهذا لم ترفض اقتراحات مصر وفقا لمصلحتها بل وسعت في جانب القاهرة كي تعدل اقتراحات الحكومة المصرية وباعتراض هذه الاقتراحات .

وجاء في التقرير الفرنسي : " ان خديو مصر له سلطة لاحد لها لا قانون الا ارادته ، وارادته نافذه كل الرؤوس تنحني امامه وكل شيء ينحني امامه انه يملك جميع الشئون سلطة مطلقة . سلطة ساحقة تتعلق بحقوقه اسمية لا يقدرها ... ان يتطلع مصر ... بطريقة ... تكون تحت سيطرة مثل هذه السلطة الواسعة . ويضاف الى هذا ان الخديوي يملك معظم اطيان القطر المصري وله مصالح خاصة في جميع فروع التجارة . هذا علاوة على كونه حاكم مصر السياسي فانه مزارع وتاجر وصانع ، من اجل هذا كله فانه تتعارض مصالحه بمصالح ارباب القضايا الاجانب ويكون سيطرتهم في قضاياهم خصما ظاهرا او خفيـــــا . " (١)

وجاء ايضا في نفس التقرير (بما ان المعروف لدينا ان مصر ليس لديها الاشخاص ذوي الكفاءة والمعرفة والخبرة اللازمة الذين يصلحون لمناصب القضاء ورئاسة تلك المحاكم فنقترح اسناد تلك المناصب مؤقتا الى من يقع عليهم من الاجانب ذوي الكفاءة والمعرفة والخبرة اللازمة لشغل تلك الوظائف اكثر من المصريين) (٢)

وقد اثبت الزمن عدم جدية تلك الاعتراضات وان العناصر المصرية يمكن الاعتماد عليها تماما في تلك الوظائــــف .

---

١ - دوبغانكي ؛ نفس المصدر السابق ص ٩٥

2 - Cattaui(Joseph): Le Khedive Ismail et la datte de L'Egypte p.97.

ويتلخص التقرير الفرنسى فيما يلى :

أولا : استبقاء النظام القضائى القنصلى فيما يختص بالأجانب ذوى الجنسيه الواحده .

ثانيا : استبقاوه كذلك فيما يتعلق بالأجانب مختلفى الجنسيه على أن يحدد المتعاملون فى عقودهم الجهه المختصه بالحكم فيما يحدث بين المتعاقدين من نزاع .

ثالثا : تشكيل المحاكم المختلطه من وطنيين وأجانب وتكون الغالبيه للفريق الأخير والرئاسة لمصرى وينتخب بعض الأعضاء الأجانب من السلك القضائى تختارهم الدول ويعتمدهم الخديوى والبعض الآخر عن بين الأعيان الأجانب بمصر تختارهم الجاليات الأجنبيه المتمتعه بنظام الامتيازات ويعتمدهم الخديوى كذلك .

رابعا : تعين المحكمه جميع الموظفين من كتبة ومحضرين وغيرهم ويكونون تابعين لها وتحت اشرافها .

خامسا : يدعى القناصل لحضور تنفيذ الأحكام الصادرة من المحاكم المختلطه .

سادسا : يبقى الأجانب غير خاضعين للقضاء المصرى فيما يتعلق بالجنح والجنايات، وانما تختص المحاكم الجديده بالحكم فى المخالفات التى يرتكبها الأجانب بالنسبه لنظم البوليس فى مصر .

سابعا : تختص هذه المحاكم فيما عدا ذلك بكل ما يتعلق بالعقار مهما كانت جنسية المتنازعين . وجميع المسائل المدنيه والتجاريه اذا كان أحد الطرفين أجنبيا .

ثامنا : توضع قواعد للتنفيذ ويسن تشريع واف وينشأ معهد لدراسة القوانين .

تاسعا : تكون المحاكم الجديده بصفه تجريبيه فاذا لم تسفر عن النجاح المطلوب يحق الرجوع للنظام القديم (١) .

---

١ — محمد عبد البارى : نفس المصدر السابق ص ٩١ نقلا عن : دى روزاس فى نظام الامتيازات جـ ٢ ص ٢٧٩ .

وكانت حجة اللجنه الفرنسيه — بعد أستبعاد نقدها الخشن لسلوك الوالى وكبار الحكـــام تنحصر فى أنه لا فصل بين السلطتين الاداريه والقضائيه بمصر فلا ضمان للعداله لكن المشـروع المصـرى أقترح وقدم ضمانات هى الاولى من نوعها وهى تسليم المصريين لهيئات قضائيــه غالبها من الاجانب يحكمون طبقا للقوانين الفرنسيهفرأتهــا وقوانين تضعها لجنه مختلطه مــن رجال الفقـه المصريين والاوربيين طبقا لمباديء القانون الغربى فسلوك اللجنه الفرنسيه كان مجرد عنت والقضاء القائم على الهوى والعصبيه • وهو القضاء القنصلى وقتئذ لايمكن أن يكون ضمانا لاستثمار الاموال كما تقول لجنة باريس • بل الضمان هو القضاء الموحد الذى أقترحته الحكومه المصريه وممـــا يدل على تعنت اللجنه الفرنسيه أن أى مفكر منصف لايجرؤ على القول بأن نظاما قضائيا قائما علـــى الاحتكام فى المنازعات الى أكثر من خمسة عشر محكمه مختلفه التشكيل والروح تحكم طبقا لقوانين مختلفه لاصله بينها ويمكن أن تضمن أستثمارة الاموال أذا لم تكن المحاكم موحده والقوانين التى تربط علاقات المتعاملين مرونه مقدما فلايمكن بحث الاطمئنان فى نفوس المتعاملين •

وأزاء موقف فرنسا ارسل الخديوى وزيره نوبار الى أوربا لبسط قضية مصر بهذا الصدد فقد أضطــر الى السفر الى باريس مرارا وكذلك سافر الى لندن وبرلين وايطاليا وفيينا والاستانه ومن أعظـــم الرجال الذين تباحث معهم فى شأن مهمته نابليون الثالث أمبراطور فرنسا وزوجته الامبراطوره أوجينى (Eugenié) وبسمارك (Bismarck) واهية المانيا واللورد ستانلـــى (Stanley) ولورد جرانفيل (Granville) والكونت دى بوست (De Beust) والكونت مونابريا (Menebrea) والكونت دى لافاليت (La Valette)

ومركيز دى موستييه De Moustier (وكان ألد أعداء الاصلاح القضائى فى مصر)

واميل اوليفييه Emile Ollivier كبير وزراء فرنسا ومسيو تيير Theirs رئيس وزراء فرنسا

ومركيز دى موسيو [illegible] والجنرال فلرى Fleury (وكان من المقربين الى

نابليون الثالث) • [illegible] هذه الصلة فاستخدمه لتنفيذ أغراضه لدى الامبراطور ،

والامبراطورة • وغير هؤلاء من أكابر ساسة أوروبا ومن أعاظم كتابها ومن فطاحل الصحفيين فيها • وفى كل بلد يزوره كان نوبار يسعى لاستمالة رجال السياسة سواء كانوا وزراء أو نوابا أو شيوخا — كما كان يسعى لاستمالة رجال الصناعة ورجال التجارة ورجال المال ورجال الصحافة • (١) وكاد يقرب من الفوز حتى قامت الدولة العلية فى وجه الخديوى وأنكرت عليه حق الاتفاق مع الدول الأجنبية بدون استئذان منها ، وجاء فى مذكرة الباب العالى :

(ان سموكم أدرى الناس بأن مصر — فيما عدا بعض الامتيازات المقدرة لشخصكم — لاتختلف في شىء ما عن باقى ولايات السلطنة ، ولايجوز لحكومتها الدخول مباشرة فى مخابرات مع دول أوروبا أو عقد معاهدات معها رأسا ، فالمخابرات التى تحاول سموكم اجراءها لتتوصلوا الى تغيير المعاهدات الجارية انما هى فى الحقيقة اعتداءات على حقوق الباب العالى فيها تجاوز عن الحد لايمكن السكوت عليه)

فاضطر نوبار لتذليل هذه العقبة الجديدة الى السفر الى الآستانة وفيها فاز باستصدار فرمان من السلطان فى يونية سنة ١٨٧٣ يجيز للخديوى حق عقد معاهدات مع الدول وحق الاتفاق معها على سن قوانين انشاء محاكم تسرى على الأجانب ثم عقد لجنة دولية فى الآستانة ودرست مشروع انشاء محاكم مختلطة فى مصر على مثال المحاكم المختلطة التى كانت فى تركيا • فانعقدت اللجنة فى ينساير ١٨٧٣ تحت رئاسة الصدر الأعظم وعضوية مندوبين من ألمانيا وانجلترا والنمسا وبلجيكا وأسبانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا وروسيا والسويد والنرويج واستمرت اجتماعاتها ومداولاتها حتى ٥ فبراير سنة ١٨٧٣ وانتهت باقتراحات تبلتها الدول ومصر • (٢)

وقبل لجنة الآستانة انعقدت فى القاهرة لجنة دولية فى اكتوبر سنة ١٨٦٩ مولفة من قناصل الدول الأوروبية فى مصر وبعض مبعوثين خصوصيين للبحث فى مسألة الاصلاحات الواجب ادخالها على النظام القضائى بمصر • (٣)

---

١ — عزيز خانكى : نفس المصدر السابق ص٥٣ ، ص ٥٤ ،

٢ — نفس المصدر السابق

F.O: To The arl of Clarendon, Vienna. 1868

Cattaui: op.cit. p. 97.

٣ — الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل ج ١ ص ٤٧٦

[illegible] الحكومة المصرية فيما يتعلق [illegible]

[illegible] كان انتصارا على مرضها • لكن [illegible] الاستعمار [illegible] مصر على الغرفة الدولية بمصر [illegible]

[illegible]

واجتمعت [illegible] برئاسة [illegible] خلال المفاوضات التي تمت في العامين السابقين [illegible] (١٩٥١) [illegible] على [illegible] بعض الدول [illegible] على [illegible] الجديدة للموافقة عليه [illegible]

[illegible] عليه • (١) ويقرر المشروع :

١ — أن [illegible] القضايا بواسطة [illegible] الدول [illegible] على الأجانب والوطنيين معا [illegible] في الاسكندرية والقاهرة والمنصورة [illegible] استئناف في الاسكندرية •

٢ — أن أغلبية [illegible] من الأجانب [illegible] الحكومة [illegible] •

٣ — [illegible] تلك المحاكم بالنظر في [illegible] القضايا [illegible] باستثناء القضايا التي [illegible]

[illegible] واحدة [illegible] •

[illegible] على ذلك المشروع [illegible] رغبة [illegible] اللجنة [illegible] أوصت اللجنة :

١ — تكوين محاكم ابتدائية من خمسة قضاة ثلاثة منهم من الأجانب •

٢ — محكمة استئناف من أربعة قضاة أجانب وثلاثة من الوطنيين •

٣ — محكمة عليا ولها نفس تكوين المحكمة السابقة •

كما أوصت اللجنة بأن تكون ادارة هذه المحاكم للأجانب وأن القانون الذي يطبق في المحاكم يجب أن يكون في صياغة جديدة على أساس القوانين الغربية ، وفي حالة عدم نجاح تجربة المحاكم المختلطة بعد خمس سنوات يجوز للدول أن تعدل [illegible] أو تغيره وترجع الى نظام المحاكم القنصلية •

وبعد أن اتخذت اللجنة هذه القرارات الدولية في صالح المشروع ، لم تنس الحكومة [illegible] في صياغة قرارات اللجنة ، وقد تم ذلك بحيث يتناسب مع القانون المحلي في مصر وبحيث لا يتعارض مع القوانين الغربية ، ويعتمد أساسا على القانون الفرنسي (قانون نابليون)

1 - Mc.Coan op.cit.p.287.

وان انعقاد لجنة دولية بحصر ذاتها لبحث مطالب الحكومة المصرية فيما يختص بنظام البلاد القضائي ازاء الاوروبيين كان انتصارا على فرنسا • لكن ذلك الانتصار لم يكن بسهولة لأن فرنسا ـ لضمان نفوذها ـ كانت ترى حصر عمل اللجنة الدولية بحصر في مقترحات لجنة باريس الفرنسية •

وانعقدت اللجنة برئاسة نوبار ، وفي خلال المفاوضات التي تمت في العامين السابقين لهذه السنة (١٨٦٩) أدخلت تعديلات كثيرة على مشروع نوبار ، حتى يمكن القول أنه أصبح مشروعا جديدا ، وعرض على اللجنة في صورته الجديدة للموافقة عليه أو لادخال التعديلات المقترحة عليه • (١) ويقترح المشروع :

١ ـ أن تستبدل السلطات العديدة المختصة بنظر القضايا بواسطة قناصل الدول المختلفة بسلطة واحدة وتنطبق على الأجانب والوطنيين معا ، وتزود بمحاكم ابتدائية في الاسكندرية والقاهرة والزقازيق ، ومحكمة استئناف في الاسكندرية •

٢ ـ أن أغلبية القضاة في تلك المحاكم يكونون من الأجانب وتدفع لهم الحكومة رواتبهم ولكن ليس من سلطتها استبدالهم •

٣ ـ وتختص تلك المحاكم بالنظر في جميع القضايا ، باستثناء القضايا التي تنشأ بين أجنبيين من دولة واحدة فتترك للقناصل كما هي •

وبعد عدة جلسات أدخلت اللجنة عدة تعديلات على ذلك المشروع ، والتي أقرها رئيس اللجنة فبالنسبة للقضايا المدنية أوصت اللجنة :

١ ـ تكوين محاكم ابتدائية من خمسة قضاة ثلاثة منهم من الأجانب•

٢ ـ محكمة استئناف من أربعة قضاة أجانب وثلاثة من الوطنيين •

٣ ـ محكمة عليا ولها نفس تكوين المحكمة السابقة •

كما أوصت اللجنة بأن تكون ادارة تلك المحاكم للأجانب وأن القانون الذى يطبق في المحاكم يجب أن يكون في صياغة جديدة على أساس القوانين الغربية ، وفي حالة عدم نجاح تجربة المحاكم المختلطة بعد خمس سنوات يجوز للدول أن تعدل النظام أو تلغيه وترجع الى نظام المحاكم القنصلية •

وبعد أن اتخذت اللجنة تلك القرارات الدولية في صالح المشروع ، لم تضيع الحكومة وقتا في صياغة قرارات اللجنة ، وقد تم ذلك بحيث يتناسب مع القانون المطبق في مصر وبحيث لايتعارض مع القوانين الغربية ، ويعتمد أساسا على القانون الفرنسي (قانون نابليون)

I - Mo.Coan: op.cit.p.287.

وأصبح القانون الجديد ملخصا لكل تلك القوانين ومعبرا عنها ، على أن يكون ذلك لمصلحة جميع الدول الأوروبية وكذلك لمصلحة البلاد) . (١)

وقررت اللجنة فيما يختص بالاصلاح الجزائي ما يأتي :

١ — أن تحكم المحاكم الجديدة في قضايا المخالفات البسيطة ،أو تنتدب قاضيا عنها للحكم فيها على أن يكون هذا القاضي أجنبيا اذا كان المخالف أجنبيا ،وأن تستأنف الأحكام متى قضت بحبسه .

٢ — أن وحدة القضاء في باب الجنايات والجنح أمر ضروري لتأمين عموم المصالح ،مهما اختلفت جنسيات أصحابها ،على ان يسبقها بحث دقيق في الضمانات الناجمة عن تشريع تام يشمل القانون الجزائي وقانون تحقيق الجنايات.

٣ — أن يجري الاصلاح القضائي في الأمور المدنية والاصلاح القضائي في الأمور الجزائية معا ،والا فتنشأ المحاكم الجزائية بعد مرور سنة على تأسيس المحاكم المدنية التجارية وعملها وظهور صلاحيتها للجميع ظهورا واضحا .

ولكن توقفت المحادثات الخاصة بانشاء المحاكم المختلطة بسبب نشوب الحرب السبعينية (الفرنسية الألمانية) في يولية سنة ١٨٧٠ . (٢) فعدل الخديوي عنها موقتا وأخذ يفكر في اصلاح آخر يقوم مقام الاصلاح القضائي . ففكر في انشاء بلدية بالاسكندرية ،يخول لها حق النظر المطلق قضائيا في جميع أمور التنظيم والايجارات في الثغر ،مع توسيع دائرة محكمة التجارة ،وجعلها مختصة بالنظر في أمور لا تكون تجارية ،وأقبل يستشير القناصل في ذلك ،فوافق بعضهم وأبى البعض الآخر الا ان يكون كل اصلاح قضائي يجري في البلاد شاملا عاما لا جزئيا خاصا . (٣)

وفي أواخر شهر ديسمبر سنة ١٨٧٠ — وكان فوز ألمانيا على فرنسا بات مؤكدا ،ونزول فرنسا على الشروط الألمانية أمرا لا يحتمل أي شك — رأى نوبار أن الوقت قد حان مرة ثانية لاعادة المفاوضات في الاصلاح القضائي الى مجراها ،فأرسل في ٢ يناير ١٨٧١ كتابا في شكل مذكرة الى جميع القناصل في مصر يطلب فيه مصادقة حكوماتهم على القوانين المصرية المختلطة . (٤)

I - Op.cit;pp.288,28 9.

2 - Cattaui: op.cit.p.99.

٣ — الياس الأيوبي : نفس المصدر السابق ص ٤٩٧

٤ — نفس المصدر السابق ص ٥٠٥

وبالرغم من ذلك تمسكت فرنسا بوجهة نظرها المبنيه على قرار لجنة باريس — والتى سبق الاشارة اليها — واهملت المطالب المصرية كما اهملت قرارات لجنة القاهرة الـــدولية وانضمت بعض الدول لفرنسا ، وحتى انجلترا تخلت عن مساعدة اسماعيل بعد ان كانت من اكثر الدول تحمسا للاصلاح القضائى . (١)

ومن الغريب ان الدول الصغيرة — مثل البرتغال واسبانيا — تشبثت هى ايضـــا بوجوب حمايه رعاياها وحماية من دخلوا فى حمايتها ، وطلبت ابقاء القضاء القنصـــلى مع ان عدد المنتمين اليها قليل جـــــدا . (٢)

كما عارضت الحكومة النمســـاوية القانون الجنائى ومعظم مواد المشروع اثناء المفاوضـــات التى عقدت فى باريس وفيينا . (٣)

ويبدو ان معارضة تلك الدول لمشروع الاصلاح القضائى فى مصر لم يكن سوى صـــدى لمعارضة رعاياها فى مصر ، فلقد بعث بعض افراد من الجالية الفرنسية فى مصر الى لجنـــة باريس بالرسالة التـــالية :

ز " نحن الفرنسيين نرانا مضطرين الى التأكيد ان هذا الاصلاح المزعوم سوف يكـــون خـــرابا لنـــا . " (٤)

وهذا يوضح لنا مدى تحمس افراد تلك الجالية لنظام المحاكم القنصلية الذين يحتمون فى ظله ويرتكبون معظم الجرائم اعتمادا على ان قناصلهم سوف يحملون على حمايتهم ســـواء كانوا على حق او على باطل .

ومن ادلة سخط الاجانب على انشاء المحاكم المختلطة : انه لما انتخب البارون لابنـــا رئيسا لمحكمة الاستئناف المختلطة ارسل اليه مجهول خطابا يهدده فيه بالقتـــل ان هـــو استمر فى العمل . ولكن البارون ز" لابنـــا " كان رجـــلا شجاعا فلم يعبـــأ بهذا التهديد وســـار فى ميدان المنشـــية (بالاسكندرية) وحده ماشيا على قـــدميه فى نفس الوقت وفى نفس الموضع اللذين حددهما المجهـــول لقتـــله ، ولكنـــه انتظـــر عبثا مجئ هـــذا المجهول .

---

١ — محمد عبد البارى : الامتيازات الاجنبية ص ١١٠ ، ص ١١٤ ،
عزيز خـــانكى : المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية ص ١٢١

٢ — نفس المصدر السابق ص ١٢٣

3 - Mc.Coan:op.cit.p.290.

٤ — الياس الايوبى : نفس المصدر السابق ص ٤١٢

وعندما قبلت ايطاليا مشروع الاصلاح القضائي هاج الايطاليون المقيمون في مصر فاجتمعوا واحتجوا وقدموا شكوى امضاها ١٠٠٠ شخص ارسلوها الى برلمان ايطاليا ثم شفعوها بشكوى اخرى امضاها جميع المحامين الايطاليين الذين كانوا بالاسكندرية في ذلك العهد اعلنوا فيها ان (مشروع الاصلاح القضائي الجديد يضر بالامتيازات الممنوحة للاجانب بموجب المعاهدات فضلا عن انه لا يتفق وحالة المدنية في مصر ودرجة التعليم فيها ، وانه اذا نفذ فان نتيجة تنفيذه ستكون على عكس ما يؤمل منه ، وان مصالح جميع الاوروبيين تتعطل من تنفيذه)(١)

ولما وجد اسماعيل صعوبة موافقة الدول مجتمعة فكر في عقد اتفاقات فردية مع كل دولة على حدة ، وبذلك يمكن الحصول على موافقة جميع الدول الاوروبية على مشروع الاصلاح القضائي بالتدريج ، لكن الخديوي — لسوء الحظ — لم ينفذ هذه الفكرة التي كان يجب ان يفكر فيها وينفذها عقب تقرير لجنة القاهرة الدولية مباشرة . فقد كان الجو اصلح بكثير ، ويبدو انه لم ينفذ تلك الفكرة لاستناده الى مستشاريه الفرنسيين وخاصة دليسبس وهؤلاء كانوا يمنونه خيرا بتوسطهم لدى فرنسا ولان كلا من انجلترا وفرنسا طلبتا موافقة الباب العالي على اتفاق انشاء المحاكم الجديدة . وقد ذللت تلك العقبة بعد فرمان سنة ١٨٧٣ . (٢)

فوافقت عليه انجلترا نهائيا في ٢٦ مايو وايطاليا في ١٩ يونية سنة ١٨٧٣ . (٣) وبعد موافقة جميع الدول تقريبا على انشاء المحاكم الجديدة ، امتنعت فرنسا عن الموافقة حتى سنة ١٨٧٥ ورفضت تعيين القضاة الفرنسيين فيها . (٤)

وفي تلك الاثناء ارسلت انجلترا الى اسماعيل تحذره من التفكير في منح فرنسا امتيازات خاصة حتى يحصل على موافقتها على انشاء المحاكم الجديدة . (٥)

---

١ — عزيز خانكي : نفس المصدر السابق ص ٤٥

٢ — محمد عبد الباري : " " " " ١١٧

٣ — الياس الايوبي : " " " " ٥١٠

4 - A.A: From Beardsly: Cairo, May 26, 1875.

5 - F.O: From Stanton, 12-2-1875.

وأرسلت الحكومة المصرية انذارا الى الحكومة الفرنسية بضرورة الموافقة على المشروع بعد موافقة جميع الدول الاخرى ، علمت هذه ان امتناع فرنسا عن الموافقة بعد موافقة باقي الدول انما يضر فى الحقيقة بفرنسا والمصالح الفرنسية وحدها دون غيرها ، فعرضت المسألة على الجمعية العمومية التى رأت فى نهاية الأمر وبعد جدال شديد ان تقر الواقع ، وتصادق عليه فى اواخر ديسمبر سنة ١٨٧٥ .(١)

وبذلك وافقت خمسة عشر دولة على انشاء المحاكم المختلطة فى مصر وهذه الدول هي : انجلترا ، فرنسا ، الولايات المتحدة الامريكية ، ايطاليا ، ألمانيا ، النمسا ، المجر ، روسيا ، اسبانيا ، بلجيكا ، اليونان ، الدانمرك ، البرتغال ، هولندا والسويد والنرويج .(٢)

وبعد ذلك تم تعيين جميع القضاة عن طريق ترشيح الحكومات الأجنبية ، أما القضاة المصريين فتختارهم الحكومة المصرية من بين المصريين الذين أرسلهم الخديوى منذ سنوات للدراسة فى فرنسا وألمانيا لكي يعدهم لتولي تلك المناصب . وفى بداية سنة ١٨٧٦ افتتح رياض باشا ـ وزير الحقانية ـ المحاكم الجديدة بالاسكندرية ، وتأجل العمل فى تلك المحاكم حتي أول فبراير حتي تتمكن فرنسا من تعيين قضاتها .(٣)

ولقد أنفق اسماعيل الأموال الكثيرة حتي توصل الى انشاء المحاكم المختلطة وذلك فى صورة رشاوى وهدايا الى الباب العالى والصدر الأعظم فى تركيا ، فمثلا بلغت المبالغ التى ابتزها محمود باشا ـ الصدر الأعظم ـ من اسماعيل ما بين ٢٥٠,٠٠٠ ، ٣٠٠,٠٠٠ جنيه.(٤) ولقد قدر سير اليوت ـ سفير انجلترا فى الآستانة ـ مجموع المبالغ التى وزعها اسماعيل على رجال السراى والعاملين فى تركيا بحوالى ٥٠٠,٠٠٠ جنيه.(٥)

---

١ ـ الياس الأيوبى : نفس المصدر السابق ص ٢٠ .

2 - Cattaui:op.cit.p.II8.

3 - Mc.Coan:op.cit.p.29I.

4 - Sammarco:Histoire de L'Egypte Moderne.T.3.p.2I6.

5 - Ibid:p.? 23.

يضاف الى هذا ما أنفقه اسماعيل ونوبار باشا فى فرنسا وايطاليا واليونان وغيرها من البلاد لاستمالة المسئولين فى تلك الدول وكذلك لاستمالة الصحف الأوربية . وكذلك ما أنفقه نوبار فى رحلاته فى فرنسا وانجلترا وايطاليا وتركيا وألمانيا وروسيا وغيرها لمفاوضة رجال السياسة ، وما دفعه الى الكتاب والصحفيين ، فمثلا دفع ألف جنيه للكاتب الفرنسى الشهير " أدمون أبو About " حفيد "فولتير" ليهيئ الرأى العام فى فرنسا ، كما دفع له نفقات سفره من فرنسا الى مصر ومصاريف تجواله فى أنحاء القطر المصرى . واذا علمنا أن المفاوضات مع الدول دامت ثمانى سنوات أدركنا مقدار المبالغ التى أنفقها اسماعيل ونوبار فى هذا الزمن الطويل . (١)

وبالرغم من تلك الأموال الباهظة التى أنفقت للوصول الى انشاء المحاكم المختلطة ، وكذلك الوقت الطويل الذى استغرقته المباحثات فلم تحصل مصر على ما كانت تبغى من القضاء على نفوذ الأجانب الذى ظل سائدا فى المحاكم الجديدة ، أضف الى ذلك التحفظات التى صاحبت انشاء تلك المحاكم ، من هذه التحفظات أن المحاكم المذكورة ذات صفة مؤقتة للطرفين ويمكن تعديلها أو الغائها بعد خمس سنوات ، وفى هذه الحالة الأخيرة تعود للمحاكم القنصلية اختصاصاتها ، لا على أساس نصوص المعاهدات المعقودة بين تركيا والدول بل على أساس التعسف فى تفسير تلك المعاهدات والدعوى الى الاستناد الى العادات المرعية . كما أن المحاكم القنصلية — فى ظل انشاء المحاكم المختلطة ظلت مختصة بنظر كل ما لم يذكر أنه من اختصاص المحاكم الجديدة ، فيما يتعلق بالأجانب .

مما سبق يتضح أن مصر لم تظفر بما كانت تهدف اليه من انشاء المحاكم المختلطة ، وذلك لضغط الدول الأوربية — وخاصة فرنسا — عليها أثناء فترة المباحثات حتى صدرت اتفاقية انشاء المحاكم الجديدة فى صورة جديدة تخالف المشروع الأساسى الذى قدمه نوبار فى بادئ الأمر .

---

١ — عزيز خانكى : المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية ص ١٤٦ — ص ١٤٧

وظهرت آثار الحملات العدائية التي حملتها الجاليات الأجنبية في مصر وظهر أثر التشنيع الذي شوهت به الصحف الأوروبية سمعة مصر والمصريين عند وضع نظام المحاكم الجديد توسن قوانين المحاكم الجديدة ،ونذكر هنا بحصر ما جاء في قانون المحاكم المختلطة كمثال للتحيز الواضح للعنصر الأجنبي على حساب المصالح المصرية ،من ذلك :

١ — أوجبت الدول الأجنبية أن تكون القوانين الجديدة مستمدة من القوانين الأوروبيــة وأن تكون النظم القضائية الجديدة على مثال الأنظمة القضائية المعمول بها في أوروبــا . وعلى هذا جاءت القوانين الجديدة صورة طبق الأصل (تقريبا) للقوانين الفرنسية والايطالية والبلجيكية وغيرها . وترتب على هذا بالطبع اضطرار القضاة الى الرجــوع الى المؤلفــات القانونية الأوروبية والى تطبيقات المحــاكم الأوروبية

٢ — احتفظت الدول الأجنبية للعنصر الأجنبي برئاسة المحاكم ورئاسة الجلسات ،كما احتفظت للأجانب بمنصب النائب العام ورؤساء النيابات. ومن باب المجاملة أسندوا رئاسة المحاكــم (الاسمية) للمصريين على أن تكون رئاستهم رئاسة شرف فقط وبدون أن تكون لهم أي ســلطة قضائية أو ادارية. أما الرئاسة الفعلية فتكون لوكيل المحكمة الأجنبي . الرئيس المصري يرأس الحفلات ويرأس الجمعية العمومية مرة واحدة في السنة ،ولكن بدون أن يكون له صوت في المداولة.

٤ — اشترطوا أن تكون الأغلبية للعنصر الأجنبي فاذا كانت الدائرة مشكلة من خمسة قضــاة كان ثلاثة منهم من الأجانب واثنان من المصريين . واذا كانت مشكلة من ثلاثة قضاة كان اثنان من الأجانب وواحــد مصــري.

٥ — اشترطوا ان يكون مرتب القاضي الأجنبي اكثر بكثير من مرتب القاضي المصري ،فكان مرتب المستشار الأجنبي ٤٠٫٠٠٠ فرنك ذهب في السنة ومرتب القاضي الأجنبي ٣٠٫٠٠٠ فــرنك ذهب في السنة ثم اضافوا فيما بعد الى المستشار الأجنبي علاوة قدرها ٨٠٠٠ فرنك والقاضي الأجنبي ٦٠٠٠ فرنك علاوة تقوم مقام معاش لهم في المستقبل.

٦ — كما اشترطوا ان يكون تنفيذ الاحكام بيد المحاكم الجديدة.

٧ — مدوا سلطة المحاكم المختلطة على الحكومة نفسها ولم يخرجوا من اختصاصها سوى النظر في أعمال الحكومة التي تعملها بصفتها العامة ، كما بسطوا سلطة المحاكم المختلطة على الخديوى نفسه وعلى أمراء العائلة الخديوية .

٨ — جعلوا ايرادات المحاكم المختلطة تحت تصرف المحاكم المختلطة نفسها ولا يجوز للحكومة أن تستولى عليها .

٩ — أخرجوا القناصل ووكلاء القناصل وأعضاء عائلاتهم وجميع الموظفين الذين في خدمتهم من ولاية المحاكم القديمة في جميع الدعاوى التي ترفع منهم أو عليهم ، وبسبب اخراج القناصل ووكلاء القناصل وعائلات القناصل وخدم القناصل من ولاية المجالس القديمة تهافت كثير من المصريين على الوظائف القنصلية ، فكان في الاقصر عائلة واحدة أحد أفرادها وكيل قنصل فرنسا وأخوه وكيل قنصل ايطاليا ، الأول لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الفرنسية والثاني لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الايطالية كانا يسكنان في مسكن واحد ، فكان يرفع أحدهما الراية الفرنسية ويرفع الآخر الراية الايطالية على المنزل نفسه . ووجد شخص كان وكيلا في آن واحد لأربع دول منها ثلاث من الدول العظمى ، ومن الغريب أنه ما كان يعرف لغة أى دولة منها . كان يرفع تارة الراية الفرنسية وتارة الراية الانجليزية وتارة الراية الايطالية وتارة الراية الاسبانية .

١٠ — ادعوا أن السجون المصرية ليست فيها الضمانات اللازمة لتوفير راحة المسجونين فأمروا أن يسجن المجرمون الأجانب في سجون القنصليات .

١١ — وسعوا سلطة المحاكم المختلطة لدرجة اختلطت فيها السلطة القضائية بالسلطة التشريعية بالسلطة التنفيذية .

١٢ — وضعوا لائحة داخلية مكونة من ٢٤٨ بندا سنت قواعد استبدادية بسطوا أحكامها على جميع المسائل الادارية والقضائية ثم عرضوها على وزير العدل في ليلة افتتاح المحاكم فلما طلب مهلة لمراجعتها هددوه بأنه ان لم يوقع عليها فورا اضطروا الى تأجيل افتتاح المحاكم الجديدة فوقع عليها فورا مضطرا بدون أن يقرأ سطرا منها .

١٣ — وفي المداولات كانوا يعتبرون القاضي المصري كتلة مهملة . لا يوزعون عليه قضايا لفحصها ودرسها وتلخيصها كما كانوا لا يعتدون برأيه في المداولة

١٤ — ومن دلائل احتقار كل ما هو شرقي في بداية عهد المحاكم المختلطة أن أحد القضاة الفرنسيين (مسيو كوماني) قدم استقالته قائلا أنه عندما لبس الطربوش شعر بشيء من الهوان والاشمئزاز فلم يتمالك نفسه عن تقديم استقالته . ومن الغريب أنه اشترط لقبول استقالته أن تدفع الحكومة ٤٠,٠٠٠ فرنك بصفة تعويض بدعوى أنه ما كان يدور بخلده ان تلزمه الحكومة المصرية بلبس الطربوش في الجلسة .

١٥ — وفي بداية عهد المحاكم المختلطة كان المحامون الأجانب يرفضون المرافعة عن المصريين المسلمين ، والمحامي الذي كان يقبل الدفاع عنهم كانوا ينظرون اليه شذرا . (١)

هذا بعض ما جاء في قانون المحاكم المختلطة ، وبعض الامثلة التي حدثت في بداية انشاء تلك المحاكم والتي ان دلت على شيء فانما تدل على ان مصر لم تظفر بأغراضها من انشاء المحاكم المختلطة وهي الحد من نفوذ الأجانب واستغلالهم الامتيازات الأجنبية بكل الوسائل .

وذلك على الرغم من النفقات الباهظة التي انفقتها مصر حتى توصلت الى انشاء تلك المحاكم من رشاوى للباب العالي والصدر الأعظم وكبار الموظفين في تركيا ، وكذلك ما أنفقه نوبار في رحلاته الى دول اوروبا والاستانة ، والمبالغ التي كان يدفعها — بسخاء — للصحف الاجنبية والشخصيات الأجنبية المعروفة حتى يتوصل الى اتفاق معهم طوال السنوات الثمانية التي استغرقتها فترة المباحثات الخاصة بانشاء تلك المحاكم والتي انتهت الى تلك الصورة التي تتنافى تماما المشروع الأساسي الذي تقدم به نوبار لانشاء تلك المحاكم والغرض الذي أنشئت من أجله .

---

١ — عزيز خانكي : المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية . ص ١٥٣ — ١٦٠

تكوين المحاكم المختلطة والعقبات التى واجهتها :

هكذا أنشئت المحاكم المختلطة وبدأت عملها فى بداية سنة ١٨٧٦ فى الفصل فى القضايا المدنية والتجارية والتى تتلخص فيما يأتى :

ا ــ الحكم فى كل نزاع لايمس الأحوال الشخصية مباشرة بين المصريين والاجانب

ب ــ الحكم فى كل نزاع بين الاجانب مختلفى الجنسية لايمس الاحوال الشخصية

جـ ــ الحكم فيما يقع بين الاجانب من جنسية واحدة اذا كان النزاع متعلقا بعقار

أما القضايا الجنائية فقد اقتصرت سلطة المحاكم المختلطة على :

ا ــ الحكم فى مخالفات البوليس البسيطة بحيث لاتتجاوز العقوبة الحبس لمدة سبعة أيام أو غرامة لغاية مائة قرش أو هما جميعا .

ب ــ الحكم فى جميع الجرائم التى تقع ضد قضاة المحاكم أو مأموريها القضائيين أثناء قيامهم بعملهم أو بسبب قيامهم به أو يرتكبونها هم فى هذه الحالات .

كما كان للمحاكم اختصاص تشريعى ويتلخص هذا الاختصاص فى ان للحكومة المصرية ولهيئة القضاة تعديل القوانين المعمول بها أمام المحاكم المختلطة بأن تجتمع هيئة القضاة وتنظر الاقتراح المقدم منها أو من الحكومة ، فاذا أقرته صدر به مرسوم خديوى ، لكن ليس لهذه الهيئة التشريعية تعديل الأصول التى قامت عليها اتفاقية انشاء المحاكم المذكورة . (١)

وفى أكتوبر سنة ١٨٧٥ أصدر الخديوى مرسوما بمجموعة القوانين الخاصة بالمحاكم المختلطة . (٢) وكان قد حضر الى مصر سنة ١٨٦٠ محام فرنسى اسمه " مونورى Maunaury وكلته شركات مالية كثيرة للدفاع عن مصالحها فى مصر . وكان من طبيعة مهمته أن يحتك برجال الدولة ، وكان أعظمهم شأنا فى ذلك الوقت نوبار باشا . تفرس فيه نوبار الذكاء

---

١ ــ محمد عبد البارى : الامتيازات الأجنبية ص١١٨

2 - A.A:From Beardesly.Cairo,2-IO-I875.

النادر والاطلاع الواسع فقربه اليه وانتهى بتحيينه سكرتيرا له ثم مستشارا لنظارة الخارجية بمرتب قدره ثلاثون ألف فرنك • وبعد ماوفق نوبار فى مسعاه لدى دول أوروبا لانشاء المحاكم المختلطة عهد الى الاستاذ الفرنسى " مونورى " بأن يضع له قوانين المحاكم الجديدة •

فاقتبس "مونورى" القوانين الجديدة من القوانين الفرنسية والايطالية والبلجيكية كما اقتبس بعضا من أحكام الشريعة الاسلامية الغراء • وقد بذل مجهودا جبارا لاتمام وضع هذه القوانين فى زمن وجيز جدا كان سببا فى وقوع بعض الشطط فيها حتى أن بعض كبار رجال القانون والقضاء وصفوها بأنها غير سليمة • (١)

والمعروف أن أصل قوانين المحاكم المختلطة وضع باللغة الفرنسية ثم تألفت عدة لجان لتعريبها • منها لجنة ترجمت القانون المدنى كان من أعضائها رفاعة بك رافع وعبد الله بك واحمد أفندى حلمى وعبد السلام أفندى أحمد • ولجنة ترجمت قانون المرافعات كان من أعضائها أبو السعود أفندى وحسن أفندى فهمى • ولجنة ترجمت قانون العقوبات منها محمد قدرى باشا وحسين فخرى باشا وبطرس غالى باشا وبعض علماء الازهر الشريف يشرفون على أعمال اللجان كلها • وبعد أن ترجمت هذه القوانين جمعت وطبعت فى المطبعة الأميرية • (٢)

أما عن عدد تلك المحاكم فكانت توجد ثلاثة محاكم ابتدائية الأولى فى الاسكندرية والثانية فى القاهرة • والثالثة بصفة مؤقتة فى الاسماعيلية ، وبصفة نهائية فى الزقازيق ، ثم محكمة استئناف تنعقد أيضا فى الاسكندرية ، وكانت محكمة الاسكندرية تتكون من أربعة عشر قاضيا منهم ستة من المصريين وثمانية أوربيين أما محكمة القاهرة ففيها ثلاثة قضاة مصريين وخمسة

---

١ — عزيز خانكى : نفس المصدر السابق ص ٨٨

٢ — نفس المصدر السابق ص ٨٩

من الأجانب ،وتتكون محكمة الاسماعيلية من ثلاثة قضاة مصريين وأربعة من الأجانب ،ويرأس كل منها قاض مصرى ،أما نائب الرئيس فهو أجنبى وهو فى الواقع المهيمن على ناصية الأمور. (١)

وفى ٥ نوفمبر سنة ١٨٧٦ تقدم شريف باشا بمذكرة الى مندوبى الدول الأجنبية يطلب فيها زيادة عدد القضاة فى المحاكم المختلطة ،وكان الخديوى اسماعيل يهتم اهتماما كبيرا بتلك الزيادة ،وكان يرى أنها ضرورية جدا . وقد وافق على المشروع كل من ايطاليا والنمسا والمجـــــر ،أما فرنسا فطلبت تعيين أحد القضاة الفرنسيين ضمن العدد المطلوب،ولكنها لم تجعل ذلك الطلب شرطا لموافقتها . (٢) وكانت انجلترا قد أرجأت موافقتها حتى توافق فرنسا على المشروع ،وفى ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٧٦ أصدر الخديوى مرسوما بتعيين بعض القضاة الأجانب بالفعل ،وبذلك وضع مشروعه سلفا موضع التنفيذ ،وكان قد اشترط أن يكون تعـــيين هؤلاء القضاة الجدد بواسطة الحكومة المصرية دون الرجوع الى حكومات الدول الأجنبيـــة بشرط أن يكونوا ضمن العاملين بالمحاكم المختلطة . (٣)

ونظرا لعدم معرفة هؤلاء القضاة الأجانب لأحوال الأهالى والبلاد معرفة تامة ،فقــد ســـببوا أضرارا جمة لبعض الأهالى . (٤) كما أن القوانين المستخدمة فى تلك المحاكم تعتبر ــ الى حد ما ــ جديدة بالنسبة لبعض القضاة . (٥) وأدى ذلك بدون شك الى اصـــدار بعض الأحكام التى لا تتفق مع ما ينبغى أن يكون فى مثل تلك الأحوال .

وحيث أن معظم القضاة الأجانب ــ عند وصولهم مصر لأول مرة ــ كانوا لا يعرفون ســـوى لغة بلادهم فقد كان يصعب عليهم معرفة ما يقوله المترجمون فى الجلسات باللغات الفرنســـية والايطالية وهى اللغات الرسمية المصرح باستخدامها فى المحاكم المختلطة الى جانب اللغة العـــــربية. (٦)

I - Mc.Coan:op.cit.p.29I;Colvin:op.cit.p.202 .

2 - A.A: From Farman,Cairo,27-II-1876.

3 - F.O:From Lord Lyons to Duce Ducazes.Paris,3I-8-1870.

٤ ــ اسماعيل ســـرهنك : حقائق الأخبار من دول البحار ج٢ ص ٢٥٤

5 - A.A: To The Secretary of State,Cairo,2-5-1877.
6 - De Leon: op.cit.p.III.; A.A.:From Beardesly,I4-5-1875.

وبالرغم من أن اللغة العربية كانت ضمن اللغات الرسمية التى يجوز الترافع بها أمام تلك المحاكم الا أنها أهملت تماما ولم يحدث أن ترافع أحد باللغة العربية الا فيما ندر. (١)

وان القضاة المصريين — فى المحاكم المختلطة — والذين كانوا لايعرفون سوى لغة بلادهم وهى اللغة العربية ، كما لم يكن لهم خبرة بأى قانون سوى قانون البلاد ، كانوا يضادفون فى جلسات تلك المحاكم المتاعب الكثيرة وان كان مظهرهم لم يكن يدل على ذلك. (٢)

وكثيرا ماكان يحدث فى تلك المحاكم أن يدلى الشاهد بشهادته بلغة معينة ، ويلقى المحامى دفاعه بلغة أخرى ثم يتحدث الادعاء بلغة ثالثة. (٣) وقد أدى ذلك كله الى صعوبة متابعة المتخاصمين لما يحدث أثناء الجلسة ثم ضياع بعض الحقائق فى وسط ذلك الاختلاف فى اللغات وفى القوانين المستخدمة فى المحاكم المختلطة

ومما يؤخذ على تلك المحاكم أيضا ارتفاع نفقات التقاضى ، فكان على المتقاضين دفع جميع النفقات اللازمة للاستمرار فى القضية بما فى ذلك أتعاب المحامين. (٤)

ومنذ أن بدأت تلك المحاكم عملها فى أول فبراير سنة ١٨٧٦ واصلت عملها دون انقطاع فيما عدا ثلاثة أشهر من كل سنة وهى شهور يولية وأغسطس وسبتمبر ، فقد كان يعمل فى تلك الاشهر بعض القضاة المكلفين بنظر القضايا العاجلة ، وكذا انجاز الاعمال التى لاتحتمل التأخير. (٥)

ولقد حدث أثناء قيام أحد القضاة الاجانب بنظر القضايا العاجلة فى فترة الصيف أن أغلق المحكمة التى كان مكلفا بنظر القضايا الخاصة بها وذلك فى يولية سنة ١٨٧٦ ورفض

---

١ — اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار جـ٢ ص ٣٥٤

2 - De Leon;op.cit.p.II2.

3 - A.A: 2-5-I877.

4 - op.cit.From Farman.   5 - Ibid.

جميع القضايا المعروضة عليها وعددها كان كبيرا بحجة أن الحكومة المصرية لم تقم بتنفيذ الأحكام الصادرة ضد الدائرة السنية . وإزاء ذلك حل محله قاض آخر بناء على تعليمات مستر " لابنا Lapenna " نائب رئيس محكمة الاستئناف ، ولكن القاضي المذكور رفض أيضا تسليم القضايا الى من سيقوم بتلك المهمة . وقبل أن توجه اليه محكمة الاستئناف أية تهمة أرسل خطابا مطولا يسيء فيه الى اثنين من قضاة تلك المحكمة وأخذ يتحدى جميع أعضاء المحكمة الذين كلفوا بمحاكمته ووافقت هيئة المحكمة بالاجماع على ادانته وتنحيته عن وظيفته . (١)

ولهذا الخوف تقدم شريف باشا بمذكرة الى مندوبي الدول في ١٩ مارس سنة ١٨٧٨ يوضح فيها وجهة نظره بشأن اعتبار هيئة المحكمة ضمن الفئات التي يجب أن تخضع للمحاكمة أمام محكمة الاستئناف المختلطة في حالة ارتكابها لأية مخالفات وذلك طبقا لقرارات لجنة الآستانة الصادرة في سنة ١٨٧٣ وتصحيحا للمادة التاسعة من الفصل الثاني من قوانين المحاكم المختلطة ، كما طلب أيضا خضوع الوزراء للمحاكمة أمام تلك المحاكم . (٢)

ولقد تقدمت الحكومة المصرية بمشروع الى قضاة محكمة الاستئناف المختلطة يقضي بامتداد سلطة المحاكم المختلطة في نظر جميع القضايا المدنية والتجارية التي يكون جميع أطرافها من الأهالي ، وقد أقر القضاة ذلك المشروع ، كما اقترح الخديوي أن يمتد اختصاص تلك المحاكم لكي تنظر القضايا التي يكون فيها طرفي النزاع من جنسية واحدة وبذلك يصبح من اختصاص المحاكم المختلطة نظر جميع القضايا المدنية والتجارية في مصر دون النظر الى جنسية المتخاصمين ، وبذلك تحرم المحاكم القنصلية من ممارسة معظم اختصاصاتها ، فيما عدا القضايا الجنائية والخلافات الشخصية بين رعايا الدولة التابعة لها . (٣)

I - A.A:From Farman,Cairo,II-I2-I876.

2 - Ibid;5-4-I8 78.From Cherif Pasha ,I9-3-I878.

3 - Ibid, I0-7-I878.

وعند ما علمت انجلترا أن الخديوى اسماعيل سيعرض مشروع فرض ضرائب جديدة على المحاكم المختلطة لاقراره ، احتجت على ذلك لأن قانون المحاكم المختلطة لا ينص على ذلك مطلقا كما ذكرت فى احتجاجها أن فرض مثل تلك الضرائب يجب أن يكون بناء على اتفاقيات دولية ولا يمكن فرض مثل تلك الضرائب مالم تنص عليها تلك الاتفاقيات وبعد موافقة الطرفان عليها كما ذكرت أن من سلطة المحاكم المختلطة أن تقرر فقط دفع ضرائب معينة من عدمها ، أو زيادة تلك الضرائب المفروضة أو انقاصها ، وغير ذلك من الضرائب الموجودة فعلا ، وعلى هذا رفضت الحكومة الانجليزية عرض مثل ذلك المشروع على هيئة المحاكم المختلطة . (١)

وعند انشاء المحاكم المختلطة عقد القنصل الامريكى فى مصر (كومانوس Comanos) اتفاقية مع الحكومة المصرية بشأن تكوين لجنة لنظر قضايا الرعايا الأمريكيين المؤجلة والتى ترجع الى فترة ماقبل انشاء المحاكم المختلطة فى أول فبراير سنة ١٨٧٦ ، وكانت هذه اللجنة تتكون من ثلاثة قضاة من محكمة الاستئناف وهم القاضى " بارينر Barrigner " والقاضى النمسوى " لابنا Lapenna " ومسيو " ليتوربيه Letourieux " القاضى الفرنسى . كما قام مندوبو الدول الأجنبية الأخرى بعقد اتفاقيات مماثلة لتكوين لجان لنظر قضايا رعايا دولهم والتى حدثت قبل انشاء المحاكم المختلطة . (٢)

ولقد أصدرت المحاكم المختلطة عدة أحكام تلزم الحكومة المصرية بدفع التعويضات الباهظة للأجانب مثلها فى ذلك مثل المحاكم القنصلية ، ولذلك أصبحت تلك التعويضات مثار نزاع شديد بين الحكومة المصرية والمحاكم المختلطة . فمثلا كان مسيو " بروكار Brocard " الفرنسى قد تعاقد مع الحكومة المصرية على استغلال ترعة المياه العذبة فى الاسماعيلية ، وحدث خلاف بينه وبين الحكومة ، ولما عرض ذلك النزاع على محكمة القاهرة المختلطة ألزمت الحكومة المصرية

I - F.O: To Mr.Cookson, I8 -8- I875.

2 - A.A: From Comanos, Cairo, 20-4-I876.

بدفع مبلغ ٥٠٠٠٠٠ جنيها لمسيو " بروكار " وبالطبع رفضت الحكومة دفع مثل هذا المبلغ وكما سبقت الاشارة فبروكار هذا فرنسي الأصل ، والمعروف أن فرنسا كانت احدى الدول التي رفضت التوقيع على اتفاقية المحاكم المختلطة في وقت من الأوقات ، وعلى ذلك فيمكن أن تنسحب من تنفيذ تلك الاتفاقية مادامت ترى أن مصالح رعاياها ليست في مأمن . (١)

ولقد أدى عدم تنفيذ الحكومة المصرية لبعض أحكام المحاكم المختلطة الى احتجاج بعض الدول الأجنبية على ذلك ، وخصوصا انجلترا التي أرسلت الى قنصلها في مصر بضرورة التشاور مع زملائه قناصل الدول الأخرى في هذا الشأن بعد أن قامت هيئة المحاكم المختلطة بالاحتجاج لدى هيئة القناصل في مصر بشأن عدم تنفيذ الأحكام الصادرة ضد الحكومة المصرية . (٢) وبالرغم من ذلك فقد بعث شريف باشا بمذكرة احتجاج الى القنصل الأمريكي في مصر ، على ماذكرته بعض الصحف الأجنبية المعادية من أن الحكومة المصرية لاتنفذ الأحكام الصادرة ضدها من المحاكم المختلطة ، وأضاف شريف باشا أن كل ماحدث هو حدوث بعض التأخير في تنفيذ تلك الأحكام وأن ذلك حدث بدون قصد . (٣)

وعند حدوث الأزمة المالية قام الخديوي باصدار مرسومين لتأجيل دفع الكوبون الذي كان مقررا سداده في ٦ ابريل سنة ١٨٧٦ وضم ديون الدائرة السنية الى الدين العام عندئذ قررت محكمة الاسكندرية المختلطة أن اصدار هذين المرسومين لايتفق ومعاهدات الامتيازات . فغضب الخديوي لهذا القرار وصرح بأنه ليس من سلطة تلك المحاكم أن تعترض على قراراته وأنها بذلك تعتدي على سيادته وتمنعه من مباشرة سلطاته . (٤)

I - De Leon: op.cit. pp. 423, 424.

2 - F.O: To Mr; Vivian, I5-2-1878;

op.cit, From Stanton to Derby, Alex, 25-5-1875.

From Malet to Derby, Rome, I4-9-1879

3 - A.A: From Farman, Cairo, 3-4-1877.

4 - Ibid; From Hamilton Fish, Washington, 20-7-1876.

وكما نشب النزاع بين الخديوى والمحاكم المختلطة ، فقد حدث نزاع أيضا بين تلك المحاكم والمحاكم القنصلية التى اعترضت على نظر المحاكم المختلطة لقضايا الافلاس عندما أصدرت محكمة الاسكندرية المختلطة أنه من مصلحة الأجانب أن تنظر المحاكم المختلطة فى قضايا الافلاس أيا كانت جنسية المفلس ودائنيه . (١)

مما سبق يتضح حدوث بعض الخلافات بين المحاكم المختلطة والحكومة المصرية من جهة وبينها وبين المحاكم القنصلية من جهة أخرى ، وقد ازدادت شقة الخلاف بعد حدوث الأزمة المالية واضطرار الخديوى الى تأجيل دفع الديون واحتياجه لاصدار تلك المحاكم الأحكام ضده وضد الحكومة المصرية بوجه عام .

ومن الواضح أن المحاكم المختلطة كانت تعمل دائما على نصرة الأجانب شأنها فى ذلك شأن المحاكم القنصلية ، لأن معظم قضاة تلك المحاكم كانوا من الأجانب الذين لم يراعوا العدالة فى الأحكام التى كانوا يقومون باصدارها .

أما عن النزاع الذى حدث بين المحاكم القنصلية والمحاكم المختلطة فيرجع ذلك الى قرار الخديوى الذى صدر بشأن التوسع فى اختصاصات المحاكم المختلطة حتى تشمل نظر القضايا التى يكون طرفى النزاع فيها من جنسية واحدة وهو مالم ينص عليه قانون المحاكم المختلطة الذى ترك ذلك الاختصاص للمحاكم القنصلية .

والواقع أنه من الأخطاء التى حدثت عند اقرار اتفاقية انشاء المحاكم المختلطة هو الموافقة على بقاء المحاكم القنصلية وعدم اختصاص المحاكم المختلطة بنظر القضايا الجنائية والتى ظلت من اختصاص المحاكم القنصلية وحدها ، ولذلك لم يكن قانون المحاكم المختلطة كاملا شاملا لكل الوجوه التى يجب أن تختص بها تلك المحاكم .

---

1 - O.p.Cit: From Farman, Cairo, 14-1-1877;
F.O: From Vivian, Cairo, 5-3-1877.

كما لم تحصل مصر على الثمرة المرجوة من انشاء تلك المحاكم لاستمرار ارتكاب بعض الاخطاء التى كانت تحدث فى ظل المحاكم القنصلية من ذلك أن المحاكم المختلطة لم تحد من مسألة مطالبة الحكومة المصرية بالتعويضات الباهظة لمصلحة الاجانب والتى كانت من الاسباب الرئيسية لحدوث الخلاف بين هيئة تلك المحاكم والحكومة المصرية .

ومن عيوب تلك المحاكم أيضا — كما سبقت الاشارة — أن اللغة العربية بالرغم من اعتبارها ضمن اللغات الرئيسية المعترف بها فى الترافع أمام تلك المحاكم الا أنه لم يحدث أن ترافع أحد المحامين باللغة العربية ، وكذلك اهمال القضاة المصريين فى تلك المحاكم ولو أن رئيس المحكمة كان مصريا الا أن النفوذ الفعلى كان لنائب الرئيس الذى كان بالطبع أجنبيا .

وفى الحقيقة لم يكن لمصر أى سلطان على تلك المحاكم ،وكانت مهددة دائما بالعودة الى نظام المحاكم القنصلية فى حالة عدم رضاء الدول الاجنبية عن تلك المحاكم ،ولذلك حددت اتفاقية انشاء تلك المحاكم مدة خمس سنوات كتجربة يستمر بعدها ذلك النظام أو يتوقف ، ولذا كانت الحكومة المصرية مضطرة دائما لقبول أحكام تلك المحاكم — بقدر الامكان — خوفا من العودة الى النظام القديم وهو نظام المحاكم القنصلية الذى قاسى الأهالى منه الكثير ، ولو أنها كانت تعمل — فى بعض الاحيان — على الحد من سلطات تلك المحاكم ،عندما ترى فى قراراتها ما يتعارض مع سلطة الحكومة .

مما لم تحصل مصر على الثمرة المرجوة من انشاء تلك المحاكم لاستمرار ارتكاب بعض الأخطاء التي كانت تحدث في ظل المحاكم القنصلية من ذلك أن المحاكم المختلطة لم تحد من مسألة مطالبة الحكومة المصرية بالتعويضات الباهظة لمصلحة الأجانب والتي كانت من الأسباب الرئيسية لحدوث الخلاف بين هيئة تلك المحاكم والحكومة المصرية .

ومن عيوب تلك المحاكم أيضا — كما سبقت الاشارة — أن اللغة العربية بالرغم من اعتبارها ضمن اللغات الرئيسية المعترف بها في الترافع أمام تلك المحاكم الا أنه لم يحدث أن ترافع أحد المحامين باللغة العربية ، وكذلك اهمال القضاة المصريين في تلك المحاكم ولو أن رئيس المحكمة كان مصريا الا أن النفوذ الفعلي كان لنائب الرئيس الذي كان بالطبع أجنبيا .

وفي الحقيقة لم يكن لمصر أي سلطان على تلك المحاكم ،وكانت مهددة دائما بالعودة الى نظام المحاكم القنصلية في حالة عدم رضاء الدول الأجنبية عن تلك المحاكم ،ولذلك حددت اتفاقية انشاء تلك المحاكم مدة خمس سنوات كتجربة يستمر بعدها ذلك النظام أو يتوقف ، ولذا كانت الحكومة المصرية مضطرة دائما لقبول أحكام تلك المحاكم — بقدر الامكان — خوفا من العودة الى النظام القديم وهو نظام المحاكم القنصلية الذي قاسى الأهالي منه الكثير ، ولو أنها كانت تعمل — في بعض الأحيان — على الحد من سلطات تلك المحاكم ،عندما ترى في قراراتها ما يتعارض مع سلطة الحكومة .

الفصل الحادى عشر

ازدياد النفوذ الأوروبى وسيطرة الأجانب على السياسة المصرية

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر

العوامل التي أدت الى ازدياد النفوذ الأوروبي في مصر :

كان من أثر الأزمة الدولية ، التي أثارها النزاع بين محمد على والسلطان ، أن فرضت أوروبا نفسها على طرفي النزاع ووصلت الى حل وسط طبقا لمعاهدة لندن (١٥ يولية ١٨٤٥) ١٨٤٠ والخط الشريف الذي وقعه السلطان في ١٣ فبراير ١٨٤١ وفرمان أول يونية ١٨٤١ .

وهكذا أملت الدول الأوروبية الكبرى التسوية وضمنت استدامتها ، وبذلك فرضت نفسها حكما بين الطرفين متقاضية ثمن تدخلها نفوذا عريضا يستمد حيويته تارة من التسوية وتارة أخرى من الامتيازات الأجنبية القديمة وضعف السلاطين ، وهي تسعى جاهدة الى ابقاء الوضع على ما هو عليه وتستخدمه في بناء وتدعيم مصالحها الاقتصادية .(١)

وهكذا أضعف التحالف الأوروبي ضد محمد على مصر وفرض عليها وصاية الاتحاد الأوروبي بحيث تعرضت للتدخل الأوروبي بكل أبعاده وبخاصة بعد تدفق الأجانب عليها منذ بداية حكم سعيد . وذلك بعكس ما حدث في عصر عباس باشا الأول الذي كان يكره الأوروبيين ويحتقرهم حتى أنه قام بطرد الموظفين الفرنسيين الذين طالما استعان بهم محمد على في معظم أعماله .(٢)

أما سعيد باشا ، الذي كان تعليمه فرنسيا ، أخذ يعمل على التعاون مع الأوروبيين وتكوين علاقات ودية مع الدول الأجنبية .(٣) مما أدى الى زيادة هجرة الأجانب الى مصر .

وكان اخفاق سعيد باشا في مقاومة أصحاب الادعاءات في التعويضات الجسيمة على

---

١ — دكتور احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ص ١٠

2 - Elgood(P.G): Egypt.p.78.

3 - Watkins: Popular History of Egypt.p.73?.

الحكومة المصرية ، من الأجانب الجشعين ، أحد العوامل التى أدت الى استحكام الأزمة المالية . (١)

ومن العوامل التى أدت الى زيادة النفوذ الأوروبى فى مصر ، ذلك الامتياز الذى منحه سعيد باشا لصديقه دلسبس بانشاء قناة السويس ، وبدأت مرحلة جديدة من التنافس بين الدول الأوروبية — وبخاصة انجلترا وفرنسا — للسيطرة على مصر . فمنذ انشاء قناة السويس وافتتاحها رسميا سنة ١٨٦٩ وهى أهم طرق المواصلات بين الشرق والغرب وأعين المطامع الاستعمارية متفتحة تلتمس الفرصة للانقضاض على استقلال البلاد . (٢)

ولقد بدت مظاهر الاسراف والبذخ واضحة فى حفلات افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ فمثلا أرسل اسماعيل عدة خطابات الى متعهدى الحفلات فى جميع أنحاء العالم يطلب منهم امداده بالنبيذ وغيره وكل ما يلزم تلك الحفلات ، كما أرسل اسماعيل يدعو ملوك ورؤساء دول أوروبا ، وكذلك بعض الأمراء والنبلاء لحضور حفلات الافتتاح ، وبالغ اسماعيل فى اكرام المدعوين . (٢) ويتحدث أحد المدعوين عن مظاهر الاسراف والبذخ فى تلك الاحتفالات قائلا : " لم نر مظهرا من مظاهر الاسراف كهذا المظهر ، لقد فتحت لنا أبواب أفخم الفنادق التى كانت رهن اشارتنا ، وعوملنا على أننا ضيوف الخديوى ، بكرم زائد ، ياله من أمير غاية فى السخاء ، ذلك الذى دعى حوالى مائة شخص أتوا من فرنسا وأسبانيا وألمانيا والسويد وغيرها ، وجعلهم يزورون الوجه القبلى ، كما دعى أيضا حوالى تسعمائة شخص فى حفلات افتتاح قناة السويس ، والذين عاشوا وأكلوا وشربوا وأقاموا مجانا على نفقة

---

١ — دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٥١

٢ — نجيب توفيق : الثائر العظيم عبد الله النديم ص ١٢

3 - Dicey: The Story of The Khedivate, pp.74;75.

الخديوى ، وهذا كرم ليس له مثيل ، ولا يستطيع أن يجاريه فيه أحد ." (١)

وهكذا أنفق اسماعيل الأموال الطائلة فى حفلات افتتاح قناة السويس ، مما كان له أكبر الأثر فى اضطراره للاستدانة من المرابين ، تلك الاستدانة التى كانت أحد العوامل الرئيسية فى تغلغل النفوذ الأوروبى فى مصر فى تلك الفترة .

فكانت مخاطراته فى الاقتراض من المرابين فى أسواق أوروبا محزنة للغاية ، ولم يتمكن دائما من تقديم الضمانات الكافية ، وكان — فى جميع الأحوال — ضحية المغامرين والمستغلين الذين يسحبون وراء الثراء السريع ، ويعملون لمصلحتهم الشخصية فقط . وحصل "جوشن وأوبنهايم" و"روتشلد" ، على أعظم ربح من مغامراتهم المالية فى مصر ، فمثلا حصلت مصر من القرض الذى كانت قيمته ٣٢ مليون جنيه سنة ١٨٧٣ بفائدة ٣٢ فى المائة ، حصلت على ١١ مليون فقط . (٢) وهذا يدل على مدى استغلال هؤلاء المرابين لظروف الخديوى اسماعيل المالية .

وفى الوقت نفسه خضع اسماعيل لضغط هؤلاء المغامرين ، وكثيرا ما لحق به الضرر من جراء تصرفاتهم ، فمثلا أعطى المدعو " Cosell " — والذى كان مقيما فى مصر — مكافأة سنوية قدرها ٢١٠٠ فرنك بالاضافة الى تعويض قدره ١٠٫٠٠٠ فرنك ، وذلك لتعويضه عن الضرب الذى لاقاه على أيدى رجال الشرطة المصريين . (٣) وتلك التعويضات الباهظة أدت بدون شك الى اثقال كاهل الخزينة المصرية وتراكم الديون التى كانت أحد أسباب التدخل الأجنبى فى شئون مصر .

---

1 - Sammarco:op.cit.p.I94.

2 - Elgood: Egypt.p.8I.

3 - David(S.L): Bankers and Pashas,pp.I3I,I32 .

ولم تكن مصروفات الحكومة فى ذلك الوقت عادية ، بل كان فيها عنصر مخيف هو المصروفات المخصصة للموظفين الأجانب والتعويضات الفاحشة التى كانت تدفع فى كل وقت للدائنين الأجانب. وذلك أن اسماعيل رغب منذ توليته العرش فى أن يجعل مصر قطعة من أوروبا ، وبما أن الفكرة كانت تتحول عنده بسرعة الى رعونة ، ظن أنه يستطيع ذلك بالاكثار من الموظفين الأوروبيين وباعطائهم المرتبات الضخمة وباسدائهم الهدايا والنعم ليثنوا عليه وعلى كرمه ، ثم لما وقع فى الدين انهالت عليه من الدائنين ومن الحكومات الأجنبية سيول من مستحطفى الوظائف فلم يجسر أن يرد أحدا منهم حتى اذا جاءت سنة ١٨٧٧ كانت مرتبات الموظفين الأجانب ٣٧٣٫٠٠٠ جنيه ، ولم يبق من ميزانية تلك السنة بعد سداد ما خصص للديون من فوائد واستهلاك سوى ٧٠٠٫٠٠٠ جنيه ، وكان على الحكومة أن تنفق منها على جميع شئون البلاد ، على موظفيها وعلى الجيش والشرطة والرى والتعليم والمحاكم والصحة العمومية وغير ذلك. (١)

ويقول "مسيو جابرييل شارم" : (كان اسماعيل باشا كريما بالنسبة للآخرين ، ثم من فرنسيين وايطاليين وانجليز فشلوا فى بلادهم ويجدوا فرصا ذهبية فى مصر. فكان الخديوى لايبخل عليهم بشىء. وكنت تجد الكثيرين منهم فى قصور الخديوى ويربحون الكثير من وراء أبسط الأعمال. وكان ضعف مركز الباشوات فى مصر لايدع لهم مجالا للتفوق على الأوروبيين وفى السيطرة على الوظائف الادارية الهامة فى الحكومة المصرية." (٢)

وعندما أراد الخديوى الاقلال من الموظفين الأوروبيين فى مصر ، بدأت انجلترا بنفسها ولكن فرنسا وباقى الدول الأوروبية لم تحاول السير فى نفس الاتجاه. ولم يحاول الخديوى

---

١ — الفريد سكاون بلنت: التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر (مترجم) ص ١٨

2 - A.A: From Farman, Cairo, I-9-I87 9.

الاستغناء عن خدماتهم تماما وكان ذلك أيضا رأى باقى الوزراء الذين أكدوا ضرورة بقاء الموظفين الأجانب لكى يقوموا بتدريب الموظفين المصريين فى ادارات ومصالح الحكومة المصريـــــة.(١)

وكان يوجد تنافس بين كل من انجلترا وفرنسا للحصول على الوظائف الرئيســية لأتباع كل منهما فى مصر ،وكان الموظفون الفرنسيون يحقدون بشدة على زملائهم الانجليز لأنهم كانوا يظنون أن الحكومة المصرية ـ فى عهد اسماعيل ـ تحابى الموظفين الانجـليز دون الفرنسيين . ومن هنا نشأت عدة خلافات بين الحكومة المصرية والقنصل الفرنســى فى مصر "بارون دى ميشيل De Michels " وكثيرا ما كان القنصل الانجليزى يتدخل لتخفيف حـــدة تلك الخـــلافات.(٢)

وبعد اشتداد الأزمة المالية فى البلاد ،كان الموظفون الأجانب يعملـــون بطبيعة الحــال على ارهاق الفلاح المصرى لكى يتمكنوا من جمع المبالغ اللازمة لســـــداد استحقاقات الفوائد المطلوبة لأولئك المرابين ،وكانوا على أخلاق وكفاءة لم يشهدها أحد فى الأجانب الآخرين الذين بليت بهم البلاد حتى ذلك الوقت ،وجلبوا علـى أوروبـــا بســـوء تصرفاتهم وفســـاد سيرتهم سخط المصريين العام واحتقارهم.(٣)

وكان اسماعيل لايحسب حسابا للتدخل الأوروبى ،وماينطوى عليه من المطامع التى تهدم كيان الاستقلال ،وهذا الخطأ الجسيم فى سياسة اسماعيل ،ناشئ ـ كما سبقت الاشارة ـ الى نزعته الأوروبية ،فان هذه النزعة جعلته يثق بأوروبا ،والدول الأوروبية ،والجـاليات

I - De Malortie(Baron):Egypt.pp.I63,I64.

2 - F.O: From Vivian to Earl of Derby,Cairo,27- I-1877.

٣ ـ الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل . ج ٢ ص ٤١٦

الأوروبية ثقة عمياء ، ويركن اليها ويعتقد فيها حسن النية ، ولا يفطن لمطامعها الاستعمارية ففتح أبواب البلاد على مصراعيها للتدخل الأجنبي وسمح للأوروبيين أن يتغلغلوا في مرافقها ويتولوا المناصب الرفيعة في حكومتها . (١)

ويقول "فان بملن Van Bemlen " : (ان علاقات الحكومات الأوروبية بمصر لم تقـــم الا على قاعدة تحقيق مصالحها ومصالح رعاياها ، وان سياستها المبنية على الاثرة والأنانيـة لم يتخللها أى شعور بالعطف أو بالرأفة أو بالواجب نحو مصر ، ومعظم الأوروبيين الـــذين جاءوا الى هذه البلاد كانوا من أحط الطبقات ولم يكن همهم الا الاثراء على حساب البلاد .) (٢)

هذا مايقوله كاتب أوروبى عادل مثقف أدرك سير الأمور فى مصر ، لكن الخديوى اسماعيل لم يفطـــن الى تلك الحقـــائق .

ونحن ماكانت تعانيه مصر فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخها من تدخل الأجانب وترك موارد البلاد ومرافقها فى أيدى الشركات الأجنبية ، تستغلها لحسابها ، وتســرك الادارة المصرية فى أيدى الأوروبيين ، وفى أواخر حكم اسماعيل حاول المصريون أن يتخلصـــــوا من التدخل الأجنبى ، فقد كان الانجليز أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد ، وكان الخديوى والوزراء آلة بأيديهم يحكمونها كيف يشاءون . (٣)

وفى عهد الخديوى توفيق ، ازداد عدد الموظفين الأجانب فى الحكومة المصريـــــة ، بازدياد التدخل الأجنبى فى البلاد ، فعمل كل من المراقبين الانجلـــيزى والفرنســـى على تعيين الموظفين الأجانب ، وكان كل منهما — عند خلو وظيفة — يجتهد أن يعيـــــن فيها من بنى جنسه ، ونشأ من ذلك أن كانت الوظائف تخلق خلقا فى بعض الأحيان للمعادلة

---

١ — عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل . ج ١ ص ٧٦

2 - Van Bemlen: L'Egypte et L'Europe.p116.Vol.I.

٣ — نجيب توفيق : الثائر العظيم عبدالله النديم . ص ١٨

بين الموظفين من الفريقين ، مع عدم الحاجة اليهم ، وعلى هذا لم يبق للموظفين المصريين الا الوظائف الصـــــغيرة . (١)

ولقد أزعجت البلاد وأثيرت بسبب السيطرة على مالية البلاد ، فى الوقت الذى ازدادت فيه أعداد الاجـــانب ونفقاتهم بشـــكل مغـــالى فيه . (٢)

والمعروف أن ديون الخديو الهائلة التى أثقل بها اسماعيل الخزينة المصرية كانت نتيجة الاســـراف الزائد عن الحـــد والمشروطات الغير ضـــرورية والفوائد البـــاهظة التى كان يدفعها ليحصل على القروض (٣) ، ولايفوتنا فى هذا المجال أن نتحدث عـــن جشـــع الممولين الاجانب الذين قدموا لقروض لمصر والذين تسبب جشعهم فى اربـــاك مالية البلاد . وفى ذلك يقول " كيف Cave " : " ان التكاليف الحقيقية لكل قـــرض مصرى لم تقل عن ١٢ فى المائة سنويا ومنها مابلغت ٢٦،٩ فى المائة ، كما حدث فى قرض السكة الحديد سنة ١٨٦٩ ، وان جشع الممولين الاجانب كان من العوامل التى أدت الى ارتباك المالية ، وان هذا الجشع لم يظهر فى عمليات القروض فحسب ، بل فى كافة مقاولات الاشـــغال العمومية التى عقدوها مع الحكومة . " (٤)

وكان اسماعيل يسعى للحصول على القروض بأية وسيلة لكى يتمكن من الحصول عـــلى الامتيازات التى ينشـــدها من الباب العالى ولاســـترضـــاء الاجـــانب ولدفع فوائـــد الديـــون للدائنين ، وقد أدى ذلك الى تدخـــل الدول الاوروبيـــة لحماية حقوق الدائنين (٥)

---

١ ـ احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ١ ص ١٠٤

2 - Colvin:op.cit.p.9.

3 - Dicey : op.cit.p.I72.

٤ ـ دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ١٤٤

5 - Wallace(Mackensie): England and The Egyptian Question, p.32 9.

ولقد بدا التدخل الاجنبي في شئون مصر واضحا بتعيين وزيرين اجنبيين في الوزارة المصرية ، حيث عين "السير ريفرز ولسن" الانجليزي وزيرا للمالية ، "دي بلنيير" الفرنسي وزيرا للاشغال . (١)

وبذلك أصبح الحكم الفعلي في مصر في يد الوزيرين الاوروبيين ، بعد أن انحاز اليهما نوبار باشا رئيس الوزراء ورياض باشا وزير الداخلية . (٢)

ثم جاءت ايطاليا والنمسا تطلبان من انجلترا أن يكون لكل منهما نصيب في الوزارة المصرية ، فطلبت ايطاليا نظارة الحقانية وطلبت النمسا أن تعين نمساوي ناظرا للمعارف . (٣)

واجابة لطلب كل منهما ، عين ايطالي مراقبا عاما للحسابات ، ونمساوي مساعدا لناظر المالية . (٤) وهكذا سيطرت الدول الاوروبية على زمام الحكم في مصر .

وكثيرا ما تحدث "يعقوب صنوع" صاحب مجلة (أبو نظارة) عن التدخل الاجنبي في شئون مصر في مقالاته الحديدية والتي كان ينشرها في تلك المجلة ، وكان ينتقد تصرفات انجلترا وتدخلها في شئون البلاد تدخلا يسيء الى كرامة مصر وحريتها واستقلالها . (٥)

وتكون حزب قومي في مصر ، هدفه التخلص من الاجنبي البغيض ، ولقد انتهز الخديوي فرصة الثورة التي حدثت في القاهرة في فبراير سنة ١٨٧٦ للتخلص من نوبار واحلال ابنه توفيق محله في الوزارة . (٦)

ثم تدخلت ألمانيا واحتجت على عدم تنفيذ الحكومة المصرية لأحكام المحاكم المختلطة فيما يختص بمصالح رعاياها من الدائنين في مصر ، وطلبت اقالة اسماعيل وانضمت اليها باقي

---

١ ـ دكتور محمد فؤاد شكري : نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٢٥٥
٢ ـ F.O. From ... to the Earl of Derby, ... 1876.
٣ ـ دكتور ... الاقتصادي في ... ص ٢٨٠
From Stanton to the Earl of Derby, Alex, 18-3-1876.
٤ ـ تيودور روثستين (مترجم) : المسألة المصرية ، ص ٦٥ نقلا عن جريدة التيمس في ١٨٧٨/١٠/١٤
٥ ـ دكتور ابراهيم عبده : أبو نظارة ، ص ٣٥ العدد السادس (٢٥ ربيع ثان ١٢٦٥)
6 - Watkinson, op. cit. p. 748.

الدول وفي مقدمتها انجلترا وفرنسا .(١)

وبالفعل طلبت جميع الدول الأوروبية الممثلة في مصر الى السلطان ضرورة خلع اسماعيل ، وعلى الفور صدر فرمان بشأن عزل اسماعيل وتولية ابنه محمد توفيق حاكما لمصر وذلك في يونية ١٨٧٩ .

مما سبق يتضح أن من العوامل التي أدت الى زيادة النفوذ الأوروبي في مصر اعتماد اسماعيل على الأجانب في معظم أعماله ، ولأنه كان يريد — على حد قوله — أن يجعل مصر قطعة من أوروبا . وقد جاء ذلك الدول بالضرر البالغ على مصر ، اذ اضطر الى الاستعانة بالموظفين الأوروبيين الذين استخدمهم في الحكومة المصرية وازدادت أعدادهم خصوصا بعد اشتداد الضائقة المالية .

ثم اضطر الى الاستدانة من المرابين الأجانب الذين كانوا يقرضونه الأموال بالربا الفاحش ، وعندما تأخر في سداد تلك الديون ، لجأ هؤلاء الأجانب الى حكوماتهم التي سرعان ما تدخلت لمصلحتهم ، بحجة حماية مصالح رعاياها من الدائنين ، وتكونت لجان التحقيق الأوروبية — والتي سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في الصفحات التالية — ثم اشترك الوزراء الأجانب في الحكومة المصرية وسيطرتهم على الحكم بشكل واضح ، ولما أراد اسماعيل أن يسترد نفوذه باقالة الوزيرين الأجنبيين سعت تلك الدول ، وخاصة انجلترا وفرنسا ، لدى السلطان حتى تمكنت من عزله ولم يقتصر الأمر على ذلك ، فعند تولى الخديوى توفيق ازداد النفوذ الأوروبي في مصر وخاصة نفوذ انجلترا ، التي عملت على اختلاق الحوادث التي مهدت لها احتلال مصر وبالفعل تم لها ما أرادت ، وفرضت سلطتها على البلاد ، وأصبح حاكم مصر لا حول له ولا قوة .

---

١ — دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان . ص ١٧٥

تاريخ الصراع بين انجلترا وفرنسا على النفوذ فى مصر :

كانت انجلترا وفرنسا من أقوى الدول الأوروبية نفوذا فى مصر ، فمنذ حملة نابليون نشب بينهما صراع شديد لم يحسمه الا الوفاق الودى . وهذا الصراع كان استمرارا للنضال الاستعمارى بين البلدين فى كندا والهند ، وكانت هزيمته فى هذه المرة أيضا انهزام فرنسا فى معظم الميادين التى تصدت لها فيها انجلترا وبخاصة على ضفاف النيل . فحتى سنة ١٨٤١ كانت فرنسا تعتبر كل توسع لمصر فى الشرق الأدنى امتداد للنفوذ المعنوى الفرنسى . ولما كان الفرنسيون أكثر من الانجليز اضطراما لصوت العاطفة فقد ربطوا بين مصر وذكرى حملة لويس التاسع والامتيازات الأجنبية التى اعتبرت فرنسا مصر صاحبة الفضل فيها ، والصداقة الوطيدة التى قامت بين فرنسوا الأول والسلطان سليمان القانونى فى القرن السادس عشر ، وحق فرنسا فى حماية المسيحيين من رعايا السلطان ، وقيام تلك المؤسسات التجارية والثقافية التى أنشأتها فى شرق البحر المتوسط الشركات والهيئات الدينية الفرنسية . ومنذ حملة نابليون اعتبرت فرنسا مصر منطقة نفوذ لها وحدها ، مستوحية أمجاد هذه الحملة واصنعتة لتاريخ مصر . (١)

لقد غزت فرنسا مصر سنة ١٧٩٨ وذلك بحجة أن بعض الرعايا الفرنسيين الذين كانوا يعملون بالتجارة فى مصر أسيئت معاملتهم ، ولكن السبب الرئيسى لذلك الغزو هو أن نابليون كان يود أن يجعل من البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية ، وكان يعتبر مصر أساسا للانقضاض على الهند الانجليزية ، بالاضافة الى أنها مفتاح تجارة الشرق وما لبثت آمال نابليون أن ذهبت أدراج الرياح ، بانتصار انجلترا فى موقعة أبى قير البحرية ، مما أدى الى فشل الحملة الفرنسية . (٢)

---

١ — دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية . ص ص ١١/١٢

2 - Watkins: op.cit.p p.34.35.

وكان اهتمام فرنسا بعد تسوية سنة ١٨٤١ هي أن تمحو من ذهن محمد على الشعور السيء الذي يكنه لها ، وكان ذلك من الصعوبة بمكان ، ولكنها نجحت في النهاية بفضل مجهودات لويس فيليب Louis Philip (١) وكذلك الموظفين الفرنسيين الذين كانوا دائما يشيرون الى نظريات انجلترا العدائية بالنسبة لمصر ، وأنها سوف لا تهدأ الا اذا استولت على نصف الطريق المؤدى الى الهند على الأقل ، كما كانوا يشيرون دائما الى تقدمها المستمر في الهند ، وأن علاقاتها التجارية سوف تتحول بالتدريج الى أن تمتلك ذلك الطريق من الناحية الحربية ، كما كانوا يرددون دائما أن فرنسا وحدها هي التي تستطيع أن تنقذ محمد على من مثل تلك النتائج . وأن تخلصه من أيدى الانجليز . وقد استخدم محمد على كثيرا من الموظفين الفرنسيين في خدمته ، حيث كانوا يشغلون دائما الوظائف الرئيسية في جميع المصالح الحكومية . وكان يساعد هؤلاء الموظفين مجموعة من الموظفين المصريين والأتراك الذين تلقوا تعليمهم في فرنسا ، وهكذا وقفت فرنسا للمصالح الانجليزية بالمرصاد . وكانت انجلترا تهدف الى مد خط حديدى بين البحرين ، ولكن نجحت فرنسا أيضا في الضغط على محمد على لاستبعاد ذلك المشروع ، بالرغم من أنه كان قد اشترى ثلاثين ميلا من القضبان الحديدية ، وظلت تلك الكمية في مخازن الحكومة أكثر من خمسة عشر عاما بدون استعمال ، ولم يتم انشاء ذلك الخط الحديدى بين الاسكندرية والسويس الا سنة ١٨٥٦ في عهد سعيد . (٢)

هذا ، وكان عباس باشا الأول يعمل على القضاء على نفوذ فرنسا في مصر ، وذلك بمجرد توليته الحكم ، وكما سبقت الاشارة ، بدأ في تنفيذ تلك السياسة باستبعاد عدد كبير من الموظفين الفرنسيين من خدمته . (٣)

I - De Leon:op.cit.pp.287;288.

2 - Watkins:op.cit.p.35 .

3 - De Leon:Op.cit.p.2?0.

وبعد مجيء سعيد الذي عمل على اعادة العلاقات قوية مع الدول الغربية وخاصة فرنسا ، منح "فرديناند دليسبس" مشروع قناة السويس، وكان الفرنسيون قد قاموا بدراسة المشروع أثناء الحملة الفرنسية على مصر ، ولكنهم لم يهيأ لهم النجاح ، فبقاؤهم في مصر كان قصير المدى ، تشغلوا في أثنائه بالدفاع عن مركزهم في هذه البلاد أمام الأهالي المصريين وأمام الأتراك ، وأمام الانجليز، فضلا عن أنهم في دراستهم للمشروع قد ظنوا أن مستوى أحد البحرين أعلى من مستوى الآخر.

وخرج الفرنسيون من مصر ، بعد أن وجهوا — وهم لايريدون — نظر السياسة الانجليزية الى أهمية هذه البلاد من الناحية الاستراتيجية ومن ناحية المواصلات العالمية وأصبحت لانجلترا سياسة خاصة نحو مصر ، وضعت أسسها في مطلع القرن التاسع عشر، اتبعتها مدة طويلة ، فانجلترا لن تسمح لدولة أوروبية بالاستيلاء على مصر ، ولن تسمح بقيام حكومة قوية في مصر تهدد مصالح انجلترا .

وكانت انجلترا تنظر الى مشروع قناة السويس كمشروع فرنسي قبل كل شيء من شأنه أن يجعل للفرنسيين نفوذا كبيرا في مصر يمكنهم من التحكم في طريق عالمية لخدمة أغراضهم الخاصة حقيقة أنه كانت تربط انجلترا بفرنسا في الخمسينات للقرن التاسع عشر في عهد الامبراطور نابليون الثالث علاقات ودية ، نمت وتحولت الى تحالف متين في حرب القرم ، حين وقفت الدولتان جنبا الى جنب مع الدولة العثمانية ضد أطماع الروس ، ولكنه بالرغم من وجود ذلك التحالف، لم تنس الدولتان أبدا تنافسهما القديم في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي ميدان الاستعمار . (١)

---

١ — دكتور محمد مصطفى صفوت: انجلترا وقناة السويس، ص ص ١٠/١٢

وكانت السنوات الأولى من حكم اسماعيل ، هى الفترة التى أخذ فيها النفوذ الأجنبى يتغلغل فى البلاد ماليا واقتصاديا ، ثم انقلب هذا النفوذ فى أواخر عهده الى سيطرة مالية وسياسية بالغة الخطورة . وقد كان لفرنسا نفوذ أدبى كبير على اسماعيل وذلك لتربيته الفرنسية ، والسنوات التى قضاها فى باريس وأيضا لصلته الوثيقة بالامبراطور نابليون الثالث ، ومحاكاته اياه فى مظاهر الأبهة والعظمة ـ ويتضح نفوذ فرنسا جليا فى التجاء اسماعيل الى نابليون الثالث لحسم الخلاف بينه وبين شركة قناة السويس مع أنه يعلم بالبداهة أن امبراطور فرنسا لايمكن أن يكون حكما عادلا ، كذلك استخدام اسماعيل طائفة كبيرة من الموظفين الفرنسيين ، وبلغ هذا النفوذ الفرنسى أقصاه فى حفلات افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، فالقناة عمل فرنسى وفاتحها " دليسبس " فرنسى و"أوجينى Eugenie " امبراطورة فرنسا ، التى حضرت تلك الاحتفالات كانت تمثل الدولة الفرنسية ، وهى التى رأست حفلات الافتتاح . (١)

على أن نفوذ فرنسا فى مصر أخذ فى الاضمحلال عقب الحرب السبعينية سنة ١٨٧٠ التى كانت بينها وبين ألمانيا وانتهت بهزيمة فرنسا وأدت الى سقوط نابليون الثالث صديق اسماعيل .

وباضمحلال النفوذ الفرنسى أخذ النفوذ الانجليزى فى الازدياد حتى انتهى ذلك النفوذ الى الاحتلال الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٢ ، وقد كان مشروع الاحتلال مهددا بالاخفاق لو اشتركت فيه فرنسا ، فقد كان التعادل بين نوثيهما يحول دون سيطرة احداهما على مصير البلاد ، ولكن انهزام فرنسا سنة ١٨٧٠ أدى الى انفراد انجلترا فى بسط نفوذها على مصر .

---

١ ـ عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل جـ ١ ص ٨٩

ولقد بذل نوبار مجهودا كبيرا لكى يثير الرأى العام فى أوروبا للعمل على التدخل فى مصر ،ولقد تمكن من التأثير – لدرجة كبيرة – فى الرأى العام الانجليزى ،وذلك بعد نشوب الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ ،و د كان يفضل انجلترا على أية دولة أخرى ، ويعتقد أن تدخلها فى مصر سيفيدها أكثر من أى دولة أخرى . (١)

وكما سبقت الاشارة ،كانت انجلترا تعمل دائما على عدم زيادة نفوذ أى دولة أوروبية فى مصر حتى لايعمل ذلك على اضعاف نفوذها ،وكانت تهدف أساسا الى السيطرة على قناة السويس وذلك بتثبيت نفوذها فى مصر حتى يمكنها تحقيق أغراضها . (٢)

وقد أدى وقوع اسماعيل فى الضائقة المالية الى بيع نصيب مصر فى أسهم شركة قناة السويس الى انجلترا سنة ١٨٧٥ .(٣) وكان اسماعيل قد اتفق مع فرنسا على بيع تلك الأسهم بمبلغ ٩٢ مليون فرنك أى مايوازى ٠٠٠ر٦٨٠ر٣ جنيه استرلينى ،فأسرع الجنرال " ستانتون Stanton " – قنصل انجلترا العام فى مصر – باخطار حكومته بهذا النبأ ،وعلى الفور أحاط دزرائيلى Disraeli " – رئيس وزراء انجلترا – الملكة علما بهذا النبأ ،وفى الوقت نفسه اتفق " ستانتون " مع اسماعيل على أن يبيع تلك الأسهم وعددها ٦٠٢ر١٧٦ سهما لانجلترا . وكانت انجلترا مستعدة لدفع المبلغ فورا بينما كان فرديناند دليسبس مشغولا بتدبير المبلغ المطلوب ،وأرسل "دزرائيلى" خطابا الى الملكة ،بعد اجتماع مجلس الوزراء ،الذى وافق على هذه الصفقة قائلا :

" لقد استقر الأمر ياسيدتى على منافسة فرنسا ومفاوضة الحكومة المصرية

I - Dicey:op.cit.p.I69.

2 - Dicey: England and Egypt.p.I28.

3 - Dicey: The Story of The Khedivate.p.I?0.

على شراء الأسهم ، وأن الخديوى — وهو فى حالة يأس — يفضل أن تشترى حكومتنا كل الأسهم ، ولم يكن ينصت لمثل ذلك الاقتراح من قبل ، والمبلغ المطلوب أربعة ملايين جنيه استرلينى ، بشرط أن تدفع فورا ." (١)

وقد كتبت جريدة التيمس Times الانجليزية فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٧٥ نبأ شراء تلك الأسهم ، وأشارت بأن الجمهور فى هذا البلد وغيره ينظر الى هذا العمل الخطير ، الذى قامت به الحكومة الانجليزية من نواحيه السياسية لا التجارية . (٢)

ولقد ربح اسماعيل فى تلك الصفقة مبلغ ٤٥٠٫٠٠٠ جنيها . (٣) ولكنه لم يتطلع الى المستقبل ، فقد كانت أرباح تلك الأسهم مرهونة لشركة قناة السويس لمدة خمسة عشر عاما ، فتعهدت الحكومة بأن تدفع فوائد هذا المبلغ للحكومة الانجليزية بسعر خمسة فى المائة وظلت تدفعها حتى سنة ١٨٩٤ . (٤) وقد بلغت تلك الفوائد حتى تلك السنة مائة وعشرون مليون فرنك ، ثم قبضت من سنة ١٨٩٥ حتى سنة ١٩٠٠ حصة كانت تتراوح كل سنة بين ١٦ ، ١٧ مليونا أى ٨٥ مليونا ، فيكون مجموع ما قبضته من الربح حتى سنة ١٩٠٠ ، ٢٠٥ ملايين من الفرنكات . (٥) أى ضعف الثمن الذى اشترت به من اسماعيل ، هذا غير الربح الذى قبضته من سنة ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٥٦ وهو عام تأميم القناة .

وان اسماعيل ببيعه تلك الأسهم قد سبب لمصر خسارة كبيرة أضاعت عليها فرصة استعادة النفقات الطائلة التى بذلتها لشق القناة . (٦)

وهكذا خسرت مصر خسارة فادحة فى تلك الصفقة ، فتلك الأسهم التى باعها اسماعيل

I - Zananiri(Gaston): L'Khedive Ismail et L'Egypte.pp.I40,I4I.
٢ — تيودور روثستين : تاريخ المسألة المصرية (مترجم) ص٧
٣ — الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عصر الخديو اسماعيل ج٢ ص٣٢٥
٤ — صالح جودت : مصر فى القرن التاسع عشر ص٢٩
٥ — الفريد سكاون بلنت : التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر (مترجم) ص١٦

6 - Dicey: The Story of The Khedivate.p.I03.

لانجلترا بأربعة ملايين من الجنيهات بلغ ثمنها سنة ١٩٠٥ ، ٣٢ مليون جنيه ثم صعد الى ٧٢ مليون جنيه سنة ١٩٢٩ .(١) هذا فضلا عن أن أهداف انجلترا السياسية التى قصدت بهذه الصفقة أن تجعل لنفسها الكلمة العليا فى شئون القناة ، ومن ثم تمهد لنفسها سبيل التدخل فى شئون مصر بواسطة امتلاك القناة ، فقد استخدمت انجلترا القناة عند احتلال مصر ، كما استخدمتها هى وحلفاؤها أثناء الحربين الأولى سنة ١٩١٤ والثانية سنة ١٩٣٩ ، فأصبحت طريقا حربيا بالرغم من اتفاقية الآستانة سنة ١٨٨٨ ، التى تنص على حياد القناة . (٢)

ويقول " مسيو دى مازاد De Mazade " فى مجلة العالمين فى عددها الصادر فى أول ديسمبر سنة ١٨٧٥ ، أن شراء انجلترا لتلك الأسهم عملا سياسيا بحتا ، وهذا يدعو للأهمية ، لأنه لو أن هذا العمل لم يؤد فى النهاية الى الاستيلاء التام على الأراضى المصرية ، فانه يعتبر كخطوة أولى لذلك العمل ، وأنها أصبحت تراقب ذلك العميل الذى لجأ اليها ، وأخذت تراقبه وتبذل له المال من جديد وتطلب ضمانات جديدة . (٣)

وكان " دى مازاد De Mazade " تنبأ فى ذلك الوقت بما سيحدث فى المستقبل .

والواقع أن صفقة شراء انجلترا لتلك الأسهم تعتبر خدعة قامت بها انجلترا ، بالنسبة للشرق عامة ، ومصر خاصة ، كما أن الفرنسيين شعروا أن تلك العملية تعتبر لطمة قوية بالنسبة لنفوذهم فى مصر ، خاصة وأن انجلترا أخذت من تلك العملية خطوة لسيطرتها على القناة ، واستخدامها لأغراضها السياسية ، بل خطوة أساسية للسيطرة على مصر كلها (٤)

---

١ — عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل جـ ١ ص ٦٤

٢ — احمد الحتة (دكتور) : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ٢٨٦

3 - De Freycinet(C): La Questin D'Egypte.p.I54.

4 - A.A: From Farman, Cairo,II-I2II875.

وفى حديث للسفير الفرنسى فى لندن مع " لورد دربى Derby " ـ وزير خارجية انجلترا ـ فى ذلك الوقت ، بشأن مسألة شراء انجلترا لتلك الأسهم ، يتضح الهدف الرئيسى من وراء تلك الصفقة ، وهو عدم ترك الفرصة لأية دولة أجنبية بفرض نفوذها على مصر عامة والقناة خاصة وأن انجلترا أرادت بتلك الصفقة أن تكون هى صاحبة النفوذ الأول فى تلك المسألة دون غيرها من الدول ، فيقول " لورد دربى Derby " :

" عندما علمت أن هناك مفاوضات مع الحكومة المصرية لبيع تلك الأسهم ، كان أمامنا اما أن ندع تلك الفرصة تذهب لغيرنا ، أو نقتنصها نحن ، واننى يمكننى أن أؤكد أننا كنا نعمل على ألا يكون لأية دولة أخرى أى نفوذ فى مسألة فى غاية الأهمية بالنسبة لنا بدلا من أن نعارض " مسيو دليسبس " فهذه فرصة مناسبة لكى نتعاون معه " . (١)

وأغلب الظن أنه كان يقصد بذلك التعاون الحد من نفوذ فرنسا فى مصر بشراء تلك الأسهم .

ويقول " لورد ليونز Lyons " ـ سفير انجلترا فى باريس ـ مخاطبا لورد دربى :
"لقد قمت أمس بتنفيذ تعليماتكم الصادرة الينا ، وقابلت " مسيو دليسبس " وأخبرته أن الحكومة الانجليزية بشرائها نصيب مصر فى أسهم قناة السويس ، انما تهدف أساسا الى ازدهار تجارتها ، والتى ترتبط ارتباطا كبيرا بازدهار القناة . " (٢)

والواقع أن ذلك القول لا يظهر ما كانت انجلترا تخفيه من نوايا عدوانية نحو فرنسا ، والعمل على الحد من نفوذها فى مصر ، والاستعداد للاستقلال بذلك النفوذ فيما بعد .

ولكن الخديوى عندما باع تلك الأسهم لانجلترا فقد جرح بفعله هذا كبرياء فرنسا ولقد كان الغرض من بيع تلك الأسهم خدمة مصالح الفرنسيين أصحاب سندات الديون ، ومع ذلك فقد اعتبر هذا البيع ضربة شديدة موجهة ضد مصالح الأمة الفرنسية الوطنية ، ولم تغفر فرنسا للخديوى ذلك أبدا ، وما من شئ فعله الخديوى أو كان فى مقدوره أن يفعله منذ خريف سنة ١٨٧٥ ، استطاع أن ينال رضاء الفرنسيين ، ومن ذلك الحين انعدمت كل رحمة فى قلوبهم نحو مصر وتأثرت جميع أعمالهم التالية بالعداوة التى شعروا بها نحو الخديوى . (٣)

I - A.A ;From Lord Derby,London,27-II-I875.
2 - F.O: From Lord Lyons,Paris, I3-I2-I875.
٣ ـ محمد فؤاد شكرى وآخرون : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر ص ٢٥٢
نقلا عن تقرير فارمان فى ٨ يولية سنة ١٨٧٦ .

الأزمة المالية وزيادة التنافس بين انجلترا وفرنسا على النفوذ في مصر :

عندما ارتبكت حالة مصر المالية تزعزعت ثقة البيوت المالية الأوروبية في مقدرة مصر على سداد ديونها . ورغبة في بث الطمأنينة في البيوت المالية ، طلب اسماعيل من انجلترا أن ترسل اليه موظفا لدراسة حالة مصر المالية ، ومعاونة ناظر المالية على اصلاح ما بها من خلل . وعندما علم "دزرائيلي" أن الخديوي يعتزم اعداد خطة لتنظيم شئون مصر المالية أرسل على الفور مستر "ستيفن كيف Cave " (١) الذي اصطحب معه في هذه المهمة "كولونيل ستوكس Stokes " لمعاونته في أداء الأعمال المطلوبة . (٢)

وقبل حضور مستر كيف الى مصر ، قام جنرال " ستانتون " — القنصل الانجليزي في مصر — بمقابلة الخديوي ، وطلب منه تقديم كل التسهيلات اللازمة لمستر كيف ليستطيع تحديد مركز مصر المالي بوضوح ، ثم خاطب الخديوي قائلا :

" يجب أن يكون واضحا أن حكومة جلالة الملكة لا تهدف بأي حال من الأحوال أن تستغل مهمة هذه البعثة للتدخل في شئون مصر الداخلية ، بل على العكس انها تعمل على تقدم مصر ورفاهيتها . " (٣)

والواقع أن "ستانتون" عندما أشار الى عدم نية انجلترا للتدخل في شئون مصر انما كان يهدف التمهيد لذلك التدخل بالحصول على أسرار مصر المالية ، واستغلال الظروف للتدخل الفعلي الذي أدى في النهاية الى الاحتلال الانجليزي لمصر ، وكان ذلك بعد شراء انجلترا لأسهم مصر في قناة السويس بيومين اثنين ، ولم يكن شراء الأسهم الا عملا سياسيا عززته بارسال تلك البعثة وذلك لتنفيذ سياستها في امتلاك مصر .

I - Zananiri : op.cit.p.I45.

2 - F.O : To Sir Elliot, Dec.I875.

3 - Ibid : From Stanton to Derby, Cairo, I7-I2-I875.

وكان التجاء اسماعيل الى انجلترا بغرض مقاومة النفوذ الفرنسي ، وهذه سياســـة لجأ اليها لحماية نفسه ، وذلك لانهاء التحسن التام للحالة المالية للبلاد ، ولكنه بعمله هذا ، فتح الباب للتدخل الأجنبي ، والذى لم يتمكن من اغلاقه بعد ذلك بأى حـــال من الأحـــوال . (١)

وقد ساء فرنسا أن توفد انجلترا بعثة الى مصر ، وأن تنفرد بالنفوذ لدى اسماعيـــل والتدخل فى شئون مصر ، فأرسلت هى الأخرى أحد موظفيها واسمه "Villet" ليساعـــد الحكومة المصرية على تنظيم ماليتها . وقدم مشروعا أراد اسماعيل الأخـــذ به استياء الحكومة الانجليزية من ميله للمشروع الفرنسي . (٢) وأذاعت أن اسماعيل يعارض فى نشــر تقرير بعثة " كيــف " . (٣) ثم وافق اسماعيل على نشر تقرير " كيف " ، وكان ذلك ضربة قاضية وجهت اليه ، مما دعى اسماعيل الى أن يقول : " لقــــد احـــتفروا لى القـــبر" واعترف "مستر كيف" نفسه بأن بعثته : " قد أقفلت باب الســـوق الماليـــة فى وجـــه الخديوى بدلا من أن تساعده على الاقتراض . "

ولقد كان هذا التقرير بناء على ما أدلى به الخديوى وموظفوه للبعثة بكل أمـانـــة تلك الأمانة التى أدت الى ذبحه فى النهاية ، لقد أعلن "مستر كيف" فــى تقـريـــره أن تحرج مركز مصر المالى كان نتيجة الانفاق عن سعة ، والاسراف الزائد عـــن الحـــد والرغبة فى تقليد حضارة الغرب ، والاخلال بالموارد المصرية نتيجة للامتيازات الممنوحـــة للمغامرين الذين كان معظمهم من الأجانب ، وختم ذلك التقرير بقوله انه يمكن أن تستقيم أمور مصر المالية اذا تدخلت بعض القوى الأجنبية . (٥)

I - Mc.Coan: Egypt under Ismail.p.179.

٢ ـ احمد الحتة (دكتور) : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر . ص ٢٧٢

3 - F.O : To Stanton,25-3-1876.

4 - Cromer: Modern Egypt.Vol.II.p.4.

5 - Dicey: The Story of The Khedivate.p.140

وفي ذلك اشارة الى هدف انجلترا من تلك البعثة ، التى كانت بداية التدخل الفعلى فى شئون البلاد ، ولم تكن لمساعدة اسماعيل المالية ، كما كان يهدف هو الى ذلك . ومثل البعثة لم تكتف بالاشارة الى سوء حالة مصر المالية ، بل اشترطت لاصلاح مالية البلاد اخضاعها للمشورة الأوربية ، وذلك بأن تنشئ الحكومة مصلحة للرقابة على ماليتها برئاسة شخص ذى ثقة ، على أن يكون ذلك الشخص انجليزيا بقدر الامكان ، كما اشترطت تلك البعثة أن يحترم الخديوى قرارات هذه المصلحة ولا يعقد قرضا الا بموافقتها . وهكذا ، مهدت تلك البعثة الطريق للتدخل الانجليزى الفعلى فى شئون البلاد .

وفى تلك الأثناء كانت الخزانة المصرية عاجزة عن دفع أقساط الدين ، فأصدر اسماعيل مرسوما فى ٨ ابريل سنة ١٨٧٦ بتأجيل دفع السندات والأقساط المستحقة على الحكومة فى ابريل ومايو من تلك السنة ثلاثة أشهر ، مما أدى الى انتشار السخط والخوف فى الأسواق المالية الأوربية والى استياء الماليين والمرابين الأجانب . ورغبة فى استرضاء الدائنين ، طلب اسماعيل من وكلائهم فى مصر ، وضع نظام يضمن لهم استيفاء ديونهم ، فقدم وكلاء الماليين الفرنسيين مشروعا بانشاء صندوق الدين وتوحيد الديون . (١)

وتبعا لذلك المشروع أصدر اسماعيل مرسوما فى ٢ مايو سنة ١٨٧٦ بانشاء صندوق الدين ووظيفته استلام الأموال المخصصة لوفاء الدين وهى ايرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط ، وعوائد الدخولية فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد ورشيد ودمياط والسويس والعريش ، وايراد السكك الحديدية ورسوم الدخان وايراد ضريبة الملح ومصائد المطرية بالدقهلية ، ورسوم الكبارى ، وعوائد الملاحة فى النيل ، وايراد كوبرى مصر النيل ، وايراد أطيان الدائرة السنية .

وقد نص المرسوم على أن الموظفين القائمين بتحصيل تلك الايرادات يوردون ما يحصلونه منها الى صندوق الدين ، وأن الحكومة ليس لها الحق فى انقاص ضرائب تلك الايرادات الا بموافقة أغلبية أعضاء الصندوق . ويتولى ادارة صندوق الدين ، مندوبون أجانب تختارهم الدول الدائنة ويعينهم الخديوى .

وهكذا ، كان صندوق الدين أول هيئة رسمية أوروبية ، قامت فى مصر للتدخل الأجنبى فى شئونها ، ورغبة فى بث الطمأنينة فى قلوب الدائنين ، أصدر اسماعيل فى ١١ مايو سنة ١٨٧٦ مرسوما آخر بانشاء مجلس أعلى للمالية مكون من عشرة أعضاء نصفهم من الأجانب والنصف الآخر من الوطنيين ، ومن رئيس يعينه اسماعيل وقد عين "السنيور شـالويا Scullja " — وهو ايطالى — رئيسا للمجلس.(١)

وهكذا قيد صندوق الدين سلطة الحكومة المصرية وأطلق العنان لبسط نفوذ الدول الأوروبية ، تلك الدول التى استغلت الوقف وأخذت تضغط على الأهالى بشتى الوسائل لتحصيل الأموال المطلوبة ، وامتنعت الحكومة الانجليزية عن تعيين مندوب لها فى صندوق الدين ، على حين رحبت فرنسا باختيار مندوب عنها وكذلك النمسا وايطاليا .

وفى الواقع كانت انجلترا تهدف الى وضع نظام جديد يمكنها من التدخل الفعلى فى ادارة الحكومة المصرية ، وبعد الاتفاق مع فرنسا جاء مندوبى الدولتين الى مصر فى اكتوبر سنة ١٨٧٦ ، وهما "جوشنز"

---

١ — دكتور احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ، ص ٣٧٤

وهو ممثل انجلترا ، و"جوبير Joubert " ممثل فرنسا ، وطلبا الى اسماعيل قبول التعديلات التى اتفقا عليها وأهمها فرض الرقابة الأوروبية على مالية مصر. (١)

وعلى الرغم من تنفيذ مقترحات "جوشن وجوبير" فان حالة مصر المالية لم تتحسن ، بل ازدادت ارتباكا ، مما أدى الى اتفاق المندوب الانجليزى والمندوب الفرنسى وأعضاء صندوق الدين على مطالبة اسماعيل بتأليف لجنة تحقيق أوروبية لفحص الشئون المالية للحكومة المصرية ، ولا شك أن تنفيذ هذا الطلب اعتداء صريح على استقلال مصر وتدخل فى شئونها الداخلية ، غير أن اسماعيل وافق على الطلب تحت ضغط الحكومات الأوروبية ، فأصدر مرسوما فى ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ بتأليف لجنة التحقيق العليا الأوروبية من فردينان دليسبس رئيسا ، و"ريفرز ولسن Rivers Wilson " ورياض باشا وكيلين وأعضاء صندوق الدين ، وقدمت اللجنة تقريرا مبدئيا الى اسماعيل شرحت فيه الحالة المالية وبينت عيوبها ، وذكرت ما تراه لاصلاحها ، واقترحت اللجنة تنازل اسماعيل عن أطيانه وأطيان عائلته لسد عجز ميزانية الحكومة ، وأن يتنازل عن سلطته المطلقة وذلك بتأليف نظارة (وزارة) مسئولة عن الحكم ، ووافق اسماعيل على مقترحات اللجنة وفى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ ، أصدر أمرا بانشاء مجلس النظار وتكليف نوبار باشا بتأليف تلك النظارة التى اشترك فيها " ريفرز ولسن" الانجليزى ناظرا للمالية ، و" دى بلنيير" الفرنسى ناظرا للأشغال . (٢) وفى ذلك الحين لم تكن الوزارة الأخيرة وزارة مهمة فأبدى الفرنسيون عدم رضاهم ، وقالوا ان التعيين لا يتناسب مع كرامتهم

---

١ ـ عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل جـ٢ ص٦٩

٢ ـ احمد الحته (دكتور) : نفس المصدر السابق ص ص ٣٧٨ ، ٣٧٩

ومجد أمتهم . فلارضائهم ضمت عدة مصالح أخرى الى وزارة الأشغال العمومية ،حتى صارت هذه الوزارة فى النهاية من الوزارات ذات الأهمية العظمى . (١)

ويتحدث "يعقوب صنوع" فى صحيفته " أبو نظارة" عن " ريفرز ولسن" وكيف أنـــه سيطر على الخديوى ،واستولى على مالية البلاد بتعيينه وزيرا للمالية . (٢)

وكان " ريفرز ولسن" يقول دائما ان تعيين وزير فرنسى فى الحكومة المصـــــريـــة سيعمل على ايجاد منافسة وضغائن بين الوزيرين ،الانجليزى والفرنسى ،مما سوف يعـوق أية محـــاولة للاصـــلاح . (٣)

ولهذا كان يعمل دائما على أن تظل شئون مصر تحت اشراف انجلترا وحـــــدها .

وهكذا خضعت الحكومة المصرية لنفوذ ممثلى انجلترا وفرنسا ،فلم تعد مهمة الوصـاية الدولية مقصورة على ملاحظة (الوضع) الذى أوجدته أصلا تسوية سنة ١٨٤٠ / ١٨٤١ ، وذلك من حيث بقاء علاقة التبعية التى تربط مصر بالدولة العثمانية والاحتفاظ بها ،بل صارت مهمتها الآن ممتدة الى فرض السيطرة على شئون الخديوية الداخلية .

وقد ارتكبت تلك الوزارة أفعالا أدت الى اثارة طبقات الشعب ضدها ،من ذلك طرد الموظفين من الأهالى واستبدالهم بغيرهم من الأوروبيين ،وذلك بالرغم من المرتبات الضخمة التى كان يتقاضاها هؤلاء الأجانب. (٤)

واضطر اسماعيل الى اقالة وزارة نوبار ،وقابلت الدول ذلك العمل بالاستياء والسخط وزعمت أن الدول نالت حقا مكتسبا بأن يكون لها وزيران يمثلانها فى الوزارة المصـــــريـــة

---

١ ـ دكتور محمد فؤاد شكرى وآخرون : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر ص ٢٥٥ نقلا عن تقـــرير فارمان الأمريكى فى ١٨٧٦ [illegible]

٢ ـ دكتور ابراهيم عبده : أبو نظـــارة ص ٨٩ نقلا عن العدد السادس فى ٢٥ ربيع ثان ١٢٩٥

3 - F.O: From Vivian to Lord Salisbury,Alex,II- 5-1878.

4 - Mc.Coan: Egypt under Ismail.p.236.

وأجبرت انجلترا وفرنسا اسماعيل على عدم حضور جلسات مجلس الوزراء ، وتعيين ابنه محمد توفيق رئيسا للوزراء بشرط أن يكون للوزيرين الأجنبيين حق معارضة كل ما يرونه غير مناسب. وشكلت الوزارة الجديدة في ٢١ مارس سنة ١٨٧٩ ، وفي ٧ ابريل قدم محمد توفيق استقالته ، وذلك لأن الوزيرين الأوروبيين — منذ أن تولى الرئاسة — أهملاه بالكلية ، ولم يستشيراه في شيء. (١)

وفي ٢٢ ابريل سنة ١٨٧٩ صدر مرسوم بتسوية الديون على حسب ما قررته اللائحة الوطنية ، وعلى الرغم من أن ذلك المرسوم كفل حقوق الدائنين ، وأقر التعهدات المالية التي ارتبطت بها مصر ، فإن أعضاء صندوق الدين احتجوا عليه. (٢)

- ولما كان تأليف الوزارة الوطنية في ٨ ابريل سنة ١٨٧٩ ، والنشاط الذي بدا من جانب مجلس شورى النواب ، معناهما أن مصر قد عقدت عزمها على التخلص نهائيا من نوع الوصاية الدولية الذي رافق التدخل الأجنبي في شئونها ، أي التحرر من النفوذ الانجليزي — الفرنسي ، فقد صار لذلك متوقعا أن تعمد هاتان الدولتان الى ابطال هذا السعي ، وأن تتخذا ذريعة لذلك نفس الدعوى التي تذرعتا بها في التدخل الأجنبي ، وهي دعوى المحافظة على مصالح أصحاب الديون الذين كان أكثرهم من الرعايا الانجليز والفرنسيين. (٣)

ولقد وجدت فرنسا أن السبيل الوحيد لإحباط سعي مصر للتحرر من النفوذ الأجنبي عموما ، ولاسيما نفوذها المتفوق خصوصا ، انما هو التعجيل بعزل الخديوي اسماعيل

---

1 - Adam(Juliette):L'Angleterre en Egypte.p.42.

2 - F.O: To Vivian, 8-3-1879; From Vivian, Cairo, 12-6-1879

٣ — محمد فؤاد شكري : (دكتور) : مصر والسودان . ص ١٥٥

نفسه ، في حين لم تر انجلترا من الضروري أن تعمل على السعي من أجل احتفاظها في بنفوذها المتفوق حينئذ في البلاد ، خلع الخديوى ، لسبب جوهري هو أن اسماعيل منذ أن بدأت الأزمة المالية ، كان قد أخذ يظهر انحيازا واضحا نحو انجلترا من شأنه أن يمس مركز فرنسا في مصر ، ويبدو أن هذا الانحياز الظاهر لانجلترا هو نفسه السبب الرئيسي الذي جعل فرنسا تصر على خلع الخديوى .

ولكن في هذه اللحظة بالذات ، حدث أن دخلت ألمانيا الميدان كحليف ظاهر لفرنسا .(١) واستطاعت فرنسا شريكة انجلترا ، بعد أن دخلت ألمانيا الطرف الذي أزعجت ألمانيا اتحادهما . فقد أدركت انجلترا أنه لا يمكنها أن تسير مع فرنسا والا سارت فرنسا مع الطرف وحدها أو متحدة مع ألمانيا ، وبالتالى فرنسا بذلك مركزا في مصر يضر بالمصالح الانجليزية . ففرنسا هى التى أوجدت (خلع اسماعيل) ، وأصبح القنصل الفرنسي في ذلك الوقت ، هو الحاكم الفعلى لمصر . فاذا كان الطردوا هذا الأمير وعينوا هذا الرجل أو ذاك من مكانه ، نفذ ما يريد في ٢٤ ساعة .(٢)

وكان اسماعيل يأمل أن تختلف الدول في طلب خلعه ، وأن تنجح مساعيه لدى السلطان ، وفي ليلة ٢٤ يونيه سنة ١٨٧٩ ، ذهب الى اسماعيل قناصل انجلترا وفرنسا وألمانيا ، وطلبوا اليه أن يتنازل عن العرش فرفض . وفي آخر الأمر أصدر السلطان العثمانى بناء على قرار مجلس الوزراء ، ارادة بخلع اسماعيل ، وتنصيب توفيق باشا خديوى لمصر ، وذلك اجابة لطلب الدول . فأرسل الصدر الأعظم برقية بذلك الى كل من اسماعيل وتوفيق في ٢٦ يونيه سنة ١٨٧٩ .(٣)

I - F.O. From Lord Lyons to Salisbury, Paris, 20-6-1879.

٢ - محمد فؤاد شكرى : (دكتور) : ... في التاريخ الحديث والمعاصر . ص ٢٥٨
نقلا عن تقرير فارمان الأمريكي في ٨ يولية سنة ١٨٧٩

٣ - احمد الحتة : (دكتور) : نفس المصدر السابق ، ص ٣٨١

تولية توفيق وسيطرة الأجانب على السياسة المصرية :

لعل ما كانت تعانيه مصر فى هذه الفترة الدقيقة من تاريخها من تدخل الأجانب وترك موارد البلاد ومرافقها فى قبضة الشركات الأجنبية ، تستغلها لحسابها ، وترك الادارة المصرية فى أيدى الأوروبيين ، وترك اسماعيل بعد ذلك البلاد وهى مثقلة بالديون ما جرح المصريين فى عزتهم القومية ، فأعلنوا تعهدهم بسداد ديون مصر أيا كان مصدرها ، بشرط أن يتولى المصريون ادارة بلادهم ، تحت الرقابة الأجنبية ، على أن تكون رقابة مالية بحتة ولكن عبثا حاول المصريون – فى أواخر عهد اسماعيل – أن يتخلصوا من الحكم الأجنبى ، فقد كان الانجليز أصحاب السلطة الفعلية فى البلاد ، حتى أوائل حكم توفيق ، وكان الخديوى والوزراء ألعوبة بأيديهم ، يحركونها كيفما يشاءون . (١)

وكان السلطان يريد تعيين الأمير حليم بدلا من توفيق ، استنادا الى أن خلع اسماعيل يلغى امتياز وراثة الابن الأكبر للعرش ، والذى سبق الحصول عليه ، ولكن لم توافق كلا من انجلترا و فرنسا على ذلك ، لأنهم لم يعرفوا شيئا عن الأمير حليم ، ولكنهما كانا يعرفان توفيق خير المعرفة ، ولم يشاءا أن يخوضا التجربة مع اسماعيل آخر . (٢)

وكان توفيق مجردا من كل سلطة أو قوة ، وكان مجرد صورة تحت الحماية الانجليزية الفرنسية . (٣) وكان توفيق يقول دائما : " اننا لانستطيع العيش بدون أوروبا ، والاكثر من هذا ، لماذا نفعل ذلك ؟ " (٤) وفى ذلك اعتراف توفيق صراحة بميله الى الأجانب وتمسكه ببقائهم فى مصر ، لدرجة أنه لا يستطيع ادارة شئون البلاد بدونهم .

١ – نجيب توفيق : الثائر العظيم عبد الله النديم . ص – ص ١٦/ ١٧
2 - Elgood: Egypt. .86.
3 - De Malortie(Baron): Egypt.p.270.
4 - Op.cit.p.274.

لقد أزعجت البلاد بسبب سيطرة الأجانب على مالية البلاد ، فى الوقت الذى ازدادت فيه أعداد الأجانب المقيمين فى مصر ، كما ازدادت نفقاتهم بشكل واضح .(١)

ويسخر "يعقوب صنوع" من الخديوى توفيق سخرية لاذعة قاسية ، تجاوز بها الحد وان لم تخل من طريف تميزت به صحف "أبى نظارة" فيقول : " وردت الينا رسالة من مكاتبنا بالقاهرة ، يقول فيها ان توفيق توفى لكون أهل مصر حذفوا حرف القاف من اسمه والحدق يفهم . ويقول أيضا ان شبابنا وجدوا فى اسم حليم أحرف يتركب منها لفظ مليح فلذلك الأهالى بمصر يتسلم على بعضها بهذه الجملة (المليح جاى لنا عن قريب) ".(٢)

ولقد نص فرمان تولية توفيق على رعاية مصالح أصحاب الديون ، وبالتالى الابقاء على التدخل الأجنبى ، فمع أن فرمان ٧ أغسطس سنة ١٨٧٩ حرم الخديوى — كمبدأ عام — عقد القروض (من الآن فصاعدا بوجه من الوجوه) الا أنه استثنى من هذه القاعدة كل مايعقد من قروض لتسوية المسألة المالية ، واعترف اعترافا ضمنيا فى هذا الاستثناء بأن للدول (حقا) فى التدخل فى شئون مصر (المالية) — لصيانة مصالح الدائنين — وذلك فى وقت كان لايمكن أن يبقى فيه هذا التدخل (ماليا) فحسب ، بل صار ماليا وسياسيا .(٣)

لقد نص مرسوما ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ ، ٢٩ أغسطس سنة ١٨٧٨ على ايقاف الرقابة الأوروبية على مالية البلاد ، طالما يباشر الوزيران سلطاتهما ، على أن يكون مفهوما أن تسترجع فاعليتها فى حالة اقالة أحد الوزيرين دون سابق اتفاق مع حكومة بلاده . وقد فكر توفيق بعد توليته فى اعادة المراقبة ، وأخطر القنصلون الانجليزى

I - Colvin:op.cit.p.9.

٢ — دكتور ابراهيم عبده : أبو نظارة ص ١٠٠ نقلا عن العدد الثالث عشر من السنة السادسة

٣ — دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان . ص١٨٣

والفرنسي برعبته ، واشترط أن يستشار في تعيين المراقبين)٠ ولما كانت فرنسا تريد أن تنتهز فرصة خلع اسماعيل لتدعم نفوذها في مصر ، فقد عملت على اعادة المراقبة الثنائية بحيث يكون وضعها فيها مخالفا لما كانت عليه الأحوال من قبل ، فلا يصبح المراقب الفرنسي مجرد موزع للدخول ، على حين يتمتع المراقب الانجليزي بالاشراف على ادارة مصر وسياستها المالية ، لهذا أبدت فرنسا رغبتها منذ البداية أن يتمتع المراقبان بنفس اللقب والاختصاصات ، وأن يلغى التمييز بين مراقب الدخل الانجليزي ومراقب المنصرف الفرنسي ، مهما كان التمييز اسميا ٠ وأخطرت الدولتان الخديوي بأنهما قد وقع اختيارهما على " دي بلنيير ، وبارنج " بصفتهما مراقبين عموميين ، وأنهما — أي المراقبين — سيمتنعا عن التدخل في الادارة المصرية (حتى ترسل اليهما تعليمات جديدة ٠) (١)

وفي ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٩ صدر مرسوم بنظام المراقبة الثنائية ، فترك للقنصل العام الانجليزي والقنصل العام الفرنسي وضع مشروع اللائحة التي تحدد سلطة الرقيبين وقد أقر مجلس النظار المشروع كما وضعه القنصلان ، وقد نص هذا المرسوم على أن للرقيبين الحق في حضور جلسات مجلس النظار ، والاشتراك في مداولاته ، بشرط أن يكون رأيهما استشاريا ، وعلى أن النظار (الوزراء) وجميع الموظفين ، مكلفون بتقديم كل البيانات التي يطلبها منهم الرقيبان ، وأن على ناظر المالية أن يقدم للرقيبين في كل أسبوع كشفا مفصلا عن ايرادات الخزانة العامة ومصروفاتها ، وأن الحكومة المصرية لا حق لها في عزلهما الا برضا حكومتيهما ٠ (٢)

---

١ — دكتور احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ٠ ص ص ١١٦/١١٩

٢ — دكتور احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر ص ٣٨٧

وبالرغم من أن سلطة الرقيبين الانجليزى والفرنسى قد حددت بالاشراف على الناحية المالية فقط فى المرسوم الذى صدر فى هذا الشأن ، فقد امتد نفوذهم الى سائر النواحى الأخرى . (١) وسرعان ما خابت الآمال ، عندما اتضح أن الأجانب صاروا متسلطين على الحكومة لأن الاشتراط بعدم عزل الرقيبين فى المراقبة الثنائية الا بعد موافقة حكومتيهما جعل هذه المراقبة تخرج عن مراقبة مالية الى أخرى سياسية صريحة ، حيث قد ترتب على حرمان الحكومة المصرية حق الاستغناء عن الرقيبين فى أى وقت شاءت أن صار هناك تدخل دائم من جانب الحكومتين الانجليزية والفرنسية فى الشئون المصرية ، بصورة جعلت البلاد محمية من المحميات . أى أن المراقبة تحولت الى أداة تفرض حماية انجليزية فرنسية على مصر .

وقد اقترح الرقيبان على الحكومة المصرية بيع حصتها فى أرباح شركة قناة السويس وهى ١٥ فى المائة من الأرباح السنوية للشركة . وكان اسماعيل قد رهنها لبعض الماليين الفرنسيين فبنى الرقيبان اقتراح البيع على أساس أن الحكومة المصرية لا تستطيع الوفاء بدين الماليين الفرنسيين الذين ارتهنوا هذه الحصة . وقد وافقت الحكومة المصرية فى ١٤ يناير ١٨٨٠ على البيع فخسرت بذلك خسارة مالية وسياسية ، اذ أن قيمة الحصة ارتفعت فيما بعد كما أن مصر فقدت ما تبقى لها اذ ذاك من حق مادى فى القناة . (٢)

والمعروف ان انجلترا وفرنسا عندما اتفقا على خلع اسماعيل ، كان هدفهما اجراء تصفية عامة لديون مصر ، ولما كان معظم الدائنين من الانجليز والفرنسيين ، فقد اقترح (وادنجتون) انفراد الدولتين بالتصفية ، ولكن (سولسبرى) رفض هذا الاقتراح ، فى الوقت الذى رفض فيه مقترحات "فون كريمر" (النمسا) ، التى كانت تهدف الى تدويل شئون مصر بوجه عام وربما كان مرجع ذلك هو النقد الذى وجهته المعارضة البرلمانية الى سياسته منددة باسرافه فى الارتباط بفرنسا . لهذا اتفقت الدولتان على تدويل التصفية ، دون أن يؤثر هذا التدويل

I - Malortie:op.cit.p.I72.

٢ — دكتور احمد الحتة : نفس المصدر السابق ص ٣٨٨

على نشاط الرقيبين اللذين رأيا أن يحتفظا باستقلالهما وأن يقيما فى الوقت نفسه علاقات ودية مع مندوبى التصفية. وفى أواخر مارس سنة ١٨٨٠، أبدت ايطاليا والنمسا موافقتهما وفى ٣١ مارس صدر مرسوم خديوى نص على تشكيل لجنة التصفية، على أن تتألف من مندوبين عن كل من انجلترا وفرنسا ومندوب عن كل من ألمانيا والنمسا وايطاليا ومصر. وقدم مشـروع قانون التصفية للى الخديوى الذى وافق عليه دون أدنى تعديل. وفى ١٩ يوليـــة نشر فى جريدة الوقائع، ومنذ ذلك الوقت أصبح قانون مصر المالى أو ميثاق ميزانيتهـــا وأهم مايميزه أنه جاء برمته نتيجة للضغط الأجنبى، وبذلك استسلمت مصر للمرة الثانيـــة فى أربعين عاما لادارة أوروبا، التى فرضت وضعها الدولى فى سنة ١٨٤١ ثم فرضـــت وضعها المالى فى سنة ١٨٨٠. وقد وحد قانون التصفية كل الديون وأنقص فوائدهـــا التى أصبحت نسبتها تتراوح بين ٤، ٥ فى المائة، ونص من الناحية العملية على ميزانيتين احداهما للحكومة والأخرى لصندوق الدين، ومما له دلالة أن المبالغ المخصصة للادارة لم تزد على ٤٢ فى المائة، من دخل البلاد. ومعنى ذلك استغناء مصر عن اكثر مـــن ٥٧ فى المائة من دخلها لمدة ٦١ عاما لكى تدفع الخراج وفوائد الديون واستهلاكهـــا وهى جميعا نفقات غير مجزية، وعلى أن مجموع ديون مصر بلغت ٦٣ر٠٥٠ر٩٥ جنيـــه منها ٢١٠ر٦٥ر٧٨ جنيه مستحقة للأوروبيين والباقى للمصريين، ونص قانون التصفيـــة على ضمان رأس مال الدائنين الأوروبيين، على حين منح الدائنين المصريين فائدة قدرهـــا ٩ فى المائة لمدة ٥٠ عاما، فى مقابل فقدهم لرءوس أموالهم. وبهذا ألغى القرضان اللذان دفعهما المصريون وهما الروزنامة (٩ مليون جنيه) والمقابلة (١٥ مليون جنيه) وعوض ملاك الأراضى بحصولهم على وعد بتخفيض مبلغ ٠٠٠ر١٥٠ جنيه سنويا من الضرائب المستحقـــة عليهم لمدة ٥٠ عـــاما. (١)

---

١ — دكتور احمد عبد الرحيم مصطفى: نفس المصدر السابق، صفحات ١٢٣، ١٢، ١٢٨

ويتضح من هذا كله أن التوصيات المالية التى تقدمت بها اللجنة كانت تحمل طابع التحيز الصارخ ، ولم تكن هذه التسوية سوى صدى للهيمنة الأجنبية على الادارة المصرية بحيث أن الحكومة المصرية لم تعد حرة التصرف فى مصادر دخلها ، وأصبح من المستحيل عليها أن تواجه مطالب البلاد ، أو أن تدخل أى تحسين على نظمها الحيوية دون أن تضطر الى الحصول مقدما على موافقة الدول التى أقرت قانون التصفية ، وخولت المحاكم المختلطة أن تعتبره ملزما لرعاياها . لهذا كله كانت هذه التسوية — وهى من جميع نواحيها نتيجة للتدخل الأجنبى — ماسة بزجاء مصر .

وكان التدخل الأجنبى أحد الأسباب الرئيسية للثورة العرابية . (١) ودعى الأعيان الى القاهرة ، فاحتشدوا فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ، فى ميدان عابدين حيث طالب عرابى الخديوى باسم الشعب . وطالب الضباط الخديوى باقالة الوزارة ، واعلان الدستور وزيادة عدد الجيش ، وخضع الخديوى لتلك المطالب ، فوافق على سقوط الوزارة ، وأرسل فى طلب شريف باشا لكى يقوم بتشكيل الوزارة . (٢)

وخيمت على مصر حالة من القلق ، على أثر الأحداث والتدخل الاستفزازى من جانب انجلترا وفرنسا وممثليها فى مصر ، وانتشار الاشاعات المقلقة عن حقيقة الموقف . لهذا كان من الطبيعى أن يشتد عداء المصريين للأجانب . وفى ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ قدمت مذكرة فى شكل بلاغ نهائى من معتمدى فرنسا وانجلترا لمجلس النظار ، وصورة منها للخديوى ، طلبا فيها نفى عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى مع حفظ رتبهم ونياشينهم ومرتباتهم . (٣)

---

١ — طاهر الطناحى : مذكرات الامام محمد عبده ص ٣٥ ، ٣٧
2 - De Malortie: op.cit. pp. 1

٣ — احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن . جـ ١ ص ١٤٠

ولما رأت فرنسا أن الأحوال في مصر تسير من سيء الى أسوأ ، وأن هذه المسألة تهم الدول جميعا ، لما جاء في معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، التي جعلت المسألة دولية ، اقترحت على انجلترا عقد مؤتمر في الآستانة يدعى اليه مندوبو الدول ويحضره وزير خارجية تركيا للنظر في حالة مصر ، وقبلت انجلترا هذا الاقتراح ، وأرسلت الى الدول تطلب عقد هذا المؤتمر ، فأجابت ألمانيا والنمسا والروسيا وايطاليا بقبول اقتراح الدولتين ، وطلبت من الباب العالي الموافقة عليه . وقد تقرر عقد المؤتمر بسفارة ايطاليا بالآستانة في ٢٢ يونية ١٨٨٢ ، وفي ٢٧ يونية اقترح سفير ايطاليا بالمؤتمر أن تقرر الدول الامتناع عن التدخل المنفرد في مصر مادام المؤتمر منعقدا فاقترح اللورد "دوفرين" (انجلترا) اضافة كلمة (الا عند الضرورة القاهرة .) (١)

على ان انجلترا كانت الدولة الوحيدة التي قررت ألا تتقيد بمناقشات المؤتمر أو بما يتمخض عنه من قرارات قد تختلف مع المصالح الانجليزية . وأن تعمل بنشاط وهدوء على تنفيذ خطتها ورعاية مصالحها في الوقت المناسب اذا مواتت الفرصة . (٢)

وعلى حين كان مؤتمر الآستانة يتحرك ببطء دلت عدة ملابسات على أن الحكومة البريطانية تود أن تقوم بعمل منفرد . وبالفعل بدء في ضرب الاسكندرية في صبيحة ١١ يولية سنة ١٨٨٢ . والحق أن ضرب الانجليز للاسكندرية اجراء لا مبرر له ، فهو يتضمن تجاهلا للمؤتمر الذي كان لايزال منعقدا ، فلا السلطان ولا الدول ولا الخديوى خلعوا على انجلترا حق القضاء على الثورة المصرية . (٣)

---

١ — نفس المصدر السابق . ص ص ١٥٤/١٥٥
٢ — " " " ص ٢٥٠
٣ — دكتور محمد مصطفى صفوت : انجلترا وقناة السويس . ٦٤

وفى ١٥ يوليه سنة ١٨٨٢ ، أسرع الخديوى توفيق الى سراى رأس التين ومعه عائلته والذوات والتجار والعساكر تحت رحمة الانجليز ورعايتهم ، وقد وضح انحيازه للعدو المحارب لبلاده وتم له ما أراد . وصدرت ارادة سنية من توفيق لناظر الجهادية مضمونها :

" أن لا حرب بيننا وبين الانجليز ، وأن السبب فى الحرب هو مداومة الاستعداد فى الطوابى الذى يعد تحقيرا لمراكب الانجليز ، فضرب المراكب لاستحكاماتنا ولمدينة الاسكندرية ليس حربا ضد الحكومة وانما هو من قبيل رد الشرف ، فليس هناك حرب حقيقية " (١)

وبعد ذلك صدر أمر من الخديوى توفيق الى أحمد عرابى بعزله من نظارة الجهادية وذلك فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ . (٢) وقامت هذه الحرب الشعواء وليس فى خزانة الحكومة شيء ، لأن المراقب الانجليزى (المستر كولفن) أخذ الأموال من خزينة المالية وأنزلها فى البارجة الانجليزية قبل اعلان الحرب بأيام . وكذلك الأموال الموجودة فى صندوق الدين العمومى ، فقد حملها أعضاء الصندوق الى السفن الحربية حيث أمنوا عليها . (٣)

وكانت نهاية الحرب باستيلاء الانجليز على مركز التل الكبير فى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ولما علم الخديوى توفيق بنبأ استيلاء الانجليز على التل الكبير ، قدم من كان فى الاسكندرية من الأعيان والأجانب على الخديوى يهنئونه بالفوز والنصر ، وصدحت الموسيقى وعزفت بالسلام الخديوى أمام سراى الحقانية ، فرفعت (العساكر) الانجليزية السلاح تعظيما واجلالا . وهتف الأوربيون بقولهم : (فليحيى توفيق الأول) ثم ختم ذلك بالدعاء للخديوى ، وملكة الانجليز ، والدولة الانجليزية . (٤)

---

١ — دكتور محمد فؤاد شكرى وآخرون : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر . ص ٢٧٠ / ٢٧٥

٢ — نفس المصدر السابق . ص ٢٨٢ نقلا عن : أحمد عرابى فى كشف الستار عن سر الأسرار

٣ — " " " ص ٢٨٦

٤ — " " " ص ٢٠٧

وما أتى شهر نوفمبر سنة ١٨٨٢ حتى كان (اللورد دوفرين) فى القاهرة يؤدى مهمة خاصة ، هى دراسة المركز السياسى والادارى ووضع قواعد نظام مصر الجديد العام تحت رقابة انجلترا وحدها • ووجه اللورد " جرانفيل " فى أول عام ١٨٨٣ الى الدول ذات المصالح فى مصر بلاغا مبهما ابهاما مقصودا ، بينا لنيات الحكومة البريطانية (ستبقى فى مصر قوة حربية لحماية النظام العام وحكومة جلالتها راغبة فى استدعائها طالما تسمح بذلك حالة البلاد ، وتم اعداد ما يلزم لضمان سيادة الخديوى •) (١)

وهكذا نالت انجلترا ما كانت تسعى من أجله وهو احتلال مصر ، والذى كانت تستعد له منذ عدة سنوات ، حتى بدا ذلك واضحا للعيان ، حتى أن قنصل ايطاليا فى باريس تنبأ باحتلال انجلترا لمصر قبل أن يحدث ذلك الاحتلال بحوالى خمس سنوات ، حيث أبلغ وزير خارجية فرنسا سنة ١٨٧٧ : " أن الأمور أصبحت مهيأة فى انجلترا لاحتلال مصر " وسأله ماذا ستفعل الحكومة الفرنسية اذا احتلت القوات البريطانية مصر ؟ (٢)

مما سبق يتضح كيف أن النفوذ الأجنبى قد ازداد فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر نتيجة للاستدانة ، مما أدى الى سيطرة الأجانب على السياسة المصرية فى ذلك الوقت، وذلك بعزل اسماعيل — بناء على طلب الدول الأوربية — عندما حاول الصمود أمام تلك الدول ، بعزله العضوين الأوربيين من الوزارة المصرية • لذلك عملت تلك الدول على التخلص منه تمهيدا لتنفيذ

---

١ — روجيه لاميلان (ترجمة ميخائيل بشارة) : فى سبيل الاستقلال • ص ٤٤

2 - F.O: From Lord Lyons to the Earl of Derby, Paris, 12-I-1877.

السياسة التى رسمتها انجلترا للاستيلاء على مصر. وعندما أراد السلطان تولية الأمير حليم خلفا لاسماعيل، اعترضت كل من انجلترا وفرنسا وتمسكت بتوليه محمد توفيق الذى كان أطوع في أيدى تلك الدول، والاكثر من ذلك أنه كان يقوم بتنفيذ التعليمات الصادرة اليه من انجلترا وفرنسا، وذلك باعادة المراقبة الثنائية، والتى لم تقتصر على الشئون المالية، بل تعدت اختصاصاتها الى سائر النواحي الأخرى.

وقد بلغ التدخل الأجنبى أقصى صوره حينما صدر قانون التصفية الذى قام بصياغته كل من قنصلى انجلترا وفرنسا فى مصر، ووافق عليه الخديوى توفيق دون أدنى تحديد، ولذا كان فيه انحيازا واضحا لرعايا الدول الأجنبية خصوصا انجلترا وفرنسا، ثم ضياع حقوق المصريين بالغاء قانونى المقابلة والروزنامة ارضاء لمندوبى تلك الدول. ولم تكتف انجلترا بذلك، بل سعت الى تنفيذ سياستها الاستعمارية، وضربت بقرارات مؤتمر الآستانة عرض الحائط واختلقت الأعذار لضرب الاسكندرية، ثم احتلال مصر فى النهاية

وكانت هذه هى النتيجة الطبيعية لتلك السياسة التى اتبعها خديوى مصر فى ذلك الوقت (محمد توفيق)، والذى أقام الاحتفالات ابتهاجا بانتصار الانجليز فى موقعة التل الكبير، وبذلك أصبح المندوب السامى البريطانى فى مصر، الحاكم الفعلى للبلاد، بعد ان انتزع من الخديوى جميع سلطاته وشهدت مصر ذلك الاحتلال البغيض الذى قاست منه الكثير طوال سبعين عاما.

ترحيل اليونانيين في مصر

(عهد عباس باشا الأول)

ارادة لكتخدا في ١٨ رجب سنة ١٢٧٠ هـ:

بناء على مفاد التحريرات السامية الواردة من مقام الصدارة العظمى المؤرخه في ٥ رجب سنة ١٢٧٠، لما أنه قد انقطعت العلاقات السياسية والدبلوماسية والمعاملات التجارية بين دولتنا العلية ودولة اليونان، وعلى ذلك تقرر سفر القناصل ووكلائهم وجميع التجار والتبعة اليونانيين الى بلادهم في ظرف خمسة عشر يوما، وحيث أن بين هؤلاء اليونانيين أناسا مستقيمين يعيشون بعيدا عن الفساد والخيانة، فمن يقدم من هؤلاء اليونانيين ضامنا قويا يتعهد بحسن اقامته ويقبل حماية دولتنا العليه يجوز بقاؤه وعدم تسفيره، والمرضى الذين لايقوون على الرحيل أو السفر يجوز ابقاؤهم أيضا لحينما يكتسبون صحتهم ويجب صرف وتسوية بدل تذاكر سفر الفقراء اليونانيين واعطاؤهم مؤونة كافية لمدة سفرهم. (١)

---

١ — مجموعة خطابات وأوامر عباس باشا الأول — فى بعضها وبعضها الأمير محمد على — ٩١/٦٠

(قائمه بأسماء التجار المقيمين فى الاسكندرية فى عصر محمد على)

أفرينو S.Aviarino من أصحاب رؤوس الأموال اليونانيين — حماية انجليزية .

أوبير وشركاه J.Aubert تجــــار فرنســـيون .

أنسطاســـى G.D'Anastasy تاجر يونانى ، قنصل السويد .

بســـيونـــى Busioni تسكانى ، وكيل The American assurance Bank

برجـــونيى وشركاه F.Bourgogne فرنسيون ، تجار حديد .

بلوينا وشركاه Belunban تجار ، حماية نمساوية .

براجيوتى وشركاه Braggoitti تجار ، حماية نمساوية .

بشــــير تاجر تركى ، من رعايا باشا مصر .

بدر الدين تاجر تونسى ، تحت رعاية قنصل تونس .

بتاجليا J.Battaglia موظف فى مخازن الحكومة ، من رعايا النمسا .

بســيا F.Busietta تاجر مالطى ، حماية انجليزية .

كورتس S.Cortis " " " "

كيرى ومالان Malin تجار انجلـــيز .

كاردوزو وفرانكو Franco من التجار التسكانيين بالاسكندرية والقاهرة .

كاسترو اخوان Castelli تجار ليفانتيون ، حماية تسكانية .

كستاجلى Castagli تاجر يونانى ، حماية روسية .

سيزانـــا A.Cesana من أصحاب رؤوس الأموال ، صراف سابقا ، حماية نمساوية .

دمريشـــر Dumreicher تاجر بافارى ، قنصل الدانمرك .

ديفنتكلير وشركاه Defontclaire من أصحاب المصارف والوسطاء الفرنسيين .

فرياس اخوان Frias تجار تسكانيون .

فرنـــد J.Friend وسيط فى شراء السفن الانجليزية .

فرانك وشركاه D.Franc تجار فرنسيون .

فانتوزى واخوته Fantozzi تجار نمساويون .

جبـــارا G.Gibbara نمساوى ، رئيس ادارة التجارة لدى باشا مصر .

جالوى وتيبالدى Tibaldi تجار انجـــليز .

جليـــدون G.Gliddon مدير بنك النيل لسيكوناه (قنصل أمريكا) .

ستيفن جوتييه . Gautier تاجر فرنسى فى الاسكندرية مؤقتا .

هاريس وشركاه Harris تجـــار انجـــليز .

فرانسيس هنريس Henricy تاجر فرنسي .

جويس تربورن Thurburn تجار انجليز .

أسمالام وشركاه Ismalam من أصحاب رؤوس الأموال الليفانتيين ، حماية نمساوية .

لشستي وشركاه Lechesig نمساويون ، من أصحاب المعارف والوسطاء في شراء السفن .

لمبروزو " Lumbroso تجار تونسيون ، حماية تسكانية .

لكنر " Lochner تجار فرنسيون

مونتكربولي Montecarboli تاجر تسكاني .

مورجارداتو Mauregardato تاجر يوناني ، حماية يونانية .

د ي ٩٠ . مونتكربولي " توسكاني . S.A.I.Montecorboli

ميور S.Muir,Senior " انجليزي .

موربورجو وشركاه Morpourgo " نمساويون .

ماتيسوروفيتس تاجر رأسمالي من راجوزة ، حماية نمساوية . G.Matissorovich

مونتكروبولي واخوته تجار تسكانيون . Montecorboli

ناشمبيني Naschembeni تاجر نمساوي .

نوفل " ليفانتي ، من رعايا باشا مصر .

أوت وشركاه Ott تجار سويسريون ، حماية فرنسية .

بيل " W.Beel " انجليز .

بروا " Prêi " يونانيون ، حماية يونانية

باستريه واخوته Pastré " فرنسيون .

بوما وشركاه C.Poma " " حماية فرنسية .

بوبولاني Pepolani تاجر يوناني (أيوني) حماية انجليزية .

رينلين وبواييه من أصحاب المعارف والوسطاء الفرنسيين . Reinlein and Bayer

روكيرب وشركاه Rouquerbe تجار سويسريون ، حماية فرنسية (قنصل بروسيا) .

رولان " Rolland " فرنسيون .

ريجا جيرو Riga Giro تاجر يوناني (أيوني) ، حماية انجليزية .

ريني وشركاه Regny تجار فرنسيون .

روسيتي De Rossetti تاجر تسكاني (قنصل تسكانية)

روسانو وآدا Rossano تجار ليفانتيون ، حماية تسكانية .

شيف وشركاه Chiff تجار نمساويون .

شيتمبرجر Scheidtember ger تجار نمساويون ، اقاموا بها وقتة .

سنينو وشركاه Sonnino أصحاب مصارف ووسطاء من ليفورنه .

سكاكيني وشركاه Sakakini تجار فرنسيون .

سكارا مانجا Scaramanga تاجر يوناني ، حماية نمساوية .

جيفا سوبولو Gevfstopulo " يونانية .

ساير واخوته Sayur تجار ليفانتيون ، حماية نمساوية .

سلامة وتكلا من الصيارفه الليفانتيين ، حمايه تسكانيه .

سربوزيان Serbosian تاجر أرمني ، حماية نمساوية .

تـــود A.Tod تاجر انجليزي .

توسيجه واخوته Tossizza تجار يونانيون (قنصل اليونان) .

فـيرو G.Vuro تاجر يوناني ، حماية نمساوية .

صقالي N.Zaccali " " " "

زيزينيا S.Zizinia " " " يونانيـــة .

** وزغيب Zogheb تجار ليفانتيون ، حماية تسكانية . (١)

---

١ ـ دكتور محمد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي ، ص ٥٤٢/٥٤٤ نقلا عن :

(أسماء القناصل وكبار الملحقين بالقنصليات)

(فى مدينة الاسكندرية ــ عصر محمد على)

مسيو كوشيليه	Cochelet	قنصل فرنسد العام.
الكولونيل كامبل	Campbell	الوكيل والقنصل العام لبريطانيا العظمى.
لاوريـــن	Lourin	قنصل النمسا العام.
الكونت ميدم	Medem	قنصل الروسيا العام.
سروتى	Ceruti	قنصل سردينيا العام.
كامب	Camps	" أسبانيا العام.
شوتز	Schutz	" هولندا "
فانتوزى	Fantozzi	القنصل العام لمملكة نابولى.
أنسطاسى	D'Anastasy	قنصل السويد العام.
دمريشـــر	Dumreicher	" الدانمرك.
جليدون	Gliddon	" الولايات المتحدة الأمريكية.
روسيتى	De Rossetti	" تسكانيا العام.
توسيجه	Tossizza	" اليونان "
كاردان	Cardin	مأمور ومترجم القنصلية الفرنسية العامة.
دانتا	Danta	المترجم الأول بالقنصلية " "
جيوفروى	Geoffroy	" الثانى " " "
تربــورن	R.Thurburn	قنصل انجلترا (للشئون التجارية)
شارل سلون	Sloane	نائب قنصل ومأمور القنصلية الانجليزية.
جيريــى	Jerpi	مأمور القنصلية النمساوية.
بابيتش	Babitch	المترجم الأول بالقنصلية النمساوية.
جـــان	Jean	مأمور القنصلية الروسية.
برزيـــو	Brizio	" قنصلية سردينيا.
لـــنزى	Lenzi	" " تسكانيا.
ايفـــو	Ivo	" القنصية اليونانية. (١)

١ ــ دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٥٤٥/٥٤٦ نقلا عن تقرير بورنج الانجليزى عن أحوال مصر سنة ١٨٣٧.

(قائمة بأسماء وكلاء قنصليات روسيا فى مصر)

(١٨١٩ - ١٨٤٤)

جوزى سفينى، قنصل عام، (٢٨ مارس سنة ١٨١٩ الى ٢٦ يولية سنة ١٨٢٠).

بيليا فوان، قنصل فرنسا العام والمتولى أعمال قنصلية روسيا العامة (٢٥ نوفمبر سنة ١٨٢٠ الى ٢٤ " " ١٨٢١)

دروفتى، قنصل فرنسا العام والمتولى أعمال قنصلية روسيا العامة (٢٥ نوفمبر سنة ١٨٢١ الى ٢٠ مايو سنة ١٨٢٧)

ماليفوار، قنصل فرنسا والمتولى أعمال قنصلية روسيا العامة (٢٠ مايو ١٨٢٧ - ٧ يولية ١٨٢٧)

أنطوان بيتزونى، من رجال السلك القضائى الروسى وقنصل روسيا العام (٨ يولية سنة ١٨٢٧ الى ٢٨ يولية ١٨٢٨)

بيير امبراواز جوتز، من رجال قنصلية هولندا والقائم بأعمال قنصلية روسيا (٢٨ يولية ١٨٢٨ الى ١٨ فبراير ١٨٣١)

ادوارد لافيزون (ترجمان) القنصلية الروسية العامة والقائم بأعمال قنصلية روسيا (١٨ فبراير ١٨٣١ الى أول سبتمبر ١٨٣٢)

الكولونيل دوهاميل، ياور الامبراطور، قنصل روسيا (١٢ يناير ١٨٣٤ - الى نهاية سنة ١٨٣٧)

وفى سنة ١٨٣٨، عين الكونت ميدم، خلفا للكولونيل دوهاميل.

وعلى أثر الحوادث السياسية التى وقعت فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٤٠، صدرت الأوامر بسحب القناصل العامين الأربعة من الاسكندرية وسفرهم الى بلاد الشام.

وقد سلمت المحفوظات الروسية الى الشيفاليه "دانسطاس" قنصل السويد، ووجه المسيو "دى ميدم" الى "بوكتى" الملحق القنصلى، جميع التعليمات المتعلقة بادارة أعمال قنصلية روسيا فى القاهرة، حتى يستطيع الاستمرار فى أداء وظيفته كسابق عهده، على أن يرجع الى "الشيفاليه دانسطاس" قنصل السويد العام، فى شئون وكالة القنصلية الروسية.

وفى الحادى عشر من أغسطس سنة ١٨٤١، اختير "الكونت دى كريهمر" لشغل وظيفة القنصل العام فى مصر فسلم الى "الشيفاليه دانسطاس" محفوظات قنصلية روسيا العامة، التى كانت قد أودعت فى عهدته، عند مغادرة "المسيو دى ميدم" البلاد. وقد ظل "الكونت دى كريهمر" فى منصبه من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٤٤.(١)

---

١ - رينيه وجورج قطاوى (ترجمة الفريد يلوز): محمد على وأوروبا. ص - ص ٢١٩/٢٢٠

(مدارس الجاليات الأجنبية الخاصة)

أولا : مدارس القاهرة :

تأسست سنة ١٨٥٦	(للبنات)	Maison d'Education de Mme André des
" " ١٨٦٧	(مختلطة)	Institution Carlo Tomasci
" " ١٨٧٠	(")	Ecole Dorthy
" " ١٨٧٢	(للبنين)	Pensionnat Fechera
" " ١٨٧٢	(للبنات)	Maison d'Education
" " ١٨٧١	(مختلطة)	Institution Marcel
" " ١٨٧١	(")	Institution de Bono
" " ١٨٧٥	(للبنات)	Ecole Crespin
" " ١٨٠٧	(")	Ecole Ezurda
" " ١٨٧٧	(للبنين)	Institution .C.G.Grech
" " ١٨٦٧	(للبنات)	Institution Cheuvin
" "	(مختلطة)	Collége Bonola Miller
" "	(")	Pensionnat Cartel

ثانيا : مدارس الاسكندرية :

تأسست سنة ١٨٦٦	(مختلطة)	Institution Penso Porqugo
" " ١٨٦٧	(للبنات)	Pensionnat de Mme Vve Reny
" " ١٨٦٩	(للبنين)	Institution Vallet
" " ١٨٦٩	(للبنات)	Institution Cerioni
" " ١٨٧٣	(مختلطة)	Ecole Dominice
" " ١٨٧٤	(للبنات)	Pensionanat [illegible]sso
" " ١٨٧٥	(مختلطة)	Institution Kirly
" " ١٨٧١	(")	Pensionnat Galdsteim
" " ١٨٧٧	(")	Pensionnat Cardahi
" " ١٨٧٣	(بنين)	Ecole Laique
" " ١٨٧٦	(مختلطة)	" " "
" " ١٨٧١	(")	Institution de Bernardi
		Ecoles Scalese

دكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ١٩٣٨ .

Article de la Convention arrêtée entre Aly Pacha Gazairly et les Consuls :

I- les pavillons des puissances seront déployés, excepté ceux de Russie et de Suède, dont les vices-consuls attendront les ordres de leurs consuls généraux au kaire.

2- Il sera établé une barrière a l'entrée du quartier franc, pour qu'on puisse le fermer la nuit, et il sera placé par le commendant une garde fidèle prés la dite barrière , pour maintenir la tranquillité.

3- Puisque les Francs n'ont pour se promener a coté de leurs maisons d'autre place que celle appelée le Menscyeh, elle sera destinée leurs divertissements; et comme il n'est pas possible, malgré les ordres donnés, d'empécher les soldats qui passent en troupes de tirer des coups de fusil a balle, l'exercice des troupes se fera dans une autre partie de la ville. Pout que la tranquillité et la sureté du quartier franc soient conservées, les troupes ne pourront plus y passer en masse. Cette place ne sera plus dorénavant le lieu de supplice des condamnés.

4- Dans le cas ou'il serait necessaire de faire des proclamations dans le quartier franc, on ne les fera pas a haute viox, mais on avertira les consuls de ce dont il s'agira pour qu'ils prennent leurs mesures en conséquence.

5- On donnera lecture des capitulations dans un lieu d'essemblée où le qady déposé devra intervenir pour être réintégré; et honoré de tous les assistants.

6- Puisque sous de mauvais pretextes, le nommé khalyl-Attah, chef des poste-faix, a fait bâtonner deux de ses hommes au service du consulat de France, et leur a pris quatre-vingt-dix paistres; cette some devra être rendue, et le delinquant sera batonné, pour que pleine satisfaction soit donnée à notre ami le consul de France.

7- Les drogmans de nos amis les consuls recevront une satisfaction de notre part.

8- Si L'on découvre les soldats qui ont tiré des coups de fusil à balle sur les maisons de nos amis les consuls, ils seront punis sévérment, et si on ne peut les connaitre, un byn-bachy se rendra chez tous les consuls pour leur demander excuse de ces excés.

9- Puisque c'est par égard pour les puissances amies de la Porte, que l'on rend ces honneurs à leurs consuls, la publication du présent traité sera faite dans toute la ville, pour que le peuple en ait connaissance.

10- Nous apposerons notre seing au bas de ces articles; et lorsque les consuls retourneront à leurs habitations, ils seront honarés, respectés comme s'ils etaient nouvellement arrivés, aprés avoir reçu la satisfaction qui leur est due.

Nous leur donnerons des marques de notre amitié par des saluts de tous les forts, lorsq'ils hisseront leurs pavillons.(I)

Le 20e jour de la lune de Chabân I2I8

(6 - I2 - I803)

I- Mengin (M.Felix): Histoire de L'Egypt pp.4I2- 4I4.

A statement taken from the consular registers, showing only approximately the numbers and nationality of strangers resident in Egypt, which the Khedive (Ismail) himself estimates at about I00,000:

Italians	I5,000
Greeks (not rayahs, or subjects of the Porte.)	34,000
Frenchmen and French subjects	I7,000
Englishmen and Maltese	6,000
Austrians and Hungarians	6,000
Germans	I,I00
All other nationalities	I,390

Of Americans there are very few; a dozen missionaries, about 20 army officers, three judges of the mixed tribunals, and a small number of citizens. The number of American visitors annually is very great; larger than that of any other nationality except England.(I)

I- De Leon (Edwin) : The Khedive's Egypt .p.426.

Foreign subjects of various nationalities resident in Egypt

Residents	Grecks	Italians	French	English	Austor-Hungarians	Germans	Persians	Spaniards	Prussians	Dutch	Belgian	Swedes, Dane portege	Total
Alexandria	2I,000	7,539	I0,000	4,500	3,000	500	I00	I50	I27	220	40	40	47,3I6
Cairo (suburbs inclu	7,000	3367	3,000	I,000	I,800	400	400			I03			I9,I20
RE other localities)	6,000	3,000	4,000	500	I,500	50				2I0			I3,260
Total	34,000	I3,906	I7,000	6,000	6,300	I,I00				I,390			79,696

Note: These figures have been taken by the respective consulates in I870 – 72 from the registrations of each nationality, which at Alexandria represent about half the real number or number supposed to be correct. For the Italian colony alone, the results of a recent and rather complete census, taken in I87I-72, has been used, but from this, no doubt, a certain number of residents have been omitted. The general total, 79,696, includes about 800 Swiss under the protection of various foreign Powers; it does not apply to the floating or travelling population, but only to residents.(I)

De Leon: op.Cit.p 427

Notes of the Consular Representitves at
the Court of Moh.Ali Pacha, 1834

- Lieut.Col. Patrick Campbell, Agent and Consul General of H.B.M.
- Chevalier Mimaut, French Consul General.
- Col.Du Hamel, Consul General of H.M. the Emperor of Russia.
- F.Champion, Vice Consul, acting Consul General of H.M.Emperor of Austria.
- D.Pedemonte, Consul General of H.M.King of Sardinia.
- Chevalier .Schutz, Consul General of H. .The King of Holland.
- G.Camps Y Saler, " " " " " Queen of Spain.
- Chevalier G.D'Aanastasy, " " " " " King of Sweden.
- A.Antonelli, Vice Consul acting " " H.H Grand Duke of tuscany.
- R.Vantozzi, Consul General of H.M.King of the two SICILIES.
- D.Dumreicher, " " " " " " Denmark.
- A.Roquerbe, " " " " " " Prussia.
- M?Tossi za, " " " " " " Greece.
- R.Thurburn, " " " " H.B.M for the Porte of Al
- John Gliddon, Consular Agent of U.S.A.(I)

I- American Archieves : Vol.I.P.25.

List of Europeans in the service of the Egyptian Government according to their nationalities.[I]

Nationality	Number	Monthly Salary £.E
Americans	8	508
Austro-Hungarians	IOI	2,369
Belgians	I2	352
Danes	I	96
Dutch	9	340
English	I74	6,708
English protégés	94	I,208
French	326	9,8I2
Germans	4I	I,248
Greeks	II5	I,469
Italians	349	6,0II
Norwegians	2	I06
Romanians	3	34
Russians	5	34I
Spaniards	I2	292
Swedes	I	96
Swiss	I4	2I6
European policemen	59	286
	I,325	3I,588

I- De Malortie (Baron) : Egypt.p.509

List of European officials in Administrations existing by Special convenetions

Administrations	Americans	Austro-Hun	Belgian	Danes	Dutch	English	English pro	French	Germans	Greeks	Italians	Norwegs	Russians	Spaniards	Swedes	Swiss	Total numbers	Total of salaries
Mixed Tribunals	2	II	5	I	4	4	5	35	8	26	85	I	3	I	I	I	203	5288
Caisse of the Public Debt.		5				I		II	I	I	6					I	24	I353
State Domains		9	I			8	7	47		3	5		2				82	2087
Daira Sanich		2				9	I	24		4	5		I				46	I642
Totals	2	35	6	I	4	22	I3	II7	9	34	I0I	I	6	I	I	2	355	I0370

I – De Malortie (Baron) : Egypt.p.3II.

Agency and Consulate
General of U.S. Cairo
March 16, 874

Hon Hamilton Fish

Secretary of State

Washington D.C.

Sir,

I have the honour to inform you that the following Americans have arrived in Egypt and entered the military service of the Egyptian Governmet Viz:

- Wm. Mc. E. Dye. late brevet Brigadier General of Volunteers in U.S service has entered the Egyptian service as Colonel of the Staff.
- R. M. Rogers ,late 1st Lieutenant of Artillery in the U.S. Army, has entered as Colonel of Engineers.
- H. B. Reed, late brevit Colonel of Volunteers in the U.S service has entered as lieut. Colonel of the Staff.
- James Bassel, late 2nd Lieut. of Artillery U.S army has entered as Lieut. Colonel of Engineers.
- C. Martin, late 2nd Lieut. of Infantry U.S. Army has entered as Major of the Staff.
- H. G. Prout, Civil Engineer has entered as Major of Engineers.
- Colonel Jenifer and Major Dunlop who have been in the Military service of the Egyptian Government service the Spring of 1870 , have ben honorably discharged .

R. Beardsley

List d'Amerique au service de Son Altesse

Le Kheuive d'Egypt 24 Mai 1870.[I]

I - Thaddess P.Mott	General de Division de Cavalerie.
2 - Walter H.Jenifer	Colonel,Insp- de Cavaler e.
3 - Henry R. [illegible]	L.T.Col.de Cav[illegible]rie.
4 - [illegible] Dunlop	Lt.Col.d'Artillerie de camp.
5 - Edmond Porys	Major de Signaux.
6 - Henry H.Sibley	General de Brigad d'Art.
7 - Frank. A. Renylods	Col. d'Art.
8 - Wm H. Word	Lt. Col. de Marino.
9 - W.M[illegible]mb Mason	Major Col. de Marino.
IO- Cornelims Hunt	" " " "
II- Wm. P.A Campell	" " " "
I2- James M.Morgan	Capitaine " "
I3- W.W.Loring	General de Brigade d8inf.
I4- Chos P.Stone	" " " et Chef d'Etat Major
I5- E.Sparrow Purdy	Lt,Col, Genie Gographe,
I6- Hartwell W.Freeman	Capt. d'Etat Major,
I7- Alexander Renyolds	Col. d'Intendence.
I8- C.C. Long	Lt. Col "
I9- Thos.G. Rhett	Col. des Constructions.
20- Beverley Kennon.,	Col. Defense des Cotes.
2I- Vanderbilt Allen	Col. du Senie.

I - American Archieves : Vol.6.pp.28,29.

Exequaturs of Vice Consuls.

Vice Consuls and subordinate Agents in Egypt , are not furnished with Berats from the Porte. They are authorized to exercise their function, under a Buyuruldi or order from the Pacha.

The following is a list of the Consular Corps, residing near the court of Moh. Ali Pacha, with their titles and emoluments.

- Lieut .Col. P. Campbell, Agent and Consul General of Britain, salary £.3000.
- Thurburn Esq. H. Britinnic Majesty's Consul at Alex $ 2000.
- Col. Du Hamel, Consul General of Russia, salary $ 6000.
- Masion I. Champion, Acting Consul Gen. of Austria, salary $ 3000. and expenses of representation.
- Sijnor Bedments. Consul Gen. of Sardinia, Salary $ 6000.
- The Chevalier Schutz . Consul General of Holland, salary $ 3000.
- Senor Camps Y Soler. Consul General of Spain .salary $ 2000, allowed to trade.
- The Chevalier D'Anastasy, Consul General of Sweden . salary $ 2000 , allowed to trade.
- A. Antonelli. Acting Consul General for the Grand Duke of Tuscany.
- John Gliddon . Consul of the United States.
- R. Fantozzi . Consul General of Sicily.
- M. Tosinza .Consul of Greece.
- D. Dumreicher. Consul of Denmark. Allowed $ 600 with liberty

Agency and Consulate
General of U.S. in Egypt
Cairo, July 31st 1876

Hon Hamilton Fish
Secretary of State
Washington.

Sir:

I have the honour to re-nominated, in pursuance of instructions, the following Consular Agents in my Consular district namely:

- C.M.Salvago	Alexandria
- J.Lucca	Beni-souef
- M.Hayat	Gorgeh
- " "	Keneh
- A.Abdel Malak	Khartoum
- Aly Mourad	Luxor
- I.Doaud	Mansurah
- " "	Minieh
- Wasif et hayat	Asiut
- Dahan Dahan	Tantah
J.Lurur	Damietta
- Max de Haro	Ismailia

E. E. Farman.

I- American Archieves: Vol, II. Des.36.p.74.

Paris, January 12, 1877 Lord Lyons to the Earl of Derby

No 26 very confidental

The Duc decazes told me confidentally this morning that General Cialdini, The Italian Ambassador, had observed to him that it was confidentally affirmed that everything was ready in England for an occupation of Egypt, and had asked him what the French Government would do if that Country were in fact to be occupied by a British Force.

The Duke had, he told me, replied that it was quite unnecessary to discuss a contingency of the arrival of which there was no prospect. If any military or naval preparation were really being made in England. They must, he had added, have some other object. He had himself (he had told General Cialdini) been set quite at ease about Egypt by assurances he had recieved from your Lordship that Her Majesty's Government had no designs whatever upon that Country.

The Duke told me further that he had gone on to say to General Cialdini that he should be glad to recieve from him equally positive assurances about the intentions of Italy with regard of TUNIS.

The General had, he said, answered that the Italians had never thought of taking possission of Tunis.

The Duke observed to me, in conclusion, that although he had never before obtained any assurance from General Cialdini himself on the subject, he had in fact received from Rome a disavowal on the part of the Italian Government of the designs against Tunis which had been attribute to them.

I - F.O : No, 27/2234. Vol .6.

Texte de la lettre que Disraeli envoya à la reine au sortir de la réunion du conseil des ministres (24 novembre)ː

" It is just settled you have it Madame, the French Govt. has been out- generaled .They tried too much offering loans at an usurious rate, and with conditions which would have vitually giventhem the Government of Egypt.

" The Khedive in despair and disgust, offered Your Majesty's Govt. to purchase his shares outright, he never would listen to such a proposition before.

" Four millions Sterling! and almost immediately. There was only one firm that could do it, Rotchild's.They behaved admirably; advanced the money at low rate and the entire interest of the Khedive is now yours, Madam .

" Yesterday, the cabinet state four hours and more on this; and M.Disraeli has not had one moment's rest to-day; therefore this dispatch must be pardoned as his head is rather weak, he will tell the whole wondrous tale to-morrow.

" He was in cabinet to-day when Your Majesty's second telegram arrived, which must be his excuse for his brief and stupid answer; but it was the crisis.

" The Government and Rotschilds agreed to keep it secret, but there is little doubt it will be known to-morrow from Cairo."

I - Zananiri (G) : Le Khedive Ismail et L'Egypt.p.142.

The fo.lowing tables giv the business of .ixed Courts for the first nine months of their sittings to Oct,3I,I876.

Tribunals of Prémiere Instance

Causes	Place of the Tribunals			
Enrolled	Alexandria	Cairo	Ismailia	Total
Civil	I293	902	475	2670
Commercial	I3 I	636	I53	2I40
Summary	I 30	I038	264	2832
Referred	65	64	I4	I43
Total	4239	2640	906	7785

Judgments Rendered				
Civil	67I	403	240	I3I4
Commercial	689	228	72	989
Summary	I033	622	I97	I852
Ref rred	47	88	I4	I23
Total	2440	I3II	523	4274

Manner of obtaining judgments				
By default	800	507	I04	I4II
Trail	II72	569	296	2037
Bankruptcy	94	8	I4	I86
Interlocutory	374	I77	I09	660
Nation 1 Acts	386	228	95	709

Court of Appeals

Causes

	Enrolled	Judgments redered
Civil	I27	52
Commercial	58	35
Total	I85	87

Manner of obtaining judgments

By default	9
Trail	66

Scanned by CamScanner

Court of Appeals Tribunals of Alex.

Cases enrolled		Commissione Judgements	
Italian	31	Austro-Hungarian	4
Greek	30	French	2
Austro-Hungarian	17	Greek	2
French	13		
British	10		
Russian	4		
Spanish	3		
German	1		
Holland	1		
Belgic	1		
Total	111	Total	8

Special Chamber

French	6	French	2
Italian	1		
Danish	1		
Greek	1		
Total	9	Total	2

Special Chamber

French	85	French	9
Greek	27	Itàlian	2
British	10		
Austro-Hungarian	7		
German	4		
Belgic	3		
Russian	1		
American	1		
Spanish	1		
Danish	1		
Total	156		11

1- American Archieves : Vol.13.p.143,144.

List of Judges of the "Court of Appeals", and "Court of First Instance" and of the "Members of the Parquet" of the new Tribunals in Egypt

Names	Whence appointed	Title	Remarks
	Courts of Appeals		
Zulfikar Pacha	Native	President	
Lapenna Louis	Austro-Hungary	Judge	Vice-Pres.
Letourneux M.A.	France		Sub.Vice-Pres.
Giacone Jean	Italy		
Abaza(d') Nicolus	Russia		
Scott John	England		
Barringer Victor	United States		
Morgan Count L.	Germany		
Ali Ibrahim Bey	Native		
Ali Reza Bey	"		
Cadri Bey Mohamed	"		
Rassikh Bey Ahmed	"		
	Tribunal of Alexandria		
Aly Bey Rached	Native	President	
Noriondo Joseph	Italy	Judge	vice-president
BARGER Alfred	Austro-Hungry		sub,vice-pres.
Baron d'Armfelde	Sweden		
Jaussen Camille	Belgium		
Mourousi Prince Alex.	Russia		
Mills A.Werner	England		
Antoniadis A.A.	Greece		
De Brouwer Guillzum	Belgium		
De Witmowsky Thilo	Germany		
Mohamed Chimy Bey	Native		
Said El Enaouni	"		
Dimtro Effendi Bissara	"		
Osman Bey Orfi	"		

Tribunal of Cairo

Names	Where Appointed	Title	Remarks
Mourad Pacha	Native	President	
Hagens Francis	Germany	Judge	vice-pres.
Herbout Jules	France	"	sub,vice-pres.
De Stoppelaar George	Holland	"	
Batcheller George	United States		
Korizmics Antoine	Austro-Hungry	"	
Van Bemmelen Pierre	Holland	"	
Abdul Sami Effendi	Native	"	
Hamad Bey	"	"	
Said Bey Zaley	"	"	

Note: There is one vacancy caused by the recent death of the Greek Judge.

Tribunal of Ismailia

Gram Grégoire	Norway	Judge	vice-pres.
Holten Just	Denmark		sub,vice-pres.
Bernardi Pietro	Italy		
Law Michael	England		
Hassan Ilhami	Native		
Hamdy Effendi	"		
Abd-el Kader Bey	"		

Members of the Parquet

De Vos Addphe	Belgium	Procureur	General Alex.
Addobbati Joseph	Austria-Hungry	Inspector	"
Vacher de Montguyom	France	Avocat	"
Amine Bey Ahmed	Native	Substitute	"
Fekri Bey Hussein	"		Cairo
Hamid Bey Mohamed	"	"	Ismailia
Hussein Oisif	"	"	Alex.
Ahmed Salim	"	"	Cairo

American Archieves:op.cit,p.147 .

Despatch of Cherif Pach.

Ministry of Foreign Affairs. No. 91
Cairo, March 19, 1878.

Hon. E. E. Farman,
U.S. Agent and Consul General,
Cairo.

Sir:

By reading the Minutes and Report of the Commission, instituted in 1873 near the Sublime Porte for the examination of the propositions made by the Egyptian Government, in relation to the Judiciary Reform in Penal Matters, it becomes evident that the Delegates of the Powers, in accord with the Egyptian Minister, agreed to include, under the title of Magistrates, the Members of the Public ministry, as well as the Judges themselves, and to reserve for the New Tribunals the judgment of crimes and offenses imputed to magistrates in general in the expercise of their functions.

The spirit as well as the letter of these minutes and report seem to leave no doubt in this respect. Sec. 3 of the draft of law, unanimously accepted by the commission and by the Egyptian Government, expressly mentions, whilst distinguishing them in a sufficiently precise manner, the special crimes and offenses of which the following classes of functionaries may be accused, to wit :- I - the Judges only; 2. the judges and the Parquet; 3. the officers of justice; 4. the judges, the parquet and the officers of justice.

This enumeration, so clear and categorical, is the best proof of the understanding established between the commission and the Egyptian Government.

Art. 9 of the Title II of the" Reglement d'Organisation judiciaire" is an almost literal reproduction of the whole of said Sec. 3 of the draft above mentioned which was sanctioned by both the commission and the Egyptian Government.

Nevertheless that Art. makes mention of the judges, juries and officers of justice only, without mentioning the members of the Parquet.

Is it to be concluded, from this failure to mention them, that the members of the Parquet are not subject to the New Tribunals for the crimes and offenses specified in Art. 9.

Such an interpretation seems impossible from every point of view. Firstly, it would be contrary to the intention of the Parties signing the International Treaty of Reform, who thought they ought to provide for the cases, however rare they might be, of crimes and offenses imputed to the members of the parquet, and

- - -

judges and officers of justice. In the second place, such and interpretation would form a most inexplicable anomaly, for the juries, the assessors, the clerks and asistant clerks, the interpreters and the sheriffs come, like the judges themselves, within the jurisdiction of the new Tribunals, and nothing would be more abnormal than an exception created exclusively in respect to the parquet which fulfills so important a mission, and is entrusted in penal Matters with proposing the most important measures of the process of investigation, and in Civil Matters with settling questions of order and public interest. Finally in the third place, such an interpretation would greatly affect the dignity of the Magistracy and might lead to conflicts of the greatest kind, becaurse supposing for example a case where a judge, properly speaking, that is to say a Magistrate, entrusted with pronuncing a decision, and a member of the public Ministry, that is to say, a Magistrate entrusted with the prosecution, were accused of unlawful acts, committed in common in the exercise of their functions, could it be admitted that the former was under the jurisdiction of the Tribunals of Reform and the latter under the tribunal of his Consulate, and that the Consular judge might condemn, whilst the Tribunal of Reform might acquit, or vice versa?

Would there not be in such a case a very lamentable conflict of such a nature as to compromises a high interest, namely the dignity, honor and prestige of the Magistrate who would not even have the right of a pealing to a higher authority competent to dispose of the question.

In view of these considerations it seems impossible, I repat, to interpret the silence of Art. 9 in the sense that the members of the parquet are the only ones kept free from the jurisdiction of the new Tribunals.

Be this silence the result of inadvertency on the part of the compiler or be it a typographical error it is in any case an omission, a lacuna, which give rise to most unpleasant difficulties to remedy which is all the more important, seeing that it is, as has been shown above, entirely contrary to the understanding come to at Constantinople.

The Court of Appeals itself conscious of the importance of the case and after a careful examination of the minutes, report and draft above alluded to , asks of the Ministry of justice that this omission be provided for as soon as possible; and the Court proposes, as the most simple and rational means, to substitute for the incomplete text of Art. 9 of Title II of "Reglement d'organisation judicaire" the integral text of Sec. 3 of the said draft.

Thinking, with the Court , that this means would indeed be the most appropriate to the state of the case, I have the honor to bring it before your attention , Mr. Agent and Consul General, in the conviction that the Government of the United States will be pleased to receive it as such and consider, in accord with the Government of the Khedive, that the substitution mentioned above will entirely attain the aim wished for, by re-establishing in its right terms the understanding formulated at Constantinople in Sec.3 of the aforesaid draft.

Please to accept Mr. Agent and Consul General, the expression of my high consideration .

(signed) Cherif
Minister of Foreign
Affairs and of justice.

American Archieves : Vol.14. pp. 237 -239

أولا : المراجع العربية

أ) الوثائق :

١ ـ محافظ المعية تركى من رقم ٢٠ الى ١٢٥ وتضم المكاتبات المرسلة من رؤساء الدواوين الى المعية السنية .

٢ ـ سجلات المعية السنية عربى من رقم ١ الى ٣٥٥ وتضم الأوامر والخطابات الصادرة الى الدواوين والأقاليم والمديريات وكذلك الأوامر الصادرة الى تفتيش عموم الأقاليم ومجالس تفتيش الزراعه والافادات الغير رسميه الصادرة الى الدواوين والأقاليم والمحافظات .

٣ ـ سجلات المعية السنية تركى من رقم ١ الى ٨٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٩ ومن ٥٣٠ الى ٥٣٩ ، ٥٤٨ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ وتضم الأوامر الصادرة الى الأقاليم والمديريات والمحافظات والرد على الافادات التركيه الواردة الى المعية السنية .

٤ ـ دفاتر قيد اللوائح والأوامر المستديمه بديوان الخديوى وتحليل رقمى ٦٨٦ ، ٧٢١ وقيدت بهذين الدفترين اللوائح المختلفة الخاصة بدواوين الحكومة .

٥ ـ دفتر مجموع ترتيبات ووظائف ـ ودونت فيه بعض اللوائح التى صدرت باللغه العربيه .

٦ ـ أوامر جهاديـة محفظـه ٩ ، ١٠ ، ١١

٧ ـ أبحـاث محفظـه ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣٧

٨ — دفتر ١٩٥٢ قرارات مجلس خصوصى .

٩ — " أوامر عربى رقم ١٢ ، ٥٢٥ .

١٠ — " ٧٧٧ ديوان خديوى تركى .

ب) المراجـــع:

١ — دكتور ابراهيم عبده : أبو نظارة "امام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح فى مصر"
١٨٣٩ — ١٩١٢ القاهرة ١٩٥٣

٢ — " " " : تاريخ الوثائق المصرية القاهرة ١٩٤٢

٣ — دكتور أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر .
القاهرة ١٩٥٧

٤ — " " " " " :الأجانب فى مصر والسودان (١٨٤٩ — ١٨٦٢)
مستخرج من مجلة الاقتصاد والتجارة — العدد الثانى — السنة
السادسة . (يولية — ديسمبر ١٩٥٨) القاهره ١٩٥٨

٥ — " " " " " : التمثيل القنصلى والدبلوماسى للولايات المتحدة فى مصر فى
القرن التاسع عشر . مستخرج من مجلة الاقتصاد والسياسة والتجارة
العدد الثانى (يولية — ديسمبر ١٩٥٧) القاهرة ١٩٥٨

٦ — " " " " " : العلاقات الاقتصادية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية (القرن ١٩)
مستخرج من مجلة كلية التجارة — جامعة القاهرة — العدد الأول
السنة الأولى القاهرة ١٩٥٣

٧ — أحمد زكى بدوى : تاريخ مصر الاجتماعى القاهرة ١٩٣٦

٨ — أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن — الجزء الأول القاهرة ١٩٣٤

٩ — دكتور احمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية (١٨٧٦ — ١٨٨٢)

١٠ — احمد عرابى (باشا) : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة
بالثورة العرابية — الجزء الأول . ١٨٨١ — ١٨٨٢

١١ — دكتور احمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى عصر محمد على . القاهرة ١٩٣٨

١٢ — " " " " : تاريخ التعليم فى مصر — الجزء الثانى .
عصر اسماعيل والسنوات المتصلة به من حكم توفيق .
القاهرة ١٩٣٨

١٣ — اسكندر صبحى (بك) : اعمال موتمر الغاء الامتيازات .
بحث تفصيلى عن أعمال الموتمر ونتائجه . القاهرة ١٩٣٧

١٤ — اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار (جزءان فى مجلدين)
القاهرة ١٣١٢هـ

١٥ — اسماعيل بمناسبة مرور خمسين عاما على وفاته : وزارة المعارف العمومية . القاهرة ١٩٤٥

١٦ — الفريد سكاون بلنت: التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر .
(راجع الترجمة الشيخ محمد عبده)

١٧ — الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل (جزءان فى مجلدين)
القاهرة ١٩٢٣

١٨ — أمين سامى : تقويم النيل (١٥١٧ — ١٨٤٨) بما فى ذلك عصر محمد على
الجـزء الثـانى — القاهرة ١٩٢٨

١٩ — " " : تقويم النيل وعصر عباس حلمى الأول ومحمد سعيد
المجلد الأول من الجزء الثالث — القاهرة ١٩٣٦

٢٠ — " " : تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا
المجلد الثالث من الجزء الثالث — القاهرة ١٩٣٦

٢١ — " " : التعـليم فى مصـر — القاهرة ١٩١٧

٢٣ — بعض وثائق تاريخية من عهدى اسماعيل باشا وتوفيق باشا

انتقاها الأمير محمد على وترجمها السيد محمد زاهر الكودى • القاهرة ١٩٤٨

٢٤ — تيودور روثستون : تاريخ المسألة المصرية •

تعريب عبد الحميد العبادى القاهرة ١٩٢٣

٢٥ — جات تاجر وعلى جندى : اسماعيل كما تصوره الوثائق • القاهرة ١٩٤٧

٢٦ — جورجى زيـــدان : مصر الحديثة • الجزء الثانى • القاهرة ١٨٨٩

٢٧ — جولييت آدم : انجلـــترا فى مصـــر •

ترجمه على فهمى كامل •

٢٨ — جمال الدين الافغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى • القاهرة ١٩٢٧

٢٩ — رفاعة بك رافع : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية • القاهرة ١٢٨٦

٣٠ — روبيه لامبلان : فى سبيل الاستقلال — مصر وانجلترا من عهد محمد على الى الملك فؤاد

ترجمة ميخائيل بشارة • القاهرة ١٩٢٣

٣١ — رينيه قطاوى (بك) — جورج قطاوى : محمد على وأوروبا

ترجمة الدكتور الفريد يلوز • القاهرة ١٩٥٢

٣٢ — سلافة النديم فى منتخبات السيد عبد الله النديم (خمسة أجزاء)

جمـــع ابن منتصـــر • القاهرة ١٩١٤

٣٣ — شفيق غربال (دكتور) : محمد على الكبير • القاهرة ١٩٤٤

٣٤ — عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل (جزءان فى مجلدين) القاهرة ١٩٣٢

٣٥ — عبد الله النديم: مقالات النديم (جمع ابن منتصر) القاهرة ١٩٠٩

٣٦ — عمر لطفى (بك): الامتيازات الأجنبية. القاهرة ١٣٢٢هـ

٣٧ — على مبارك (باشا): الخطط التوفيقية.

(عشرون جزءاً فى خمسة مجلدات) القاهرة ١٣٠٦هـ

٣٨ — عزيز خانكى: المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية القاهرة ١٩٤٠

٣٩ — عالى جسودت: مصر فى القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٦٠

٤٠ — كرومر (لورد): مصر الحديثة.

ترجمة اسكندر شاهين. القاهرة ١٩٠٨

٤١ — كريم ثابت: محمد على. القاهرة ١٩٤٢

٤٢ — مذكرات الامام محمد عبده. القاهرة ١٩٦٢

٤٣ — فيليب جلاد: قاموس الادارة والقضاء (سبعة مجلدات) الاسكندرية ١٨٩٠–١٨٩٦

٤٤ — مجموعة خطابات وأوامر عباس باشا الأول

عنى بطبعها وجمعها الأمير محمد على القاهرة ١٩٢٩

٤٥ — محمد خلف الله احمد (دكتور): عبد الله النديم ومذكراته السياسية.

القاهرة ١٩٥٦

٤٦ — محمد درى الحكيم (باشا): تاريخ حياة على باشا مبارك. القاهرة ١٣١٢هـ

٤٧ — " " " " : النخبة الدرية فى مآثر العائلة المحمدية العلوية.

القاهرة ١٣٠٧هـ

٤٨ — محمد عبد البارى: الامتيازات الأجنبية.

وبه مقدمة للدكتور عبد الرازق السنهورى. القاهرة ١٩٣٠

٤٩ — محمد فريد (بك) : البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية .

القاهرة ١٣٠٨ هـ

٥٠ — دكتور محمد فؤاد شكرى ، السيد محمد رجب حراز : محاضرات فى حضارة مصر الحديثة .

القاهرة ١٩٥٩

٥١ — دكتور محمد فؤاد شكرى ، عبد المقصود عنانى ، سيد محمد خليل :

بناء دولة مصر محمد على القاهرة ١٩٤٨

٥٢ — دكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان (١٨٢٠ — ١٨٩٩)

القاهرة ١٩٦٣

٥٣ — دكتور محمد فؤاد شكرى ، دكتور محمد أحمد أنيس ، السيد محمد رجب حراز :

نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر .

٥٤ — اللواء محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين

الافرنجية والقبطية . القاهرة ١٣١١ هـ

٥٥ — دكتور محمد مصطفى صفوت : انجلترا وقناة السويس . الاسكندرية ١٩٥٢

٥٦ — ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث

الجـــزء الـــرابع . القاهرة ١٩٠٠

٥٧ — نجيب توفيق : الثائر العظيم عبد الله النديم القاهرة ١٩٥٧

٥٨ — نجيب مخلوف : نوبار باشا وما تم على يديه القاهرة ١٩٠٣

٥٩ — ليدى دف جوردون (ترجمة على الكاتب) : رسائل من مصـــر .

٦٠ — يعقوب أرتين : الأحكام المرعية فى شأن الأراضى المصرية . القاهرة ١٣٠٦ هـ

٦١ — يوسف نحاس : الفلاح وحالته الاقتصادية والاجتماعية .

(تعريب خـــليل مطـــران) القاهرة ١٩٢٦

Scanned by CamScanner

جـ الدوريـات :

١ – الوقائع المصريه

٢ – جريدة الأهرام   صدرت ابتداء من سنة ١٨٧٧ .

ثانيا : المراجع الافرنجية :

أ – الوثائق

A: American Archives (U.S.A):

I – Egyptian Despatches from the Consulate General of the United States of America in Egypt to the Department of State, Washington, in I[illegible] volumes, covering the years I[illegible]-I[illegible] inclusive.

2 – Instructions to Consuls of the United States in Egypt for the Department of State, found in vol. XIV Department of State, Washington. U.S.A. (I84[illegible]-I[illegible])

3 – Instructons to the Consulate General of the U.S. at Alexandria, Egypt, for the Department of State found in vol. XV (I[illegible]-I[illegible])

4 – Report made by William B. Hodgson on Egypt for the Department of U.S.A found in vol. [illegible].

5 – Mixed Courts, found in vol. I[illegible].

B: Foreign Office (F.O):

Vol. [illegible]4/2

7/75I

27/[illegible], [illegible]I7, 2I6I, 2I[illegible]7, [illegible]34, 2[illegible]57,

[illegible]/2[illegible]4.

7[illegible]/[illegible]2, 7[illegible]7, 775, I[illegible]3[illegible], I[illegible]3[illegible], I5I2, I5[illegible]3, [illegible]7[illegible], 2[illegible]5,

[illegible], 2[illegible]3, [illegible]3[illegible], [illegible]55, [illegible]5[illegible], [illegible]54, 274[illegible], [illegible]7[illegible], [illegible]75[illegible],

7[illegible]/[illegible], [illegible]5, [illegible]6, [illegible]I, 3[illegible]3.

[illegible]7/[illegible].

[illegible]/I

ب - المراجـــــع:

I - Adams (Francis):The New gypt. London I 93

2 - Adams (J) :L'Angleterre en gypte. Paris I922

3 - A.H.Amy,B.A.Oxon:Notes on the History of Modern gypt. Cairo I942

4 -A.Z :The mancipation of gypt.(translated from the Italian Language. London I905

5 - Bemmelen(Van):L' gypte et L' urope. Par an ancien juge mixite.(2vols.) Paris I 84

6 - Brénier(Louis):L' gypte de I79 à I90 . Paris I900

7 - Brinton(J.Y):The Mixed Courts of gypt. London I930

8 - Butler(Alfred): Courts life in gypt. London I 87

9 - Cameron(D.A): gypt in the I9th Century. London I 98

I0- Cattaui(Joseph):Le Kh dive Ismail et la Datte de L' gypte. Le CaireI935

II-Charles-Roux(F):L' gypte de I80I à I 82, Moh.Aly et sa dynastie J'usqu'a l'occupation Anglaise.T.VI. Paris I936

I2- Colvin(Sir Auckland):The Making of Modenn gypt. London I906

I3- David S. Landes:Bankers and Pashas. London I958

I4- De Freycinet(C): Le Question d' gypte. Paris I905

I5- De Leo n(dwin):The Khedive's gypt. London I 77

I6 - De Malortie(Baron): Egypt.
London I883

I7 - Dodwell(Henry):The founder of Modern Egypt.Astudy of Moh.Aly.
Cambridge I931

I8 - Dicey(Edward):The story of The Khedivate.
London I902

I9 - Douin(G):Histoire du Khedive Ismail(4 vols.)
Le Caire I933-39

20 - Douin(G): Moh. Aly,Pacha du Caire.(I805-I807)
Le Caire I927

2I - Driault(Edward): Mohamed Aly et Napolean(I807-I8I4)
Le Caire I925

22 - Dye(W): Moslem Egypt and Christian Abbassynian.
New Yomk I390

23 - Earl of Cromer:Modern Egypt (2 Vols.)
London I908

24 - Elgood(P.G): The Transit of Egypt.
London I928

25 - Elgood(P.G): Egypt.
Cairo I949

26 - Farman (lbert.): gypt and its Betrayal.

New Yomk I908

27 - Fraser Rae (W): gypt To-day.

London I892

28 - Harris (Murray): gypt under The gy tians.

London

29 - Jerrold (B): gypt under Ismail asha.

London I879

30 - Lane Poole (Stanley): Social Life in gypt.

Paris I905

31 - Madden (R.R): Egypt and Mohamed Ali.

London I841

32 - Maurice Fargeon: Les Juifs n gypte.

Le Caire I938

33 - Mc.Coan (J.C): gypt as it is .

33 - Maurice Fargeon: London I877

34 - Mc.Coan (J.C): gypt under Ismail.

London I889

35 - Mengin M.Felix: Histoire de L' gypte sou s le Gouvernment de Moh. Aly (2 vols.)

Paris I 23 I823

36 - Meyer (G): L'Egypte Contemporaine et les Capitulations.
Paris 1930

37 - Murray (Sir Charles Augustus): A short Memoir of Moh.Ali.
London 1898

38 - Myrargues (Alfred): Quelques Mots sur L'Egypte Contemporaine;
Paris 1869

39 - Powers (H.H): Egypt (The University Travel Series)
New York 1924

40 - Puckler (Muskau): Egypt under Moh.Ali.
London 1845

41 - René et George Cattaui: Moh.Aly et L'Europe.
Le Caire 1952

42 - Sacré (Amédée) et Outrebon (Louis): L'Egypte et Ismail Pasha.
Paris 1865

43 - Sammarco (A); Histoire de L'Egypte Moderne depuis Moh.Ali
jusq'a L'Occupation Britannique (1801-1882)
Le Caire 1937

44 - Valentine Chirol (Sir): The Egyptian Problem.
London 1920

45 - Wallace (De Mackenzie): Egypt and the Egyptian Question.
London 1883

46 - Watkins (J;w): Popular History of Egypt.
London

47 - Yates (W.H): The Modern History and Condition of Egypt.(2 v
London 1843

48 - Zananiri (G): Le Khedive Ismail et L'Egypte.
Alex. 1923

--------------------- --------

الصفحة

الصفحـــة